

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

لأبي الفتح عبدالصمد بن محمود بن يونس الغزنوي الحنفي
(من علماء القرن الخامس الهجري)

دراسة و تحقيق
[من الآية (٣٢) من سورة الفرقان إلى نهاية سورة السجدة]

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير

إعداد الطالبة:
سماح بنت محمد بن عابد بن عبدالله المولد
الرقم الجامعي: ٤٢٩٨٠٢٧٦

إشراف الدكتور: عبدالله حامد سمبو
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بجامعة أم القرى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[٣٢] وذلك أن النبيﷺ لما تحداهم بالقرآن وأمرهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا عن ذلك لزمتهم الحجة فجعلوا يطلبون الشبهة فقالوا: لو كان حقا لأُنزل عليه القرآن جملة ، كما أنزلت التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ـ عليهم السلام[1] ـ ، فبين الله تعالى أن ذلك ليس بشبهة كما قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[٣٢] أي هكذا أنزلناه عليك متفرقا ليكون أيسر/ عليك في حفظه وضبطه فإن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب بخلاف موسى وعيسى ـ عليهما السلام [2] ـ . ولو أنزل عليه القرآن جملة واحدة ؛ لشق حكمه على المسلمين كما شق على بني إسرائيل [3] ، ويقال : كان الله يعلم أن القوم يؤذونه ويسألونه عن أشياء ؛ فأنزل الجواب عقيب السؤال ليكون أحسن موقعًا ، وأدعى إلى الانقياد وأبلغ في إلزام الحجة[4].

٤٣٢/أ

وقوله عز و جل: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ أي: فرقناه تفريقا [5] ، يقال : لؤلؤ رَتِّل إذا كان متفرقا غير منظوم، وأسنان مرتلة إذا كانت مفلجة [6][7]. ومنه قوله: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾[8]. أي: فرق الحروف بعضها من بعض.

---

[1]) انظر: النكت والعيون ١٤٤/٤ ، القرطبي ٤٠٦/١٥ .

[2]) تنزيه القرآن عن المطاعن.ص ٢٩١، الكشاف ٢٨٣/٤.

[3]) لم أقف على ما يبين أن التوراة نزلت جملة كما قيل ـ فالله تعالى أعلم ـ ولنزول القرآن منجمًا فوائد عدة منها: تيسير حفظه، والتدرج في تربية الأمة وغير ذلك. قال ابن كثير في تفسيره: ثم في هذا اعتناء كبير؛ لشرف الرسول، صلوات الله وسلامه عليه ، حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحا ومساء، ليلا ونهارا، سفرا وحضرا. ٣٩١/٣، وانظر: البرهان في علوم القرآن ٣٢٤/١، الإتقان ص ١١٤، مناهل العرفان ٤٤/١، روح المعاني ١٥/٧، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد أبو شهبة ص ٦٥.

[4]) أشار لمعناه الطبري في تفسيره ٤٤٦/١٧ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس نحوه. ٢٦٩٠/٨.

[5]) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان عن النخعي والحسن. ٤١٤/٤ ، وفي النكت والعيون منسوباً لإبراهيم النخعي ١٤٤/٤، الكشاف ٢٨٤/٤.

[6]) انظر لسان العرب مادة (رتل) ٢٦٥/١١ ، تهذيب اللغة مادة (رتل) ١٣٥٩/٢.

[7]) كتب في حاشية الأصل:[وفي ...ثغر رَتِل، ورَتَل إذا كان مُفَلّجًا لا لصص فيه].

[8]) سورة المزمل:[٤].

وقوله: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ [٣٣] معناه لا يأتونك بشبهة للاحتجاج بها في إبطال أمرك إلا جئناك بالذيٍّ هو الحق ، والذي هو أحسن تفسيرًا من مثلهم[١].

والتفسير: كشف المعنى المغطى ، والتفسيرة: هي الدليل الذي ينظر إليه الطبيب [٢][٣].

وقوله: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ﴾ [٣٤] نعت للكفار على معنى يسحبون على وجوههم، كما قال في آية أخرى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ﴾ [٤].

وفي الحديث : (أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أصناف فصنف على الدواب، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم ، قيل يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم ؟ فقال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم لقادر أن يمشيهم على وجوههم)[٥].

وقوله: ﴿ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ﴾ [٣٤] خبر عن الذين يحشرون على وجوههم ، شر منزلاً وأضل طريقًا عن الحق والصواب.

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ [٣٥] معناه أعطينا موسى التوراة [٦] ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ [٣٥] مُعِينًا [٧] يعينه على تبليغ الوحي ،

---

[١]) الكشاف بمعناه. ٢٨٤/٤.

[٢]) صوابه التفسرة ، انظر أساس البلاغة. ص ٤٧٣، لسان العرب مادة(فسر) ٥٥/٥، تهذيب اللغة مادة (فسر).٢٧٨٢/٣، تاج العروس مادة (فسر) ٣٢٣/١٣.

[٣]) كتب في حاشية الأصل: [قال في ص: الفسر نظر الطبيب إلى الماء وكذلك التفسيرة ، وأظنه مولدًا أهـ]. ولعل المراد بـ ص: الصحاح في اللغة للجوهري٣/٥.

ومعنى كلام مولد: مستحدث لم يكن من كلام العرب. انظر العين ٨ / ٧١، لسان العرب مادة (ولد) ٤٦٩/٣، تاج العروس مادة (ولد) ٣٢٩/٩.

[٤]) سورة القمر:[٤٨].

[٥]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بنحوه. حديث رقم(٨٦٤٧) ٢٨٨/١٤، وأخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة نحوه. كتاب/ تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب/ ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم (٣١٤٢) ١٥٦/٤، وقال :هذا حديث حسن. وأخرج النسائي في السنن الكبرى عن أنس نحوه سورة الفرقان حديث رقم(١١٣٦٧). وأصل الحديث في الصحيح، أخرجه البخاري في كتاب/الرقاق باب/كيف الحشر حديث رقم(٦٥٢٣) ٤٥٩/١١.

[٦]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناده عن قتادة ٢٦٩٣/٨، تفسير مقاتل٤٣٧/٢.

[٧]) الطبري ٤٥١/١٧، تأويلات أهل السنة ٢٥/٨، الكشف والبيان ٤١٥/٤، تفسير ابن كثير ٣٩١/٣.

والوزير في اللغة هو: الذي يرجع إليه ويتحصّن برأيه، والوزر ما يلتجأ إليه[1].

﴿فَقُلْنَا﴾[٣٦] أي: فقلنا لهما : اذهبا إلى فرعون [2] وقومه بآياتنا فادعوهم إلى الإيمان ففعلا ذلك ، فلم يجيبوا فدمرناهم أي: أهلكناهم إهلاكًا بما كان فيه عبرة لمن اعتبر.

قوله عز وجل: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾:[٣٧] معناه: واذكر قوم نوح حين كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل [3] فأغرقناهم وجعلنا إهلاكهم للناس عظة، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: للكافرين[4] ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣٧] أي: وجيعًا في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾[٣٨] معناه: وأهلكنا عادا و ثمودا وأصحاب الرس ، قال قتادة [5] :

---

[1]) معاني القرآن للزجاج ٦٣/٤، لسان العرب مادة (وزر) ٢٨٢/٥ ، المحرر الوجيز ٢١٠/٤ ، تأويلات أهل السنة عن الزجاج. ٢٦/٨.

[2]) (فرعون) قيل : إنه اسم ذلك الملك الذي أرسل إليه موسى ، وقيل: إنه اسم كل ملك من ملوك العمالقة مثل كسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة وأن اسم فرعون موسى قابوس في قول أهل الكتاب. وقال وهب اسمه الوليد بن مصعب بن الريان ويكنى أبا مرة وهو من بني عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. قال السهيلي : وكل من ولى القبط ومصر فهو فرعون وكان فارسيا من أهل اصطخر.. قال الجوهري: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي: دهاء ونكر. تفسير القرطبي ٨٣/٢.

[3]) نوح ـ عليه السلام ـ هو أول رسول بعث الله إلى أهل الأرض ، وكان قبله أنبياء. فمن كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل ، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: الإيمان بالرسل يجب أن يكون جامعا ، عاما ، مُؤتَلِفا ، لا تفريق فيه ولا تبعيض ، ولا اختلاف بأن يؤمن بجميع الرسل وبجميع ما أنزل إليهم، فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض، أو آمن ببعض ما أنزل وكفر ببعض فهو كافر.أهـ تفسير آيات أشكلت لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧١٦/٢.

وقال في التدمرية : والله تعالى جعل من دين الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به ، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به.أهـ ص ١٧٠، وانظر تفسير القرطبي ٤١٠/١٥ ، تفسير البغوي ص ٩٢٧، اللباب لابن عادل ٥٣٢/١٤ ، معاني القرآن للنحاس ٢٦/٥، الكشاف ٢٨٥/٤، النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧١٤/٢.

[4]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٨/ ٢٦٩٤ .

[5]) قتادة بن دعامة السدوسي ولد سنة ستين ومات سنة سبع عشرة ومائة وكان يكنى أبا الخطاب، قدوة المفسرين والمحدثين ،كان رأسًا في العربية والغريب ، وأيام العرب وأنسابها وكان ثقة مأمونا حجة في الحديث. انظر: الطبقات الكبرى ١٧١/٧ ، معرفة الثقات ٢١٥/٢ ، طبقات الفقهاء ٩٤/١.

الرس بئر نبي اليمامة [١] ، ونبيهم حنظلة [٢]. يقال : إن البئر التي لم تطو بالحجارة تسمى الرسّ [٣].

وعن مجاهد [٤] أنه قال: "إنما سموا أصحاب الرس لأنهم قتلوا نبيهم ودسوه في بئرٍ لهم" [٥] ، و الرس والدس واحد [٦].

وقوله: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾[٣٨] أي: وأهلكنا قرونًا [٧] كثيرة بين هؤلاء منهم من لم نُسمّه لك ، وكلا من هؤلاء بيّنا لهم ما يحتاجون إليه في أمر دينهم

---

[١]) انظر الطبري ٤٥٢/١٧، الكشف والبيان ٤١٥/٤ ، النكت والعيون ٤/ ٤٥٢ ، إلا أنهم قالوا قرية من قرى اليمامة يقال لها الفلج ، معاني القرآن للنحاس ٢٧/٥ ، الكشاف ٢٨٥/٤، تفسير ابن كثير ٣٩٢/٣.

[٢]) عزاه الثعلبي في الكشف والبيان لسعيد بن جبير وابن الكلبي والخليل ٤/ ٤١٦ ، الكشاف ٢٨٥/٤ ، وانظر زاد المسير ٩٠/٦. ولم يرد في كتاب ولا سنة تسمية نبي من الأنبياء بهذا الاسم ، ولعله من روايات بني إسرائيل.

[٣]) عزاه الثعلبي في الكشف والبيان لأبي عبيدة ٤٢١/٤ ، الكشاف ٢٨٥/٤، وفي زاد المسير بمعناه عن ابن قتيبة ٩٠/٦، والصواب الأول ، وانظر سورة الذاريات في مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٤٢، كما أورده النحاس في معاني القرآن عن أبي جعفر ٨٢/٥ ، القرطبي ٤١١/١٥، أساس البلاغة ص ٢٣١ .

[٤]) مجاهد بن جبر الإمام أبو الحجاج المخزومي، مولاهم المكي المقري المفسر الحافظ، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، سمع سعدا، وعائشة، وأبا هريرة، وأم هانئ، وابن عمر، وابن عباس ، أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، وأجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، مات وهو ساجد سنة أربع ومائة للهجرة. انظر: تذكرة الحفاظ ١ / ٩٢ ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٢ / ٢٤٠، معرفة القراء الكبار (٢٣) ص ١٩، طبقات الفقهاء ٥٨/١ ، ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣ ، الطبقات الكبرى ١٩/٦.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن عكرمة ٤٥٢/١٧ ، تأويلات أهل السنة /٢٧، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة نحوه ٢٦٩٥/٨ ، الكشف والبيان ٤١٦/٤ ، النكت والعيون ١٤٥/٤ ، وكلهم عزاه لعكرمة ، الكشاف ٢٨٥/٤، وانظر أيضا معاني القرآن للنحاس ٢٧/٥ .

[٦]) رجح الطبري أن الرس بئر ، حيث قال: وذلك أن الرّسّ في كلام العرب: كلّ محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك؛ ومنه قول الشاعر: سَبَقْتَ إلى فَرطٍ ناهلٍ تَنابِلَةٍ يَحْفِرُونَ الرِّساسا ٤٥٣/١٧، وكذا قال الفراء في معاني القرآن. ٥١/٣، وانظر تفسير ابن أبي حاتم ٢٦٩٥/٨ ، القاموس المحيط ٧٠٧/١ ، وهذا الذي أراه أيضا والله أعلم.

[٧]) اختلف في مقدار القرن فحدده بعضهم بمائة وعشرين سنة. وقيل: مائة سنة. وقيل: ثمانين سنة. وقيل: أربعين. وقيل غير ذلك. والأظهر: أن القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد؛ فإذا ذهبوا وخلفهم جيل آخر فهم قرن ثان، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" الحديث. تفسير ابن أبي حاتم ٢٩٨٢/٩ ، تفسير ابن كثير ٣٩٢/٣، لسان العرب مادة (قرن) ١٣ /٣٣٣، النهاية في غريب الحديث ٧ / ٧٧.

ودنياهم فلم يجيبوا ، وكلا تبّرنا أي: أهلكناهم إهلاكا، و التتبير: تفعيل، من التبار وهو: الهلاك[١].

وكل شيء كسرته فقد تبر ته، يقال لمنكسر الزجاج: تبر، وكذلك تبر الذهب[٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾[٤٠] معناه ولقد أتى مشركو مكة على قريات قوم لوط التي أمطرت عليهم الحجارة ،أفلم يكونوا يرونها حين من وافى ديارهم بل كانوا لا يخافون النشور[٣]، ويقال لا لا يرجون البعث والجزاء[٤].

وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا ﴾[٤١] معناه: وإذا رآك كفار مكة ما يتخذونك إلّا هزوا ً يستهزئونَ بك ويسخرون منك [٥] ، يقولون على وجه الاستهزاء: أهذا الذي بعثه الله رسولا؟! لقد كاد يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن صبرنا على عبادتها، وسوف يعلمون يوم القيامة من أضل سبيلا عن الدين والحجة ، و الهزؤ استصغار القدر على جهة اللهو[٦].

وقوله : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾[٤٣]

معناهأرأيت من عَبَد الأصنَام بهوى نفسه أفأنت تكون عليه حافظ ًا ؟! أي: أنك بعثت داعيًا لا حافظ ًا، وهذا لأن من جعل الآلهة ما يهوى كان في نهاية

---

[١]) القاموس المحيط(باب الراء) ٩ ٧٠٩/١ ، المخصص ٧٧/٢.

[٢]) نسب في المخصص لأبي اسحاق٧٧/٢ ، لسان العرب مادة (تبر) ٨٨/٤ ، وتاج العروس مادة (تبر) ٢٧٦/١٠، الكشاف ٢٨٥/٤.

[٣]) غريب القرآن لليزيدي ص ٢٧٨، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن جريج بمعناه. ٤٥٨/١٧، تحصيل نظائر القرآن ص٧٠- ١٤٦، تأويلات أهل السنة ٢٧/٨، أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة ٢٦٩٨/٨ ، النكت والعيون ١٤٦/٤ ، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٢٩، الكشاف ٢٨٦/٤، القرطبي ٤١٦/١٥.

[٤]) قال الزجاج : لا يرجون ثواب عمل الخير فركبوا المعاصي ، انظر معاني القرآن للزجاج ٦٤/٤ ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٦٩٨/٨ ، معاني القرآن للنحاس ٢٨/٥، الكشاف ٢٨٦/٤، زاد المسير٩١/٦ وعليه فاللفظ من الأضداد.

[٥]) تفسير الطبري. ٤٥٨/١٧ ، الكشف والبيان ٤٢٢/٤ ، الكشاف ٢٨٦/٤، تفسير ابن كثير ٣٩٣/٣، اللباب لابن عادل ٥٣٧/١٤ .

[٦]) الفروق اللغوية ص ٢٨٥.

الجهال [1] إذا لم يتبع دليل العقل[2]، وكان ابن عباس [3] ـ رضي الله عنهما ـ يقول في هذه الآية : الهوى إله يعبد من دون الله [4]. ويقال: نزلت هذه الآية في حارث [5] ابن قيس السهمي كان يعبد ما يهواه فإذا رأى شيئًا أحسن منه عبده وترك الأول [6].

وقوله : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾[٤٤] معناه أتظن يا محمد ﷺ أن / أكثرهم يسمعون سماع تدبر وتفكر أو يعقلون ما هم إلا كالأنعام يسمعون صوتًا ولا يعقلون حقيقة وهذا كقوله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ [7]. ٤٣٣/ب

وقوله : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[٤٤] أي: بل هم أضل من الأنعام ؛ لأن الأنعام إذا زجرت انزجرت وهم لا ينزجرون ، ولأن الأنعام تفهم بعض ما تسمع ؛

---

[1]) هكذا في الأصل ولعل الصحيح الجهالة.

[2]) الكشاف بمعناه. ٢٨٧/٤.

[3]) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي فقيه العصر، وإمام التفسير، ابن عم رسول الله ﷺ كان يقال له: الحبر، والبحر لكثرة علمه. ولد بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلاثين شهرا، وحدث عنه بجملة صالحة، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة . وقال ابن مسعود: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس " وصحح ابن عبد البر ما قاله أهل السير: إنه كان له عند موت النبي صلى الله عليه وسلم (١٣) سنة وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا أحد، وقال ابن عمر : ابن عباس أعلم أمة محمد بما أنزل على محمد. وشهرته تغني عن الإطالة في التعريف به. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١٢١/٤، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٣٣/٣، وفيات الأعيان ٦٢/٣ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٣١، تهذيب التهذيب ٢٤٤/٥.

[4]) انظر الكشف والبيان ٤٢٢/٤ ، القرطبي ٤١٧/١٥ .

[5]) الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي ابن العَنْطِلة ينسب إلى أمه ، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وإليه كانت الحكومة والأموال التي كانوا يسمونها لآلهتهم ثم أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمر. وذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن عباس أنه كان من المستهزئين. ٣ / ١٣٠، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٨٩، تاريخ دمشق ١١ / ٤٦٩، سبل الهدى والرشاد ٤٦١/٢.

[6]) انظر تفسير الطبري ٤٥٩/١٧ ، الكشف والبيان ٤٢٢/٤ ، النكت والعيون عن ابن عباس ١٤٦/٤ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عنه وعن سعيد بن جبير نحوه. ٢٦٩٩/٨، الكشاف٢٨٧/٤ ، ولم يذكروا أنها في الحارث سوى ما قاله الزمخشري والماوردي حكاية عن النقاش، ورواية ابن عباس: كان الرجل. وسندها حسن.انظر الاستيعاب في بيان الأسباب ١٥/٣.

[7]) سورة البقرة:[١٧١].

لأنها تنادى على صفة فتقف وتنادى على صفة فتسير ، ولأن الأنعام لم ترزق آلة التفهم وهؤلاء رزقوها ثم لم ينتفعوا بها [١].

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾[٤٥] معناه: ألم تر إلى صنع ربك كيف بسط الظل مَن وقت غروب الشمس إلى وقت طلوع الشمس[٢]، من المشرق إلى المغرب [٣] ولو شاء لجعل الظل ساكنًا، أي: دائما لا يزول [٤] [٤] بقدرته على أن لا تطلع الشمس، وهو نظير قوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [٥].

وقوله : (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) أي: جعلناها دليلاً على الظل [٦] فإن الظل يتبع الشمس في طوله وقصره فإن ارتفعت الشمس في أعلى ارتفاعها قصر الظل [٧] وذلك وقت صلاة الضحى ، إلى أن تبلغ الشمس في الارتفاع مبلغًا تزول عنده الشمس [٨] ولا ينتقص الظل بعد ذلك بل يأخذ ظل كل شيء شيء في الزيادة فيكون الوقت وقت صلاة الظهر إلى أن يصير ظل كل شيء

---

[١]) ورد بمعناه عند الطبري ٤٦٠/١٧ ، التسهيل لابن جزى بنحوه. ٢/ ٢٨٢، الكشف والبيان ٤٢٢/٤ ، الكشاف ٢٨٧/٤، التفسير القيم بنحوه ص ٣٩٠.

[٢]) النكت والعيون بنحوه ٤/ ١٤٧ ، ورجح القرطبي أنه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ٤١٩/١٥ ، وهكذا ورد عن ابن عباس، وابن عمر، وأبو العالية، وجمع من السلف. انظر تفسير ابن كثير ٣٩٣/٣.

[٣]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن ٢٧٠١/٨ .

[٤]) تفسير مقاتل٤٣٩/٢، تأويل مشكل القرآن ص بنحوه ص ١٩١، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وابن زيد. ١٧/ ٤٦٢ ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٧٠٢/٨ ، تأويلات أهل السنة ٣٠/٨، القرطبي ٤١٩/١٥، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ص٤٥٦.

[٥]) سورة القصص:[٧١].

[٦]) الطبري ٤٦٢/١٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن إبراهيم التيمي ٢٧٠٢/٨ ، تأويلات أهل السنة ١٠/٦، الكشف والبيان ٤٢٢/٤ ، الكشاف ٢٨٧/٤.

[٧]) الكشف والبيان ٤٢٢/٨ .

[٨]) أصح ما قيل في معرفة الزوال: قول محمد بن شجاع ـ رضي الله عنه ـ أنه: يغرز خشبة في مكان مستو ويجعل على مبلغ الظل منه علامة ، فما دام الظل ينقص من الخط فهو قبل الزوال وإذا وقف لا يزداد ولا ينتقص فهو ساعة الزوال ، وإذا أخذ الظل في الزيادة فقد علم أن الشمس قد زالت. المبسوط للسرخسي ١٤٢/١.

ووقت صلاة الضحى من طلوع الشمس إلى الزوال وهي في آخر الوقت أفضل لحديث صلاة الأوابين حين ترمض الفصال يعني: حين يشتد عليها الحر.شرح مسلم للنووي ١٥ / ٣٣.

مثله أو مثليه على اختلاف المذاهب في ذلك [١] فيصير الوقت وقت العصر مادامت الشمس تنحطّ [٢]، يصير الظل يطول بحسب ذلك الانحطاط، والظل والظل تابع للشمس التي هي دليله، كما يتبع السائر في المفازة الدليل[٣].
وأحكام الصلاة متعلقة بقصر الظل قبل الزوال، وبزيادة الظل بعد الزوال.
ويقال في معنى الآية: جعلنا الشمس مع الظل دليلاً على توحيد الله تعالى وكمال قدرته[٤].
قوله : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾[٤٦] أي: قبضنا الظل [٥] إلينا إذا علت الشمس على الأرض فارتفعت ؛ لأن الظل لا يبقى بعد ذلك ، فجعل إزالة الظل قبضًا، له وبين أن ذلك كله يسير عليه بقدرته [٦].

---

[١]) أول وقت الظهر معلوم من جهة الكتاب والسنة واتفاق الأمة، وهو من حين تزول الشمس، وفيه حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن للصلاة أولا وآخرا ، وإن أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر..) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (٧١٧٢) ٢٣٢/٢ ، و الترمذي في سننه رقم (١٥١) ٢٨٣/١ .
أما آخر وقتها فقد اختلف فيه الفقهاء:
فطائفة تقول: إذا صار ظل كل شيء مثله فقد خرج وقت الظهر، وممن قال بذلك أبو يوسف ومحمد بن الحسن ، وروى أسد بن عمرو البجلي والحسن بن زياد هذا القول عن أبي حنيفة ،أما أبو يوسف فقد روى عن أبي حنيفة : أن آخر وقتها إذا صار الظل مثليه. ولما صلى رسول الله ﷺ العصر لما صار الظل مثله استحال أن يكون صلاها قبل دخول وقتها.
وطائفة منهم تقول: إن آخر وقتها آخر وقت العصر. فيكون قد بقي من وقتها شيء بعد دخول وقت العصر، ولما كانت صلاة الصبح منفردة بوقتها لا يدخل غيرها فيه ، كان كذلك غيرها من الصلوات منفردة بوقتها ،غير مخالط لها غيرها. انظر: أحكام القرآن للطحاوي ١٧٢/١، شرح معاني الآثار للطحاوي ١ /١٤٨، أحكام القرآن للجصاص ٢٥٥/٣، المبسوط للسرخسي١٤٢/١، اللباب في الجمع بين السنة و الكتاب ١٨٧/١.
[٢]) ويدخل وقت العصر حين يصير ظل كل شيء مثله كما في الحديث، إلى أن تصفر الشمس. أحكام القرآن للطحاوي ١٧٢/١، شرح معاني الآثار للطحاوي ١ /١٤٩، وقال الحسن بن زياد ـ رضي الله تعالى عنه ـ : تغير الشمس إلى الصفرة وهو قول الشافعي ـ رحمه الله ـ . أما آخر وقت العصر عند الأحناف غروب الشمس. وقول المؤلف تنحط دلالة عليه. المبسوط للسرخسي١٤٢/١.
[٣]) تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٠/٨، انظر الكشف والبيان ٤٢٢/٨ ، الكشاف ٢٨٨/٤.
[٤]) انظر روح المعاني ٢٨/٧ ، والتفسير القيم ص ٣٩١.
[٥]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن ٢٧٠٣/٨، وكذلك أورده ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس، وابن عمر، وأبو العالية ، وجمع من السلف. ٣٩٤/٣.
[٦]) تأويل مشكل القرآن بلفظ : سهلا خفيفا عليه. ص١٩٢.

وقوله :(إلينا) إلى الموضع الذي حكمنا بكون الظل فيه، ويقال في معنى قبضناه قبضًا يسيرًا: نقصناه شيئا بعد شيء نقصًا خفيًا [1]، لا يستدرك بالمشاهدة لأن الظل لا يذهب جملة ولا يعود جملة.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: جعله يستر كل شيء بظلمته كاللباس الذي يعم البدن بالستر [2]. وقوله: ﴿ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ أي: راحة لأبدانكم يقال: [3] سَبَتَ إذا تمدّد فاستراح [4] ، ومن ذلك يوم السبت لأن اليهود كانوا يستريحون يستريحون فيه بقطع أعمال الدنيا ، والسبَات قطع العمل [5].

قوله : ﴿ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [٤٧] أي: تنتشرون فيه لمعايشكم وحوائجكم [6] ، ، يقال أنشر الله الموتى فنشروا ، قال الأعشى [7]:

حتى يقول الناس مما رأوه   يا عجبًا للميت الناشر [8].

وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [٤٨] معناه: أرسل الرياح ينشر بها الغيم ويبسطه في السماء قدام المطر [9] يقال:

---

[1]) تأويل مشكل القرآن ص ١٩٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٤٦٥/١٧ ، تأويلات أهل السنة ٣٠/٨، النكت والعيون ١٤٧/٤ ، الكشاف بمعناه. ٢٨٨/٤، القرطبي ٤٢٠/١٥ .

[2]) تفسير الطبري بمعناه. ٤٦٦/١٧ ، النكت والعيون ١٤٧/٤ ، الكشاف ٢٨٨/٤، القرطبي ٤٢١/١٥ .

[3]) كتب في حاشية الأصل: [سَبَتَ يَسبِتُ على فعل يفعل بالكسر سبتًا إذا استراح من].

[4]) لسان العرب مادة (سبت). ٣٦/٢، المعجم الوسيط مادة (سبت). ٤١٢/١، المحيط في اللغة مادة (سبت) ٢٥٥/٢ ، الصحاح للجوهري ٢٩٩/١، تهذيب اللغة مادة (سبت).٢٦٨/١٢ .

[5]) في النكت والعيون عن ابن عيسى ١٤٧/٤، الكشف والبيان ٤٢٣/٨ ، القرطبي ٤٢١/١٥ .

[6]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٧٠٤/٨ ، وذكره الماوردي في النكت والعيون عن مجاهد وقتادة أيضًا ١٤٧/٤ .

[7]) الأعشى هو: الأعشى الكبير أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وهو حصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ويلقب: الصناجة، وأمه بنت علس أخت المسيب بن علي، من بني خزاعة ثم من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار، ولد بقرية باليمامة ، يقال: إنه كان نصرانيًا وهو أول من سأل بشعره ، أدرك النبي صلى الله عليه ومدحه ولم يسلم . انظر: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، لعفيف عبدالرحمن ص ٢٢، موسوعة الشعر العربي، شرح مطاع صفدي ١٥/٢، معجم الشعراء لمي علوش ص ٥٣ .

[8]) ديوانه ص١٠٣.

[9]) تفسير مقاتل بمعناه ٤٣٩/٢، تأويلات أهل السنة ٣١/٨، الكشاف ٢٨٩/٤.

جاء زيد بين يدي عمرو إذا سَبَقه ، والنشر: جمع النشور ومن أسكن الشين[١] فهو على التخفيف كالرسل والرسل،ومن قرأ نشرًا بنصب النون[٢] فالمعنى أحيا بنشر السحاب الذي فيه المطر الذي فيه حياة لكل شيء،ومن قرأ يشرًا بالياء والتنوين[٣] فهو جمع ريح. نشورا أي: ينشر بالغيث ، ومن قرأ بشر بغير تنوين [٤] فهو في معنى البشارة ، وإنما قيل في الرحمة رياح؛ لأنها جمع الجنوب والشمال والصبا، وقيل في العذاب ريح؛ لأنها واحدة وهي الدبور، وهي عقيم لا تلقح [٥].

وقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا ﴾[٤٨] يعني المطر ينزله من السماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض وهو في نفسه طاهر[٦] ومطهر[٧] من من الأنجاس والأحداث، وما من شي يطهرهما جميعًا إلا الماء ، والفعول من أبنية المبالغة [٨].

---

[١])نُشْرًا) بضم النون وإسكان الشين مخففا، قراءة ابن عامر، والريح النشور هي التي تهب من كل جانب وتجمع السحابة الممطرة فيحيي بها الله الأرض. انظر إعراب القراءات السبع ، لابن خالويه ١٨٦/١، الحجة للفارسي ٢١٢/٣ ، الإتحاف ٤١٨/١ .

[٢]) نَشْرًا) بنصب النون وإسكان الشين ، قراءة حمزة والكسائي وخلف، أي احياءً كقوله: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾سورة المرسلات(٣)، إعراب القراءات السبع لابن خالويه ١٨٦/١، الحجة للفارسي ٢١٢/٣، التبيان للعكبري ٢٧٧/١.

[٣]) ولم تقرأ بالياء وإنما هي(نُشُرًا) بضم النون والشين جمع ريح نشور،مثل امرأةٍ صبورٍ ، والجمع نُشُرُ و صُبُرُ، قراءة الجمهور(نافع وابن كثير وأبو عمرو) ، انظر المصادر السابقة.

[٤])بُشْرا) بالباء مضمومة والشين ساكنة ، قراءة عاصم جمع بشور أي تبشر بالمطر من قوله: ﴿الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ الروم (٤٦). انظر المصادر السابقة.

[٥]) معاني القرآن للفراء بنحوه. ٢٣٤/٣، النكت والعيون ١٤٨/٤، و قال النحاس في معاني القرآن: أكثر القراء يقرؤون ما كان في معنى الرحمة على الرياح وما كان في معنى العذاب على الريح.٣٣/٥. وهو غير مطرد، فقد ورد في بعض المواضع وقوع الريح مفردة وكانت في معنى الرحمة كما في قوله تعالى: (فجرين بهم بريح طيبة) يونس:٢٢، وقوله تعالى: (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) ص:٣٦. وقد صحح بعضهم القاعدة بقوله: إذا جمعت الرياح في القرآن فهي في الرحمة ، وإذا أفردت استعملت في الرحمة والعذاب ، والأخير أكثر. انظر: المدخل في التفسير الموضوعي ص٥٥.

[٦]) نسب القول لأبي حنيفة ، انظر النكت والعيون ١٤٨/٤ ، الكشاف ٢٨٩/٤، القرطبي ٤٢٢/١٥، اللباب في الجمع بين السنة و الكتاب ٦٧/١، أحكام القرآن لابن العربي ٤٣٥/٣، روح المعاني ٣٠/٧.

[٧]) نسب لمالك والشافعي ، انظر النكت ١٤٨/٤، اللباب في الجمع بين السنة و الكتاب ٦٧/١، الكشاف ٢٨٩/٤، أحكام القرآن لابن العربي ٤٣٥/٣، القرطبي ٤٢٣/١٥.

[٨]) الكشاف بمعناه. ٢٨٩/٤، انظر أحكام القرآن لابن العربي ٤٣٧/٣، القرطبي ١٥/ ٤٢٤ .

وقوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ﴾ أي: لنحيى بذلك الماء بلدة ميتا ليس فيها أشجار ولا ثمار ولا مرعَى ولا ينتفع بها كما لا ينتفع بالميتة، والأرض التي لا عمارة فيها تسمى الموات[١].

وقوله: ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ [٤٩] معناه: ونسقي بذلك الماء المنزل كثيرًا ممن خلقنا من الأنعام. والأناسي جمع إنسي مثل كرسي وكراسي[٢] ويقال: هو جمع إنسان وأصله أناسين[٣] كما يقال: بستان وبساتين وسرحان و سراحين، جعلت الياء عوضا من النون[٤] ويقرأ أناسي بتخفيف الياء[٥] فمن فمن شدد الياء جعله أفاعيل مثل أباطيل، ومن خفف جعله أفاعل، أسقط إحدى الياءين كما يقال مفاتح ومفاتيح[٦] / ٤٣٣/أ

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ [٥٠] معناه: ولقد صرفنا المطر[٧] فقسمناه بينهم على ما توجبه الحكمة؛ ليتذكروا أنعم الله فيشكروها فأبى أكثر الناس إلا كفورا أي: جحودًا به كلما أنزل الله المطر يقولون: مُطرنا بنوء كذا[٨]، وعن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال:

---

[١]) ورد في النكت والعيون بمعناه ١٤٨/٤.

[٢]) معاني القرآن للفراء ٢٣٤/٣، تأويلات أهل السنة ٣١/٨، التبيان للعكبري ١٦٤/٢، وأورد القول النحاس في معاني القرآن عن محمد بن زيد ٣٣/٥، الكشاف ٢٩٠/٤، وهو قولُ الفراء والمبرد والزجَّاج، كما في الدر المصون ١٧٤/١١.

[٣]) تأويلات أهل السنة ٣١/٨، وجوز الزجاج الوجهين، انظر معاني القرآن. ٧١/٤، التبيان للعكبري ١٦٤/٢، الكشاف ٢٩٠/٤، اللباب لابن عادل ٥٤٥/١٤،وهو مذهبُ سيبويه كما قال السمين الحلبي في الدر ١٧٤/١١.

[٤]) معاني القرآن للفراء ٢٣٤/٣، انظر تفسير الطبري ٤٦٧/١٧، الكشف والبيان ٤٢٣/٨، وذكر الجمع في النكت والعيون ٤/ ١٤٩، القرطبي٤٤٧/١٥، التبيان للعكبري ١٦٤/٢.

[٥]) (أناسي بتخفيف الياء) قراءة شاذة، قرأ بها أبو مجلز، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري، ويحيى بن الحارث الذماري. والتشديد قراءة الباقين. انظر: تفسير الضحاك ٦٢٧/٢، زاد المسير ٦ / ٩٤، البحر ٦ / ٣٧٠.

[٦]) روي عن الكسائي (وأناسي) جمع إنسان في مذهب سيبويه، وجمع أنسي في مذهب الفراء، والمبرد، والزجاج. البحر ٦ / ٣٧٠.

[٧]) تفسير مقاتل٤٣٩/٢، الكشاف ٢٩١/٤، القرطبي ٤٤٨/١٥.

[٨]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة ٢٧٠٧/٨، الكشف والبيان ٤٢٣/٨، النكت والعيون ١٤٩/٤، الكشاف ٢٩١/٤، القرطبي ٤٤٨/١٥، تفسير ابن كثير عن عكرمة. ٣٩٥/٣.
أما الاستسقاء بالنجوم وحكمه: فقد قال المناوي رحمه الله: الاستسقاء بالنجوم أي: اعتقاد أن نزول المطر بظهور كذا وهو حرام لأنه إشراك ظاهر إذ لا فاعل إلا الله، بل متى اعتقد أن للنجم تأثيرا كفر. أهـ فيض القدير ١ / ٤٦٢. والمنهي عنه من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث=

ما من عام بأ مطر من عام ولكن الله يقسمه على من يشاء من عباده [١].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [٥١] أي: لو شئنا لقسمنا النذر بينهم كما قسمنا الأمطار بينهم زيادة في الإنذار ، لكنا دبّرنا بما هو أعود عليهم وليكون كل الثواب والكرامة للنبي ﷺ خاصة [٢]. فلا تطع الكافرين فيما يطلبون منك وجاهدهم بالقرآن[٣] مجاهدة كبيرة .

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [٥٣] أي: أرسلهما في مجاريهما [٤] يقال: مرجت الدابة وأمرجتها إذا أرسلتها في المرج [٥] ترعى [٦] ، وأراد بقوله:(هذا عذب فرات) أي: النيل والأنهار العظام ، والفرات ما يكون في غاية العذوبة [٧] ، وأراد بالملح الأجاج التي يكون ماؤها في غاية المرارة [٨] ويقال: في غاية الحرارة من قولهم أججت النار إذا أوقدتها وتأججت النار إذا توقدت [٩] ، ونقول ماء ملح ولا نقول ماء مالح إلا لما يلقى فيه الملح [١٠].

= التي لم تقع في مستقبل الزمان ، مثل الإخبار بوقت هبوب الرياح ، ومجيء المطر، يزعمون أنهم يستدركون معرفتها بسير الكواكب.. وهذا علم استأثر الله عز وجل بعلمه ، أما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال ، وجهة القبلة ، فإنه غير داخل فيما نهي عنه. انظر: شرح السنة ١٢ /١٨٢، كشف المشكل من حديث الصحيحين ١ / ٤٧٠.

١) الطبري ٤٦٨/١٧، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه. ٢٧٠٦/٨ ، الكشاف ٢٩١/٤، وروي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ نحوه كما ذكر القرطبي ١٥/ ٤٤٨ ، وذكره ابن كثير في تفسيره عنهما. ٣٩٤/٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك عنه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.٤٣٧/٢.

٢) الكشف والبيان بنحوه ٤٢٣/٤ ، الكشاف بنحوه. ٣٦٢/٤ القرطبي ٤٤٩/١٥.

٣) تفسير مقاتل٤٣٩/٢، الطبري ٤٦٨/١٧ ، الكشف والبيان ٤٢٣/٨ ، الكشاف ٢٩٢/٤، وقيل: بالإسلام وقيل: بالسيف انظر القرطبي ٤٥٠/١٥.

٤) تأويلات أهل السنة ٣٤/٨، انظر زاد المسير ٩٦/٦ ، وذكر القرطبي أوله عن مجاهد ٤٥٠/١٥.

٥) المرج: أرض واسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب. انظر لسان العرب مادة (مرج) ٣٦٤/٢، المحيط في اللغة ،لابن عباد ١٠٣/٧ ، معجم مقاييس اللغة مادة (مرج)٣١٥/٥.

٦) تأويلات أهل السنة ٣٤/٨، انظر الكشف والبيان ٤٢٥/٨ ، النكت والعيون ٤/ ١٥٠، زاد المسير ٩٥/٦.

٧) غريب القرآن لليزيدي ص٢٧٨، الكشف والبيان ٤٢٥/٨ ، الكشاف ٢٩٢/٤، القرطبي ٤٥١/١٥.

٨) انظر تفسير مقاتل.٤٤٠/٢، و النكت والعيون ١٥١/٤، القرطبي ٤٥١/١٥ .

٩) لسان العرب مادة (أجج) ٢٠٥/٢، تاج العروس مادة (أجج) ٣٩٧/٥.

١٠) معاني القرآن للنحاس ٣٧/٥ ، و ذكر أوله في زاد المسير ٩٦/٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾[٥٣] أراد بالبرزخ الحاجز [١] الذي يمنع كل واحد منهما من تغير الآخر، وهو مابين العذب والملح من الأراضي [٢] ، ، هكذا روي عن الحسن [٣] رضي الله عنه.

ويقال: أصل المرج الخلط [٤] ومن ذلك المرج لأنه يكون فيه أخلاط من النبات ومنه ﴿ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ [٥]. أي: مختلط ، فالملح والعذب في مرأى العين مختلطان وفي قدرة الله منفصلان لا يغير أحداهما طعم الآخر [٦] وجعل بينهما برزخا وحجرا أي: مانعا [٧]، يمنع من اختلاط احدهما بالآخر وفساده به ، وفي تسخيره هكذا، حجره أن يفسد أحدهما الآخر [٨].

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾[٥٤] أي: خلق من ماء الذكر والأنثى خلقًا كثيرًا فجعل من هؤلاء البشر إنسانًا وأصهارًا، وإنما ذكر النسب موحدًا لأنه ذكره على لفظ البشر ومعناه الجمع، والنسب خلطة ترجع إلى ولادة قريبة [٩] وهو الأصل الذي ينسب إليه الأولاد ، والصهر: خلطة لشبه القرابة [١٠].

---

[١]) معاني القرآن للفراء ٢٣٤/٣، القرطبي ٤٥١/١٥، بحر العلوم ٤٦٣/٢، تفسير ابن كثير ٣٩٥/٣.

[٢]) الطبري٤٧٣/١٧ ، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن أنه: اليبس. ٢٧٠٨/٨.

[٣]) هو الحسن بن يسار البصري الفقيه القارئ سيد زمانه، إمام أهل البصرة، و هو رأس أهل الطبقة الثالثة، كان أبوه من سبي ميسان، وهو صقع بالعراق، ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه وقيل بغيرها، كانت أمه خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي ﷺ سمع من عثمان وهو يخطب ، وشهد يوم الدار، وروى عن خلق كثير من الصحابة وكبار التابعين إلا أنه كان يدلس، كان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه، رأسًا في العلم والحديث، إمامًا مجتهدًا، رأسًا في القرآن وتفسيره، والوعظ والعبادة، والزهد والصدق، والشجاعة.عظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، مات ليلة الجمعة سنة عشر ومائة وازدحم عليه الناس، حتى فاتت صلاة العصر. انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٥ ، طبقات الفقهاء ١ / ٩١، الطبقات الكبرى ٧ / ١٦٢، وفيات الأعيان ٢ / ٦٩.

[٤]) تفسير الطبري ٤١٧/١٧.

[٥]) سورة ق:[٥].

[٦]) قاله الزجاج في معاني القرآن ٧٢/٤ ، زاد المسير ٩٦/٦.

[٧]) الكشاف ٢٩٢/٤، القرطبي٤٥١/١٥.

[٨]) الطبري٤٧٣/١٧، الكشاف ٢٩٢/٤.

[٩]) تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٥/٨، انظر البغوي ص٩٣٠ ، اللباب لابن عادل ٥٥٢/١٤، أحكام القرآن لابن العربي ٤٤٧/٣.

[١٠]) تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٥/٨، انظر البغوي ص٩٣٠.

وهو إذا أطلق أريد به كل ذي رحم محرم. من نسب من أضيف إليه ، ولهذا قالوا فيمن أوصى لأصهار فلان، إن الوصية تكون لكل ذي رحم محرم من نسب فلان [١].

وقوله: ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[٥٤] أي: على ذلك وعلى جميع الأشياء.

قوله عز وجل: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ ﴾[٥٥] أي: تركوا عبادة الله بعد قيام الحجة ، و اشتغلوا بعبادة ما لا ينفعهم إن عبدوه ولا يضرهم إن تركوه. وكان الكافر [٢] مظاهرًا للشيطان على معصية ربه [٣]، تقول فلان معين لي إذا كان ينصرك، ومعين علي إذا كان ينصر غيرك عليك، نظير هذا قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [٤]. أي: يحاربون أولياء الله ورسوله.
ويقال معنى الظهير: المعين؛ كالمطرح بظهر [٥].

قوله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٥٦]مبشرًا بالجنة ونذيرًا من النار [٦].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾[٥٧] معنى الاستثناء في هذه الآية منقطع [٧] لأنه ﷺ لم يسأل الأجر ممن اتخذ إلى إلى الله سبيلا وإنما معناه لكن من شاء أن يتخذ إلى طاعة ربه طريقًا فليفعل [٨] ، ولم يبعث الله نبيًا إلا وهو يبشر المطيعين بالجنة ، و العصاة المكذبين بالنار.

---

[١]) أورد معناه ابن بطال في شرح صحيح البخاري. ١٦٢/٨.
[٢]) قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في أبي جهل. انظر تفسير مقاتل٤٤٠/٢، الجواهر الحسان للثعالبي ٥٤٦/٢، اللباب لابن عادل ٥٥٢/١٤، والأولى حملها على العموم.
[٣]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد. ٢٧١١/٨، تفسير القرآن للصنعاني ٧٠/٣ ، الكشاف ٢٩٣/٤، وذكر ابن الجوزي في معناها أربعة أقوال، انظر زاد المسير٩٧/٦ ، تفسير ابن كثير ٣٩٧/٣.
[٤]) سورة المائدة:[٣٣].
[٥]) الطبري ٤٧٦/١٧، المحرر الوجيز ٢١٠/٤ ، جمهرة اللغة ١٢٤٩/٣.
[٦]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقتادة. ٢٧١٢/٨
[٧]) الاستثناء المنقطع : ما كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه، وهو بمعنى لكن. وقد يوصف بإلا، فإن وصفت بها جعلتها وما بعدها في موضع غير وأتبعت الاسم بعدها ما قبله في الإعراب، انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ص٣٦٢ ، الصحاح للجوهري ١٨/١ .
[٨]) الكشاف بنحوه. ٢٩٣/٤، الدر المصون ١٧٧/١١.

قوله عز وجل : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ ﴾
أي: فوض أمورك إليه فإن من كان ميتًا أو كان معرضًا[1] أن يموت لا يستحق التوكل عليه [2].

وقوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ أي: احمده منزهًا له عما لا يجوز في صفاته [3] وذلك نحو أن يقول: الحمد لله رب العالمين ، أو الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده [4]، ويجوز أن يكون معناه صل بأمره [5] ، وهو وهو المحمود في توفيقه إياك، كما يقال: افعل هذا بحمد الله.

﴿ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ [٥٨] / أي: كفاه علما بذنوب العباد وهو أولى أن يراقَب من غيره.

٤٣٤/ب

قوله عز وجل: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ نعت لله وبيان لوجوب التوكل عليه [6] . وقوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ من الآية: قد تقدم تفسيره في سورة طه وغيرها [7].

وقوله: ﴿ فاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [٥٩] أي: اسأل بسؤالك إياه خبيرًا، والخبير هاهنا هو الله عز وجل [8].

ويقال في معناه: إذا سأل [9] فاسأل عالمًا بما تسأله عنه.

---

[1]) ورد (بعرض) والصحيح ما أثبت ليستقيم المعنى .

[2]) التوكل: الاعتماد على الله مع إظهار العجز والأخذ بالأسباب. القرطبي ٢٥٣/٤، تفسير ابن كثير ٣٥٥/٢.

[3]) انظر الكشف والبيان ٤٢٥/٤، تفسير ابن كثير بمعناه ٣٩٧/٣.

[4]) انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٢٨٨/٢، وأخرجه السيوطي في الدر عن ابن الصلاح ١٤٨/١.

[5]) تأويلات أهل السنة ٣٦/٨ ذُكِر في بحر العلوم منسوبًا للكلبي ولم أجده في تفسيره ،انظر بحر العلوم ٤٦٤/٢، اللباب لابن عادل ٥٥٤/١٤.

[6]) كما قال في عدة آيات منها ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ سورة التغابن [١٣] و قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان ، وانظر تفسير ابن كثير ٢٨٧/٢ .

[7]) عند قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ طه:[٥] وغيرها من المواضع كالأعراف ويونس والرعد والحديد وسيأتي معنا في سورة السجدة.

[8]) تأويلات أهل السنة ٣٧/٨، الكشف والبيان ٤٢٦/٤ ، ونسبه القرطبي في تفسيره لابن جبير ٤٥٨/١٥، الدر المصون ١٧٨/١١.

[9]) هكذا في الأصل ، والصحيح سألت.

ولا تسأل غيره وإذا سألت حاجتك فاسأل عالمًا بما يصلحك [١] ؛ فإنك إذا سألته أخبرك بالحق في صفاته وفي كل ما سألت عنه فأعطاك ما يصلحك ، ويقال في معناه: سله تكن خبيرا بمواضع السؤال [٢] فإن من سأل غيره فليس فليس بعالم.

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ ﴾[٦٠] [٣] وذلك أن كفار مكة كانواَ ينكرون الرحمن فقالوَا أنسجد للشيء الذي تأمرنا به وكانوا يزدادون نفورًا عند دعائه إياهم[٤]، كما قال الله عز وجل في قصة نوح عليه عليه السلام: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴾ [٥].

وقوله عز وجل: ﴿ تَبَارَكَ الذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾[٦١]

البروج منازل الكواكب السبعة: الشمس، والقمر، والمشتري، والمريخ، وزحل، وعطارد، والزهرة ، وهي اثنا عشر برجًا [٦].

والبرج في اللغة: هو القصر العالي[٧]،وسميت هذه المنازل بروجًا؛ لظهورها، وضوئها وارتفاعها.

والبرج: هو تباعد ما بين الحاجبين، وكلما ظهر وارتفع فهو برج [٨].

وقوله : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا ﴾[٦١] أي: جعل في السماء شمسًا تضيء بالنهار وتقطع في كل شهر برجًا من البروج الاثني عشر.وجعل فيها قمرًا يضيء

---

[١]) تأويلات أهل السنة ٣٧/٨، الكشاف بمعناه. ٢٩٥/٤، قال ابن كثير في تفسيره: قد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه. ٣٩٧/٣، وهذا أصوب من قول القائل: هو جبريل عليه السلام. الدر المصون ١٧٨/١١.

[٢]) تأويلات أهل السنة ٣٧/٨، وعن مجاهد: ما أخبرتك من شي فهو كما أخبرتك. تفسير ابن كثير ٣٩٨/٣.

[٣]) كتب في الحاشية (سجدة).

[٤]) وهذا أحد ثلاثة أقوال ذكرها الماوردي في النكت والعيون ١٥٢/٨، الكشاف ٢٩٥/٤.

[٥]) سورة نوح:[٦].

[٦]) انظر الكشف والبيان ٤٢٦/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص١١٦، الكشاف ٢٩٥/٤، و روي عن مجاهد، و ابن جبير، وأبي صالح، والحسن، وقتادة أنها الكواكب العظام. تفسير ابن كثير ٣٩٨/٣.

[٧]) قال النحاس في معاني القرآن : قصور في السماء ٤٣/٥، الوجوه والنظائر للدامغاني ص١١٦، الكشاف ٢٩٥/٤، وذكر السيوطي في الدر عن ابن عطية : القصور ٢٦٩/٦، روي عن علي، وابن عباس، ومحمد بن كعب وغيرهم. تفسير ابن كثير ٣٩٨/٣.

[٨]) انظر معاني القرآن للزجاج ٧٣/٤ ، لسان العرب مادة (برج) ٢١١/٢، تاج العروس مادة (برج) ٤١٦/٥ .

بالليل، ويقطع كل برج في يومين وثلث يوم. ومن قرأ وجعل فيهاسُرُجًا [١]، أراد بذلك سائر النجوم يهتدي بها كما يهتدي بضياء السراج.

قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾[٦٢] أي: يخلف كل واحد منهما صاحبه ، يذهب أحدهما ويجيء الآخر[٢]، فهو عظة لمن اتعظ وأراد أن يشكر أنعام الله عز وجل. وكان الحسن ـ رحمه الله ـ يفسر الخلفة بالعوض يقول: من فاته العمل بالنهار كان له في الليل مستعتب، ومن نام عن العمل بالليل فليعمل بالنهار[٣].

وقوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾[٦٣]

أي: عباده الذين رضي عنهم وأثنى عليهم الذين يمشون على الأرض بالسكينة والوقار[٤] و الهوينا من مخافة الله عز وجل. حلماء [٥]، علماء لا يجهلون وان جهل عليهم[٦] ، وإن كلمهم الكفار و الفساق بالسفه والفحش، قالوا: سدادًا من القول به يسلمون[٧].

---

[١]) (سُرُجا) بضم السين والراء وإسقاط الألف على الجمع وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون (نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم) (سِرَاجا) بكسر السين وألف بعد الراء على التوحيد، فمن وحد أراد الشمس ومن جمع أراد المصابيح من النجوم المضيئة ، انظر الحجة للفارسي ٢١٢/٣، إعراب القراءات لابن خالويه ١٢٣/٢، معاني القرآن للفراء ٢٣٤/٣، الكشف لمكي ٢٥٠/٢، سراج القاري المبتدي للبغدادي ص ٢٩٨، الهادي شرح طيبة النشر لمحمد سالم محيسن. ٩٨/٣.

[٢]) مجاز القرآن ٧٩/٢، معاني القرآن للفراء ٢٣٦/٣،غريب القرآن لليزيدي دون آخره ص٢٧٩، تأويلات أهل السنة ٣٩/٨، قاله ابن زيد في النكت والعيون ١٥٣/٤، الكشاف ٢٩٥/٤، الدر المصون ١٨٠/١١.

[٣]) أخرج الطبري في تفسيره نحوه عن عمر بن الخطاب وابن عباس ـ رضي الله عنهما. ٤٨٥/١٧، تأويلات أهل السنة ٣٩/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن ٢٧١٩/٨، الكشاف ٢٩٦/٤، فتح الباري ٦٢٩/٨ ، تفسير ابن كثير ٣٩٩/٣، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ص ٤٥٧.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٤٨٩/١٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد و الحسن ٢٧٢١/٨ ، النكت والعيون ١٥٤/٤، الكشاف ٢٩٧/٤، تفسير ابن كثير ٣٩٩/٣.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن وعكرمة ٤٩٢/١٧، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن نحوه. ٢٧٢٠/٨

[٦]) أخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن ٤٩٢/١٧، وفي زاد المسير عنه. ١٠١/٦، تفسير ابن كثير. ٣٩٩/٣.

[٧]) الكشاف ٢٩٧/٤، تفسير ابن كثير عن مجاهد. ٣٩٩/٣.



وردوا معروفـًا [١]. ويقال: يقولون في جواب السفه سلام عليكم [٢]، هذا نهارهم، فأما ليلهم فكما قال:

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [٦٤] أي:يصلون بالليل ساجدين قائمين طلباً للثواب، يقال:باتَ يفعل كذا إذا فعله ليلاً ، وظل يفعل كذا إذا فعله نهارًا [٣].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: من صلى بعد صلاة العشاء ركعتين أو أكثر ليلاً فقد بات لله ساجدًا وقائمًا [٤].

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ [٦٥] أي يقولون بعد الفراغ من الصلاة: ﴿ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [٦٥] [٥] لازمًا دائمًا والغرم اللزوم [٦].

يقال لصاحب الدَين: الغريم لأنه يلازم المديون، ويقال للمديون: الغريم لأن اللزوم ثبت عليه ، والمغرم بالنساء الملازم لهن [٧] .

(إنها) يعني النار ساءت في المستقر والمقام .

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ [٦٧] والإسراف: هو الإنفاق في معصية الله، والقتر: منع حق الله [٨].

---

١) تفسير مقاتل٢/٤٤١، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير ٨/٢٧٢٢ ، تفسير ابن كثير عنه. ٣/٣٩٩، قال السمين الحلبي في الدر المصون : رجح سيبويه أن المراد بالسلام: السلامة لا التسليم؛ لأن المؤمنين لم يؤمروا قط بالتسليم على الكفرة، وإنما أمروا بالمسالمة. ١١/١٨١.

٢) تأويلات أهل السنة ٨/٤٠، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن ٨/ ٢٧٢٢، النكت والعيون ٤/ ١٥٥ .

٣) معاني القرآن للزجاج ٤/٧٥ ، تحصيل نظائر القرآن ص١٥٢، الكشاف ٤/٢٩٨، انظر القرطبي ١٥/٤٧١ البغوي ص٩٣١ ، اللباب لابن عادل ١٤/٥٦٤

٤) معاني القرآن للفراء غير منسوب. ٣/٢٣٦، وذكر في تأويلات أهل السنة عن الحسن ٨/٤٠، أورده القرطبي عن ابن عباس ١٥/٤٧٢.

٥) تخصيص هذا القول بعد الفراغ من الصلاة لا دليل عليه ، فلم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام في الأذكار الواردة أدبار الصلوات ، وهي معروفة محفوظة ، ولا يصح هذا التخصيص بلا دليل.

٦) انظر تفسير مقاتل٢/٤٤٢، معاني القرآن للفراء ٣/٢٣٧، تأويلات أهل السنة ٨/٤١، تفسير ابن كثير عن الحسن. ٣/٤٠٠.

٧) مجاز القرآن ٢/٨٠ ، معاني القرآن للفراء ٣/٢٣٧، اللباب لابن عادل ١٤/٥٦٥ .

٨) انظر الطبري ١٧/٤٩٧، تأويلات أهل السنة ٨/٤١، وأورده البغوي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج ص٩٣٢، معاني القرآن للنحاس ٥/٤٨ ، الكشاف دون آخره. ٤/٢٩٩، تفسير ابن كثير ٣/٤٠٠.

والقوام: هو الوسط بين الإسراف والتقتير[١].

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ [٦٨] روي عن ابن مسعود[٢] -رضي رضي الله عنه - أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أي الذنب أكبر ، قال:أن تجعل لله ندًا وهو خلقك . قال: ثم أي ؟ قال: ثم تقتل ولدك خشية أن يطعم معك .قال:ثم أي ؟ قال:أن تزني بحليلة جارك)[٣] فأنزل الله تعالى هذه الآية [٤].

وفي الحديث: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى خلال ثلاث : زنا بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، وقتل نفس بغير حق)[٥].

---

[١]) انظر تفسير مقاتل٤٤٢/٢، معاني القرآن للفراء ٢٣٧/٣، تفسير الطبري ٥٠٥/١٧، تأويلات أهل السنة ٤١/٨، الكشاف ٢٩٩/٤، وأورده القرطبي عن الفراء ٤٧٧/١٥، البغوي ص٩٣٢.

[٢]) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم ، أبو عبد الرحمن الهذلي، وأمه أم عبد من هذيل أيضا و لها صحبة، أسلم بمكة قديما، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا والمشاهد كلها ، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يلبسه إياها إذا قام، فإذا جلس أدخلها في ذراعه ، وكان كثير الولوج على النبي صلى الله عليه وسلم، ومناقبه وفضائله كثيرة جدا ، قال أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة. قال البخاري: مات بالمدينة قبل عثمان ، وقيل: بالكوفة، وقال أبو نعيم وغيره: مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل: ثلاث وثلاثين، والأول أثبت و أوصى إلى الزبير ابن العوام أن يصلي عليه. انظر تهذيب الكمال ١٦ /١٢١ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٨٧/٣.

[٣]) أخرجه البخاري كتاب الديات ، باب/ قول الله تعالى: (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) حديث رقم (٦٨٦١) ٢٢٩/١٥، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب/ كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده. حديث رقم (٨٦)٦٩/٢، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٤١٠٢) ٧ / ١٧٨، دون لفظ خشية ، وأخرجه أبو داود حديث رقم (٢٣١٠) ٧٠٥/١.

[٤]) ذهب بعض أهل العلم أن حديث ابن مسعود لا صلة له بنزول الآية. قال أبو العباس القرطبي: ظاهر هذا : أن هذه الآية نزلت بسبب هذا الذنب الذي ذكره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وليس كذلك ؛ لأن الترمذي قد روى هذا الحديث ، وقال فيه : وتلا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الآية : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر...) الآية ، بدل : فأنزل الله ، وظاهره : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ بعد ذكر هذا الحديث ما كان قد أنزل منها ، على أن الآية قد تضمنت ما ذكره في حديثه بحكم عمومها.أهـ المفهم ٢ / ٤٤، أسباب النزول للواحدي ٣٨٧، المحرر في أسباب النزول ٧٦٣/٢.

[٥]) أخرج أبو داوود في سننه عن عثمان بن عفان نحوه. كتاب/ الديات، باب/ الإمام يأمر بالعفو في الدم ، حديث رقم (٤٤٩١)١٣٩/١٢، وأخرج الترمذي في سننه عنه أيضا نحوه ، كتاب/الفتن عن رسول الله ﷺ باب/ماجاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث.حديث رقم (٢١٥٨)٢٠٣/٣، وقال: وفي الباب عن ابن مسعود وعائشة وابن عباس وهذا حديث حسن، وأخرج النسائي نحوه كتاب/تحريم الدم باب/ ذكر ما يحل به دم المسلم حديث رقم (٤٠٢٩) ١٠٦/٧، وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ٣٩٠/٤.

وقوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾[٦٨] أي من يفعل شيئا مما تقدم ذكره يرى جزاء فعله، ويقال الآثام وادٍ في جهنم[١].

وقوله: ﴿يُضَاعَفْ﴾[٦٩] تفسير لقي الآثام. والمهان المستصغر/ المستذل[٢]. ٤٣٤/أ

وقوله: ﴿إِلا مَن تَابَ﴾[٧٠] أي: من تاب من الكفر والمعصية وآمن بالله وعمل عملاً صالحًا بعد الإيمان والتوبة، ولا يكون العمل صالحًا قبل الإيمان.

(فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أي: يمحو بالتوبة سيئاتهم ويثبت لهم مكانها حسنات وهذا هو معنى التبديل[٣]، لا أن تصير السيئة بعينها حسنة[٤].

وكان الله غفورًا أي:متجاوزًا عمن تاب. رحيما بمن مات على التوبة.

وفي قوله: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٧١] بيان أنه ينبغي للتائب أن يتوب إلى الله تعالى بأن يطلب ثوابه ومرضاته.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ يحتمل الامتناع عن شهادة الكذب[٥]، ويحتمل أن لا يشهد مجلس الزور. ويدخل في هذا مجلس اللهو واللعب

---

[١]) تفسير مقاتل٤٤٢/٢، وأخرجه الطبري عن مجاهد وعكرمة، وزاد عكرمة "فيه الزناة" ٥١٣/١٧، تأويلات أهل السنة ٤٢/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عمر وسعيد بن جبير أيضا ٢٧٣٠/٨. وهذا مما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه.

[٢]) لسان العرب مادة (هون)٤٣٨/١٣ ، تهذيب اللغة مادة (مهن)١٧٤/٦، معجم مقاييس اللغة ٤٩٢/٢.

[٣]) معاني القرآن للزجاج ٧٦/٤ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد ومكحول في أحد قوليه نحوه ٢٧٣٣/٨ ، الكشاف ٣٠٠/٤ ، القرطبي ٤٨٢/١٥ .

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن سعيد بن المسيب. ٥١٩/١٧، اختلف فيه على قولين :

١ـ أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات، فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله، و بالعمل السيئ العمل الصالح، و بالشرك إخلاص، وهذا قول أبي العالية، وقتادة، وجماعة آخرين.

٢ـ أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا أنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار. فيوم القيامة وإن وجده مكتوبا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته، كما ثبتت السنة بذلك، وصحت به الآثار المروية عن السلف. تفسير ابن كثير ٤٠٠/٣، صفوة التفاسير للصابوني ٢٧٦/٢. والقول الثاني أقوى لظهور الأدلة في ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ.

[٥]) أصل الزور في اللغة: الكذب. انظر: معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٣، معاني القرآن للنحاس ٥٤/٥، ومعاني القرآن للفراء ٢٧٣/٢، تأويلات أهل السنة ٤٣/٨، الكشاف ٣٠١/٤، تفسير ابن كثير ٤٠٤/٣، كما أخرجه السيوطي في الدر عن عبد بن حميد عن قتادة ٢٨٢/٦.

والغناء[١] ، وموضع عِبادة الصنم، وأعياد اليهود والنصارى والمجوس[٢].

وقوله : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللغو ﴾[٧٢] أي: بالقول والفعل الذي لا فائدة فيه مروا كراما متكرمين صائنين أنفسهم عن الخوض في ذلك، آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر بما قدروا عليه من قول ، إذا عجزوا عن الفعل ومن إظهار كراهة و تعبيس وجه إذا عجزوا عن القول[٣].

وعن محمد بن المنكدر[٤] أنه قال :" بلغني أن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان، أدخلوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: اسمعوا عبادي تحميدي وثنائي وتمجيدي ، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[٥].

---

[١]) ذكر مجاهد أنه الغناء ، وعن محمد بن الحنفية أنه اللهو والغناء. انظر: تأويلات أهل السنة ٤٣/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن الحنفية. ٢٧٣٨/٨ ، الكشاف ٣٠١/٤، القرطبي ٤٨٤/١٥ ، البغوي ص٩٣٤، تفسير ابن كثير ٤٠٤/٣.

[٢]) معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٣، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك. ٢٧٣٧/٨ ، الكشاف ٣٠١/٤، القرطبي عن الضحاك وأحدى الروايات عن ابن عباس. ١٥/ ٤٨٤ ، وذكر ابن كثير في تفسيره عن جمع من السلف :هي أعياد المشركين. ٤٠٤/٣، كما أخرجه السيوطي في الدر عن ابن عباس ٢٨٢/٦ .

[٣]) انظر الطبري ٥٢٦/١٧، الكشاف بنحوه. ٣٠١/٤.

[٤]) محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير (بالتصغير) بن عبدالعزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، التيمي أبو عبد الله ويقال: أبو بكر ولد (سنة ٥٥) أحد الأئمة الأعلام، غاية في الحفظ والإتقان والزهد، من رجال الحديث، ومن سادات القراء، ثقة ورعا عابدا ، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ له نحو مئتي حديث قال ابن عيينة: كان من معادن الصدق ويجتمع إليه الصالحون ولم يدرك أحد أجدر أن يقبل الناس منه إذا قال: قال رسول الله ﷺ منه يعني لتحريه، مات سنة ثلاثين وقيل: سنة إحدى وثلاثين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٥٤، تهذيب التهذيب ٩ / ٤١٩، طبقات ابن سعد ٣٥٧/٥.

[٥]) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ١٣٨/١ -١٣٩ ، و أورده السيوطي في الدرر المنثور معزوًا للديلمي مع اختلاف في آخره. ٤٨٧/٦، وهو موضوع مرفوعا، الآفة فيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري، قال العقيلي في الضعفاء الكبير :كان يغلب على حديثه الوهم ٣ / ٢٣٢، وقال أبو داود: عبد الله الغفاري منكر الحديث. تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢ / ١٦٤، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٤ / ١٦.

و أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي موقوفا.(٧٢) ص ٦٦. وذكره ابن العربي في أحكام القرآن عن الإمام مالك، مقطوع موقوف على محمد بن المنكدر ٣ / ٥٢٥ ، ولم أجده في الموطأ.

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ [٧٣] لم يعاملوا فيها معاملة الأصم الذي لا يسمع والأعمى الذي لا يبصر [١] ولم يكونوا بمنزلة من يسقط إلى موضع ولا يفكر فيما يسمع بل خروا ساجدين، باكين، سامعين، مبصرين فيما أُمروا به ونهوا عنه [٢].

والخرور: هو السقوط [٣].

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ﴾ أي يقولون في دعائهم: ربنا أرنا في أزواجنا وذرياتنا من الصلاح ما تقرّ به أعيننا في الدنيا والآخرة [٤].

قال الحسن: "ما من شيء أقر لعيني المسلم من أن يرى ولده ووالده، أو ولد ولده، أو أخاه، أو حميمًا له، مطيعًا لله عز وجل" [٥].

و قوله: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [٧٤] أي: اجعلنا صالحين نأتم بمن قبلنا من المتقين حتى يأتم بنا من بعدنا [٦]. وفي الحديث: (من رزق إيمانًا وحسن خلق فذلك إمام المتقين) [٧].

---

[١]) انظر تفسير مقاتل ٤٤٣/٢، معاني القرآن للفراء بمعناه. ٢٣٨/٣، والتفسير القيم ص ٣٩٣، تفسير ابن كثير ٤٠٥/٣.

[٢]) التفسير القيم عن الزجاج ص ٣٩٣.

[٣]) المحيط في اللغة ٣٣٥/١ ، لسان العرب مادة (خرر) ٢٣٤/٤، تاج العروس مادة (خرر) ١٤٩/١١.

[٤]) (قرة أعين) ما تلذه وتشتهيه ، وهي مأخوذة من القر، كما أن سخنة العين مأخوذة من السخانة، وأصل هذا فيما يزعمون أن دمع الفرح بارد ، ودمع الحزن سخن.أهـ المحرر الوجيز ٥ / ٢٨٣، تفسير ابن كثير ٤٠٥/٣.

[٥]) تأويلات أهل السنة ٤٦/٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن ٢٧٤٢/٨ ، الكشاف عن محمد بن كعب ٣٠٢/٤، فتح الباري بنحوه ٦٢٩/٨، تفسير ابن كثير ٤٠٥/٣، والسيوطي في الدر ٢٨٤/٦.

[٦]) تفسير مقاتل بنحوه.٤٤٤/٢، الطبري ٥٣٢/١٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ومكحول وقال: روي عن الحسن وقتادة و الربيع بن أنس والسدي نحو ذلك ٢٧٤٣/٨، أحكام القرآن للجصاص ٣٤٨/٣ .

[٧]) لم أجده إلا في أحكام القرآن للجصاص حيث قال : وروى أبو أسامة عن الأحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من رزق إيمانا وحسن خلق فذاك إمام المتقين). ٣ / ٤٤٩، وذكر الغزالي في إحياء علوم الدين قريبا منه ولفظه : وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين. ١ / ٧٥. والحديث في إسناده الأحوص بن حكيم (ضعيف) عن صالح بن أحمد ابن حنبل قال قال أبى : الأحوص بن حكيم لا يروى حديثه، يرفع الأحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم. الجرح والتعديل ١٠ / ٣٢٩، وقال علي بن المديني لا يكتب حديثه. الضعفاء للأصبهاني ١ / ٨ ، وقال النسائي : ضعيف. تهذيب =

وقوله: ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[٧٥]
أي: أهل هذه الخصال هم الذين يجزون الغرف في الجنة؛ بصبرهم على الطاعة وعن المعصية ، وعلى مكاره الزمان ومحن الدنيا ، وتتلقاهم الملائكة في تلك الغرف بالتحية والسلام من الله [١]، وقد تذكر التحية بمعنى الملك والدوام[٢]، ويذكر السلام بمعنى السلامة من كل الآفات[٣]، حسنت تلك الغرف في المستقر والمقام. وهذه على طريق المقابلة [٤]، بما تقدم في صفة أهل النار.
قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ﴾[٧٧]
معناه: قل لهم ما يصنع بكم ربِّي وهو لا يحتاج إليكم، لولا دعاؤه إياكم إلى طاعته لتنتفعوا أنتم بذلك[٥] ، ويقال معناه: أي وزن وقدر لكم عند ربي لولا دعاؤكم وعبادتكم إياه [٦].
وأصل العبء في اللغة: الثقل [٧] ومن ذلك عبأت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض، ويقال: ماعبأت بفلان، أي: ما التفت إليه ولا كان له عندي وزن ولا قدر[٨].

= الكمال ٢ / ٢٩٢،كما أن الحديث مُرسل. رواه جبير بن نفيرعن النبي ، وهو تابعي ثقة لكن لا صحبة له. الثقات لابن حبان ٤ / ٣٨، معرفة الثقات ١ / ١٦.

[١]) تفسير مقاتل ٤٤٤/٢. والسلام من الله ومن الملائكة أيضًا قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ يس[٥٨] وقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَاب (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ الرعد: [٢٣-٢٤].

[٢]) انظر الكشاف ٣٠٢/٤، القرطبي ٤٩٢/١٥ ، النكت والعيون ١٦١/٤ ، اللباب لابن عادل بمعناه. ٥٧٨/١٤.

[٣]) تفسير مقاتل بمعناه.٤٤٤/٢، انظر البغوي ص٩٣٤، الكشاف ٣٠٢/٤، أحكام أهل الذمة لابن القيم ١ / ٤١٣، بدائع الفوائد لابن القيم. ٢ / ٣٧١، فتح القدير ٢٥٤/٣.

[٤]) المقابلة : هي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها وهي من باب المفاعلة كالمقابلة والمضاربة ، انظر البرهان في علوم القرآن ٣ /٥٠٤ ، الإتقان ص ٦٦٩.

[٥]) معاني القرآن للفراء بمعناه. ٢٤٠/٣، تأويلات أهل السنة ٤٧/٨، أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد ٢٧٤٥/٨ ، وكذلك في النكت والعيون عنه وعن ابن زيد ١٦٢/٤ ، الكشاف ٣٠٣/٤، القرطبي ٤٩٣/١٥ ، أحكام القرآن للجصاص ٣٤٨/٣ ، الدر المصون ١٨٩/١١.

[٦]) تفسير مقاتل ٤٤٤/٢، تأويلات أهل السنة ٤٧/٨، الكشف والبيان ٤٣٦/٤، البغوي ص٩٣٥، الكشاف ٣٠٣/٤، و رواه الضحاك عن ابن عباس انظر زاد المسير ١١٣/٦، اللباب لابن عادل ٥٧٩/١٤ ، الدر المصون ١٨٩/١١.

[٧]) انظر الطبري ٥٣٥/١٧ ، معاني القرآن للنحاس ٥٦/٥.

[٨]) انظر القرطبي ٤٩٢/١٥ ، مجاز القرآن ٨٢/٢ ، أورده ابن الجوزي في زاد المسير عن الزجاج ١١٢/٦.

ويقال في معنى الآية: ما يفعل بعذابكم يا أهل مكة لولا عبادتكم غير الله [١]
لقد كذبتم يا أهل مكة ، فسوف يكون جزاء تكذيبكم لزامًا أي إسرًا وأخذًا بالأيدي وقتلاً أريد به يوم بدر [٢].

واللزام مصدر لازمته ملازمة ولزامًا، و اللزام بنصب اللام مصدر أيضًا [٣].
أيضًا [٣].

قال أبو عبيدة [٤] :

"اللزام فعل يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شر" [٥].

وعن أبي بن كعب [٦] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من قرأ سورة الفرقان وهو مؤمن دخل الجنة بغير حساب) [٧]. وبالله التوفيق.

---

١) تأويل مشكل القرآن ص٢٤٦.

٢) انظر تفسير مقاتل ٤٤٤/٢، معاني القرآن للفراء ٢٤٠/٣، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن مسعود و أبي بن كعب ومجاهد وقتادة وغيرهم ٥٣٨/١٧ ، تنزيه القرآن عن المطاعن بمعناه ص٢٩٣، تأويلات أهل السنة ٤٧/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدى ٢٧٤٦/٨ ، الثعلبي٤٣٧/٤، القرطبي ٤٩٥/١٥، تفسير ابن كثير عن ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومحمد بن كعب ، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي وغيرهم. ٤٠٦/٣.

٣) الكشاف ٣٠٤/٤، التبيان للعكبري ٢ / ١٦٦.

٤) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري اللغوي النحوي، صاحب التصانيف ، كان أحد أوعية العلم، و أول من صنف غريب الحديث سنة(٢٠٨ هـ) قال أبو سعيد السيرافي: كان من أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم، وقال أبو العباس: كان عالما بالشعر والغريب والنسب ، ويحكى أنه يرى رأي الخوارج الإباضية، وقيل: كان شعوبيًا يطعن في الأنساب، قال الخطيب يقال: إنه ولد في الليلة التي مات فيها الحسن و اختلف في وفاته، قال أبو موسى العنزي: مات سنة ثمان ومائتين. ميزان الاعتدال ١٥٥/٤، وفيات الأعيان ٢٣٥/٥.

٥) مجاز القرآن٨٢/٢، الكشف والبيان ٤٣٧/٤، الدر المصون ١٨٩/١١.

٦) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أبو المنذر وقيل: أبو الطفيل، يعرفون ببني جديلة وهي أمهم ينسبون إليها، شهد العقبة الثانيةو بدرًا والمشاهد كلها، وكان أحد الفقهاء وأقرؤهم لكتاب الله، أخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم وعده مسروق في الستة من أصحاب الفتيا، ذكر محمد بن سعد عن الواقدي عن أشياخه، قال: أول من كتب لرسول الله ﷺ

الوحي ، مات في خلافة عمر وقيل: سنة تسع عشرة وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وصحح أبو نعيم أنه مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، ورجح ذلك ابن الجزري في غاية النهاية ، وأنه توفي قبل مقتل عثمان بجمعه، والأكثر على أنه مات في خلافة عمر رحمهما الله. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٦٥، معرفة القراء الكبار ٢٨/١ ، الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ١٨٠.

٧) حديث فضائل القرآن سورة سورة ، حديث موضوع ورد بعدة طرق، وجميع طرقه بواطل، وقد وقد أجمع العلماء على رده ، الآفة فيه بزيع بن حسان ومخلد بن عبدالواحد. وقد ذكر المؤلف إسناد

هذا الحديث في آخر كتابه ، وسأقتصر في ترجمة رجال السند على من اتهم من رجال هذا الإسناد الذي ذكره المؤلف.

رجال الإسناد: =

=١ـ مخلد بن عبدالواحد.

قال ابن حبان منكر الحديث جدا. الموضوعات لابن الجوزي ١ / ٢٤٠، تخريج أحاديث الكشاف ٤ / ٣٤٤.

٢ـ علي بن زيد بن جدعان: ضعيف.

قال الإمام أحمد وابن معين: علي بن زيد ليس بشيء. تهذيب الكمال ٢٠ / ٤٣٧، الجرح والتعديل ٦ / ١٨٦، الضعفاء الكبير ١ / ٢٢٦، تخريج أحاديث الكشاف ٤ / ٣٤٤.

الحكم على الإسناد:

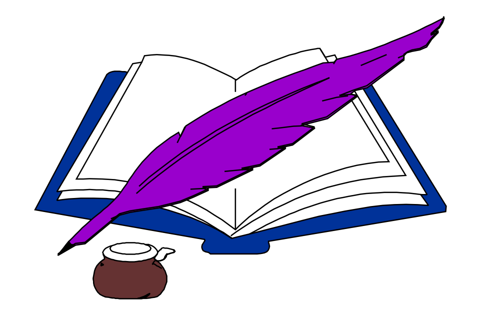
موضوع بجميع طرقه، أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ١٥٦/١وقال: بزيع بن حسان أبو الخليل البصري لا يتابع عليهما . وفي المجروحين لابن أبي حاتم أنه: يأتي عن الثقات بأشياء موضوعة كأنه المتعمد لها .أهـ"١٩٩/١، وقال ابن الجوزي في الموضوعات :". قال االدارقطني : هو متروك. وقال ابن حبان : كان يضع الحديث على الثقاة .أهـ" ٢٦٤/٢، و قال عبد الله بن المبارك: أظن الزنادقة وضعوه. انظر: المنار المنيف لابن القيم ص١١٣، الضعفاء الكبير للعقيلي ١٥٧/١، اللآليء المصنوعة ٢٠٧/١، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ١ / ٣١٣، وانظر: رسالة الطالب ناصر محمد الصائغ، والطالب عبدالله جمعة أبو طعيمه في تحقيقهما لتفسير الكشف والبيان للثعلبي.

وأيضا فنفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه قد استنفذ السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام الرسول. تخريج أحاديث الكشاف ٤ / ٣٤٥.

تخريجه:

أخرجه الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ، والزمخشري في الكشاف، والإمام أبي بكر بن أبي داود السجستاني في فضائل القرآن، وأخرجه الواحدي في تفسيره الوسيط من طريق آخر، عنأبيّ بن كعب.

سورة الشعراء



سورة الشعراء[١] مكية غير قول:"والشعراء يتبعهم الغاوون "إلى آخر السورة، فإنها نزلت بالمدينة [٢]، وهي مائتان وست وعشرون آية [٣].

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ / الْمُبِينِ﴾ [١،٢] قيل في معنى الحروف المقطعة في أول هذه السورة: إنها اسمَ السورَة [٤]، وقيل معنى هذه الحروف: أصل آيات ٤٣٥/ب

---

[١]) سميت بذلك لقوله فيها: (والشعراء يتبعهم الغاوون) الإتقان ص١٤٦، بصائر ذوي التمييز ٢٤١/١.

[٢]) انظر الكشف والبيان ٤٣٨/٤، النكت والعيون ١٦٣/٤، وفي زاد المسير عن ابن عباس وقتادة ١١٤/٦، معاني القرآن للنحاس ٦١/٥. اختلف في المكي والمدني ، والقول المشهور هو اعتبار زمن النزول.

فالمكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

ولكن الآيات المستثناة من السورة نفسها كأن تكون السورة مكية ويستثنى منها آيات نزلت بالمدينة، وهذه الآيات المستثناة لا يمكن معرفتها إلا بالنقل الصحيح ممن عاينوا التنزيل من الصحابة أو التابعين.

قال ابن الحصار: "وكل نوع من المكي والمدني منه آيات مستثناة، إلا أن من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل". الإتقان ص ٣٥- ٤٨.

والوارد من النصوص في السور التي فيها آيات مستثناة أثر ابن عباس الذي أخرجه أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ قال: "حدثني يموت بن المزروع، قال: حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، قال: حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، قال: حدثنا يونس بن حبيب، قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سألت مجاهدًا عن تلخيص آي المدني من المكي، فقال: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة، فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، فهن قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ إلى تمام الآيات الثلاث...) وما تقدم من السور فهن مدنيات، أعني سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة...."ص ١٣١، ونقل الأثر السيوطي في الإتقان قائلا: وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين ص٣٧.

والصحيح أن فيهم من ضعفه أهل العلم، وعليه فاستثناء هذه الآيات لا يصح ، لعدم صحة سند الدليل المستشهد به عليه ، والله تعالى أعلم. انظر: المكي والمدني ٢٦٦/٢.

[٣]) البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ١٩٦/١، الكشاف ٣٧٦/٤، القرطبي ٥/١٦، مفاتيح الغيب ١١٨/٢٤.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ٥٤٢/١٧، والثعلبي في الكشف والبيان عن مجاهد ٤٣٩/٤، وفي زاد المسير عنه أيضا ١١٥/٦، القرطبي ٨/١٦. يرد هذا القول اتحاد هذه الحروف في عدة سور مثل آلم وآلر وحم، والمقصود من الاسم إزالة الاشتباه ، كما أن أسماء السور توقيفية ، قال السيوطي في الإتقان : وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار. ص ١٤٠، التحرير والتنوير ١ / ٢١١.

آيات القرآن [١]. وعن الحسن أن هذه الحروف متفرقة بمعنى: اسم الله عز وجل، فالطاء طوله ، والسين سناؤه ، والميم ملكه [٢].

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [٢] أي: هذه [٣]، ويجوز أن يكون بمعنى تلك التي أخبرتكم بها وأنزلتها على رسولي هي آيات الكتاب المبين [٤].

---

[١]) لم أعثر على قائل هذا القول فيما بين يدي من المصادر، ولعله من كلام المؤلف، فإن أراد المؤلف بقوله: أصل آيات القرآن: بأن كلمات القرآن ونضمها مركب من هذه الحروف فهذا واحد من الأقوال التي ذكرت في معنى هذه الحروف المقطعة، أنها أسماء مسمياتها الحروف قصد بها التحدي والإعجاز، فالخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من الحروف التي يتخاطبون بها وهذا ما رجحه الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في أضواء البيان ١٦٦/٢، واختاره جمع من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام والزمخشري في الكشاف وابن كثير وغيرهم ـ رحمهم الله ـ
واعلم أنه قد اختلف في معنى هذه الحروف المقطعة على قولين :
الأول: أن هذا علم مستور، وسر محجوب، استأثر الله به. واختاره الخلفاء الأربعة و جماعة من أهل العلم منهم أبو حاتم بن حبان، والشوكاني، و الشعبي ، و الثوري وغيرهم.
الثاني: أن لها معنى وحكمة، فليس في كتاب الله مالا معنى له، أو معنى قد استأثر الله به، واختاره شيخ الإسلام،وذُكِر فيه ما يزيد على عشرين وجها منها :
١ـ أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى، عن ابن عباس و ابن مسعود رضي الله عنهما.
٢ـ أن الله أقسم بهذه الحروف، عن ابن عباس.
٣ـ أنها أسماء للسور، عن زيد بن أسلم، وسيبويه.
٤ـ أنها للتنبيه وقطع لغوا العرب فيه .
٥ـ أن هذه الحروف ذكرت دلالة على أن القرآن مؤلف من الحروف التي يعقلونها ويبنون كلامهم منها، فالقصد منها التحدي والإعجاز، عن الفراء، والباقلاني والرازي.
والذي أميل إليه القول الثاني وهو أن لها معنى وحكمة ، وإلا سأل عنها الصحابة رضي الله عنهم، أو اعترض عليها المشركون إذ لم يعرفوا مدلولاتها، واتخذوا ذلك حجة للطعن في القرآن، كذلك القول بأنها سر يؤخذ عليه إنه لا يجوز أن يرد في كتاب الله تعالى ما لا يكون مفهوما للخلق وقد أمرهم سبحانه بتدبره، فلو كان غير مفهوم ، فكيف يأمرهم بالتدبر فيه ؟ فالقول بأنها جاءت للتحدي والإعجاز هو الأولى عندي ، والله تعالى أعلم. انظر: مجموع الفتاوى ١٤٤/١٣، البرهان في علوم القرآن ١ / ١٧٣، الكشاف ٦٣/١، تفسير البيضاوي ٨٥/١، تفسير النسفي 9/1 ، تفسير ابن كثير ٤٩/١، مفاتيح الغيب ٢ / ٤، فتح القدير ١ / ٥٢.

[٢]) أخرجه الطبري عن ابن عباس ٥٤٢/١٧، بحر العلوم ٤٦٩/٢، الكشف والبيان ٤٣٩/٤، وذكر معناه الماوردي في النكت والعيون. ١٦٤/٤، زاد المسير ١١٥/٦. وهذا القول ليس عليه دليل يؤيده، كما أنه يفتح المجال لقول كل واحد بالمعنى الذي يريده من غير ضبط ولا تحديد.

[٣]) انظر ابن أبي حاتم ٢٧٤٧/٨، الكشف والبيان ٤٤٠/٤، القرطبي ٩/١٦، معاني القرآن للنحاس ٦١/٥.

[٤]) انظر بحر العلوم ٤٦٩/٢.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾[٣] أي: قاتل ومهلك نفسك [١] أن لا يكونوا مؤمنين وكان رسول الله ﷺ حريصا على إيمانهم ونجاتهم من عذاب الله ، وربما كان يخطر بباله أن مقامهم على الكفر لعله لتقصير منه في الدعوة أي تبليغ الرسالة فأنزل الله تعالى هذه الآية تسلية له.

وقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً﴾ فيه إعلام أنه جل ذكره لو أراد أن ينزل آية تَضطرهمَ إلى طَاعَة الله لقدر على ذلك ، ولكنه لم يفعل لأنه أراد منهم إيمانا يستحقون عليه المدح والثواب[٢] ، فإذا جاء الإلجاء[٣] ذهب المدح والثواب[٤].

وقوله: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾[٤] لفظ الماضي ومعناه الاستقبال، كما يقال: إن تأتني أكرمتك بمعنى أكرمك [٥].

وأعناقهم: رؤساؤهم وكبراؤهم[٦] يقال: هؤلاء أعناق قبيلة كذا، ويقال قد

---

[١]) تفسير مقاتل ٤٤٥/٢، ذكره الطبري عن ابن عباس وقتادة ٥٤٣/١٧، وكذلك أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد والحسن وعكرمة وعطية والضحاك مثله، بحر العلوم ٤٦٩/٢ الكشف والبيان ٤٤٠/٤، زاد المسير ١١٦/٦، القرطبي ٩/١٦.

[٢]) معاني القرآن للزجاج ٨٢/٤، تأويلات أهل السنة ٤٩/٨، معاني القرآن للنحاس ٦٢/٥، بحر العلوم بمعناه ٤٧٠/٢ ، الكشف والبيان ٣٧٦/٤، تنزيه القرآن عن المطاعن ص٢٩٦، مفاتيح الغيب ١١٩/٢٤.

[٣]) معنى الإلجاء والتلجئة : الإكراه ، وهي تفعلة من الإلجاء كأنه قد ألجأك إلى أن تأتي أمرا باطنه خلاف ظاهره ، وأحوجك إلى أن تفعل فعلا تكرهه . انظر القاموس المحيط (فصل اللام ـ لجأ) ٢١/١، النهاية في غريب الأثر.(حرف اللام باب اللام مع الجيم) ٤ / ٤٣٨.

[٤]) الإيمان النافع هو: الإيمان الواقع على جهة الاختيار لا على جهة الاضطرار كما وقع لفرعون. قال ابن القيم في شفاء العليل : الله سبحانه قادر على أن يخلق فيهم مشيئة الإيمان وإرادته ومحبته فيؤمنون بغير قسر ولا إلجاء ، بل إيمان اختيار وطاعة كما قال تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) وإيمان القسر والإلجاء لا يسمى إيمانا، ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة ولا يسمى ذلك إيمانا ؛ لأنه عن إلجاء واضطرار قال تعالى: (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وما يحصل للنفوس من المعرفة والتصديق بطريق الإلجاء والاضطرار والقسر لا يسمى هدى. ١ / ٢٣٥، حز الغلاصم ١ / ٨٧ ، ابن كثير ٤٠٧/٣، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٣٢٨/١.

[٥]) زاد المسير ١١٦/٦، معاني القرآن للزجاج ٨٢/٤.

[٦]) الطبري ٥٤٥/١٧، معاني القرآن للزجاج ٨٣/٤، تأويلات أهل السنة ٤٩/٨، وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان عن مجاهد ٤٤١/٤، النكت والعيون ١٦٥/٤ ، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٦٦، البغوي ص ٩٣٦.

جاءني عنق من الناس أي جماعة [١]؛ ولهذا المعنى قال في جمع الأعناق خاضعين، ولم يقل خاضعات.

والخاضع: الذليل المنقاد الذي لا يلوي عنقه إلى معصية [٢] ويكون خضع لازما ومتعديا، يقال: خضعته فخضع ، إذا سكنته فسكن.

وقوله: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ ﴾[٥] أي: ما يأتي جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ بشيءٍ بعد شيء من القرآن إلا كانوا معرضين عن ذلك ، فقد كذبوا بالقرآن فسيأتيهم خبر ذلك في القيامة ، أولم يروا أهل مكة إلى الأرض كم أخرجنا فيها من كل صنف حسن[٣] في المنظر من النبات.

والزوج الواحد الذي له قرين: من أبيض، وأسود، وأحمر، وأصفر، وأخضر، وحلو، وحامض، ومن رائحة مسكية، وكافورية.

والكريم في اللغة هو: المحمود فيما يحتاج إليه فيه [٤] يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها وكثر ، وناقة كريمة إذا كانت غزيرة اللبن[٥].

وقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ أي: في اختلاف ألوان النبات لدلالة على وحدانية الله وكمال قدرته [٦] ، ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٨] أي: كان في سابق علم الله الله أن أكثرهم لا يؤمنون [٧].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾[٩] أي: القادر القاهر والمنعم على عباده الرحيم بهم .

وقوله: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى ﴾[١٠] معناه : وأتل على قومك إذ كلم الله موسى ـ عليه السلام ـ كلاما سمعه وفهمه : أن ائت القوم الظالمين.

---

[١]) الطبري ٥٤٧/١٧، معاني القرآن للنحاس ٦٣/٥، الكشف والبيان ٤٤٠/٤، ذكر أوله الماوردي في النكت والعيون عن النقاش ١٦٥/٤، البغوي ص٩٣٦، ١١٧، التبيان للعكبري ١٦٦/٢.

[٢]) أخرجه الطبري عن ابن زيد ١٧/ ٥٤٥ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة مثله ٢٧٥٠/٨، وذكر الثعلبي في الكشف والبيان معناه ٤٤٠/٤، النكت والعيون ١٦٥/٤، القرطبي ١٠/١٦.

[٣]) تفسير مقاتل ٤٤٦/٢، تأويل مشكل القرآن ص٢٦٩، تأويلات أهل السنة ٥٠/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير ٢٧٥٠/٨، الكشف والبيان ٤٤١/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٩٠.

[٤]) معاني القرآن للزجاج ٨٣/٤ ، زاد المسير ١١٧/٦.

[٥]) انظر الطبري ٥٤٩/١٧، الكشف والبيان ٤٤١/٤.

[٦]) الكشف والبيان ٤٤١/٤، بحر العلوم بمعناه ٤٧٠/٢ ، زاد المسير ١١٧/٦، القرطبي ١١/١٦.

[٧]) الطبري ٥٥١/١٧ ، الكشف والبيان ٤٤٢/٤.

﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾[١١] الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وظلموا بني إسرائيل بالتعذيب[١]. ألا يتقون عذابي في مقامهم على الكفر وترك الإيمان؟!
ومن الدليل على صحة هذا الإضمار الذي أضمرناه في أول هذه الآية قوله سبحانه: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾[٦٩][٢].
وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾[١٢] معناه : قال موسى: يا رب إني أخاف أن يكذبونيَ فيما أدعوهم إليه ، ويضيق صدري بسبب التكذيب ولا ينطلق لساني للعقدة التي فيه[٣] فأرسل معي هارون؛ فيعينني ويؤازرني على إظهار الدعوة وتبليغ الرسالة[٤] ، ولهم علي ذنب يعني: دعوى ذنب يريد به: الوكزة[٥] التي وكز القبطي[٦] فمات منها[٧] فأخاف أن يقتلوني يقتلوني بسببه.
قال : ﴿ كَلَّا ﴾[١٥] أي: قال الله تعالى لموسى ارتدع عن هذا الظن وهذا الخوف[٨] فاذهبا بدلالاتنا فإنا معكم من الشاهدين بالحفظ والنصرة لنسمع ما ما يقال لكما.
﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١٦] إليك لتؤمن بالله وتطلق بني إسرائيل عن الاستعباد ، وترسلهم معنا إلى الأرض المقدسة.

---

[١]) الكشف والبيان ٤٤٢/٤، تفسير النسفي بنحوه ١٨٠/٣.
[٢]) معاني القرآن للنحاس مختصرًا. ٦٦/٥، القرطبي ١٢/١٦، وتقديره بـ (أتل) هو قول الزجاج. الدر المصون ١٩٢/١١.
[٣]) العقدة للجمرة التي وضعها في فيه عندما هم فرعون بقتله ، أخرجه الطبري في تفسيره عن السدي ومجاهد وسعيد بن جبير ١٧/ ٥٥٣، وهو أحد قولين ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ١٦٦/٤، زاد المسير ١١٨/٦، القرطبي ١٣/١٦.
[٤]) الكشاف ٣٨٠/٤، القرطبي ١٣/١٦.
[٥]) (الوكز) وكزه وكزا دفعه وضربه، مثل نكزه، والوكز الطعن، ووكزه أيضا طعنه بجمع كفه، انظر: لسان العرب مادة (وكز) ٥ / ٤٣٠، تهذيب اللغة مادة (وكز) ٣٩٦/٣.
[٦]) القبط بوزن السبط أهل مصر، وهم بنكها أي: أصلها وهم من ولد حام بن نوح والنسبة إليهم قبطي وقبطية، ويجمع على قباطي ، والقبط جبل بمصر. انظر: سبل الهدى والرشاد ١١ / ٢٨، سمط النجوم العوالي ١ / ٦٨، الكامل في التاريخ ١ / ٢٥، الأنساب للسمعاني ٤ / ٤٤٤ ، العين ١ / ٣٨٨، لسان العرب مادة(قبط) ٧ / ٣٧٣، مختار الصحاح ص ٢٤٧.
[٧]) الطبري ٥٥٣/١٧، الكشف والبيان بمعناه ٤٤٣/٤، زاد المسير ١١٨/٦، القرطبي ١٤/١٦.
[٨]) معاني القرآن للزجاج ٨٥/٤ ، معاني القرآن للنحاس ٦٧/٥.

والرسول يذكر ويراد به الجمع، كما يقال: ضيف، و ولي، وعدو، ونحو ذلك[١]. قال الشاعر:

الكِني[٢] إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخير[٣].

وقيل في معنى إنا رسول: كل واحد منا رسول رب العالمين[٤].

قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ [١٨] وذلك أن موسى ـ عليه السلام ـ لما انطلق إلى مصر وكان هارون بها، التقى كل واحد منهما بصاحبه ، فانطلقا كلاهما إلى فرعون وأديا جميعا الرسالة ، فعرف فرعون موسى عليه السلام، وقال له فرعون: ألم نربك فينا وليدا، أي: صبيًا صغيرًا، ولبثت فينا أي: مكثت / عندنا سنين من عمرك، العُمُر والعُمْر والعَمْر بمعنى واحد [٥]. ٤٣٥/أ

وقوله : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ ﴾

أي: قتلت القبطي، والفعلة في اللغة: اسم المرة الواحدة [٦] وأما الفِعلة بكسر الفاء فهي الهيئة والحالة [٧] ، يُقال: فلان حسن الجلسة واللبسة.

وقوله: ﴿ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [١٩] أي: من الجاحدين لإنعامي عليك، ولحق تربيتي إياك[٨]، قال موسى عليه السلام فعلتها إذن وأنا ضال عن العلم بأن

---

[١]) غريب القرآن لليزيدي بنحوه ص٢٨١، بحر العلوم ٤٧١/٢، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان عن أبي عبيدة ٤٤٣/٤، وورد في زاد المسير منسوبا لابن قتيبة ١١٨/٦، القرطبي ١٦/١٦.

[٢]) ألاك يليكه أرسله ، لسان العرب مادة (لوك) ٤٨٤/١٠، المخصص ٤١٦/٣، تاج العروس مادة (ألك)٣٩٢/١٠. واستشهد به على أن الرسول يفرد ويراد به الجمع.

[٣]) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، انظر ديوان الهذليين ١/ ١٤٦، شرح أشعار الهذليين ١١٣/١.

[٤]) الكشاف ٣٨٣/٤، و قال أبو عبيدة في مجاز القرآن: رسول بمعنى رسالة ص ١٤٦ ، قال العكبري في التبيان: في إفراده أوجه: أحدها : هو مصدر كالرسالة : أي ذوا رسول...والثاني: أنه اكتفى بأحدهما إذا كانا على أمر واحد. والثالث : أن موسى ـ عليه السلام ـ كان هو الأصل وهارون تبع فذكر الأصل.١٦٧/٢، القرطبي ١٦/١٦، الدر المصون ١٩٤/١١.

[٥]) قال الزجاج : "وهذا في عمر الإنسان أما القسم فلا يجوز إلا الفتح (لَعَمْرُك) أهـ". معاني القرآن له ٨٦/٤ ، بحر العلوم ٤٧١/٢.

[٦]) الطبري ٥٥٥/١٧، الكشاف ٣٨٣/٤، القرطبي ١٦/١٦، المحرر الوجيز ٢٢٧/٤، معاني القرآن للزجاج ٨٦/٤.

[٧]) نسبها الفراء في معاني القرآن للشعبي. ٢٧٩/٢ ، معاني القرآن للزجاج ٨٦/٤ ، وكذا في الكشف والبيان عن الشعبي. ٤٤٤/٤، المحتسب لابن جني ١٧٠، الدر المصون ١٩٥/١١.

[٨]) الطبري ٥٥٦/١٧، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن إسحاق نحوه ٢٧٥٤/٨، الكشف والبيان ٤٤٤/٤، النكت والعيون ١٦٧/٤، زاد المسير ١١٩/٦، القرطبي عن ابن عباس وابن جبير وعطاء والضحاك وابن زيد. ١٧/١٦ وقال السدي :"من الكافرين بالله لأنك كنت معنا على ديننا الذي تعيبه"، والذي أراه والله أعلم أن هذا القول بعيد والأول أقرب للصواب ، على =

بأن ذلك يؤدي إلى الهلاك[١] ، ومن يذهب عن معرفة الشيء قد يوصف بالضلال إذا لم يكن متعمداً قاصداً كالضال عن الطريق[٢].

ولا يجوز أن يكون المراد بالضال هنا الضال عن الهدى لأن ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام[٣].

وقوله : ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ ﴾[٢١] معناه: هربت منكم لما خفتكم على نفسي أن تقتلوني، فوهب لي ربي علما وحكمة، وجعلني من المرسلين إليك وإلى قومك لأبلغكم التوحيد والشرائع.

وقوله عز وجل: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾[٢٢]

معناه: وأيّ نعمة لك، ولو لم تستعبد قومي ، ولم تقتل ولدانهم لكفلني قومي ولم يلقوني في اليم. وإنما كانت نعمة لما فعلت بهم[٤]. ويقال في معناه:أتمنّ علي بذلك، وأنت استعبدت بني إسرائيل ، وأبطلت نعمتك علي بإساءتك إليهم باستعبادك إياهم[٥]، وبأن أخذت أموالهم وأنفقت عليّ من شيء منها[٦]،

= معنى الكفر لغة وهو التغطية وجحود النعمة، وهذا المعنى أنسب ؛ إذ كيف يسم فرعون موسى بالكفر بالله وهو يجحد وجود الله أصلا؟! الصحاح للجوهري ١١٨/٢، أساس البلاغة (كفر) ٤٠٩/١.

[١]) قال مقاتل: يعنى من الجاهلين ، وهي قراءة ابن مسعود : ' فعلتها إذا وأنا من الجاهلين '.
تفسير مقاتل ٤٤٧/٢، تأويلات أهل السنة ٥٤/٨، الكشف والبيان ٤٤٤/٤، ذكر الماوردي في النكت والعيون عن مجاهد معناه ١٦٧/٤، زاد المسير ١١٩/٦، معاني القرآن للنحاس بمعناه. ٧١/٥، تفسير ابن كثير ٤٠٩/٣.

[٢]) الطبري ٥٥٧/١٧، الكشف والبيان ٤٤٤/٤، والضلال يعني الخطأ. الوجوه والنظائر للدامغاني ص٣١٢، القرطبي ١٧/١٦، أضواء البيان ٩٨/٦.

[٣]) يؤيده ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن زيد بأن الضلالة هنا الخطأ ٢٧٥٥/٨، والأنبياء ـ عليهم السلام ـ معصومون من كبائر الذنوب. انظر تفسير الخازن ٤١٢/٢، الكشاف ١٥٢/٤.

[٤]) تأويلات أهل السنة ٥٤/٨، الكشف والبيان ٤٤٥/٤، النكت والعيون بمعناه ١٦٨/٤، الكشاف ٣٨٥/٤.

[٥]) تفسير مقاتل ٤٤٧/٢، الطبري بمعناه ٥٦١/١٧ ، تأويلات أهل السنة ٥٤/٨، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ومجاهد وابن إسحاق نحوه ٢٧٥٦/٨، بحر العلوم بمعناه. ٤٧٢/٢، نسب في النكت والعيون لعلي بن عيسى ١٦٧/٤، معاني القرآن للنحاس ٧٢/٥.

[٦]) هذا معنى قول الحسن كما ذكر في النكت والعيون ١٦٨/٤، الكشف والبيان ٤٤٥/٤، زاد المسير ١٢١/٦.

وكانت أمي هي التي تربيني فأي نعمة لك علي[١].

قوله : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢٣] معناه: قال له فرعون: وأي شيء ربّ العالمين الذي تدعوني إليه ، كأنه طلب بجهله أن يبين أي أجناس الأجسام هو، فأجابه موسى ـ عليه السلام ـ بما دل على الله تعالى مما خلقه الله؛ لأنه تعالى لا يُعَرف إلا بأفعاله التي تدل عليه مما يعجز المخلوقون عن الإتيان بمثل ذلك [٢]، فقال: رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين، بأن المستحق للربوبية من يكون بهذه الصفة ، وأن هذه الأشياء التي ذكرت ليست من فعلكم فإن الجسم لا يفعل الجسم ، وفاعل الجسم ليس هو إلا الله عز وجل[٣].

قال فرعون لمن حوله من الجلساء ألا تستمعون إلى ما يقول موسى؟ فجعل يعجبهم ويريهم أنه لم يجبه .لأن فرعون أراد بقوله وما رب العالمين: أنه من

---

[١]) اختلف في معنى هذا الكلام أهو من موسى على جهة الإقرار بالنعمة له عليه ، أم هو على جهة الإنكار والمعنى إنها ليست نعمة لإحسانه إليه على وجه الخصوص واستعباد قومه ، وقيل فيه تقدير استفهام أي أو تلك نعمة ؟ وهو قول الأخفش وأنكره النحاس ، ورجح الطبري أنه على جهة الإقرار بالنعمة. انظر الطبري ٥٦١/١٧، القرطبي ١٨/١٦، الدر المصون ١٩٦/١١.

[٢]) تأويلات أهل السنة ٥٥/٨، الكشاف ٣٨٥/٤، زاد المسير ١٢٢/٦، القرطبي ٢١/١٦، وأنكر ذلك ابن كثير في تفسيره ناقلاً قول السدي حيث يقول: ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم، أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط ؛ فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية،بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه.أهـ" ٤ ٤٠٩/٣، البغوي ص ٩٣٨.

[٣]) مراده ـ والله أعلم ـ أن الله عز وجل ليس بجسم ولا حد له، ولا حصر، وليس له مكان، ولا زمان ولا جهة معينة.

ولقد جعل المتكلمون المعنى اللغوي للجسم حجة لمفهوم الجسم عندهم. فمعنى الجسم لغة كما قال ابن فارس:الجيم والسين والميم يدل على تجمع الشيء... والجسيم: العظيم الجسم، وكذلك الجسام. معجم مقياس اللغة مادة (جسم) ٦ / ٤٠٣. والجسم عند الأشاعرة كما صرح به الباقلاني والجويني: أن الجسم هو: المؤلف المركب.ولفظ الجسم لفظ مجمل ، ومعناه في اللغة البدن ، فمن قال: إن الله ليس بجسم ، وأراد بذلك أنه لا يماثل شيئا من المخلوقات ، فالمعنى صحيح وإن كان اللفظ بدعة. وأما من قال إن الله ليس بجسم ، وأراد بذلك أنه لا يرى في الآخرة وأنه لم يتكلم بالقرآن العربي ، بل القرآن العربي مخلوق ، فهذا مفتر على الله فيما نفاه عنه ، وهذا أصل ضلال الجهمية من المعتزلة ، ومن وافقهم على مذهبهم. انظر: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص ٦١، الإنصاف للباقلاني ص ٢ رسالة في تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام ص ٥٠.

أي الأجناس هو، فظن أن الإله كأحد الأجناس ولم يعلم أنه لو كان كذلك لكان فيه دلالة الحدث [1]،ولمَا صح أن يفعل الأجسام ، فأجاب موسى عليه السلام بتأييد جوابه الأول، وقال (ربكم ورب أبائكم الأولين) بيّن أن المستحق للربوبيةَ نْ هو رب أهل كل عصر وزمان، وأنه تعالى لا يصح أن يكون من جنس ما يشاهد ويستدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ولولا ذلك لما صح قدمه [2].

قال فرعون لجلسائه: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون؛ لأنه يجيبنا بخلاف ما نريده من صفة ربّ العالمين. قال موسى عليه السلام لما تعجبوا منه: (رب المشرق والمغرب) أي: هو ربهما ومالكهما وخالقهما، ورب ما بينهما وفيهما من أنواع الأجناس إن كنتم تعقلون، أي: تفقهون معنى كلامي، وما أردت بدلالتي؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يوصف بصفة الأجسام ، وإنما

---

[1]) دلالة الحدث :هي الأحوال المتقلبة بالأجسام بحيث لا ينفك عنها ، والحدث لا يخلو من محدث. قال البيهقي في شعب الإيمان: عند قوله تعالى :(وفي أنفسكم أفلا تبصرون) في أنفسكم دلالات الحدث وهي الأحوال المتقلبة بهم من حيث لم ينفكوا عنها ، فإن تلك الأحوال إذا كانت أحداثا ولم يكونوا خلوا منها قط ، فواجب أن يعلموا أنهم أحداث والحدث لا يخلو من محدث. ٤/ ١٧١، موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، عبدالرحمن المحمود ٤١٤/١.

[2]) لا يصح وصف الله عز وجل بالقديم وأنكر السلف ذلك فليس هو من أسمائه الحسنى، قال شارح العقيدة الطحاوية : "وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم ، وليس هو من الأسماء الحسنى، فان القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المتقدم على غيره ، فيقال هذا قديم للعتيق وهذا حديث للجديد ، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره ، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى:﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾سورة يس: [٣٩] والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم. إلى أن قال: والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى ، وجاء الشرع باسمه الأول ، وهو أحسن من القديم؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له بخلاف القديم، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة. أهـ" شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١١٥.

تنويه : إن منهج السلف يقوم على الابتعاد عن الألفاظ المجملة، وإن وردت عن أهل الأهواء ،فإنهم يفصلون فيها، ويطلبون توضيح المراد منها؛ وذلك لأنهم أخذوا متشابه القرآن وأولوه على غير المراد منه. الفتاوى لشيخ الإسلام كتاب/ في الرد على الطوائف الملحدة والزنادقة والجهمية والمعتزلة والرافضة. فصل (وأما قولهم : الذي نطلب منه أن يعتقده أن ينفي الجهة عن الله والتحيز) ٦ / ٣٥٢.

يوصف بذكر أفعاله ، فلم يقدر فرعون أن يجيبه بشيء ينقض حجته فجعل يهدده [١] كما قال تعالى.

قوله : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [٢٩]

أي: المحبوسينَ ، ظن أنَه يخافَه، ويترك عبادة الله [تعالى][٢] ويتخذ فرعون إلها، وهذا القول من فرعون دليل أن أهل مملكته كانوا يتخذونه إلها، وكان سجنه فيما روي أشد من القتل؛ لأنه كان إذا حبس الرجل طرحه في مكان وحده لا يسمع فيه شيئا ، ولا يبصر فيه شيئا، وكان يهوي به في الأرض[٣].

قال له موسى عليه السلام:

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ [٣٠] أي: تحبسني ولو أتيتك بحجة ظاهرة ؟ قال فرعون علىَ وجهَ التجربَة: فات به يا موسى إن كنت من الصادقين، إنك رسول إلي وإلى قومي فألقى موسى عليه السلام عصاه من يده.

﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [٣٢] حية صفراء ، ذكر، عظيم [٤] أعظم ما يكون من الحياتَ، قال فرعون: هذه آية بينة فهل غير هذه [٥]؟ ونزع موسى عليه السلام يده من جيبه فإذا هيبيضاء بياضًا نوريًا للناظرين ، لها شعاع كشعاع الشمس، غلبت ضوء الشمس يومئذ[٦].

فإن قال قائل: كيف سمى العصا ثعبانا في هذه الآية وسماهاجانّا في آية أخرى؟ حيث قال:

﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [٧]،والجانّ الخفيفة؟

---

[١]) انظر بحر العلوم بنحوه. ٤٧٢/٢ ، قال القرطبي في تفسيره: "وفي توعده بالسجن ضعف."٢٢/١٦، ابن كثير ٤٠٩/٣.

[٢]) زيادة من (ب).

[٣]) تأويلات أهل السنة أوله فقط ٥٦/٨، أورده الثعلبي في الكشف والبيان عن الكلبي ٤٤٥/٤، وذكر أوله عن ابن عباس في بحر العلوم ٤٧٢/٢، وانظر القرطبي أيضًا ٢٢/١٦.

[٤]) انظر تفسير مقاتل ٤٤٩/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس، ولم يذكر لونها. ٢٧٥٨/٨، بحر العلوم ٤٧٢/٢، النكت والعيون ١٦٩/٤.

[٥]) لم يذكر الكتاب ولا السنة إقرار فرعون بهذه الآية ، بل على العكس جحد وأنكر مع تيقنه ، وهذا مما يعارض النصوص.

[٦]) ولا شك أن هذه مبالغة منبوذة لا تصدق، وليس عليها دليل يصح، والأولى الوقوف على ما ورد في الآية.

[٧]) سورة القصص: [٣١].

قلنا: إنما سماه ثعبانا لعظم جثته وسماه جانّا لسرعة مشيه وحركته [١] ، وفي ذلك ما يدل على عظم الآية / فلم يكن عند فرعون دفع لما شاهد إلا أن قال هذا سحر مموّه [٢] ، فأوهم أصحابه أن لا صحة له وإن كانوا شاهدوه كما شاهد ذلك قوله عز وجل: ٤٣٦/ب

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيم ﴾ [٣٤]

يعني: موسى عليه السلام حاذق بالسحر، يريد أن يلقي الفرقة والعداوة بينكم؛ لتتحاربوا فيخرجكم من بلادكم بسحره فماذا تأمرون؟ أي:ماذا تشيرون عليّ في أمره ؟ ولو تفكر هؤلاء الجهال في قوله ذلك، لعلموا أنه ليس بإله؛ لافتقاره إلى رأيهم ولكنهم لفرط جهلهم روّج [٣] عليهم[٤].

وقوله : ﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ ﴾ [٣٦] أي: قال له الملأ [٥] أخّر أمره وأمر أخيه[٦]، لا تناظرهما إلى أن تبعث إلى المدائن الشرط [٧] يحشرون السحرة السحرة [لتصنع السحرة][٨] مثل ما يصنعه موسى،ولا يثبت له عليك حُجة، حُجة، وكان له بكل مدينة حوله سحرة يعدهم للأمور إذا أحزبته.

والسحّار: فعّال من السحر وهو الذي عادته وحرفته السحر[٩].

---

[١]) تفسير السمعاني ٣٥/٤، معاني القرآن للزجاج ٨٨/٤ ، معاني القرآن للنحاس بمعناه ٧٥/٥ تنزيه القرآن عن المطاعن ص٢٩٧.

[٢]) المموه : المزين المزخرف، والتمويه تغطية الصواب، وتصوير الخطأ بغير صورته، وأصله طلاء الحديد والصفر بالذهب والفضة ؛ ليوهم أنه ذهب وفضة ، ويكون التمويه في الكلام وغيره. الفروق اللغوية ص ١٤٤، لسان العرب مادة(موه) ١٣ / ٥٤٣، أساس البلاغة ٤٥٦/١.

[٣]) روج : روجت الدراهم. وروجت علينا الريح أي: اختلطت فلا يدرى من أين تجيء.وروج فلان كلامه إذا زينه وأبهمه ، فلا تعلم حقيقته. تاج العروس مادة(روج) ٥ / ٦٠٠، المحيط في اللغة لابن عباد ٢ / ١٣٤.

[٤]) ملحظ جميل من المؤلف، فهو سبحانه يستشار، ويستخار، وغيره مفتقر لمن يشير عليه.

[٥]) في النسختين (قالوا).

[٦]) تفسير مقاتل ٤٤٩/٢، معاني القرآن للزجاج عن ابن عباس. ٨٩/٤ ، بحر العلوم ٤٧٣/٢، النكت والعيون ١٧٠/٤، تفسير ابن كثير ٤١٠/٣.

[٧]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عباس ومجاهد ٢٧٦١/٨، الكشف والبيان ٤٤٨/٤، الكشاف ٣٨٩/٤، معاني القرآن للنحاس ٧٦/٥.

[٨]) زيادة من (ب).

[٩]) قال بعضهم: هذا على النسب. ويكون على ضربين : على فاعل فيما كان ذا شيء وليس بصنعة يعالجها ؛ لأنه ليس فيه تكثير كقولنا لذي الدرع دارع، ولذي النبل نابل ، ولذي التمر تامر واللبن لابن. =

قوله : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [٣٨]
أي: لميعاد يوم زينتهم، وهو يومٌ عيدهم [١] وقيل للناس اجتمعوا لتنظروا إلى السحرة ؛ لعلنا نتبع السحرة، أي: نتبع دينهم إن كانوا هم الغالبين لموسى عليه السلام، ويقال: أرادوا بالسحرة موسى وهارون ـ عليهما السلام [٢] ـ إن كانا هما الغالبين على سحرتهم .
وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ [٤١] وذلك أن موسى ـ عليه السلام ـ لما التقى بهم يوم الميعاد وقد ضرب لفرعون قُبّة لينظر إلى صنيعهم ؛ قالت السحرة لفرعون : أئن لنا جُعلا من المال إن كنا نحن الغالبين لموسى ؟ قال لهم فرعون: نعم وإنكم لما أعطيكم من الأموال لمن المقربين على جميع الناس في الرتبة والمنزلة والدخول عليّ .
قال لهم موسى: (ألقوا ما أنتم ملقون) أي: أطرحوا من أيديكم ما تريدون طرحه من الحبال والعصي، وهذا أمر تهديد لا أمر تحقيق [٣]، ونظير هذا قوله: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ [٤].
وقوله: ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾ [٤٤] أي: طرحوا ما معهم من الحبال والعصي وقالوا: بمنعة فرعون (إنا لنحن الغالبون) لموسى، فامتلأ الوادي حيات؛ فهابه ذلك ، وقيل لموسى عليه السلام: (ألق ما في يمينك) فألقى عصاه من يده فصارت حية عظيمة تلقف ما حولهم من السحر، ثم دنا موسى ـ عليه السلام ـ منها فقبض عليها ، فعادت عصا كما كانت ولم يوجد لما تلقفته أثر، فلما رأت السحرة حبالهم وعصيهم قد ذهبت؛ قالوا لفرعون: قد كنا نساحر الناس فإن

= و فعال فيما كان صنعة ومعالجة ، يجيء على فعال لأن فعالا لتكثير الفعل وصاحب الصنعة مداوم لصنعته ، فجعل له البناء الدال على التكثير كالبزار، والعطار. وقد يستعمل في الشيء الواحد اللفظان جميعا نحو : رجل سائف وسياف. انظر: المخصص لابن سيده باب/ أفعل الشيء فهو فاعل.٤ / ٣٩٩، الصاحبي في فقه اللغة (باب البناء الدال على الكثرة) ص٥٦.

[١]) وكان الوقت ضحى كما قال سبحانه: ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ سورة طه: [٥٩]. تفسير مقاتل ٤٤٩/٢، الطبري ٥٦٧/١٧ ، بحر العلوم ٤٧٣/٢ ، وذكر الثعلبي في الكشف والبيان أوله ٤٤٧/٤، الكشاف ٣٨٩/٤ ، زاد المسير ١٢٤/٦.

[٢]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٧٦١/٨، الكشف والبيان ٤٤٨/٤، البغوي ص ٩٣٩، زاد المسير ١٢٤/٦. قوله تعالى: (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون) يدل على أن السحرة هم سحرة فرعون ، وليس موسى وهارون، فهذا القول يخالف ظاهر القرآن.

[٣]) تأويلات أهل السنة ٥٨/٨.

[٤]) سورة الإسراء: [٦٤].

غلبناهم بقيت حبالهم وعصيهم كما هي، وإن غلبونا كانت عصيّنا كذلك [١] ولكن هذا حق من الله تعالى فسجدوا عند ذلك لله تعالى كما قال جل ذكره : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ [٤٦] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : إنهم من سرعة سجودهم لله تعالى كأنهم ألقوا حين علموا أن ذلك كله من الله تعالى[٢].

﴿ وقَالُوا آمَنَّا ﴾ [٤٧] أي صدقنا برب العالمين . قال لهم فرعون أإياي تعنون؟[٣] قالوا:ربّ موسى وهارون ، قال فرعون: (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي: قال: صدقتم به قبل أن آمركم بذلك. فأوهم قومه بهذا الكلام أن الإقدام على ما فعلوه بغير أمره سوء أدب منهم ، وأوهمهم بقوله : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ إن الذي جرى بين موسى عليه السلام وبين السَحرة كان كله بمنزلة السَحر، وأنه كان ذلك عن موافقة بينهم وبين موسى عليه السلام في السّر، فقصرت السحرة في السحر؛ ليظهر أمر موسى عليه السلام[٤]. ثم خوف السحرة بالوعيد المطلق بقوله :

﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ثم فصل الوعيد وقال : ﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ﴾ [٤٩] وكان فرعون أول من قطع وصلب[٥].

وقوله : ﴿ قَالُوا لاَ ضَيْرَ ﴾ [٥٠] معناه: قالت السحرة لا يضرنا [٦] ما تصنع بنا في الدنيا في جنب ثواب الله في الآخرة [٧] ، إنا إذا رجعنا إلى ربنا موقنون ليأخذن حقنا من الظالم [٨] إنا نطمع أن يتجاوز ربنا شركنا

---

[١]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٧٦٦/٨، الكشاف بمعناه ٣٩١/٤ .

[٢]) الكشاف بنحوه ٣٩٢/٤ .

[٣]) تفصيل لم ترد به النصوص الصحيحة.

[٤]) انظر تفسير النسفي ١٨٥/٣، وتفسير أبو السعود ٢٤٣/٦، و روح المعاني ٧٩/١٩، مفاتيح الغيب ١١٧/٢٤.

[٥]) معاني القرآن للزجاج ٩٠/٤ ، معاني القرآن للنحاس ٧٦/٥.

[٦]) قال الجوهري في الصحاح :"ضاره يضوره ويضيره ضيرًا وضورًا أي ضره (حرف الضاد ضور) ٤١٥/١، معاني القرآن للزجاج ٩١/٤، معاني القرآن للنحاس ٧٧/٥.

[٧]) انظر زاد المسير ١٢٤/٦، قال القرطبي في تفسيره: " وهذا يدل على شدة استبصارهم وقوة إيمانهم" ٢٢/١٦ .

[٨]) في النسختين (المظالم).

وسِحرنا [١] ؛ بأن كنا أول المؤمنين لموسى ـ عليه السلام ـ من أهل هذا الجمع اليوم [٢].

وليس في القرآن أن فرعون فعل بهم ما توعدهم به ولا أنه لم يفعل، إلا أنه روي عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه فعل بهم ما وعدهم، قطعهم وصلبهم على شاطئ نهر مصر [٣]، فكانوا سحرة في أول النهار ، شهداء في آخره [٤].

وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أنه لم يصل / إلى قطعهم و قتلهم [٥]. ٤٣٦/أ

قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾[٥٢]

معناه: وأوحينا إليه أن أسر َببني إسرائيل ليَلاً ، وأخبرهم أن فرعون وقومه سيتبعونهم ، وأنه ينجيهم من ضررهم، فأسرى بهم موسى ـ عليه السلام ـ ليلا متوجهًا إلى البحر، فبلغ ذلك فرعون، فأرسل فرعون في المدائن جماعة يحشرون الناس، ثم قال للقوم: إن هؤلاء ـ يعني موسى عليه السلام وأصحابه ـ لشرذمة قليلون، أي: إنهم لفئة قليلة.

والشرذمة في كلام العرب: القليل من كل شيء من الناس والأموال [٦].

قال الراجز [٧]:

---

[١]) ذكره الطبري عن ابن زيد ٥٧١/١٧، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ٢٧٦٧/٨، بحر العلوم ٤٧٣/٢.

[٢]) واختلف في معنى أول المؤمنين فقال الفراء :"أول مؤمني أهل زماننا" وأنكر الزجاج عليه ذلك، والمراد أول من آمن عند ظهور آية موسى" ٩١/٤ ، يؤيده ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن زيد " أول من آمن بآياته حين رأوها ". ٨/ ٢٧٦٨، وانظر معاني القرآن للفراء ٢٨٠/٢، تأويلات أهل السنة ٥٩/٨، و معاني القرآن للنحاس ٧٧/٥.

[٣]) تفسير مقاتل ٤٥١/٢، المحرر الوجيز ٣٣١/٤.

[٤]) أخرجه مجاهد في تفسيره عن كعب الأحبار ٣٥٢، وذكر مقاتل في تفسيره عن ابن عباس آخره. ٤٥١/٢، كما أورده الزمخشري في الكشاف عن عكرمة ٣٩٢/٤، المحرر الوجيز ٣٣١/٤ .

[٥]) قال أبو منصور في تأويلات أهل السنة: ليس في الآية بيان حلول ما أوعد بهم ، فلا نقول به مخافة الكذب.أهـ ٥٩/٨.

[٦]) الكشف والبيان ٤٤٨/٤، معاني القرآن للزجاج ٩١/٤، مجاز القرآن ٨٦/٢، لسان العرب مادة(شرذم) ٣٢٢/١٢، الكشاف ٣٩٣/٤ .

[٧]) ذكر الماوردي في النكت والعيون أنه أبو عبيدة ١٧١/٤، وفي لسان العرب عن ابن بري ٣٢٢/١٢، وكذلك في تهذيب اللغة ٢٥٧/٣.

جاء الشتاء وقميصي أخلاق شراذم تضحك [1] منه التواق[2][3].

روي أن هؤلاء الذين استقلهم فرعون كانوا يومئذ ستمائة ألف وسبعين ألفا[4]، وكان هامان على مقدمة فرعون ومعه ألف ألف، وفرعون في أكثر من خمسة آلاف ألف[5] ، ويقال: جمع قليل وقليلون، وكثير وكثيرون ، كما يقال: حي واحد و واحدون[6] قال الكميت [7]:

فرد قواصي الأحياءِ منهم فقد رجعوا كحّي واحِدينا [8].

قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾[٥٥] من كلام فرعون إنهم لفاعلون ما يغيظنا؛ لإظهارهمَ خِلَاف ديننا ، يقال: غاظني الشيء ولا يقال: أغاظني[9].

وقوله : ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾[٥٦] أي: شاكون[10] ، مردفون أي: ذووا

---

[1]) في (ب) يضحك ، وهو كذلك في كتب اللغة بياء التذكير إلا أنه في بعضها يعجب.

[2]) التواق قيل اسم ابنه ، وقيل: الذي تتوق نفسه إلى كل دناءة. الطبري ٥٧٢/١٧ ، الماوردي ١٧١/٤، القرطبي ٢٥/١٦، لسان العرب مادة (توق)٣٣/١٠، تهذيب اللغة مادة(تأق) ٢٥٧/٣.

واستشهد به المؤلف على معنى الشرذم قيل: كل بقية من شيء خسيس يقال لها: شرذمة، ويقال: ثوب شراذم أي: أخلاق. الدر المصون ٢٠٠/١١.

[3]) كتب في حاشية الأصل: تاقت نفسي أي: اشتاقت، يقال: المرء تواق إلى ما لم ينل ، وأما هو في هذا البيت فيقال: هو اسم ابنه ويروى النواق بالنون. انظر: لسان العرب مادة (توق)٣٣/١٠ .

[4]) أورده الطبري عن أبي عبيدة وابن مسعود ٥٧٣/١٧، وفي الكشف والبيان للثعلبي عن ابن مسعود ٤٤٨/٤، النكت والعيون ١٧١/٤، القرطبي ٢٤/١٦. لا فائدة من تحديد العدد ويكفي أن الله ذكر لنا أنهم طائفة قليلة ، وهذه الروايات التي تحدد عددا، من الروايات الإسرائيلية التي تخالف الواقع وتناقضه.

[5]) تفسير مقاتل ٢/ ٤٥١، تفسير السمعاني ٣٧/٤، تفسير ابن كثير بنحوه. ٤١٣/٣. وهو أيضًا كالخبر السابق في ثبوته نظر.

[6]) معاني القرآن للزجاج بنحوه. ٩١/٤.

[7]) هو الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن ذؤيبة بن عمرو الأسدي الكوفي، مقدم شعراء وقته، قيل: بلغ شعره خمسة آلاف بيت، روى عن الفرزدق، وأبي جعفر الباقر. قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت لكفاهم، حببهم إلى الناس، وأبقى لهم ذكرا. وقال أبو عكرمة الضبي: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان. وقيل: كان عم الكميت رئيس أسد، وعن ابن عساكر: أنه ولد سنة ستين، ومات سنة ست وعشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٨٨ ، تاريخ دمشق ٥٠ / ٢٣٢.

[8]) شرح هاشميات الكميت الأسدي ص ٢٢٥، تفسير الطبري ٥٧٣/١٧ ، تهذيب اللغة مادة(وحد) ١٧٠/٢.

[9]) زاد المسير بنحوه. ١٢٥/٦ ، وانظر القرطبي أيضًا ٢٥/١٦، معاني القرآن للزجاج ٩٢/٤.

[10]) وفي غريب القرآن لليزيدي: فرقون ص ٢٨١.

سلاح[1] ، وبنو إسرائيل لا سلاح لهم ، ويقرأ حذرون[2].
و الحاذر الذي يحذرك الآن ، والحذر الذي لا يلقاه [3]إلاّ حذرًا [4].
يقول الله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُون ﴾[٥٧] أي: من بساتين وعيون جارية وخزائن مدخرة ومجالسَ رفيعةً من مجالس الملوك، كذلك فعلنا بهم وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم بني إسرائيل ، روي أن بني إسرائيل رجعوا بعد هلاك فرعون وقومه إلى مصر فسكنوا ديارهم وأخذوا أموالهم[5].
قوله : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِين ﴾[٦٠] راجع إلى قوم فرعون أنهم اتبعوا بني إسرائيل في وقت شرَوق الشمس [6]، يقال: أشرقنا إذا دخلنا في وقت الشروق ، كما يقال: أصبح إذا دخل في وقت الصباح ، وأمسى إذا دخل في وقت المساء[7].
قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَان ﴾[٦١] معناه: فلما توافق الفريقان كل واحد منهما بمرأى من صاحبه قال: ﴿ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون ﴾[٦١]

---

[1]) (حاذرون) بالألف، هي قراءة قراء الكوفة(حمزة وعاصم والكسائي) وابن ذكوان عن ابن عامر، ومن تسمية السلاح حذرا قوله تعالى: (خذوا حذركم) سورة النساء [٧١] . معاني القرآن للزجاج ٩٢/٤، تأويلات أهل السنة ٦٠/٨، بحر العلوم ٤٧٤/٢، الكشاف ٣٩٤/٤، الدر المصون ٢٠٠/١١.

[2]) و(حذرون) بغير ألف قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر في أحد وجهيه، السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد ٤٧١/١ ، النكت والعيون ١٧١/٤، زاد المسير ١٢٥/٦، الدر المصون ٢٠٠/١١.

[3]) في (ب) لا تلقاه.

[4]) قاله الفراء في معاني القرآن ٢٨٠/٢، بحر العلوم ٤٧٤/٢، الكشف والبيان ٤٤٨/٤، النكت والعيون بمعناه ١٧٢/٤ ، الدر المصون ٢٠٠/١١.

[5]) تفسير مقاتل بمعناه ٤٥٢/٢، بحر العلوم بمعناه ٤٧٤/٢ ، زاد المسير ١٢٦/٦، البغوي ص٩٤٠، القرطبي عن الحسن ٣٠/١٦.

[6]) الطبري ٥٧٩/١٧، تأويلات أهل السنة ٦١/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٧٦٩/٨، الكشف والبيان ٤٤٨/٤، وأورده الماوردي في النكت والعيون عن السدي ١٧٣/٤، زاد المسير ١٢٦/٦، القرطبي ٣٠/١٦.

[7]) انظر زاد المسير ١٢٦/٦، وأوله في معاني القرآن للزجاج ٩٢/٤، وكذلك في معاني القرآن للنحاس ٨٣/٥ ، الدر المصون ٢٠٢/١١.

أي: ملحقون لحقنا فرعون وقومه [1] ، وأصل الإدراك اللحاق، يقال: أدرك فلان أيام فلان، وأدرك الزرع ، وأدرك الغلام وأدرك القدر[2] ، قال لهم موسى عليه السلام: كلا ارتدعوا وانزجروا عن هذه المقالة. إن معي ربي ناصري ، وحافظي ، سيهدين إلى طريق النجاة منهم[3] ، فألقى الله تعالى على فرعون ومن معه ضبابة ، فكانوا في شبه الليل وقوم موسى عليه السلام في نهار مشرقين[4]، ثم أوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - أن اضرب بعصاك البحر كما قال عز وجل :

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ [٦٣] فضرب فانفلق أي: انشق فصار فيه اثني عشر طريقاً لكل سبط [5] طريق[6]، ووقف الماء لا يجري فكان بين كل طريقين قطعة من الماء كالجبل العظيم[7]، وهذا البحر هو بحر بحر قلزم ، تسلك الناس فيه من اليمن[8]

---

[1]) الطبري ٥٧٩/١٧ ، الوجوه والنظائر ص٦٥، الكشف والبيان ٤٤٨/٤.

[2]) قال الفراء: حفرت واحتفرت بمعنى واحد وكذلكمُدْرَكون ولَمُدّرَكُون بمعنى واحد. وأنكر النحاس ذلك في إعراب القرآن وقال مُدْرَكون ملحقون ومُدّرَكون مجتهد في لحاقهم ، كما يقال : كسبت بمعنى أصبت، وظفرت واكتسبت بمعنى اجتهدت وطلبت، وهذا معنى قول سيبويه، عن عبيد بن عمير والأعرج وهي قراءة شاذة، معاني القرآن له ٢٨٠/٢، وانظر: المحتسب ١٧٣، القرطبي ٣٢/١٦، المحرر الوجيز ٢٣٣/٤، إعراب القرآن للنحاس ١٨٢/٣.

[3]) الطبري بمعناه ٥٨١/١٧ ، بحر العلوم ٤٧٤/٢، النكت والعيون ٤/ ١٧٣، زاد المسير ١٢٦/٦، الكشاف ٣٩٥/٤، البغوي ص٩٤٠.

[4]) انظر النكت والعيون ١٧٣/٤. الأولى الوقوف عند ما ذكره القرآن فتتبع هذه التفاصيل لا فائدة منه.

[5]) الأسباط: ولد يعقوب عليه السلام، وهم اثنا عشر ولدا، ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم سبط. والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل. انظر: التعريف بالأنساب ، للقرطبي ص٥٩، المحرر الوجيز ٢١٥/١، تفسير ابن كثير٢٣٤/١.(عند تفسيرهما الآية [١٣٦] من سورة البقرة).

[6]) انظر الطبري ٥٨١/١٧ ، بحر العلوم ٤٧٤/٢، النكت والعيون ١٧٣/٤، البغوي ص٩٤٠، زاد المسير ١٢٦/٦، الكشاف ٣٩٥/٤، القرطبي ٣٢/١٦.

[7]) تفسير مقاتل ٤٥٢/٢، الطبري ٥٨٥/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٢/٤، تأويلات أهل السنة ٦١/٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن إسحاق. ٢٧٧٣/٨، بحر العلوم ٤٧٥/٢، الكشف والبيان ٤٤٩/٤، النكت والعيون ١٧٤/٤، الكشاف ٣٩٥/٤.

[8]) اليمن: بلاد واسعة من عمان إلى نجران،سميت اليمن الخضراءَ لكثرة أشجارها وثمارها و زروعها والبحر مطيفٌ بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلي المغرب يفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان ويَبرين إلى حدّ ما بين اليمن واليمامة. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٤، معجم البلدان ٤٤٧/٥.

إلى مصر[١][٢].

وقوله: ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴾ [٦٤] أي: أدنينا بعضهم من بعض وقربناهم من البحر[٣]، ويقال: جمعناهم فيه[٤] بما يسّرنا لبني إسرائيل من سلوك البحر، فكان ذلك سبب قربهم من البحر حين اقتحموه، وتسمى المزدلفة مزدلفة لاجتماع الناس فيها[٥].

قوله: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ [٦٥] أي: من الغرق.

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ الآية: [٦٦] فرعون وقومه.

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ أي: في الانفلاق الذي صار سبب نجاة بني إسرائيل، وفي الانطباق الذي كان سبب غرق فرعون وقومه، لأنه[٦] على توحيد الله تعالى وصدق نبوة موسى عليه السلام[٧] ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٦٧] أي: لم يكن أكثر قوم فرعون مع وضوح الأدلة لهم على وحدانية الله تعالى وصدق نبوة موسى ـ عليه السلام ـ مؤمنين[٨].

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ [٦٨] القاهر المنتقم من الكفار، الرحيم بالعباد.

قوله عز وجل: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٦٩] أي: واقرأ يا محمد ﷺ على قومك خبر إبراهيم عليه السلام.

---

[١]) مصر: ناحية مشهورة، سميت بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح، عليه السلام، وهي أطيب الأرض تراباً وأبعدها خراباً، فتحها عمرو بن العاص في عهد عمر بن الخطاب، ومن عجائبها نهر النيل. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٠٥، خطط المقريزي ١ / ٣٦٢، معجم البلدان ٥ / ١٣٧.

[٢]) وقال مقاتل: هو نهر النيل ٤٥٣/٢، وكذلك ذكر الماوردي في النكت والعيون ١٧٤/٤ ، وابن عطية في المحرر الوجيز عن النقاش. ٢٣٤/٤، و ذكر القرطبي أنه بحر القلزم (أي: البحر الأحمر الآن). ٩٣/٢، التسهيل لابن جزي ٢٩٤/٢. وحيث لم يرد بذلك دليل، فلا يمكن الجزم به والله تعالى أعلم.

[٣]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٢، أخرجه الطبري عن ابن عباس وقتادة والسدي ٥٨٦/١٧، تأويلات أهل السنة ٦١/٨، الكشف والبيان ٤٤٩/٤، النكت والعيون ١٧٥/٤، زاد المسير ١٢٧/٦.

[٤]) تأويلات أهل السنة ٦١/٨، و ورد هذا القول عن أبي عبيدة في مجاز القرآن ٨٧/٢، وكذلك أورده الماوردي في النكت والعيون عنه ١٧٥/٤، الكشاف ٣٩٥/٤، القرطبي ٣٣/١٦.

[٥]) انظر الطبري ٥٨٨/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٣/٤، تأويلات أهل السنة ٦١/٨، القرطبي ٣٣/١٦، البغوي ص٩٤٠.

[٦]) هكذا في النسختين ، والصحيح لآية.

[٧]) الطبري بمعناه ٥٨٨/١٧ ، تأويلات أهل السنة ٦١/٨.

[٨]) انظر الكشف والبيان ٤٤٩/٤، البغوي ص٩٤٠، زاد المسير ١٢٧/٦، القرطبي ٣٤/١٦.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [٧٠] أي شيء تعبدون؟

﴿قَالُوا/ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [٧١] أي: مقيمين على عبادتها[١]. ٤٣٧/ ب

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [٧٢] أي: هل يسمعون دعاءكم إن دعوتموهم[٢] دعوتموهم[٢] أو هل ينفعونكم إن عبدتموهم؟ أو هل يضرونكم إن تركتم عبادتهم؟ [٣].

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [٧٤] فنحن نقتدي بهم ، وكان هذا القول منهم انقطاعًا وتحيرًا في بدئه [٤].

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [٧٥] أي: قال لهم إبراهيم عليه السلام: أرأيتم هذا الذي تعبدونه.

﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾ [٧٦] المتقدمون، فإن جميع من تعبدونهم عدو لي إلا رب العالمين. روى أنهم كانوا يعبدون مع الله الأصنام فتبرأ إبراهيم عليه السلام من جميع ما كانوا يعبدونه إلا من عبادة الله عز وجل،وسمّى جميع ما كانوا يعبدونه من الأصنام عَدُوا له ،على معنى أنه لو عبدهم لكانوا أعداءه يوم القيامة، وكانوا كالعدو في الضرر به من جهة عبادتها [٥] ، وذكر قوله

---

[١]) الطبري ٥٨٩/١٧، تأويلات أهل السنة ٦٣/٨، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة نحوه ٢٧٧٨/٨، البغوي ص٩٤٠، معاني القرآن للزجاج ٩٣/٤، معاني القرآن للنحاس ٨٦/٥، وقال بعضهم : كانوا يعبدونها نهارًا وفي الليل يعبدون الكواكب ، كما يقال "ظل يفعل كذا إذا فعله نهارا وبات يفعل كذا إذا فعله ليلاً ، ورجح القرطبي أنه ليس المراد وقتا معينا ، بل هو إخبار عما هم فيه. تفسير القرطبي ٣٦/١٦.

[٢]) تفسير مقاتل ٤٥٤/٢، الطبري ٥٨٩/١٧ ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٧٧٨/٨، الكشاف ٣٩٧/٤، القرطبي ٣٦/١٦.

[٣]) تفسير مقاتل ٤٥٤/٢، الطبري بنحوه ٥٩٠/١٧ ، تأويلات أهل السنة ٦٣/٨، زاد المسير ١٢٨/٦، القرطبي ٣٦/١٦.

[٤]) لأنه كما قال ابن جرير في تفسيره : " إن بل رجوع عن جحود كقول القائل : ما كان كذا بل كذا وكذا" ٥٩٠/١٧ ، وقال الثعلبي في الكشف والبيان: " وفي هذه الآية بيان أن الدين إنما يثبت بالحجة وبطلان التقليد فيه ". أهـ ٤٥٠/٤ ، لذا كان ردهم انقطاعًاوتحيرًا.

[٥]) ورد عن ابن قتيبة أنه من المقلوب ، ومعنى المقلوب :"أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفاؤل" والمعنى فإني عدو لهم. تأويل مشكل القرآن ص ١١٨، الطبري بمعناه ٥٩١/١٧ ، وأورده النحاس في معاني القرآن عن الفراء ٨٧/٥ ، البغوي ص٩٤١، زاد المسير ١٢٨/٦، القرطبي ٣٧/١٦، ووافق ابن كثير ابن قتيبة. ٤١٥/٣ ، وكذا ذكر السمين الحلبي: أنه متصل، وهو قول الزجاج. الدر المصون ٢٠٦/١١.

(عدو لي) على التوحيد في موضع الجمع على معنى أن كل واحد منهم عدوّ لي [١].

ويقال: إن قوله: (عدو) في موضع المصدر كأنه قيل: فإنهم ذوو عداوة فوقعت الصفة في رجل عدل[٢] ويجوز أن يكون قوله: (إلا رب العالمين) استثناء منقطعًا [٣] ومعناه ولكن:

﴿ رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي ﴾ [٧٧،٧٨] ليس بعدو لي[٤]

﴿ فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [٧٨] أي: يرشدني إلى الحق، وذلك أنهم كانوا يزعمون أن أصنامهم هي التي تهديهم، فقال إبراهيم عليه السلام ردًا عليهم: الذي خلقني فهو يهدين، والذي يشبعني إذا جعت ، ويرويني إذا عطشت، وإذا مرضت فهو الذي يشفيني من المرض[٥] وهو الذي يميتني في الدنيا ثم يحيين يوم القيامة للجزاء [٦]، وأضاف المرض إلى نفسه لأن أكثر ما يكون من المرض المرض يكون بكسب العبد على نفسه [٧]، كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [٨].

---

[١]) الكشف والبيان ٤/٤٥٠، زاد المسير ٦/١٢٨، التبيان للعكبري ٢/١٦٧. وقد تقدم هذا المعنى في نفس السورة انظر ص ١٠٣ .

[٢]) الطبري ١٧/٥٩١، التبيان للعكبري ٢/١٦٨.

[٣]) سبق ذكر معنى الاستثناء المنقطع في سورة الفرقان انظر ص ٨٥.

[٤]) تفسير مقاتل ٢/٤٥٤، معاني القرآن للفراء ٢/٢٨١، معاني القرآن للزجاج ٤/٩٣ ، بحر العلوم ٢/٤٧٥، الكشف والبيان ٤/٤٥٠، الكشاف ٤/٣٩٨، زاد المسير ٦/١٢٨ ، التبيان للعكبري ٢/١٦٨، وذكر أن هذا قول أكثر المفسرين وذكر عن ابن زيد أنه استثناء من الجنس فإنهم كانوا يعبدون الله مع آلهتهم. القرطبي ١٦/٣٧، الدر المصون ١١/٢٠٦.

[٥]) انظر زاد المسير ٦/١٢٩.

[٦]) هذا ظاهر الآية، وقد ذكر كثير من المفسرين بعضا من التأويلات التي هي أشبه بتأويلات الصوفية ، حيث عدلت بالآيات عن ظاهرها، فلا حاجة .

[٧]) بحر العلوم ٢/٤٧٥، الكشاف ٤/٣٩٨، وذكر وجهًا آخر وهو: أنه أراد الثناء على ربه فأضاف إليه الخير المحض؛ لأنه لو قال أمرضني لعدّ قومه ذلك عيبا فاستعمل حسن الأدب ، ونظيره في قصة الخضر حين قال في العيب ﴿ فَأَرَدتُّ ﴾ وفي الخير المحض ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ سورة الكهف [٧٩- ٨٢] ، زاد المسير ٦/١٢٩، القرطبي ١٦/٣٨، التفسير القيم ص ٥٥٥.

[٨]) سورة الشورى: [٣٠].

فلذلك أضافه إلى نفسه [١] ، وكان القوم يقولون: إن المرض من الزمان والأغذية ، والشفاء من الأطباء والأدوية [٢].

قوله : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [٨٢] أي: أعلم أن يغفر لي يوم الحساب [٣]. وذكر بلفظ الطمع؛ لأن ذلك أقرب إلى حسن الأدب ، وقد يذكر الطمع بمعنى العلم[٤]، كما يذكر الظن بمعناه [٥]، كما في قوله :
﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [٦].

---

١) وذكر البغوي في تفسيره وجها آخر وهو: " أن ذلك استعمالا لحسن الأدب مع الله عند نسبة الشر إلى الله " ٩٤١، وفي الحديث: "والشر ليس إليك".أخرجه مسلم في صحيحه كتاب/ صلاة المسافرين وقصرها، باب/ الدعاء في صلاة الليل وقيامه.، حديث رقم(٧٧١) ٥١/٦، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب/ الصلاة ، باب /ما يستفتح به الصلاة من الدعاء،حديث رقم(٧٥٦) ٣٢٨/٢، والترمذي في سننه كتاب/ الدعوات عن رسول الله ﷺ باب/ ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، حديث رقم(٣٤٢٢)٣٢٤/٤، النسائي في سننه كتاب/ الافتتاح، باب/ نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة ، حديث رقم(٨٩٧)٣٥٢/١١، وانظر عون المعبود ٣٦٨/١١.

٢) انظر مفاتيح الغيب ٢٤ / ١٢٥، البحر ٢٣/٧ ، تفسير السمعاني ٥٢/٤. الإضافة هنا سببيه ، وإلا فالشفاء من الله ـ عز وجل ـ وقد لا ينفعه الله بالسبب ، فليس كل دواء ينفع.

٣) أراد بالخطيئة قوله: ﴿إِنِّي سَقِيم﴾ سورة الصافات: [٨٩] و﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ سورة الأنبياء: [٦٣] و قوله لسارة إنها أختي ، تفسير مقاتل ٤٥٥/٢، وذكره الطبري عن مجاهد ٥٩٣/١٧، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا ٢٧٨٠/٨ ، بحر العلوم ٤٧٥/٢، والثعلبي في الكشف والبيان عنه وعن مقاتل أيضًا ٤٥٣/٤، وزاد الحسن : وقوله للكوكب ﴿هَذَا رَبِّي﴾ سورة الأنعام: [٧٨] القرطبي ٤٠/١٦، البغوي ص٩٤١، والحديث في البخاري ومسلم، وقوله هذا ليس خطيئة ، بل هو مجاراة للخصم ، قال ابن حجر في الفتح : وقيل قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيهًا على أن الذي يتغير لا يصلح للربوبية، وهذا قول الأكثر.أهـ ، كما أنه لا يعد كذبًا بل هو من باب التورية كما قال أهل العلم ، وقاله توبيخا لقومه أو تهكما بهم. انظر فتح الباري كتاب/ أحاديث الأنبياء باب/ قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) حديث رقم (٣٣٥٨) ٣٩٢٣/٧، مسلم كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم. حديث رقم(٢٣٧١) ٤٧٨/٨.

٤) القرطبي ٤٠/١٦.

٥) لأن في الظن طرفا من اليقين كالآية التي استدل بها وكقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيه﴾ سورة الحاقة: [٢٠]. انظر: تأويل مشكل القرآن ص ١١٩، تحصيل نظائر القرآن ص١٠٦، مفردات القرآن للفراهي ص ٢٩٧.

٦) سورة البقرة: [٤٦].

والمغفرة في يوم الحساب أبلغ في المنة من الستر في الدنيا [١] ، والأنبياء - عليهم السلام - ليس يجوز أن تقع منهم الخطيئة التي تكون كبيرة ، فأما الكبائر فهم معصومون منها؛ لأن كل نبي أفضل من عالم أهل زمانه [٢].
وقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ لم يرد به نبوة بعد نبوة [٣]، وإنما أراد: زدني علمًا إلى علم وفقهًا إلى فقه [٤].
﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [٥][٨٣] وألحقني بلطفك إلى اجتماع [٦] مع النبيين في في الثواب [٧]، وفيه دليل عظم شأن الصلاح الذي هو الاستقامة على ما أمر أمر الله به .
وقوله : ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [٨٤] أراد به: الثناء الحسن[٨].
وقد استجاب الله دعاءه حين تولاه أهل الأديان كلهم[٩] ، ويقال في معناه:

---

[١]) انظر روح المعاني ٩٧/١٩.
[٢]) معاني القرآن للزجاج ٩٤/٤ ، وانظر القرطبي ٤٠/١٦، قال الرازي في مفاتيح الغيب: " الجواب الصحيح أن يحمل ذلك على ترك الأولى ، وقد يسمى ذلك خطأ فإن من ملك جوهرة وأمكنه أن يبيعها بألف ألف دينار فإن باعها بدينار ، قيل إنه أخطأ ، وترك الأولى على الأنبياء جائز.أهـ"١٤٦/٢٤.
[٣]) ممن قال بأن الحكم النبوة: ابن عباس والسدي والكلبي ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي ٨/ ٢٧٨٠، الكشف والبيان ٤٥٣/٤، النكت والعيون ١٧٦/٤، زاد السير ١٣٠/٦، القرطبي ٤١/١٦، وأنكر الفخر الرازي هذا في تفسيره وقال: " لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة ؛ لأن النبوة كانت حاصلة فلو طلب النبوة لكانت النبوة المطلوبة ، أما عين النبوة الحاصلة أو غيرها ، والأول محال لأن تحصيل الحاصل محال ، والثاني محال لأنه يمتنع أن يكون الشخص الواحد نبيًا مرتين.أهـ" مفاتيح الغيب ٢٤ /١٢٨.
[٤]) تفسير مقاتل بنحوه٤٥٥/٢، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره أوله عن ابن عباس ٢٧٨١/٨، وأورد الثعلبي في الكشف والبيان أوله عن مقاتل ٤٥٣/٤، وانظر النكت والعيون ١٧٦/٤.
[٥]) زيادة من (ب).
[٦]) هكذا في النسختين والصحيح الاجتماع.
[٧]) النكت والعيون بمعناه ١٧٦/٤ ، البغوي ص ٩٤١، القرطبي ٤١/١٦.
[٨]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٢، الطبري ٥٩٤/١٧ ، تأويلات أهل السنة ٦٤/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد، وروى عن قتادة مثله ٢٧٨١/٨ ، الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤١٠، القرطبي ٤١/١٦.
[٩]) أخرجه الطبري في تفسيره عن عكرمة ٥٩٤/١٧ ، تأويلات أهل السنة ٦٤/٨، تفسير السمعاني ٥٣/٤، الكشف والبيان ٤٥٤/٤.

اجعل في ولدي من يقوم بالحق ويدعو إليه وهو محمد ﷺ ومن اتبعه ، فإنهم هم الذين أظهروا شرائعه وفضائله [١].

وقوله: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾[٨٥]

أي: أدخلني الجنة ، وذكر بلفظ الإرث ؛ لأن الإرث هو المال الذي يصل إلى الوارث من غير كسب [٢]، والله يعطي الجنةكثيرًا من الناس من غير كسب كسب وهم الصبيان والمجانين، وأما من يعطيه الله الجنة بالكسب فإنه يعطيه أكثر مما يستحقه بكسبه [٣].

---

[١]) تفسير السمعاني بنحوه ٥٣/٤.

[٢]) أضواء البيان ٤٧١/٣، تاج العروس مادة (أرث) بمعناه ١٥٥/٥. والكسب هنا بمعنى العمل (الكاف والسين والباء أصل صحيح وهو يدل على ابتغاء وطلب وإصابة فالكسب من ذلك) معجم مقاييس اللغة ٥ /١٧٩.

[٣]) فالله ـ عز وجل ـ قادر على الإفضال على عباده ابتداء: تكرما، وتفضلا. الملل والنحل ١ / ١١٥، كما ثبت في الحديث أن الله يدخل الجنة بلا عمل ، وينشئ في الجنة خلقا يمتعهم فيها. ورد في الصحيحين في جزء من حديث طويل رواه أبو سعيد الخدري وفيه : (فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ...) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) حديث رقم(٧٤٣٩) ٥١٧/١٣. وقال العلامة الألوسي عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة الأعراف [٤٣]. قال: والميراث مجاز عن الإعطاء أي أعطيتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة، والباء للسببية ، وتجوز بذلك عن الإعطاء ؛إشارة إلى أن السبب فيه ليس موجبا وإن كان سببا بحسب الظاهر كما أن الإرث ملك بدون كسب، وإن كان النسب مثلا سببا له. والباء في قوله صلى الله عليه و سلم على ما في بعض الكتب : (لن يدخل أحدكم الجنة بعمله) وكذا في قوله عليه الصلاة و السلام على ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وجابر: (لن ينجو أحد منكم بعمله) للسبب التام فلا تعارض. وجوز أن تكون الباء فيما نحن فيه للعوض أي بمقابلة أعمالكم. وقيل : تلك الإشارة إلى منازل في الجنة هي لأهل النار لو كانوا أطاعوا جعلها الله تعالى إرثا للمؤمنين ، فقد أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن السدي قال : ما من مؤمن ولا كافر إلا وله في الجنة والنار منزل مبين فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ودخلوا منازلهم رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها فقيل هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله تعالى ثم يقال : يا أهل الجنة: رثوهم بما كنتم تعملون. فيقتسم أهل الجنة منازلهم).أهـ. روح المعاني. ٨ / ١٢١، وهذا هو القول الصحيح الذي ذكره ابن عطية عند آية سورة الأعراف بقوله: ودخول الجنة إنما هو بمجرد رحمة الله تعالى والقسم فيها على قدر العمل وأورثتم مشيرة إلى الأقسام.

قوله: ﴿وَاغْفِرْ لأَبِي﴾[٨٦] أي: اهده وإنما دعا لأبيه لموعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه[١][٢].

والضال هو الذاهب عن طريق الحق، وفي لفظ الضآل دليل أنه كان كافرًا كفر جهل لا كفر عناد [٣].

وقوله: ﴿وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُون﴾[٨٧] أي: لا تفضحني ولا تهتك ستري يوم القيامة وإنما قال ذلك مع علمه بأنه لا يخزيه إما على طريق التعبد [٤]، وإما ليكون قوله حثًا لغيره على الاقتداء به في مثل هذا الدعاء[٥].

وقوله: ﴿يَوْمَ / لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون﴾[٨٨] وصف من الله تعالى لذلك اليوم، أي:[٦] لا ينفع ذلك اليوم ذا مال ماله الذي كان له في الدنيا، ولا ينفعه بنوه ولا يواسوه بشي من طاعاتهم ولا يحملون عنه شيئًا من معاصيه. ٤٣٧/أ

وقوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم﴾[٨٩] معناه: لكن من أتى الله بقلب سليم من الشرك[٧]..

---

[١]) بحر العلوم ٤٧٦/٢، زاد المسير ٥٠٩/٣، القرطبي ٤٠٠/١٠، فتح الباري كتاب/تفسير القرآن باب/ (ولا تخزني يوم يبعثون) حديث رقم(٤٧٦٩) ٦٤٠/٨.

[٢]) قال أبو منصور في التأويلات: (وعدها إياه): الإسلام فكان استغفاره لأبيه على وعد الإسلام فإنما كان استغفاره بعد إسلامه... ثم تبرأ منه إذ تبين له أنه من أهل النار. ويحتمل أن يكون استغفاره لأبيه: طلب السبب الذي به منه يستوجب المغفرة وهو التوحيد والإسلام (واغفر لأبي..) أي: أعطه السبب الذي به يستوجب المغفرة وهو التوحيد: كأن سؤاله سؤال التوحيد إذ لا يحل طلب المغفرة للكافر.٤٩٣/٥، القرطبي ٤٠٠/١٠، ابن كثير ٤١٦/٣.

[٣]) من معاني ضل: أي ذهب عن الطريق، وأضل البعير والفرس ذهبا عنه. لسان العرب مادة(ضلل)٣٩٥/١١، وكفر الجهل والتكذيب هو: انتفاء تصديق القلب مع عدم العلم بالحق. قال بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾سورة يونس: [٣٩] ، أما كفر العناد والاستكبار فهو: انتفاء عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه.أهـ"معارج القبول للحكمي ٥٩٣/٢.

[٤]) تنزيه القرآن عن المطاعن بلفظ: على وجه الانقطاع إلى الله والتمسك بالخضوع. ص٢٩٧، القرطبي ٤٠/١٦.

[٥]) الكشاف ٣٤٩/٤، وأنكر ذلك الفخر الرازي في تفسيره ١٤٥/٢٤.

[٦]) في (ب) الذي.

[٧]) تفسير مقاتل ٤٥٥/٢، وأخرجه الطبري عن قتادة وابن زيد ٥٩٦/١٧، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه وعن مجاهد في أحد قوليه ٢٧٨٣/٨، وذكر في النكت والعيون عن الحسن وابن زيد ١٧٧/٤.

والشك [١] فإنه ينفعه سلامة قلبه، والسليم:فعيل بمعنى فاعِل من السلامة[٢].
وفي الحديث: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [٣].
ويقال القلب السليم هو: القلب اللديغ، وهو القلب الذي فيه الوجل من خشية الله عز وجل[٤]، وفي هذه الآيات دليل أن الذي يستحق الألوهية وأن يعبده الناس الناس هو الخالق، الهادي، المطعم، المسقي، النافع، الضار، القادر على كل شي يعجز غيره عنه، لا من لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء [٥].
قوله عز وجل: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٩٠] معناه: وأدنيت لهم زيادة في سرورهم ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [٦][٩١] وأظهرت الجحيم للضالين زيادة في عقوبتهم[٧].
والتبريز: تمكين الظهور بالخروج من الحجب[٨] وفي رؤية الإنسان ما أُعِدَ أُعِدَ له من العذاب لشدة ألم قلبه [٩].

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٥٩٦/١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا في أحد قوليه ٢٧٨٣/٨، وقال الثعلبي في الكشف والبيان :" خالص من الشرك والشك ، فأما الذنوب فلا يسلم منها أحد " هذا قول أكثر المفسرين. ٤٥٤/٤، وقال ابن القيم : الأمر الجامع لذلك: أنه الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره. ص ٣٩٤، النكت والعيون عن مجاهد ١٧٧/٤.

[٢]) انظر: المخصص لابن سيده ٤ / ٣٣٠، الخصائص لابن جني (باب في تركُّب اللغات). ١ / ٣٧٤.

[٣]) هذا طرف من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ الذي أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب/ فضل من استبرأ لدينه. حديث رقم (٥٢) ٢٠/٢، وأخرجه مسلم في كتاب المساقاة باب/ أخذ الحلال وترك الشبهات حديث رقم (١٥٩٩)٢٢/١١.

[٤]) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان عن الجنيد ٤٥٤/٤، المحرر الوجيز ٢٣٦/٤، زاد المسير ١٣٧/٦، القرطبي ٤٤/١٦.

[٥]) البغوي ص ٩٤١ ، زاد المسير ١٢٩/٦.

[٦]) زيادة من (ب) .

[٧]) انظر الطبري ٥٩٧/١٧ ، معاني القرآن للزجاج ٩٤/٤، بحر العلوم ٤٧٧/٢، الكشف والبيان بنحوه ٤٥٥/٤ ، القرطبي عن أبي عبيدة. ٤٥/١٦ ، وذكر أوله في مجاز القرآن ٨٧/٢.

[٨]) الصحاح للجوهري (برز) بنحوه ٣٨/١، تاج العروس مادة(برز) ١٩/١٥ ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير(الباء مع الراء) ٢٩٥/١.

[٩]) القرطبي بمعناه ٤٦/١٦ ، الكشاف ٤٠٠/٤.

وقوله : ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [٩٢- ٩٣] معناه: وقيل للضالين: أين آلهتكم التيَ كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل يدفعون عنكم العذاب؟ أو هل ينتصرون لأنفسهم؟

وقوله: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [٩٤- ٩٥]
معناه: وجمعوا فيها بطرح بعضهم علىَ بعض[١] وهم كفار مكة وكفار الإنس والجن وآلهتهم وذرية إبليس وهم الشياطين[٢]حتى صاروا كبّةً واحدة ومن ذلك تسمى المكبة [٣].

وفي الحديث ينزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة [٤] أي: جماعة[٥].

ويجوز أن يكون معنى كبكبوا أي: ألقوا فيها على رؤوسهم[٦] وحقيقته في اللغة:تكرير الكّب على الوجه، كأنه إذا القي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها.

---

[١]) غريب القرآن لليزيدي بمعناه ص٢٨٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وابن زيد ٥٩٨/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٤/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهما وقال: روي عن السدي مثله ٢٧٨٥/٨، بحر العلوم ٤٧٧/٢، لسان العرب ٦٩٥/١.

[٢]) انظر الطبري ٥٩٨/١٧، الكشف والبيان ٤٥٥/٤ ، النكت والعيون ١٧٨/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٦٠، زاد المسير ١٣٢/٦، تفسير ابن كثير بنحوه. ٤١٨/٣.

[٣]) لم أجد لهذا الاسم مصدرًا فيما وقفت عليه. وجاء في لسان العرب: في حديث معاوية إنكم لتقلبون حولا قلبا إن وقي كبة النار، الكبة بالفتح: شدة الشيء ومعظمه ، وكبة النار: صدمتها، وأكب على الشيء: أقبل عليه يفعله ولزمه. مادة(كبب) ١ / ٦٩٥، وقال أصحاب الفراء : الكبة المزبلة. الفائق في غريب الحديث ٣ / ١٤٨.

[٤]) الحديث: (إذا كان ليلة القدر ونزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله..) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم (٣٧١٧) ٣٤٣/٣، وهو حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال: هذا حديث لا يصح. وأصرم هو ابن حوشب. قال يحيى: كذاب خبيث وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقاة. أهـ ١٨٨/٢. ميزان الاعتدال (١٠١٧) ٢٧٢/١، اللآليء المصنوعة للسيوطي ٢ / ٨٤، تنزيه الشريعة المرفوعة للكناني ٢ / ١٤٤.

[٥]) المجموع المغيث(كبب) ٥/٣، بحر العلوم ٤٧٧/٢، معاني القرآن للنحاس بمعناه ٨٩/٥، النهاية في غريب الحديث ٢٢٠/٧، لسان العرب مادة(كبب) ١ / ٦٩٥، تاج العروس مادة(كبب) ٤ /٩٣.

[٦]) تأويلات أهل السنة عن ابن قتيبة ٦٧/٨، بحر العلوم ٤٧٧/٢، ورد في النكت والعيون عن السدي وابن قتيبة ١٧٨/٤، معاني القرآن للنحاس ٨٧/٥.

كما قال: بريحٍ صرصر أيٍ:صررٌ[1].

وقوله : ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾[٩٦] في النار مع آلهتهم ورؤسائهم تالله ما كنا إلا[في ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين][2]، في ذهاب عن الصواب بيّن إذ سّوينا بينكم وبين رب العالمين في العبادة والتسمية[3]، يقرون على أنفسهم بالخطأ، ويقولون:وما أضلّنا بالدعاء إلى الضلال إلا المجرمون فمالنا من شافعين أي ليس لنا من أحد يشفع لنا، ولا صديق ذي قرابة يهمه أمرنا ، والصديق: الصاحب الذي يصدق في المودة.

والحميم: القريب الذي يتحمى بغضب صاحبه [4]، والماء الحميم هو الحامي ومنه الحمىّ [5].

وقوله : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾[١٠٢] إخبار عن زعمهم أنه لو وقعت لهم كرة إلى الدنيا لكانوا مؤمنين ، وليس كما يقولون لإخبار الله عنهم: أنهم لو ردوا لعادوا لما نهى الله عنه [6].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾[١٠٣] أي: في محاجة إبراهيم عليه السلام قومه في إخباره باختصام أهل النار، وتبري بعضهم من بعض لعظة للعقلاء[7] ومع ذلك لم يؤمن أكثر قومه [8] ولم يعتبروا ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي: الغالب على تعجيل الانتقام الرحيم بالإمهال إلى أن يؤمنوا، والمنعم عليهم بعد التوبة .

قوله عز وجل : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾[١٠٥]

---

[1]) الطبري ٥٩٧/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٤/٤، بحر العلوم ٤٧٧/٢، الكشف والبيان ٤٥٥/٤، زاد المسير ١٣٢/٦، مفاتيح الغيب ١٣١/٢٤، تهذيب اللغة مادة(صرر) ١٢ / ١١٣، لسان العرب مادة(صرر) ٤٥٠/٤.

[2]) زيادة من (ب).

[3]) تأويلات أهل السنة ٦٨/٨، وذكر في التفسير القيم العبادة دون التسمية. ص ٣٩٦.

[4]) تفسير السمعاني ٥٥/٤، و ذكره الماوردي في النكت والعيون عن ابن عيسى ١٧٨/٤، القرطبي عنه أيضاً ٤٨/١٦ ، و الحميم : القرابة ... قال الجوهري : حميمك قريبك الذي تهتم لأمره. لسان العرب مادة(حمم) ١٢ /١٥٣.

[5]) معاني القرآن للنحاس ٩٠/٥، القرطبي ٤٨/١٦، لسان العرب مادة(حمم) ١٢ /١٥٣.

[6]) كما قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ سورة الأنعام:[٢٨]

[7]) الطبري بمعناه ٦٠١/١٧، تفسير ابن كثير دون آخره. ٤١٨/٣.

[8]) زاد في (ب) في إخباره.

معناه: كذبت جماعة قوم نوح[1] نوحًا عليه السلام ومن قبله من الرسل، ومن سيكون بعده من الرسل، وذلك أنه كان يدعوهم إلى التوحيد وخلع الأنداد، وبهذا بعثت الرسل عليهم السلام ففي تكذيب الواحد تكذيب الآخرين [2].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ معناه: قال لهم أخوهم في النسب[3]: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١٠٦] عبادة غير الله فتتركون ما أنتم عليه، وإنما أرسل الله إلى كل قوم رسولاً من نسبهم؛ لأن ذلك أدعى إلى القبول من أن يبعث إليهم من لا يعرفون صدقه وأمانته ولسانه ولذلك قال نوح عليه السلام:

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٠٧] أي: كنت أمينًا فيكم قبل اليوم، فكيف تتهموني اليوم؟[4]

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[١٠٨] فيما أمركم به، و أطيعون فيما أدعوكم إليه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾[١٠٩] على تبليغ الوحي والرسالة مالاً فيصدكم ذلك /عن القبول مني وتعتقدون فيّ الطمع، إن أجري أي: ما ثوابي إلا على الذي أرسلني، فاتقوا عقاب الله واتبعوا أمري وديني، إذ الدلالة قد وضحت لكم، وتكرير قوله: (فاتقوا الله و أطيعون) لأني رسول أمين، (واتقوا الله و أطيعون) لأني لا أسألكم عليه من أجر فتخافوا ثلم[5] أموالكم به، فأجابوه بما قال الله عز وجل:

٤٣٨/ ب

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[١١١]أي: قال له قومه: أنُقربّك ونصدقك وقد اتبعك سفلتنا، وهم الأرذلون الأقلون [6] وكان آمن بنوح ـ عليه السلام ـ

---

[1]) تأويلات أهل السنة ٦٩/٨، وذكر في زاد المسير عن الزجاج ١٣٣/٦، القرطبي ٥٠/١٦.

[2]) سبقت الإشارة في سورة الفرقان ص ٧٤، إلى أن المقصود نوح وحده، حيث إن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وانظر: تأويلات أهل السنة ٦٩/٨، بحر العلوم ٤٧٨/٢، الكشف والبيان ٤٥٦/٤، القرطبي ٥٠/١٦.

[3]) تفسير مقاتل ٤٥٧/٢، تأويلات أهل السنة ٦٩/٨، الكشف والبيان ٤٥٦/٤، البغوي ص٩٤٢، المحرر الوجيز ٢٣٧/٤، زاد المسير ١٣٣/٦.

[4]) تأويلات أهل السنة ٦٩/٨، بحر العلوم ٤٧٨/٢، الكشاف ٤٠٣/٤، القرطبي بمعناه ٥٠/١٦.

[5]) ثلم الجدار و غيره ثلما أحدث فيه شقا، و الإناء كسر حرفه، و يقال: ثلم في ماله، و في عرضه و السيف صيره غير ماضي القطع. وثلم الشيء ثلما صارت فيه ثلمة، يقال: ثلم الوادي انكسر جانبه و ثلم الطريق تحفر. المعجم الوسيط مادة(ثلم) ١ /٩٩، لسان العرب مادة(ثلم) ١٢ /٧٨.

[6]) تأويلات أهل السنة ٧١/٨، بحر العلوم ٤٧٨/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٧٨٨/٨، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان عنه وعن مقاتل والكلبي ٤٥٦/٤.

ضُعفاء قومه ، ونساؤه ، وبنوه وكان أكثر من اتبعه يختصون بصناعات خسيسةٍ مثل الحوكة [١]
و الأساكفة [٢][٣] ؛ فلذلك قال أشراف قومه: واتبعك الأرذلون، ويقرأ: وأتباعك [٤] الأرذلون أي: أشياعك وأهل دينك ، قال لهم نوح عليه السلام:
﴿ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١١٢] أي: لا أسأل عما كانوا يعملون ولا اطلب علم ذلك، وإنما العيب في المعاصي إذ [لا عيب في][٥] في خسَّة الصناعة، وفي هذا الجواب الذي ذكره نوح ـ عليه السلام ـ ما يدل على أن قومه نسبوا أتباعه الذين آمنوا به إلى أعمال منكرة ؛ يريدون بذلك إغراءه عليهم، وإغراءهم عليه وإفساد ما بينهم. وفي قوله:
﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [١١٣] ما يدل على أنهم نسبوهم إلى النفاق وإضمار الكفرَ ، فقال: إن حسابهم أي: ما جزاؤهم إلا على ربي لو تعلمون ذلك [٦]
﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١١٤] أي: لا أطردهم من عندي مع إظهارهم الإيمان بسبب فقرهم ولا بسبب طعنكم عليهم.
﴿ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[١١٥] أي: معلم بموضع المخافة ليحذروها فمن قبل قربته ومَن رده بَاعدته، لم أكلف علم ما في الضمائر، روي أنه لما قال لهم

---

[١]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٧٨٨/٨، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان عن ابن عباس وعكرمة في أحد قوليه ٤٥٦/٤، النكت والعيون عن مجاهد ١٧٩/٤، وفي زاد المسير عن ابن عباس وعكرمة ١٣٤/٦.
[٢]) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان عن عكرمة في أحد قوليه ٤٥٦/٤، وفي الكشاف عن قتادة ومجاهد ٤٠٤/٤، النكت والعيون عن ابن بحر ١٧٩/٤، وفي زاد المسير عن عكرمة ١٣٤/٦.
[٣]) (الحوكة): حاك الثوب يحوكه حوكا وحياكا وحياكة نسجه ورجل حائك من قوم حاكة وحوكة أيضا. لسان العرب مادة(حوك)١٠ / ٤١٨.
(الاساكفة) قال الجوهري: الإسكاف واحد الأساكفة وقال ابن سيده: والسيكف والأسكف والأسكوف والإسكاف كله الصانع أيا كان وخص بعضهم به النجار. لسان العرب مادة(سكف) ٩ / ١٥٦.
[٤]) (وأتْباعُك) بفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين قراءة يعقوب. وقرأ الباقون (وأتبعك). النشر ص ٤١٩، زاد المسير ١٣٤/٦، الدر المصون ٢١٢/١١.
[٥]) زيادة يقتضيها السياق. انظر: معاني القرآن للزجاج ٩٥/٤، الكشاف ٤٠٤/٤.
[٦]) الطبري ٦٠٢/١٧، تأويلات أهل السنة ٧١/٨، القرطبي ٥٢/١٦.

ذلك قصدوا إلى من آمن بنوح عليه السلام فوعظوهم وعاتبوهم[1]، فقالوا كما قال الله عز وجل:

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [١١٦]

معناه: قالوا لئن لم تنته عن هذه المقالة لنقتلنك بالحجارة [2] كما قتلنا كثيرًا ممن آمن بك. قال: يا رب إن قومي كذبون، فاحكم بيننا بالفصل الذي فيه نجاتنا وهلاك عدونا ومعاملة كل واحد منا بما يستحق، وخلصني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه أي: خلصناه ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الإنس والبهائم والسباع والطيور[3] ، ثم أغرقنا ـ بعدما ركبوا في السفينة مَنْ خارج السفينة، إن في إغراق الله تعالى القوم الكافرين، وفي إنجاء المؤمنين في السفينة ؛ لآية تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وما كان أكثر[4] قوم نوح ـ عليه السلام ـ مؤمنين مع قيام الحجة وانتفاء الشبهة[5]، (وإن ربك لهو العزيز) أي: القادر على أخذ الأعداء المنتقم منهم، منهم، الرحيم بالأولياء المنعم عليهم.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٢٣] معناه: كذبت قوم هود [6] هودًا عليه [7] السلام وجماعة المرسلين.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ [١٢٤] في النسب هود " ألا تتقون " عبادة غير الله كالرَجل يريد أن يأمر غيره بشي فيقول له: ألا تفعل كذا ، كان ذلك اللفظ

---

[1]) في النسختين بصيغة المفرد.

[2]) تأويلات أهل السنة ٧١/٨،، معاني القرآن للزجاج ٩٥/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٧٨٩/٨، بحر العلوم ٤٧٨/٢، وكذلك الثعلبي في الكشف والبيان عنه ٤٥٧/٤، النكت والعيون ١٧٩/٤.

[3]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ٢٧٩١/٨، بحر العلوم ٤٧٨/٢، زاد المسير ١٣٥/٦، القرطبي ٥٤/١٦، البغوي ٩٤٣.

[4]) في (ب) أكثرهم .

[5]) الشبهة : ما لم يتيقن ، أو ما ثبت ظنا بغير دليل. انظر التعريفات ص١٦٥.

[6]) وهم قوم عاد. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي ومحمد بن إسحاق. ٢٧٩٢/٨، تفسير ابن كثير ٤١٩/٣.

[7]) في (ب) عليهم .

ألطف من قوله له افعل كذا [1]، وأما لفظ الأخوة في الآية فهو: كالرجل يقول يا أخا تميم [2].

وقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [١٢٥] أي: أرسلني الله إليكم وائتمنني على الرسالة ، ومعلوم أن الذي يدعي الأمانة من غير أن يكون معروفًا بالأمانة يرجع قوله ذلك إلى زيادة التنفير عنه .

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [١٢٦] أي: في ترك تكذيب الرسل .

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [١٢٧] فيه بيان أن الذي يدعو إلى الله عز وجل لا ينبغي له أن يطمع فيمن يدعوه إليه بوجه من الوجوه.

وقوله : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [١٢٨] أي: على كل طريق [3] منظرًا متميزًا عن سائر الأبنية تعبثون بذلك. وسمي الطريق: ريعًا من قولهم فلان يريع إلى حلم أي: يرجع إليه [4].

ويقال الريع بكسر الراء: عبارة عن المكان العالي المشرف، وجمعه: أرياع وريعة وهو بفتح الراء مصدر من راع يريع ريعًا إذا زاد ، كما يقال:طَحْن وطِحْن ومن هذا يسمى ارتفاع الأرض ريعًا [5] وسمى بناؤهم عبثًا؛ لأنهم كانوا / يسرفون في البناء فيبنون فوق الحاجة، يقصدون بذلك التفاخر والتكاثر والتوقي عن مكاره الزمان، وكل واحد من هذه الأشياء عبث، فإن كل لعب لا لذة فيه يسمى :عبثًا، وأما الذي يكون فيه لذة فهو: لعب [6].

٤٣٨/أ

---

[1]) انظر التحرير والتنوير ١٥٨٠/١٩، روح المعاني ٦٠/١٠.

[2]) المراد أخو النسبة إلى القوم أي: واحدا منهم ، قال أبو منصور: لأنهم جميعا ولد آدم على بعد من آدم، فعلى ذلك هم إخوة فيما بينهم على بعد بعضهم من بعض. تأويلات أهل السنة ٧٣/٨، و انظر القرطبي ١٦/ ، اللباب لابن عادل ٥٦/١٥، البحر ٢٩/٧.

[3]) تفسير الضحاك ٦٣٦/٢، تفسير مقاتل ٤٥٩/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ٦٠٨/١٧، تأويلات أهل السنة ٧٤/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهما وعن السدي ٧٩٣/٩.

[4]) ورد أوله في معاني القرآن للنحاس عن قتادة والضحاك ٩٢/٥.

[5]) معاني القرآن للزجاج بمعناه ٩٦/٤، تأويلات أهل السنة ٧٤/٨، الكشاف ٤٠٦/٤، القرطبي ٥٥/١٦، مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٩/٢، وآخره في معاني القرآن للنحاس ٩٢/٥.

[6]) بحر العلوم ٤٧٩/٢.

قوله عز وجل: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾[١٢٩] أي: مجامع الماء، وهي الحياض وواحد المصانع مصنعة [1] ويقال: أراد بالمصانع جميع المباني التي تصنعها[2] الناس من البساتين وغيرها [3].

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون﴾[١٢٩] أي: تفعلون ذلك رجاء أن تخلدوا، أو أن تفعلوا فعل من يخلد ولا تخلدون.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِين﴾[١٣٠]

معناه: وإذا بطشتم بمن دونكم بطشتم متكبرين متجبرين ضربًا بالسوط والسيف، تقتلون على الغضب[4].

والبطش: هو الأخذ بالشدة [5]، والجبار: هو العالي بالقدرة، يقال: نخلة جبارة إذا كانت مرتفعة لا تنالها الأيدي [6]، وهو صفة مدح لله تعالى؛ لأن هذا المعنى حقيقة فيه وهو[7] صفة ذم لغير الله تعالى لأنه كذب فيه [8].

وقوله ﴿فاتَّقُوا اللهَ و أَطِيعُون﴾[١٣١] أي: اتقوا عقاب الله تعالى بإصراركم على ما أنتم عليه.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾[١٣٢] "من نعمة" بما تعملون وفي قوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِين﴾[١٣٣] بيان بعض النعم [9] ، الإمداد: إعطاء الشيءواحدًا واحدًا بعد واحد على وجه لا ينقطع[10].

---

[1]) تفسير الطبري بنحوه٦١١/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٦/٤، تأويلات أهل السنة ٧٤/٨، معاني القرآن للنحاس ٩٣/٥، و ورد أوله في الكشاف ٤٠٦/٤ .

[2]) هكذا في الأصل.

[3]) غريب القرآن لليزيدي بلفظ: كل بناء مصنعة ص٢٨٣ ، ورجح ما ذكره المؤلف الطبري في تفسيره ٦١٢/١٧، بحر العلوم ٤٧٩/٢.

[4]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن جريج ٦١٣/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٦/٤، تحصيل نظائر القرآن ص ١٥٠، تأويلات أهل السنة ٧٤/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٧٩٥/٩، معاني القرآن للنحاس ٩٤/٥، الكشاف ٤٠٦/٤.

[5]) تهذيب اللغة مادة (بطش) ٢١٨/١١، لسان العرب مادة (بطش) ٢٦٧/٦.

[6]) النهاية في غريب الأثر ٢٣٥/١، مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ٣٦٠/١، تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٣٩/٩.

[7]) هكذا في الأصل ، والصحيح وهي.

[8]) تفسير السمعاني ٢٦/٢.

[9]) في النسختين (المنعم).

[10]) تاج العروس مادة(مدد)١٦١/٩، لسان العرب مادة (مدد) ٣ /٣٩٨.

وقوله : ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٣٥] أي: اعلم أنه سينزل بكم عذابٍ فظيعٌ إنِ لم تؤمنوا ولم تصدقوًا.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾[١٣٦] معناه: مستو عندنا ، أوعظتنا أم لم تعظنا، فلا نترك هذه العادة ، ما هذا الذي تقول إلا خلق الأولين أي: اختلاقهم وكذبهم[١] أرادوا بهذا من قبله من الرسل.

ويجوز أن يكون معنى خلق الأولين: ما خلقنا إلا كخلق الأولين نحيا ونموت و لانبعث [٢]، ومن قرأ خلق بضم الخاء واللام[٣] فمعناه: ما هذا إلا عادة الأولين كانوا يدعون الرسالة ولم يكونوا صادقين [٤]، ويقال: معناه: ما هذا الذي نحن فيه من تشييد البناء والبطش على التكبر إلا عادة الأولين ، فلا نتركها بقولك [٥]، وأنكر بعضهم أن يكون معنى خلق الأولين كذب الأولين وقال: لأنهم كانوا يقولون: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، وليس الأمر على ما توهم لأنهم قد سمعوا بالدعاة إلى الدين، وكانوا عندهم كذابين؛ ولذلك قال جل وعز :(كذبت عاد المرسلين)

وقال: (إن هذا إلا أساطير الأولين) ومعنى ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين: ما سمعنا أنهم صدقوا بشيء منه أو ذكروا أنه حق وصواب، بل قالوا: باطل وخطأ [٦].

---

[١]) تأويل مشكل القرآن ص٢٧٣، وأخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٦١٥/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤، تأويلات أهل السنة ٧٦/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٧٩٧/٩، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٠١.

[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ٦١٥/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤، تأويلات أهل السنة ٧٦/٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضاً ٢٧٩٧/٩، معاني القرآن للنحاس عن قتادة ٩٤/٥، بحر العلوم ٤٧٩/٢.

[٣]) (خُلُق) بضم الخاء واللام هي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف، والباقون (خَلْق) بفتح الخاء وسكون اللام. انظر: النشر. ص ٤١٩ ، الإتحاف ٤٢٣/١، البغوي ص ٩٤٤، الدر المصون ٢١٥/١١.

[٤]) تأويلات أهل السنة ٧٦/٨، معاني القرآن للنحاس عن ابن مسعود ٩٤/٥، بحر العلوم ٤٧٩/٢، القرطبي ٥٩/١٦، الحجة ٢٦٨/١، الكشف والبيان ٢٥٥/٢، باهر البرهان ١٠٤٣، تفسير البيضاوي بمعناه ٢٤٨/٤.

[٥]) النكت والعيون عن الفراء ١٨٢/٤، تفسير النسفي ١٩٣/٣، تفسير البيضاوي ٢٤٨/٤، واختاره الشوكاني في فتح القدير ١١١/٤، الدر المصون ٢١٥/١١.

[٦]) لم أتعرف على منكر هذا القول فيما وقفت عليه من المصادر.

وقوله: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [١٣٨] أي: قالوا: نحن لا نعذب على إصرارنا على هذه الحالة، فكذبوا هودًا عليه السلام بعد وضوح الحجة وانتفاء الشبهة، فأهلكناهم بريح صرصر عاتية ، إن في إهلاكنا إياهم مع شدة قوتهم وشوكتهم بأضعف الأشياء، وهو الريح للدلالة على وحدانيتنا وصدق ثبوته ، ولم يكن أكثرهم مصدقين بالله تعالى، فإنه لم يؤمن به إلا قليل منهم .

وقوله: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١٤١]

معنى التكذيب: الرد للخبر بأنه كذب[١]، وتكذيب النبي كفر؛ لأنه جحد لنعم الله تعالى في إرساله ، والمرسل:[٢] المحمل الرسالة من الله تعالى إلى عباده، والأجر الجزاء على العمل بالخير. والأمين الذي تؤمن منه الخيانة.

قوله عز وجل: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ [١٤٦] أي: قال لهم صالح عليه السلام : أتتركون في الدنيا آمنين من الموت [٣] والعذاب تأكلون، وتشربون، وتمتعون، ولا تكلفون ولا تبعثون؟

وقوله: ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [١٤٧] أي: تظنون أنكم تتركون في بساتين، ومياه ظاهرة ، و حروث ونخل ثمرها مدرك ناعم ناضج ينضم بعضه إلى بعض[٤] و ينهشم في الفم [٥]، وتنحتون أي: تنقبون في الجبال أسرابا أشرين أشرين بطرين[٦] فرهين . ومن قرأ فارهين بالألف[٧]

---

[١]) مفاتيح الغيب ١٣٢/٢٨، اللباب لابن عادل ١٤/١٨.

[٢]) في (ب) الرسل .

[٣]) ذكر أوله الطبري في تفسيره ٦١٨/١٧، بحر العلوم ٤٨٠/٢، زاد المسير ١٣٨/٦، القرطبي ٦١/١٦.

[٤]) أخرج الطبري عن الضحاك نحوه ٦٢٠/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٧٩٥/٩، معاني القرآن للنحاس ٩٥/٥، الكشاف ٤٠٦/٤، مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٨/٢ ٥٧.

[٥]) تأويلات أهل السنة بنحوه ٧٧/٨، وأورده القرطبي عن أبي العالية ٦٣/١٦.

[٦]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٤، تأويل مشكل القرآن ص٢٦٨، الطبري ٦٢١/١٧، تأويلات أهل السنة ٧٨/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨٠٣/٩، معاني القرآن للنحاس عن مجاهد ٩٦/٥، بحر العلوم ٤٨٠/٢.

[٧]) (فارهين) بألف بعد الفاء قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ، والباقون (فرهين) بغير ألف. انظر النشر. ص ٤١٩ ، المبسوط ٢٧٦، الإتحاف ٤٢٣/١ ، البحر ٣٤/٧، الدر المصون ٢١٦/١١.

فمعناه: حاذقين في نحتها [١] ويقال: الفره والفاره بمعنى واحد [٢].

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾[١٥١] أي: أمر رؤسائكم وكبرائكم الذين يفرطون في المعاصي.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[١٥٣] أي: قال له قومه إنما أنت ممن سحر مرة بعد مرةً فلا نؤمن بك [٣].

ويقال: معنى المسحر المعلل بالطعام والشراب [٤] والسحر: مجرى الطعام يقال: انتفخ سحره أي: رئته [٥].

وقوله: /﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[١٥٤] أي: لست بملك ولا نبي ولا فضل لك علينا، فَائْتِ بعلامَة لنبوتَك إن كنت من الصادقين في مقالتك، فسألوه أن يخرج لهم ناقة عشراء [٦] من صخرة ملساء ، فجمعهم وحملهم إلى تلك الصخرة التي سألوه أن يخرج الناقة منها، ثم دعا الله تعالى فتمخضت[٧] تلك تلك الصخرة كما تمخض المرأة الحامل عند الولادة، فخرجت عنها ناقة على الصفة التي سألوها لا نظير لها في النوق، وكان يسد جنباها مابين الجبلين

٤٣٩/ب

---

[١]) تفسير مقاتل ٤٦٠/٢، غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٤، أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي صالح ٦٢١/١٧، معاني القرآن للزجاج ٩٦/٤، تأويلات أهل السنة ٧٨/٨ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وأبو صالح ومعاوية بن أبي قرة ٢٨٠٢/٩.

[٢]) لسان العرب مادة (فره)٥٢١/١٣، المحيط في اللغة لابن عباد حرف الهاء(فره) ٣٠٦/١، الصحاح للجوهري مادة (فره) ٤٢/٢، المخصص لابن سيده(باب الإعياء في المشي) ٢٦٢/١.

[٣]) معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤، تأويلات أهل السنة ٧٩/٨، معاني القرآن للنحاس ٩٧/٥، النكت والعيون ١٨٤/٤، زاد المسير ١٣٩/٦، لسان العرب مادة (سحر) ٣٤٨/٤، تهذيب اللغة مادة (سحر)٢٩/٢.

[٤]) مجاز القرآن بمعناه. ٨٩/٢ ، معاني القرآن للنحاس ٩٧/٥، وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان عن ابن عباس ٤٦٠/٤، وأورده القرطبي عن ابن عباس والكلبي وقتادة ومجاهد ٦٦/١٦.

[٥]) غريب القرآن لليزيدي بمعناه ص٢٨٤، معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤، المحرر الوجيز ٢٤٠/٤، القرطبي ٦٦/١٦، المفردات للأصفهاني ٢٣١.

[٦]) العشر: هي التي بلغت في حملها عشرة أشهر انظر: لسان العرب مادة(عشر) ٥٧٢/٤، تهذيب اللغة مادة (عشر) ١٢٦/١.

[٧]) المخاض: وجع الولادة ، ومخضت تمخض مخاضا، وإنها لتمخض بولدها: هو أن يضرب الولد في بطنها حتى تنتج. لسان العرب مادة (مخض) ٢٢٨/٧، تاج العروس مادة(مخض) ١٩ / ٤٦، تهذيب اللغة مادة(مخض) ٤٣٠/٢، النهاية في غريب الأثر(باب الميم مع الخاء) ٦٤٤/٤، المجموع المغيث(مخض) ١٩٠/٣.

لعظمها [١] ، فقال لهم صالح عليه السلام: هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم أي: اجعلوا الشرب بينكم وبينها مناوبة، لها نوبة يوم ولا تحضرون معها ، ولكم نوبة يوم لا تحضر هي معكم ، فكانت تستنفذ المياه في يوم نوبتها ولا يزاحمونها فيه ، وكانوا ينتفعون بشربهم في يوم نوبتهم ولا تزاحمهم فيه [٢].

والشرب في اللغة هو: النصيب من الماء [٣]، والشرب بنصب الشين: جماعة جماعة الشراب [٤].

وقوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾[١٥٦] أي: تصيبوها بعقرها [٥] ولا أذى، ذروها تأكل فترتع في أرضَ الله تعالى، فإنكم إن تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها ، روي أنهم جرحوها يوم الأربعاء فقتلوها، واقتسموا لحمها فبلغ ألفا وثماني مائة منزل، ثم أصبحوا نادمين على قتلها، فأخذهم العذاب في اليوم الثالث وهو يوم السبت ، صاح بهم جبريل عليه السلام فماتوا أجمعين[٦].

(إن في ذلك لآية) أي: في إخراج الناقة من الصخرة على تلك الصفة ، وفي إهلاكهم عند العقر لعلامة وعبرة لمن بعدهم، ولم يكن أكثرهم مؤمنين.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[١٥٩] أي: المنتقم من الكفار، المنعم على العباد.

---

١) هذا من الروايات الإسرائيلية التي لا تصح في ذكر تفاصيل القصص، وفيها مبالغة تخالف الواقع، فلا يعقل أن تكون الناقة بهذه الصفة العظيمة.

٢) تفسير مقاتل ٤٦١/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن جابر. ٢٨٠٤/٩ ، القرطبي بمعناه ٦٧/١٦، تفسير ابن كثير بمعناه. ٤٢٢/٣.

٣) معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢، معاني القرآن للنحاس بمعناه ٩٨/٥، الكشاف ٤٠٩/٤، القرطبي ٦٧/١٦.

٤) بحر العلوم ٤٨١/٢، القرطبي ٦٧/١٦.

٥) أصل العقر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (لا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لأكله). وإنما نهى عنه لأنه مثلة وتعذيب للحيوان. معرفة السنن والآثار للبيهقي ٣٥٨/١٤ ، لسان العرب مادة(عقر) ٤ / ٥٩١، تاج العروس مادة (عقر) ١٣ /١٠٠، تحصيل نظائر القرآن ص٤١ ، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٥٥.

٦) تفسير مقاتل ٤٦١/٢، أخرجه بن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن إسحاق مختصرًا ٢٨٠٧/٩.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِين﴾[١٦٠] فيه بيان قول لوط عليه السلام لقومه كقول الأنبياء قبله من الدعاء إلى تقوى الله وأنه أمين على وحي الله تلزمهم طاعته بأمر الله تعالى ، وأن أجره على الله لا عليهم .

وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِين﴾[١٦٥]

معناه: أتصيبون الذكور حراما في أدبارهم وتتركون ما أحل لكم ربكم من فروج نسائكم ، بل أنتم قوم عادون أي: متجاوزون عن الحد في الظلم باختيار الحرام على الحلال قالوا:

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِين﴾[١٦٧] لئن لم تمتنع عن تقبيح فعلنا والإنكار علينا لنخرجنك من أرضنا قال لهم لوط عليه السلام:

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِين﴾[١٦٨] أي: من المبغضين(١)، والقالي: هو التارك للشيء الكاره له غاية الكراهة (٢).

وقوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُون﴾[١٦٩] أي: خلصني وأهلي من أعمالهم القبيحة حتى لا نراهم ولا نرى عملهم، وإذ أنجاهم من نفس عملهم دخل فيه النجاة من عاقبة عملهم (٣).

(فنجيناه وأهله) أي: خلصناه وخلصنا بناته ومن آمن به أجمعين من العذاب الذي وقع بهم.

وقوله عز وجل: ﴿إِلاَّ عَجُوزاً فِي الْغَابِرِين﴾[١٧١] أراد به: امرأته وأهله ، بقيت فيمن بقي في موضع العذاب فهلكت معهم ، وكانت تدل المشركين على أضيافه ، والغابر الباقي في قلة، ومنه الغبار وهو: ما بقي من التراب بعد الكنس(٤)، والعجوز: المرأة التي أعجزها سنها عن كثير من الأمور(٥).

وقوله: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِين﴾[١٧٢] أي:أهلكنا الآخِرين بعذاب الاستئصال، كما

---

١) تفسير مقاتل بلفظ: الماقتين ٤٦١/٢ ، معاني القرآن للزجاج ٩٩/٤ ، تأويلات أهل السنة ٨١/٨، معاني القرآن للنحاس ٩٩/٥ ، بحر العلوم ٤٨١/٢ ، الكشاف ٤١١/٤، البغوي ص٩٤٥.

٢) ومنه قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ سورةالضحى: [٣]

٣) تأويلات أهل السنة ٨١/٨، زاد المسير ٦/ ١٤٠ ، القرطبي ٦٩/١٦.

٤) مجاز القرآن ٨٩/٢ ، معاني القرآن للزجاج ٩٩/٤، قال النحاس في معاني القرآن: "وهو من الأضداد فيقال: غبر الشيء إذا مضى، وغبر الشيء إذا بقي. " ٩٩/٥، بحر العلوم ٤٨٢/٢، القرطبي ٦٩/١٦.

٥) المفردات للأصفهاني ص ٣٢٦.

تقدم ذكره أن جبريل عليه السلام رفعهم ببلادهم حتى بلغ بهم إلى السماء ثم قلبهم، كما قال جل و عز : ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ (١).

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ [١٧٣] أي: أمطرنا على سكانهم وشذاذهم ومسافريهم حجارة من سجيل(٢)، فساء مطر القوم المنذرين الذين أنذرهم لوط عليه السلام فلم يؤمنوا، إن في إهلاكنا إياهم لدلالة وعبرة لمن بعدهم، وإن ربك لهو المنيع بالنقمة المنعم بالإمهال.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٧٦] اختلفوا في ليكة، قال بعضهم: هو اسم مدين وهما شيء واحد (٣) إلا أنه تعالى سمى شعيبًا أخاهم في قوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ (٤). ولم يذكر هاهنا أنه / كان أخاهم، وقال بعضهم: أن ليَكة اسم لمدينة أخرى غير مدين، وكان هو مبعوثا إلى كل واحدة من المدينتين (٥) غير أنه كان أخا مدين ولم يكن أخا ليكة (٦). ٤٣٩/أ

ومن قرأ أصحاب الأيكة (٧) فالأيكة هي: الغيضة ذات الشجر الملتف وجمعه وجمعه أيك(٨)، ويقرأ ليكة بغير ألف وكسر الهاء (٩) ومعناه: الأيكة، كما تقول: جاني الأحمر وجاءني لحمر(١٠).

---

(١) سورةالحِجر: [٧٤].
(٢) تفسير مقاتل ٤٦٢/٢، تفسير ابن كثير ٤٢٣/٣.
(٣) اختاره الطبري في تفسيره ٦٢١/١٧، تأويلات أهل السنة ٨٢/٨، وقال ابن كثير في تفسيره: "وهو الصحيح". أهـ ٤٢٤/٣، الكشف لمكي ١٤٣/٢، تفسير السعدي ص ٥٩٦.
(٤) سورة الأعراف: [٨٥]
(٥) تفسير مقاتل ٤٦٣/٢، وذكر القرطبي القول عن قتادة ٧٢/١٦، الكشاف ٤١٢/٤، وفي زاد المسير عن مقاتل بن سليمان ١٤١/٦، وأورده ابن كثير عن عكرمة ٤٢٤/٣، البغوي ص٩٤٥، قال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان: "جاء ذلك في حديث ضعيف عن عبد الله بن عمرو أهـ". ٩٦/٦.
(٦) تأويلات أهل السنة ٨٢/٨، بحر العلوم ٤٨٢/٢، زاد المسير عن مقاتل ١٤١/٦، البغوي ص ٩٤٥.
(٧) بسكون اللام وهمزة وصل قبلها وهمزة مفتوحة قبل الياء وكسر التاء، قراءة أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر. الكشف لمكي ١٤٣/٢.
(٨) مجاز القرآن بمعناه ٩٠/٢، معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤، تأويلات أهل السنة ٨٢/٨، معاني القرآن للنحاس ١٠٠/٥، الدر المصون ٢١٧/١١، باهر البرهان ١٠٤٥/٢.
(٩) أراد التاء. و(ليكة) بفتح اللام والتاء دون همز قبل اللام وبعده، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر. الكشف لمكي ١٤٣/٢، الدر المصون ٢١٧/١١.
(١٠) معاني القرآن للزجاج ٩٨/٤، القرطبي ٧٢/١٦، الدر المصون ٢١٨/١١.

قوله : ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾[١٨١] معناه: أتموا الكيل إذا كلتم ولا تكونوا من الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن[١]، و الإخسار هو: المعرّض للخسران، ونقيضه: الإرباح [٢].

وقوله: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾[١٨٢] فيه قراءتان كسر القاف [٣] وضمها [٤]، واختلفوا فيه قال بعضهم: هو القبان[٥] ويقال: هو الميزان [٦] ويقال: هو العدل[٧].

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي: لا تنقصوا حقوق الناس بدفع النقصان وأخذ الزيادة ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[١٨٣] أي: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي والفساد .

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [١٨٤] أي: اخشوا فيما تفعلون عقاب الذي خلقكم وخلق الخلق الذين من قبلكم.

والجبلة بكسر الجيم والباء وبضمهما: الخلق الكثير[٨]

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾[١٨٥] أيقالوا له إنما أنت من المُجَوّفِين[٩] المُجَوّفِين[٩] مثلنا ممن له سحر، ويقال: إنما أنت ممن سحر به مرة بعد أخرى ، وما أنت إلا آدمي مثلنا [١٠].

---

[١]) انظر تفسير الخازن ٥٧/٥ ، وتفسير ابن كثير ٤٢٤/٣.

[٢]) لم أجده ولعله من كلام المؤلف.

[٣]) (القِسطاس) بكسر القاف قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف. انظر النشر ص ٣٥، الإتحاف ٤٢٣/١.

[٤]) (القُسطاس) بضم القاف قراءة الباقون انظر المصدران السابقان.

[٥]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن ٢٨١٢/٩، وكذا الماوردي في النكت والعيون عنه ١٨٥/٤.

[٦]) تفسير مقاتل ٤٦٣/٢، الطبري ٦٢١/١٧، وفيتأويلات أهل السنة ذُكِر مع سابقه ٨٣/٨، الكشاف ٤١٣/٤، المفردات للأصفهاني ص ٤٠٤، باهر البرهان ١٠٤٥/٢.

[٧]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٤، مجاز القرآن ٩٠/٢، تأويلات أهل السنة ٨٣/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٨١٢/٩، معاني القرآن للنحاس عن ابن عباس ومجاهد /١٠١.

[٨]) مجاز القرآن بمعناه ٩٠/٢،غريب القرآن لليزيدي بنحوه ص٢٨٤، معاني القرآن للنحاس ١٠٢/٥ ، التبيان للعكبري ١٩٦/٢، القرطبي عن مجاهد ٧٣/١٦، الدر المصون ٢٢١/١١.

[٩])المجَوَّفين المُتَغَذِّين. المخصص لابن سيده(باب الرضاع والفطام)١٧/١.

[١٠]) تفسير مقاتل٤٦٣/٢، معاني القرآن للزجاج ٩٧/٤، تأويلات أهل السنة ٨٣/٨، معاني القرآن للنحاس ١٠٢/٥، النكت والعيون ١٨٥/٤ ، لسان العرب مادة(سحر)٣٤٨/٤.

﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ ﴾[١٨٦] أي: وما نظنك إلا من الكاذبين فيما تقول وتدعي، (فأسقط علينا كسفا) أي: جانبا من السماء [١] إن كنت من الصادقين في أنك نبي مبعوث إلينا وأن هذا العذاب نازل بنا ، وهذا إذا قرأت كسْفا بجزم السين[٢] ، فأما إذا قرأت كسَفا بفتح السين[٣] فهو جمع الكسفة وهي: القطعة، القطعة، مثل: كسرة وكسر[٤].

وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُون ﴾[١٨٨] أي: هو أعلم بعملكم وبما تستحقون من العذاب وبوقت الاستحقاق، فينزل بكم العذاب على ما توجبه الحكمة.

وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ أي: كذبوا شعيبًا بعد ظهور الحجة عليهم ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾[١٨٩] انشأ الله سحابة عليهم حتى أظلتهم في يوم حر شديد فاجتمعوا تحتها مستجيرين بها مما نالهم من الحر، فأطبقت عليهم فأمطرت عليهم نارا فأهلكتهم[٥].

وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين ﴾[١٩٢]

معناه: وإن القرآن[٦] لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل عليه السلام ، وقد اختلفوا في تسميته روحا قيل: إنه إنما سمي روحا ؛ لأن حياة الأديان وبقاءها وحياة الأرواح بما ينزل هو به من البركات [٧]، وقيل: لأنه جسم روحاني خلق من الهواء؛ لأن الحياة أغلب عليه فكأنه روح كله [٨].

---

[١]) تفسير الضحاك ٦٣٨/٢، تفسير مقاتل ٤٦٣/٢، معاني القرآن للزجاج ١٠١/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك ٢٨١٤/٩، معاني القرآن للنحاس ١٠٢/٥، بحر العلوم ٤٨٣/٢، القرطبي ٧٣/١٦.

[٢]) (كسْفا) بسكون السين قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي و أبو جعفر ويعقوب وخلف. انظر النشر ص ٣٥، الإتحاف ٤٢٤/١.

[٣]) (كسَفا) بفتح السين قراءة حفص ، انظر المصدران السابقان.

[٤]) مجاز القرآن ٩١/٢، معاني القرآن للزجاج ١٠١/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٨١٤/٩، معاني القرآن للنحاس ١٠٣/٥، بحر العلوم ٤٨٣/٢، الكشاف ٤١٣/٤.

[٥]) انظر تفسير مقاتل ٤٦٤/٢، معاني القرآن للزجاج ٩٨/٤، تأويلات أهل السنة ٨٣/٨، معاني القرآن للنحاس بمعناه ١٠٣/٥، القرطبي ٧٤/١٦.

[٦]) تفسير مقاتل ٤٦٤/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٨١٧/٩، بحر العلوم ٤٨٣/٢، القرطبي ٧٤/١٦.

[٧]) انظر مفاتيح الغيب. ١٦٢/٣، واللباب لابن عادل بنحوه ٧٩/١٥ ، روح البيان لإسماعيل حقي ٤٧٨/٩، والوسيط لسيد طنطاوي ١٤٢/١.

[٨]) يقول الإمام الرازي في تفسيره سورة البقرة : لأن جبريل ـ عليه السلام ـ مخلوق من هواء نوراني لطيف فكانت المشابهة أتم فكان إطلاق اسم الروح على جبريل أولى وثانيها أن هذه =

وأما تسميته أمينا ؛ فلأنه لم يخن في شيء قط مما أمر الله به كما قال تعالى : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ (1).

ومن قرأ نزل به الروح بتشديد الزاي ونصب الحاء فمعناه: نزل الله تعالى جبريل عليه السلام (2)، ومعنى على قلبك نزل به فأودعه قلبك: كي لا تنساه(3)، كما قال جل ذكره : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴾ (4).

ويجوز أن يكون معنى على قلبك: على قدر حفظ قلبك (5) ؛ لتكون من المنذرين أي: من المعلمين بموضع المخافة.

وقوله: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [١٩٥] أي: لتنذر العرب بلغتهم فيكون ذلك أقرب إلى فهمهم وأقطع لعذرهم ، وفي الآية تشريف لغة العرب على سائر اللغات؛ ولذلك جعلت هذه اللغة لأهل الجنة ولغة العجم لأهل النار (6).

وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [١٩٦] أراد به: أن ذكر القرآن مذكور في كتب الأولين (7)، ولم يرد به عين القرآن؛ لأنه تعالى خص محمدا ﷺ بإنزال القرآن عليه ويكون القرآن معجزا له، فلو كان مذكورا بعينه في الكتب الماضية لبطل التخصيص، ولكنه سبحانه ذكر في الكتب المتقدمة أنه سيبعث

= التسمية فيه أظهر منها فيما عداه. أهـ مفاتيح الغيب.٣ / ١٦٢. والقول الحق في هذه المسألة:أنّ المادة التي خلقوا منها هي النور ، ففي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها ـ : أن رسول الله ﷺ قال : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم). ولم يبين لنا رسول الله ﷺ أي نور هذا الذي خلقوا منه، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد ؛ لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث. مسلم كتاب/ الزهد والرقائق، باب/ في أحاديث متفرقة حديث رقم (٢٩٩٦) ٤ / ٢٢٩٤، عالم الملائكة الأبرار ص٩.

(1) سورة التكوير: [٢١].

(2) (نزّل ـ الروحَ الأمينَ) قراءة يعقوب وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بن عياش ، والباقين بالتخفيف ورفع الروحُ الأمينُ. انظر: النشر ص ٤٢٠، الكشف والبيان ٢٥٥/٢، حجة القراءات لزنجله ٥٢١/١، التبيان للعكبري ١٩٦/٢، الدر المصون ٢٢١/١١.

(3) تأويلات أهل السنة بنحوه ٨٥/٨ ، معاني القرآن للنحاس ١٠٣/٥، بحر العلوم ٤٨٣/٢، الكشاف٤١٤/٤ ، وانظر القرطبي ١٦/ ٧٦.

(4) سورة الأعلى: [٦].

(5) بحر العلوم ٤٨٣/٢.

(6) قال ابن حزم في الأحكام :" وأما لغة أهل الجنة وأهل النار فلا علم عندنا إلا ما جاء في النص والإجماع، ولا نص ولا إجماع في ذلك، إلا أنه لا بد لهم من لغة يتكلمون بها أهـ". ٣٤/١.

(7) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٢٩٨، تأويلات أهل السنة ٨٥/٨ ، معاني القرآن للنحاس ١٠٤/٥، بحر العلوم ٤٨٤/٢، الكشاف٤١٥/٤ ، القرطبي ١٦/ ٧٦.

نبيا في آخر الزمان صفته كذا وسينزل عليه كتاب صفته كذا [1]، كما قال جل وعلا : ﴿ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ [2].
وهذا هو معنى قوله: ﴿ إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ [3]. أي: مذكور في الصحف الأولى إن الناس في الغالب يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، وإن الآخرة خير وأبقى.
قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [١٩٧] روي في سبب نزوله أن أهل مكة بعثوا إلى أهل الكتاب يستخبرونهم عن محمد ﷺ وعن ما يدعي من الرسالة وصدقوهم في نعته وصفته فأخبرهم أهل الكتاب أن ذكره عندنا وأنه نبي مبعوث فاتبعوه [4]، والمعنى[5]: أولم يكن لأهل مكة علامة لنبوة محمد ﷺ / أن يعلمه علماء بني إسرائيل مثل عبدالله ابن سلام[6] وأصحابه. ٤٤٠/ب
ومن قرأ أنه بالنصب فالمعنى: أولم يكن علم علماء إسرائيل بصدق وصحة نبوته دلالة لغيرهم على ذلك [7].
وقوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ [١٩٨] أي: ولو نزلنا القرآن على رجل أعجم لا يفصح ولا يقدر على العربية فقرأه عليهم لم يكونوا مؤمنين به، وفي

---

[1]) تفسير مقاتل ٤٦٤/٢، الضمير في (إنه لفي زبر الأولين) لرسول لله صلى الله عليه وسلم. معاني القرآن للزجاج ١٠٠/٤، تأويلات أهل السنة ٨٥/٨ ، الكشاف٤١٥/٤.
[2]) سورة الأعراف : [١٥٧].
[3]) سورة الأعلى : [١٨].
[4]) بحر العلوم ٤٨٤/٢ ، البغوي ص٩٤٦ ، القرطبي بمعناه عن ابن عباس ١٦/ ٧٧ ، زاد المسير ٦/ ١٤٥. ولم يذكر البغوي، وابن الجوزي، والقرطبي ولا كتب أسباب النزول أنها سبب لنزول الآية ، فلعله قصد أنها مناسبة للآية ويحتملها المعنى.
[5]) في (ب) ومعنى .
[6]) عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي أبو يوسف، حليف بني عوف بن الخزرج، الإمام الحبر، المشهود له بالجنة من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، قيل كان اسمه الحصين، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله وشهد له بالجنة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن سعد: هو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، شهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية ، وقال الهيثم بن عدي وغير واحد مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. انظر: من له رواية في الكتب الستة ٥٦٠/١، تهذيب التهذيب ٥ /٢١٩، سير أعلام النبلاء ٢ / ٤١٣.
[7]) وهي قراءة الجميع عدا ابن عامر قرأ بالتاء والرفع(تكن ـ آيةٌ) انظر: النشر. ص ٤٢٠، حجة القراءات ٥٢١/١ ، الحجة في القراءات ٢٦٨/١، الكشف والبيان ٢٥٦/٢، التبيان للعكبري ١٧٠/٢، الإتحاف ٤٢٤/١، باهر البرهان ١٠٤٧/٢، الدر المصون ٢٢٤/١١.

هذا بيان معاندتهم ، والأعجم والأعجمي بمعنى واحد وهو: الذي في لسانه عجمة. ومنه العجماء وهي الدابة [١]، فأما العجمي: فهو منسوب إلى العجم أفصح أولم يفصح[٢].

وعن عبدالله بن مسعود [٣] ـ رضي الله عنه ـ أنه سئل عن هذه الآية وهو راكب ناقة وأشار إليها وقال : "هذه من الأعجمين" كأنه ذهب إلى أن معنى الآية لو نزلنا هذا القرآن على البهائم فأنطقناها به فقرأت عليهم ما آمنوا به[٤].

وفي الشواذ على بعض الأعجميين بالياءين والتشديد [٥].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢٠٠] أي: كذلك أدخلنا التكذيب[٦] في قلوب الكافرين إذا قرأه عليهم محمد ﷺ قيل: إن معنى الإدخال هاهنا هو إخطار ذلك ببالهم ليتفكروا [٧] فيه، فتقوم الحجة عليهم؛ لأن التكذيب لا يكون يكون إلا بعد أن يقرأ عليهم ، وكان ذلك هو السبب كما في قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾[٨].

وهذا هو معنى الطبع الذي تقدم ذكره [٩] في قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[١٠]. وفي قوله تعالى : ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[١١].

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[٢٠١]

---

[١]) مجاز القرآن بمعناه ٩١/٢، لسان العرب مادة(عجم) بلفظ: كل بهيمة. ١٢ /٣٨٩.

[٢]) غريب القرآن لليزيدي بنحوه ص٢٨٥، معاني القرآن للزجاج ١٠٢/٤، معاني القرآن للنحاس ١٠٥/٥، بحر العلوم ٤٨٤/٢، زاد المسير ١٤٥/٦، القرطبي ٧٧/١٦.

[٣]) تقدمت ترجمته انظر ص ١٠٣ .

[٤]) أخرج الطبري في تفسيره عن عبد الله بن مطيع نحوه. ١٧/ ٦٢٤، وابن أبي حاتم في تفسيره عنه بمعناه ٢٨٢٠/٩، الدر المصون ٢٢٥/١١.

[٥]) (الأعجميين) وهي قراءة الحسن انظر: المحتسب ١٧٦، إعراب القرآن للنحاس ١٩٢/٣، القرطبي ٧٧/١٦، الدر المصون ٢٢٦/١١.

[٦]) معاني القرآن للزجاج بمعناه ١٠٢/٤، تأويلات أهل السنة ٨٦/٨ ، الكشاف ٤١٦/٤، القرطبي عن يحيى بن سلام ٧٨/١٦، البغوي ص ٩٤٦.

[٧]) في (ب) ليفكروا .

[٨]) سورة إبراهيم: [٣٦].

[٩]) ذكر المؤلف أن معنى الطبع في الآية الأولى أي: ختم الله على قلوبهم مجازاة لهم على كفرهم فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا لا يجب أن يسموا به مؤمنين.أهـ " وذكر نحوه في معنى الآية الثانية.

[١٠]) سورة النساء : [١٥٥].

[١١]) سورة التوبة : [١٢٧].

أي: لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا عذابا يلجئهم[١] إلى الإيمان [٢]، ويجوز أن أن يكون المراد بالعذاب: قيام الساعة [٣] ولذلك قال:
﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾[٢٠٢] أي: لا يعلمون بإتيانه فيقولون هل نحن منظرون، أي: لنؤمن ونصدق[٤].
وقوله تعالى : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾[٢٠٤] أي: يستعجلون بعذاب لو أتاهم طلبوا الإنظار، ثم لا ينظرون.
قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾[٢٠٥] معناه: أفرأيت يا محمد ﷺ إن أمهلناهم في كفرهم سنين ، ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون ما أغنى عنهم من عذاب الله تعالى ما كانوا يمتعون تلك السنين وهذه موعظة ما أبلغها.
يحكى أن عمر بن عبد العزيز[٥] ـ رحمه الله ـ كان إذا قعد للقضاء كل يوم ابتدأ بهذه الآية ، فوعظ بها نفسه ثم ذكر هذه الأبيات:
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى
كما اغتر باللذات في النوم حالم.
حياتك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم.

---

[١]) سبق معنى الإلجاء في نفس السورة انظر ص ١٠٠.
[٢]) قال أبو منصور: لأنه إيمان دفع العذاب عن أنفسهم... وإيمان اضطرار لا إيمان اختيار، لذلك لم ينفعهم. تأويلات أهل السنة ٨٦/٨ ، القرطبي ٧٩/١٦ .
[٣]) لقراءة الحسن لها بالتاء وقال: إنما هي الساعة تأتيهم بغتة أي فجأة وهي قراءة شاذة. انظر:الكشاف ٤١٧/٤ القرطبي ٧٩/١٦ ، المحرر الوجيز ٢٤٤/٤ ، فتح القدير ١١٨/٤.
[٤]) في (ب) ولنصدق.
[٥]) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب اسمها ليلى ، يكنى أبا حفص، ولد سنة إحدى وستين مقتل الحسين، وقيل: سنة ثلاث وستين وهي السنة التي ماتت فيها ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن عبد العزيز ثقة مأمونا، له فقه وعلم وورع ، وروى حديثا كثيرا ، وكان إمام عدل رحمه الله ورضي عنه ، ملك سبعة وعشرين شهرا مثل خلافة أبي بكر، قيل: مات وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة رحمه الله. انظر: تاريخ مدينة دمشق ٤٥ /١٢٩، التمهيد لابن عبد البر ٨ /١٢، رجال مسلم ٣٣/٢.

وتطمع فيما سوف تكره غبّة

كذلك في الدنيا تعيش البهائم [1].

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ معناه: وما أهلكنا أهل قرية [2] ﴿إِلاَّ لَهَا مُنذِرُون﴾[٢٠٨] قبل الإهلاك ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ [3].

قال الحسن: ولو أهلكهم قبل بعث الرسل كان ذلك عدلا وذلك إشارة إلى أن الله تعالى قد أقام عليهم حجة العقل، ولكنه بعث الرسول وأنزل الكتاب مظاهرة في العدل. ألا ترى أنه لو أرسل رسولا واحدا وأنزل كتابا واحدا لكان كافيا ولكنه أرسل الرسل وأنزل الكتب مرة بعد أخرى في إلزام الحجة وقطعا للمعذرة [4].

وقوله: ﴿ذِكْرَى﴾ يجوز أن يكون نصبًا على معنى إلا لها مذكرون[5] ذكرى. ذكرى.

ويجوز أن يكون في موضع رفع على معنى ذلك عظة لهم[6].

وفي قوله : ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِين﴾[٢٠٩] بيان أن إهلاكهم لم يكن إلا بعدل من الله عز وجل من بعد أخذ الحجة عليهم[7].

وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِين﴾[٢١٠]

---

[1]) لم أعثر على قائل الأبيات، وهي عند أبي نعيم في الحلية ٣٨٥/٢، القرطبي ٨٠/١٦، التحرير والتنوير ١٩٧/١٩.

[2]) بحر العلوم ٤٨٤/٢.

[3]) سورة الإسراء : [١٥].

[4]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة بنحوه ٢٨٢٣/٩، قال الشهرستاني في الملل: معرفة الله تعالى: بالعقل تحصل، وبالسمع: تجب؛ قال الله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الملل والنحل ١ / ١١٥، وفي ذلك ردٌ على المعتزلة في إيجابهم التكليف بالعقل ، الذي يلزم منه أن تقوم الحجة بدون الرسل ، وهذا خلاف ما أخبر به الله تعالى في كتابه، كما قال سبحانه: ﴿رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء [١٦٥] والآية التي أوردها المؤلف صريحة في ذلك. انظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٣٣٩/١.

[5]) في (ب) بزيادة الواو.

[6]) معاني القرآن للزجاج ١٠٢/٤، إعراب القرآن للنحاس ١٩٣/٣، بحر العلوم ٤٨٤/٢، القرطبي ٨١/١٦ .

[7]) تأويلات أهل السنة ٨٧/٨ ، الكشاف ٤١٨/٤، القرطبي بمعناه ٨١/١٦، تفسير ابن كثير ٤٢٨/٣.

معناه: لم تتنزل[١] الشياطين بالقرآن كما يزعم الكفار، وإنما هو تنزيل رب العالمين وهذا كالمتصل بما قبله.

وقوله: ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ﴾[٢١١] معناه: وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا بالقرآن وما يقدرون على ذلك، (إنهم عن السمع لمعزولون) أي: لفي عزلة عن سماع الوحي[٢]، والعزل التنحية عن الموضع إلى خلافه[٣]، وذلك أن الشياطين لما رموا بالنجم منعوا من السمع بحراسة معجزات النبي ﷺ ولذلك قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾[٤]. إلى آخر الآية.

قوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾[٢١٣] / الخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره[٥]، والمعنى كل من دعا مع الله إلها آخر كان من المعذبين. ٤٤٠/أ

وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٢١٤] روي أنه لما نزلت هذه الآية نادى رسول الله ﷺ يا آل غالب، يا آل لؤي بن كعب، يا آل مرة، يا آل كلاب، يا آل قصي، يا آل بني عبد مناف. فأتوه فقالوا: ما تريد ؟ فقال ﷺ: أرأيتم لو حدثتكم لو جيشا أظلكم هل أنتم تصدقونني ؟ قالوا: نعم. فإني نذيركم بين يدي عذاب شديد، وإني لا أملك لكم من الله تعالى شيئا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله فأنذرهم[٦]. وكان يقول يا عباس ويا صفيه ـ يخاطب عمته ـ ويا فلان ويا فلان أنقذوا أنفسكم من النار[٧].

---

[١]) في (ب) يتنزل.

[٢]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي بمعناه. ٢٨٢٥/٩، الكشاف ٤١٨/٤، تفسير ابن كثير بنحوه. ٤٢٨/٣.

[٣]) انظر: لسان العرب مادة(عزل)٤٤٠/١١، تاج العروس مادة(عزل) ٤٦٤/٢٩، المحيط في اللغة ابن عباد(نزع)٦٧/١، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (العين والزاي واللام) ١٨٥/١.

[٤]) سورة الجن: [٩].

[٥]) بحر العلوم ٤٨٥/٢، القرطبي ٨٢/١٦.

[٦]) للحديث عدة طرق أخرجها جمع من المحدثين والمفسرين، وذكره المؤلف بمعناه، وأخرج البخاري في صحيحه أوله عن ابن عباس بنحو هذا. كتاب/ تفسير القرآن، باب/ (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك) حديث رقم (٤٧٧٠) ٦٤٢/١٠، وأخرجه مسلم في صحيحه بمعناه كتاب/الإيمان، باب/ باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) حديث رقم (٥٠١)٧١٦، وانظر جامع الأصول للجزري ٢ / ٢٨٩.

[٧]) أخرجه البخاري في كتاب/ الوصايا، باب/ هل يدخل النساء والولد في الأقارب. حديث رقم (٢٦٠٢) أخرجه مسلم في كتاب/الأيمان باب في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) حديث رقم (٢٠٤) ١٣٣/١، والترمذي في سننه حديث رقم (٣١٨٥) ٣٣٨/٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٨٧٢٦) ٣٤١/١٤، وانظر جامع الأصول للجزري ٢٨٩/٢.

ومعنى الآية: عرّف قرابتك يا محمد ﷺ إنك لا تغني عنهم من الله شيئا إن عصوه ، والفائدة في تخصيص الأقربين بالإنذار: أنهم كانوا أقرب إليه ، كما قال عز وجل: ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ ﴾ [1].

وكمأن الأَوْلى بالإنسان في البر والصِّلة أن يَبدأ بالأقرب فالأقرب، وفي هذا التخصيص تنبيه على أنه إذا كان مأمورا بإنذار الأقربين كان أولى بإنذار الناس[2].

وقوله عز وجل: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢١٥] أي: ألن جانبك لهم بأن تتواضع لهم ولا تتكبر عليهم [3].

وقوله: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ أي: إن عصاك الأقربون من عشيرتك فقل:

﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٢١٦] مما تدينون به من الشرك وعبادة الأصنام (وتَوَكَّل) أيَ فوض أمرك إلى الله [4].

وفي قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾[٢١٧] إشارة إلى أن الله هو الغالب القادر على أن يكفيك كيد أعدائكَ ، وهو الرحيم بالمؤمنين خاصة [5] في العقبى والدنيا، فكيف لا تفوض أمورك إليه وهو الذي يراك حين تقوم إلى الصلاة[6]، ويرى قيامك وركوعك وسجودك وتضرعك مع المصلين[7] إنه إنه هو السميع لما تتلو في صلاتك ، العليم بما تضمر فيها، ويجوز أن يكون المعنى: يراك حين تقوم من قبرك وتلتمس الشفاعة للمؤمنين[8] .

---

[1]) سورة التوبة : [١٢٣].

[2]) انظر الكشاف ٤١٩/٤، فتح الباري، كتاب /التفسير باب/ (وأنذر عشيرتك الأقربين) شرح حديث رقم (٤٧٧٠) ٦٤٤/١٠.

[3]) معاني القرآن للزجاج ١٠٣/٤، تأويلات أهل السنة ٩٠/٨، الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٥٥، الكشاف ٤٢١/٤.

[4]) تأويلات أهل السنة ٩٠/٨، القرطبي ٨٤/١٦.

[5]) في (ب) وفي بزيادة الواو.

[6]) وهذا قول أكثر المفسرين ابن عباس وغيره ، تفسير مقاتل ٤٦٦/٢، تأويلات أهل السنة ٩١/٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨٢٧/٩، الكشاف ٤٢٢/١٦ ، القرطبي ٨٤/١٦.

[7]) تفسير مقاتل ٤٦٦/٢، تأويلات أهل السنة ٩٠/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة ٢٨٢٧/٩، بحر العلوم ٤٨٦/٢.

[8]) الشفاعة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح وهي: الشفاعة العظمى لأهل الموقف كلهم مؤمنهم وكافرهم، حتى يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، وشفاعته عليه الصلاة والسلام في أهل الجنة أن يدخلوها ، وشفاعته عليه=

ويقال في معنى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[٢١٩] تقلبك في أصلاب آبائك الأولين المؤمنين من صلب نبي إلى صلب نبي[١].

قوله عز وجل : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾[٢٢١]

معناه : قل لهم يا محمد ﷺ : هل أخبركم على من تنزل الشياطين؟ وهو راجع إلى قوله : (وما تنزلت به الشياطين)[٢].

قوله: ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٢٢٢] أي: على كل كذاب كثير الإثم مثل مسيلمة وغيره من الكهنة. (يلقون السمع) أي: الشياطين يصغون ويستمعون إلى كلام الملائكة، ثم يضيفون الكذب إلى ذلك فيخبرون به الكهنة[٣]، ويجوز أن يكون معناه: يلقون ما يسمعون باستراق السمع إلى كل أفاك[٤].

و الأفاك: الكثير القلب للخبر عن جهة الصدق إلى جهة الكذب[٥].

والمؤتفكات: المنقلبات[٦].

قوله: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُون﴾[٢٢٤] فيه بيان أن النبي ﷺ لم يكن شاعرًا ، وأن الغالب على الشعراء الغي باتباع الهوى؛ لأن الذي يثير الشعر في الأكثر العشق ، ولهذا يصدر بالشباب، مع أن الشاعر يمدح للصلة ، ويهجو على

= الصلاة والسلام في عمه أبي طالب لتخفيف العذاب عنه. شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١٧٣/٢، البعث والنشور ٣/١، أعلام السنة المنشورة ص ٧٥.

[١]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨٢٨/٩، معاني القرآن للنحاس ١٠٧/٥، بحر العلوم ٤٨٦/٢، وهذا هو أحد المعاني التي ذكرها المفسرون، لكنه ليس بأولى الأقوال ، وقد ذكروا عدة أقوال منها : ١- يرى تقلبك في صلاتك وركوعك وسجودك، وأخرجه الطبري عن ابن عباس و عكرمة، ومنها :٢- عن ابن عباس قال: يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم. و عن قتادة: في المصلين.

وهذا القول الثاني هو أولى الأقوال كما قال ابن جرير لأن ذلك هو الظاهر من معناه. انظر: تفسير الطبري ١٧ / ٦٣٠، النكت والعيون ٤ / ١٨٩، بحر العلوم ٢ /٤٨٦.

[٢]) تأويلات أهل السنة ٩١/٨.

[٣]) تفسير مقاتل ٤٦٦/٢، تأويلات أهل السنة ٩٢/٨، الكشاف بنحوه ٤٢٣/٤، تفسير ابن كثير ٤٣٣/٣.

[٤]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٨٣٠/٩.

[٥]) انظر: تاج العروس مادة (أفك) ٤٤/٢٧، لسان العرب مادة(أفك) ٣٩٠/١٠ ، الوسيط ٣٣٥٢/١.

[٦]) قرى قوم لوط ـ عليه السلام ـ سميت بذلك ؛لانقلابها بالخسف، قال تعالى: (و المؤتفكة أهوى). زاد المسير عند تفسير الآية (٥٣) من سورة النجم. ٨٤/٨ ، المحكم والمحيط الأعظم ٣ / ١٩٩، البحر١٠ / ١٧١، روح المعاني ٢٠ / ٣٦.

حمية الجاهلية. فيدعوه ذلك إلى الكذب وصفة الإنسان بما ليس فيه من الفضائل أو الرذائل.

ويقال: أريد بهذه الآية: شعراء الجاهلية الذين كانوا يهجون الإسلام والمسلمين(١)

وهم عبدالله بن الزبعرى(٢) وأمية بن أبي الصلت(٣) و أبو سفيان بن الحارث(٤). وكان يتبعهم الرواة (٥) [أسلم عبدالله وأبو سفيان وغدا في الصحابة - رضي الله عنهم -].

وعن مجاهد (٦) - رضي الله عنه - أنه قال :

---

١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨٣١/٩، بحر العلوم ٤٨٦/٢.

٢) عبدالله بن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم الساعدي ، يقال إن ابن الزبعرى أشعر شعراء قريش، كان يهجو أصحاب رسول الله ﷺ ، ويحرض المشركين على المسلمين في شعره ويهاجي حسان بن ثابت وغيره من شعراء المسلمين ، ويسير مع قريش حيث سارت لحرب رسول الله ﷺ ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح هرب إلى نجران فدخل حصنها ، ثم ما لبث أن انحدر إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه وأسلم. انظر: التوابين ، لابن قدامة ١١٨/١، المنتظم لابن الجوزي ٢٠٠/٤.

٣) أمية بن أبي الصلت الثقفي، أبو عثمان ويقال: أبو الحكم شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام ، وكان في الجاهلية نظر الكتب وقرأها ، ولبس المسوح وتعبد أولا بالحنيفية ، وحرم الخمر وتجنب الأوثان وطمع في النبوة ؛ لأنه قرأ في الكتب أن نبيًا يبعث بالحجاز فرجا أن يكون هو، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حسده فلم يسلم، صدقه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض شعره وقال: قد كاد أمية أن يسلم. رثى قتلى بدر بقصيدته المشهورة، وكان والده شاعرا واسمه عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة ، قال أبو عبيدة: اتفقت العرب على أن أمية أشعر ثقيف، وقال الكميت: أمية أشعر الناس، قال كما قلنا، ولم نقل كما قال. مات كافرًا سنة تسع من الهجرة بالطائف، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٢٤٩، تاريخ دمشق ٩ / ٢٥٥، الأغاني ٤ /١٢٧.

٤) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ابن عم النبي وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة أرضعتهما حليمة السعدية وأمه غزية بنت قيس. قيل اسمه المغيرة وقيل: اسمه كنيته ، يقال إن الذين كانوا يشبهون رسول الله ﷺ: جعفر بن أبي طالب، والحسن بن علي، و قثم بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث. وكان أبو سفيان من الشعراء المطبوعين وقد سبق له هجاء في رسول الله ﷺ ، و عارضه حسان بن ثابت ، ثم أسلم بعد وحسن إسلامه ، حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح وشهد معه حنيئًا فأبلى فيها بلاء حسنا ، توفي سنة عشرين ، وقيل: غير ذلك. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٣٥، أسد الغابة ٦ / ١٥٣.

٥) تفسير مقاتل ٤٦٧/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨٣٢/٩، معاني القرآن للنحاس ١٠٧/٥، الكشاف ٤٢٥/٤.

٦) تقدمت ترجمته في سورة الفرقان ص ٧٥.

هما الشاعران يتهاجيان فيكون لهما أتباع من الغواة [١].

وفي الحديث: (لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه أحب إلى من أن يمتلئشعرًا) [٢]، وأراد به الشعر المذموم .

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾[٢٢٥]

أي: أنهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه في كل واد بغزله يخوضون في طريق من الكلام من غير تذكر ولا تفكر في صحة ولا فساد ولا في عاقبة، يغلون في المدح والذم [٣].

وقوله: ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ [٢٢٦] أي: يصفون أنفسهم بمدحه ما ليس فيها وينزهون أنفسهم عن معايب فيها .

قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[٢٢٧]

استثناء لشعراء المسلمين: حسان بن ثابت[٤] و عبدالله بن رواحه [٥]

---

[١]) تفسير الضحاك بنحوه ٦٣٩/٢، تأويلات أهل السنة بنحوه ٩٣/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة ٢٨٣٢/٩، وكذا أورد النحاس نحوه ١٠٨/٥.

[٢]) أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه عن ابن عمر كتاب/الأدب باب/ ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن، حديث رقم(٦١٥٤)٦٧١/١٣، وكذا أخرجه عن أبي هريرة حديث رقم(٦١٥٥)، ومسلم في صحيحه كتاب/الشعر باب/.... ، حديث رقم(٢٢٥٩)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة حديث رقم(٧٨٧٤) ١٣ / ٢٥٨.

[٣]) تفسير مقاتل ٤٦٧/٢، تأويلات أهل السنة ٩٣/٨، تفسير الخازن بنحوه ٦١/٥، التحرير والتنوير ٢٠٩/١٩.

[٤]) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن مالك الأنصاري الشاعر يكنى أبا الوليد وقيل: أبا عبد الرحمن وأبا المضرب، وقيل: أبا الحسام، وأمه الفريعة بنت خالد، يقال له: شاعر رسول الله ﷺ كان رسول الله ﷺ يقول له: (اهجهم ـ يعني المشركين ـ وروح القدس معك). وعن أبي عبيدة قال: فضل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام، أدرك النابغة الذبياني والأعشى وأنشدهما وكلاهما قال له : إنك شاعر، توفي قبل الأربعين في خلافة علي رضي الله عنهما، وقيل: خمسين. وقيل: أربع وخمسين ولم يختلفوا أنه عاش مائة وعشرين سنة. منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٢٢٢، تاريخ دمشق ١٢ / ٣٨٠، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ١٠٠.

[٥]) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن كعب بن الخزرج، وقيل في نسبه غير ذلك: الأنصاري الخزرجي، أمه كبشة بنت واقد، أبو محمد ويقال: أبو رواحة ويقال: أبو عمرو المدني، مناقبه وفضائله كثيرة جدا، قال أبو الدرداء: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الشديد الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة. شهد بدرا والعقبة ، وهو أحد النقباء وأحد الأمراء في غزوة مؤتة و بها قتل، في جمادى الأولى=

وكعب بن مالك [١]، كانوا يذكرون الله كثيرا في شعرهم ويناضلون عن النبي ﷺ بألسنتهم وأيديهم من بعد ما هجاهم الكفار [٢].
والانتصار بالشعر جائز في الشريعة / بما يجوز ذكره منها [٣]، كما قال الله تعالى في آية أخرى : ﴿ لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ ﴾ [٤].

٤٤١/ ب

وكان ﷺ يقول لحسان: (اهجهم ومعك روح القدس) [٥].
وعن أبي بن كعب [٦] وابن مسعود [٧] ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال :

= سنة ثمان للهجرة ، قال أنس: نعى رسول الله ﷺ إلى الناس جعفرا، وابن رواحة، وزيدا، وعيناه تذرفان. انظر: تهذيب التهذيب ٥ / ١٨٦، تهذيب الكمال ١٤ / ٥٠٨.

[١]) كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعيد بن الخزرج الأنصاري السلمي. يكنى أبا بشير، وقيل: أبا محمد أو أبا عبد الرحمن، أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة، له عدة أحاديث تبلغ الثلاثين شهد العقبة الثانية، واختلف في شهوده بدرًا ، وشهد أحدًا والمشاهد كلها حاشا تبوك، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين الزبير، وقيل: طلحة ، كان أحد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الذين يردون الأذى عنه، وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فتاب الله عليهم، وعذرهم، وغفر لهم، ونزل القرآن في شأنهم، توفي في زمن معاوية سنة خمسين. وقيل: سنة ثلاث وخمسين، وقيل: مات أيام قتل علي بن أبي طالب وهو ابن سبع وسبعين و قد عمي وذهب بصره في آخر عمره. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٤١١، الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٨ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٩٥، سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٢٣.

[٢]) معاني القرآن للزجاج بمعناه ١٠٥/٤، تأويلات أهل السنة ٩٤/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨٣٤/٩، معاني القرآن للنحاس بنحوه ١٠٩/٥، وجعل ابن كثير الاستثناء عاما يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم. تفسير ابن كثير ٤٣٥/٣، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ص٤٦٠، باهر البرهان ١٠٤٨.

[٣]) في (ب) فيها.

[٤]) سورة النساء: [١٤٨].

[٥]) الحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى بلفظ: (اهج المشركين فإن روح القدس معك) حديث رقم (٨٢٩٥). وفيه إسرائيل تكلم فيه بعضهم لاختلاط أبي إسحاق لكن رواية إسرائيل عنه قبل الاختلاط ، وللحديث طريق آخر عند الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. حديث رقم(٦٠٦٥) ٥٥٦/٣، وأصل الحديث مخرج في الصحيحين أخرجه البخاري في صحيحه بمعناه عن البراء كتاب/ بدء الخلق، باب/ ذكر الملائكة حديث رقم(٣٢١٣) ٢٦١، وأخرجه مسلم في صحيحه عن البراء بلفظ: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك. كتاب/فضائل الصحابة، باب/ فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه حديث رقم (٣٢١٣) ٣٧٤/٨.

[٦]) تقدمت ترجمته انظر ص ٩٥ .

[٧]) تقدمت ترجمته انظر ص ٩٠ .

(إن من الشعر لحكمة [١] وإن من البيان لسحرا) [٢].

قوله تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٢٢٧]

وعيد للكفار[٣] معناه: سيعلمون مصيرهم إلى أي مصير يصيرون إليه، وهو وهو

النار يخلدون فيها فعلى هذا يكون قوله: (أي منقلب)منصوب بدلاً من المصدر، ولا يجوز أن يكون منصوبًا بقوله: (سيعلم) لأن أيًا لا يعمل فيه ما قبله لأنه من حروف الاستفهام، وموضع حروف الاستفهام صدر الكلام، فكان انتصاب قوله: (أي منقلب) على المصدر، أو بقوله: ينقلبون[٤].

---

[١]) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي بن كعب (بلفظ: إن من الشعر حكمة) كتاب/ الأدب ، باب/ ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه. حديث رقم (٦١٤٥) ٦٥٨/١٣، وأخرجه في الأدب المفرد حديث رقم (٨٥٨) ٤٦٣/٢، وأخرجه أبو داوود في سننه عن أبيّ بن كعب كتاب/الأدب ، باب/ماجاء في الشعر حديث رقم (٥٠٠٠) ٢٤١/١٣، وأخرجه ابن ماجة في سننه عن أبيّ بن كعب كتاب/الأدب، باب/ الشعر حديث رقم (٣٧٥٥) ص٦٢٠.

[٢]) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر كتاب/النكاح، باب/الخطبة حديث رقم (٥١٤٦) ١٣/ ٤٤٥، وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي وائل بأطول من هذا. كتاب /الجمعة، باب/ تخفيف الصلاة والخطبة حديث رقم (٨٦٩) ١٣٨/٦، وأخرجه أبو داوود في سننه كتاب/الأدب، باب/ماجاء في الشعر حديث رقم (٥٠٠٢) ٢٤١/١٣.

وورد الحديث مجموعًا ، وفي لفظ المؤلف قلب في المتن، حيث ورد بلفظ: (إن من البيان سحرا، وإن من الشعر حكما) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسند جيد عن ابن عباس حديث رقم(٢٧٦١)٤٨٦/٤، وأبو داود في سننه عنه أيضا، كتاب الأدب ، باب /ماجاء في الشعر حديث رقم (٥٠٦)٢٤١/١٣، من طريق أبي عوانة ، كما أورده السيوطي في الدر ٣٣٨/٦.

* والحديث المقلوب هو : إبدال لفظ بآخر في سند الحديث أو متنه، بتقديم أو تأخير ونحوه. (وهو من أنواع الحديث الضعيف).

وقع القلب هنا في المتن. مثاله : حديث أبي هريرة عند مسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ففيه " ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله " فهذا مما انقلب على بعض الرواة وإنما هو : " حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ".

انظر: تيسير مصطلح الحديث ص١٠٧، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص٦٧.

[٣]) القرطبي بمعناه ٩٧/١٦.

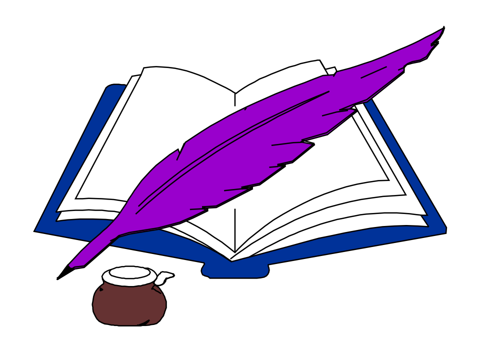
[٤]) القرطبي ٩٨/١٦، الدر المصون ٢٣٦/١١.

وعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به، وهود ، وشعيب، وصالح، وإبراهيم، ولوط ، وإسحاق ، ويعقوب، وموسى، وعيسى عليهم السلام وبعدد من صدق بمحمد [١] ﷺ.

---

[١]) حديث أبي هذا الوارد نهاية كل سورة حديث موضوع سبق تخريجه في آخر سورة الفرقان ص٩٦.

سورة النمل



سورة النمل[١] مكية كلها [٢] وهي ثلاث وتسعون آية عند الكوفيين، وأربع وتسعون عند البصريين [٣].

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[١] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو اسم من أسماء الله أقسم بهً [٤]، أن هذا القرآن تلك الآيات التي وعدتم بها. وقال قتادة [٥] ـ رحمه الله ـ: " هو اسم من أسماء القرآن[٦] ، ويقال: هو اسم السورة [٧] أي: هذه السورة تلك الآيات التي وعدتم بها.

---

[١]) لورود لفظ النمل فيها ومخاطبته سليمان عليه السلام. انظر بصائر ذوي التمييز ٢٤٤/١، الإتقان ص١٤٦ ، أسماء سور القرآن ص ٢٩٤.

[٢]) تفسير الخازن ١٣٣/٥، الكشاف ٣٥١/٣، بصائر ذوي التمييز ٢٤٤/١، القرطبي٩٩/١٦، الاستيعاب في بيان الأسباب ٢٦/٣.

[٣]) انظر تفسير مقاتل ٤٦٩/٢، وخمس وتسعون في عد الحجاز، البيان في عد آي القرآن ١/ ١٩، بصائر ذوي التمييز ٢٤٤/١، القرطبي٩٩/١٦.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٠٧/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا ٢٨٣٨/٩، الكشف والبيان ٤٧١/٤. يرد هذا القول أن صيغة القسم معروفة ، ولم يرد في نص صحيح ولا في لغة العرب قسمًا بمثل هذا، قال القرطبي: لا يصح أن يكون قسما لأن القسم معقود على حروف مثل : إن وقد ولقد وما ، ولم يوجد ههنا حرف من هذه الحروف ، فلا يجوز أن يكون يمينا. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١ / ٢٤١، والذي أثر عن ابن عباس في هذا وأخرجه البيهقي ضعيف لإرساله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى : {كهيعص} وطه ، وطس ، وطسم ، ويس ، وص ، وحم عسق ، وق ، ونحو ذلك ، قسم أقسمه الله تعالى ، وهي من أسماء الله عز وجل. الأسماء والصفات (١٦٣) ١ / ٢٣٠.ومعلوم أيضًا أن أسماء الله عز وجل توقيفية ، لا تؤخذ إلا بنص صحيح من كتاب أو سنة ، وليس في أسماء الله تعالى ذلك.

[٥]) تقدمت ترجمته انظر ص ٧٤.

[٦]) معاني القرآن للزجاج ١٠٧/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٨٣٨/٩. أما كونها اسم من أسماء القرآن فلم يعرف من أسماء القرآن هذه الحروف ، وأسماء القرآن و أوصافه ذكرها العلماء واستنبطوها من كتاب الله ، وليس في ذلك حديث صحيح.

و قال ابن كثير في تفسيره: ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد: إنه اسم من أسماء السور، فإن كانت كل سورة يطلق عليها اسم القرآن، فإنه يستبعد أن يكون "المص" اسما للقرآن كله؛ لأن المتبادر إلى فهم السامع من يقول: قرأت "المص"، إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف، لا لمجموع القرآن والله أعلم. أهـ ٥٠/١، التحرير والتنوير ١٦ / ٦١.

[٧]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ٥٤٢/١٧، والثعلبي في الكشف والبيان عن مجاهد ٤٣٩/٤، وفي زاد المسير عنه أيضًا ١١٥/٦، القرطبي ٨/١٦ ، تفسير السمعاني ٣٨/٤ ، روح المعاني ٩٩/١. وانظر الرد على هذا القول في سورة الشعراء ص٩٨.

وقوله : (وكتاب مبين) معناه: وآيات الكتاب المبين بالحلال والحرام[١]، وفي الآية جمع بين صفتي القرآن لبيان أنه يُقرأ و يُكتب، وأنه مؤلف من هذه الحروف التي هي من أصل كلامهم ، فلما عجزوا عن الإتيان بمثله دل على أنه معجزة من الله تعالى [٢].

وقوله : ﴿هُدًى وَبُشْرَى ﴾[٢] يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال أي: جعلناها هادية مبشرة للمؤمنين[٣]، وتخصيص المؤمنين لأن منفعة الهداية راجعة إليهم، ويجوز أن يكون قوله: (هدى) في موضع رفع على إضمار هو هدىٍ [٤].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾[٣] نعت للمؤمنين الذين يصلون الصلوات الخمس بشرائطها في مواقيتها، ويعطون الزكاة المفروضة من أموالهم[٥]. وهم بالآخرة وما فيها من البعث والحساب، والجنة والنار يوقنون أي: يقرون ويصدقون[٦].

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾[٤] أي: لا يصدقون بالآخرة: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٤] التي يلزمهم أن يعملوها زيناها لهم بذكر ثوابها [٧].

---

[١]) بحر العلوم ٤٨٨/٢، النكت والعيون ١٩٢/٤، القرطبي ١٠٠/١٦.

[٢]) وهذا دلالة على أن المؤلف يؤيد القول القائل بأن هذه الحروف المقطعة جاءت للتحدي والإعجاز، كما سبق أن بينته في سورة الشعراء، انظر ص٩٩.

[٣]) معاني القرآن للفراء ٢٨٦/٢، معاني القرآن للزجاج ١٠٨/٤، الكشف والبيان ٤٧٢/٤، الكشاف ٤٢٩/٤، التبيان للعكبري ١٧١/٢، القرطبي١٠٠/١٦، البحر ٥١/٧، الدر المصون ٢٣٧/١١.

[٤]) كما يكون في موضع رفع على البدل من آيات على معنى تلك هدى وبشرى، أويكون خبرًا بعد خبر على معنى قولهم: هو حلو حامض. معاني القرآن للفراء ٢٨٦/٢، الطبري ٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٠٨/٤، الكشف والبيان ٤٧٢/٤، اللباب لابن عادل ١٠٥/١٥، الكشاف ٤٣٠/٤، التبيان للعكبري ١٧١/٢، البحر ٥١/٧، الدر المصون ٢٣٧/١١.

[٥]) قاله عكرمة وقتادة والحسن انظر النكت والعيون ١٩٣/٤، المحرر الوجيز ٢٤٨/٤، البغوي بنحوه ص ٩٥١. وفي تفسير النفقة بإعطاء الزكاة لا يتفق مع مكية السورة ، حيث إن الزكاة فرضت في المدينة ، وقد يكون القول الآخر هو الأنسب هنا حيث جعلها ابن عباس رضي الله عنه عامة فقال: الطاعة لله والإخلاص ، وقيل تطهير أجسادهم من دنس المعاصي. الطبري ٧/١٨.

[٦]) بحر العلوم ٥٧٢/٢.

[٧]) هذا أحد تأويل المعتزلة للآية قاله ابن عادل في اللباب ١٠٨/١٥، وانظر: تنزيه القرآن عن المطاعن بلفظ: زينا لهم ما ينبغي أن يعملوه.ص٣٠١ ، تأويلات أهل السنة ٩٦/٨، و التبيان للطوسي ٧٤/٨، البحر ٥٢/٧، مفاتيح الغيب ١٥٣/٢٤.

﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[٤] يتحيرون[1] بالذهاب عنها، هكذا روي عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ يقال: فلان يعمل عمله، و فلان لا يعمل عمله ، والمراد به العمل الذي يلزمه. ويقول الرجل لغيره وهو ينصحه: اعمل عملك أي: العمل الذي يليق بك والذي أمرت به [2].

ويقال في معناه: زينا لهم أعمالهم التي كانوا يعملونها بخلق الشهوة فيهم والتمكين منها ، و الإقدار عليها ليتجنبوا ما يشتهى من القبائح، فيستحقوا الثواب فهم يعمهون عن هذا المعنى[3].

وقوله تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾[٥] أي: أشد العذاب، وهم في الآخرة هم الأخسرون، أي: المغبونون بذهاب الجنة عنهم ودخولهم النار. و الأخسر أفعل من الخسران[4].

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ ﴾[٦:] لتلقن القرآن وتعطى وحيًا من عند الله تعالى نزله بعلمهَ وحكمته [5].

وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾[٧] معناه: واذكر إذا قال موسى عليه السلام لقومه المختَصين به ، ـ وكانت حينئذ ابنة شعيب عليه السلام في

---

[1]) معاني القرآن للزجاج ١٠٨/٤، تأويلات أهل السنة ٩٧/٨، النكت والعيون ١٩٣/٤، المحرر الوجيز بنحوه ٢٤٨/٤، التسهيل ٣٠١/٢، القرطبي ١٠٠/١٦.

[2]) انظر التبيان للطوسي عند تفسير الآية (١٠٨) من سورة الأنعام. ٢٣٣/٤.

[3]) قال ابن القيم في شفاء العليل :

وأما التزيين فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾، وقال: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾، وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، فأضاف التزيين إليه منه سبحانه خلقا ومشيئة، وحذف فاعله تارة ونسبة إلى سببه ومن أجراه على يده تارة ، وهذا التزيين منه سبحانه حسن؛ إذ هو ابتلاء واختبار بعيد ليتميز المطيع منهم من العاصي، والمؤمن من الكافر، كما قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ وهو من الشيطان قبيح ،وأيضًا فتزيينه سبحانه للعبد عمله السيئ عقوبة منه له ؛ على إعراضه عن توحيده وعبوديته ، وإيثار سيء العمل على حسنه ، فإنه لا بد أن يعرفه سبحانه السيئ من الحسن، فإذا آثر القبيح واختاره، وأحبه ورضيه لنفسه زينه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحه، بعد أن رآه قبيحا، شفاء العليل ص ١٠٣، تأويلات أهل السنة دون آخره ٩٦/٨، التبيان للطوسي ٧٤/٨، انظر زاد المسير ١٥٤/٦، روح المعاني ١٩ / ١٥٧.

[4]) أي: أخسر من غيرهم بحر العلوم ٤٨٩/٢، انظر المحرر الوجيز ٢٩٦/٤، اللباب لابن عادل ١٠٩/١٥، البحر ٥٢/٧.

[5]) انظر الطبري ٨/١٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٠٨/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي نحوه ٢٨٤٢/٩، وانظر بحر العلوم ٤٨٩/٢ ، والنكت والعيون ١٩٣/٤.

نكاحه[1] - قال لهم حين ضل الطريق: إني آنست نارًا، أي: رأيتها وأبصرتها [2]، فامكثوا هاهنا حتى آتيكم منها، أي: من عند النار بخبر الماء والطريق [3]؛ وذلك لأن النار في المفازة قلّ ما يخلو أن يكون عندها من يعرف الماء والطريق.

وقوله : ﴿أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ [٧] أي: بالشعلة المقتبسة من النار لكي يدفؤوا من البرد [4] وفي هذا دليل أن ذلك كان في الشدة من البرد / في الشتاء [5]. ١/٤٤١أ

وكانوا محتاجين إلى الصلاء[6]، والشهاب هو النور المستطير[7].

ومنه قوله: ﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[8]، وذلك أن النجم يسير فيستطيل، والقبس والقبس والجذوة كل عود أشعلت في طرفه نارًا [9].

---

[1]) روي أنه لم يكن معه غير امرأته. وقيل : كانت ولدت له،فلفظ الأهل يطلق على عدة معانٍ منها: الزوجة والأولاد. وجاء في نفس السورة في قصة لوط عليه السلام ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ من الآية: [٥٧]. أما كونها ابنة شعيب النبي أم غيره، فسيأتي إن شاء الله. الوجوه والنظائر ص٥٣، المحرر الوجيز ٢٤٩/٤، البحر ٥٢/٧، التحرير والتنوير ٢٢٥/١٩.

[2]) غريب القرآن لليزيدي بنحوه ص٢٨٦، النكت والعيون عن أبي عبيدة. ١٩٣/٤.

[3]) ذكر المفسرون إرادته النار ومعرفة الطريق دون الماء، تفسير مقاتل ٤٧٠/٢، بحر العلوم ٤٨٩/٢، البغوي ص ٩٥٢، قال في البحر: فتشوقت نفسه ، إذ رأى النار إلى زوال ما لحق من إضلال الطريق وشدة البرد. ٥٢/٧.

[4]) الطبري ٩/١٨، تأويلات أهل السنة ٩٨/٨، الكشف والبيان ٤٧٣/٤، النكت والعيون ١٩٤/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي ٢٨٤٣/٩، المحرر الوجيز ٢٥٠/٤، بحر العلوم ٤٨٩/٢، القرطبي١٠٣/١٦.

[5]) تأويلات أهل السنة ٩٨/٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨٤٢/٩، تفسير الخازن ١٣٣/٥، النكت والعيون ١٩٤/٤، البغوي ٩٥٢.

[6]) الصلاء: الوقود على فعول وهو ما توقد به النار(أو النار) والصلى: صلى النار، وهو دفؤها، فالاصطلاء هو: الاستدفاء. تاج العروس مادة(صلى) ٣٨ / ٤٣٥، جمهرة اللغة (ص - ل - و - ا – ي) ٢ / ١٠٦.

[7]) الشهاب: العود الذي فيه نار، وهو في الأصل الشعلة من النار. لسان العرب مادة(شهب) ١ /٥٠٨ ، تاج العروس مادة(شهب)٣ / ٦٤.

[8]) سورة الصافات: [١٠].

[9]) (القبس) بالتحريك: النار أو شعلة منها ، يقتبسها الإنسان أي يأخذها من معظم النار، وكذلك المقباس، يقال: قبست منه نارا أقبسها قبسا. وقبسته نارا: إذا جئته بها، وجمعه أقباس. وقيل القبس الجذوة ، وهي النار التي تأخذها في طرف عود ، واقتبست منه علما استفدته قال الكسائي: واقتبست منه علما ونارا، سواء وفي الحديث (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر). لسان العرب مادة(قبس) ٦ / ١٦٧ المعجم الوسيط مادة(قبس)٢ / ٧١٠، العباب الزاخر ١ / ١٦٢.

فمن قرأها بشهابٍ قبسٍ بتنوينهما [١]، جعل القبس نعتًا للشهاب [٢]، ومن قرأ قرأ بشهاب بغير تنوين[٣] أضاف الشهاب إلى القبس [٤].

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾[٨] معناه: فلما جاء موسى ـ عليه السلام ـ النار التي رآها، نودي نداء الوحي: أن بورك من في النار، أي: من في طلب النار [٥]، ومن حولها من الملائكة [٦]، ويقال: إنه لما دنا من النار أضاءت له له البقعة، وأحاط به النور من جوانبه [٧]، فنودي:

﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾[٨] والنار هاهنا: نور[٨].

ومن فيَ النار هو َموسى ـ عليه السلام [٩] ـ ، ويقال: كان من في النار ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٨] ملائكة [١٠]، وأهل اللغة يقولون: بورك فلان وبورك فيه، وبورك له وعليه بمعنى واحد [١١].

---

[١]) بشهابٍ قبسٍ) قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، ويعقوب. النشر. ص٤٢٣، السبعة ٤٧٨/١، الطبري٩/١٨، القرطبي١٠٣/١٦.

[٢]) الطبري ٩/١٨، المحرر الوجيز ٢٥٠/٤، زاد المسير ١٥٤/٦، التبيان للعكبري ١٧١/٢، الدر المصون ٢٤٠/١١.

[٣]) (بشهابِ قبس) على الإضافة هي قراءة الباقين ، المصادر السابقة.

[٤]) معاني القرآن للفراء ٢٨٦/٢، الطبري ٩/١٨، المحرر الوجيز ٢٥٠/٤، باهر البرهان ١٠٤٩/٢، التبيان للعكبري ١٧١/٢، الدر المصون ٢٤٠/١١.

[٥]) تأويلات أهل السنة ٩٩/٨، بحر العلوم ٤٨٩/٢، الكشف والبيان ٤٧٣/٤، تفسير الخازن ١٣٣/٥، البغوي ص٩٥٢، زاد المسير ١٥٥/٦.

[٦]) أخرجه الطبري عن محمد بن كعب ١٣/١٨، بحر العلوم ٤٨٩/٢، تفسير الخازن ١٣٣/٥، باهر البرهان ١٠٥١/٢.

[٧]) لم أقف عليه .

[٨]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة والحسن ١٢/١٨، تأويلات أهل السنة ٩٩/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨٤٥/٩، الكشف والبيان ٤٧٣/٤، النكت والعيون ١٩٥/٤، وهو قول أكثر المفسرين كما ذكر البغوي في تفسيره ٩٥٢، روي عن قتادة والزجاج: من في النار هو نور الله. مفاتيح الغيب ٢٤ / ١٥٦.

[٩]) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣٠١، لقربه منها، قال الرازي: وهذا أقرب لأن القريب من الشيء قد يقال إنه فيه. مفاتيح الغيب ٢٤ / ١٥٦.

[١٠]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب ١٢/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره عنهما وقال: روي عن عكرمة وقتادة وسعيد بن جبير مثله ٢٨٤٥/٩، الكشف والبيان ٤٧٤/٤، تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣٠١، وأخرجه الإمام أحمد في السنة عن ابن عباس. (٥٨٢) ٨٦/١.

[١١]) معاني القرآن للفراء ٢٨٦/٢، تأويلات أهل السنة ٩٩/٨، الكشف والبيان ٤٧٤/٤ ، زاد المسير ١٥٥/٥، وانظر القرطبي١٠٤/١٦، الدر المصون ٢٤١/١١.

والمراد بالبركة ها هنا: ما نال موسى ـ عليه السلام ـ من الكرامة، ومن النبوة[١]، ونظير هذا قوله تعالى[٢] في أضياف إبراهيم إذ قالوا له: ﴿ رَحْمَتُ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[٣] ، ويجوز أن يكون المعنى من في النار النار من على النار أو عند النار، كما يقال: فلان على الماء إذا كان قريبًا منه مشرفًا عليه[٤].

وقوله : ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٨] كلمة تنزيه تدل على أن تأويل الآية ما ذكرناه ولو كان الأمر على ما يظن المشبهة [٥] أن الله تعالى كان في النار النار

---

[١]) انظر الكشف والبيان ٤٧٤/٤، قال البغوي في تفسيره: وهذا تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة. ص٩٥٢، التحرير والتنوير ٢٢٦/١٩، مفاتيح الغيب ٢٤ / ١٥٧.

[٢]) ساقطة من (ب).

[٣]) سورة هود: [٧٣].

[٤]) الكشف والبيان بنحوه ٤٧٣/٤، تفسير السمعاني ٧٨/٤، البغوي ص ٩٥٢.

[٥]) قال الرازي: والمعنى تبارك من في النور وذلك هو الله سبحانه. وهو مروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وإن كنا نقطع بأن هذه الرواية موضوعة مختلقة. مفاتيح الغيب ٢٤ / ١٥٦،

ولعل المؤلف أراد مقاتل بن سليمان في قوله في هذه الآية: ياموسى إن النور الذي رأيت أنا الله. تفسير مقاتل ٢ / ٤٧٠، وانظر تأويلات أهل السنة ١٠٠/٨.

و المشبهة لفظ أطلق على الشيعة الغالية، وكذلك جماعة من الحشوية لكونهم شبهوا الله بخلقه في الصفات. الملل والنحل. ١٢٠/٢.

كما وصف الجهمية والمعطلة أهل السنة والجماعة بالمشبهة؛ لكونهم يثبتون الصفات لله دون تأويل لها عن ظاهرها ، فيشبهونه ـ بزعمهم ـ بخلقه، وأهل السنة ينزهون الله عن ذلك ، فإثبات السلف للصفات على ما جاء في الكتاب والسنة ، ليس هذا تشبيهًاولا تكييفًا ولا يستلزم شيئًا من ذلك، لأن التشبيه عند السلف هو: إثبات الصفات لله وادعاء مماثلتها لصفة المخلوق.

كما شبه اليهود صفات الله بصفات خلقه في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾حيث شبه اليهود صفات الله بصفات خلقه ، فوصفوا يده بالنقص والعيب الذي تتصف به يد المخلوق. ونزه الله نفسه وبين كماله وأن يديه مبسوطتان بالخير والعطاء، ولم ينف عن نفسه صفة اليد ، وإنما بين كمال صفته في مقابل نقص صفة المخلوق. انظر الأشاعرة في ميزان أهل السنة ص٤١١، والتمهيد لابن عبدالبر ٧ / ١٤٥.

قال ابن خزيمة في التوحيد: يقال ملك كريم عليم حكيم....وقد يجوز أن يدعي البشر بعض هذه الأسماء وإن كانت مخالفة لصفاتهم ، فالأسماء متفقة والتشبيه والكيفية مفترقة، كما يقال ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء ، فان كنا عندك مشبهة أن وحدنا الله بصفات أخذناها عنه وعن كتابه فوصفناه بما وصف به نفسه فالله في دعواكم أول المشبهين بنفسه ثم رسوله!! ١ / ١٢٢.

ـ كما أنه لا يلزم من صفات الله ما يلزم من صفات المخلوق. قال ابن مندة في التوحيد: ليس التوحيد بالقياس؛ لأن القياس يكون في شيء له شبه ومثل، فالله تعالى وتقدس لا شبه له ولا مثل له تبارك

لكانت النار تحويه [١]، وعباد الصنم أعذر ممن عبد شيئًا تحويه النار [٢].

قوله : ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ ﴾ أي: إن الداعي الذي يدعوك: ﴿ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ ﴾ في ملكي: ﴿ الحَكِيم﴾[٩] في أمري وقضائي.

فإن قال قائل: بماذا عرف موسى أن ذلك النداء من الله عز وجل؛ حتى جعل يدعو الناس إلى نبوة نفسه؟

قلنا إنما عرف نبوة نفسه بالمعجزة، وذلك أنه رأى شجرة أخضر ما *يكون وأنضر ما يكون* [٣] لها شعاع يرتفع إلى السماء في الهواء والنار تلتهب في أوراقها وأغصانها، فلا النار تحرق الأوراق ولا الأغصان ولا رطوبة الشجر تطفئ النار، فلما رأى ذلك بخلاف العادة علم أنه ليس إلا من صنع الله

الله أحسن الخالقين. ٣٠٥/٣، الصواعق المرسلة ١ / ٢٦٢، وانظر الأشاعرة في ميزان أهل السنة. ص٣٦٨، تقريب التدمرية لابن عثيمين ص٣١.

[١]) تأويلات أهل السنة نسبه لمقاتل ١٠٠/٨، الكشف والبيان ٤٧٣/٤، ، تفسير الخازن عن ابن عباس ١٣٣/٥، زاد المسير عنه وعن الحسن ١٥٥/٦، أورده القرطبي عنهما وعن سعيد بن جبير ١٠٥/١٦، قال في البحر عن ابن عباس وابن جبير وغيرهم ٥٤/٧.

[٢]) البغوي ص٩٥٢، المحرر الوجيز ٢٥٠/٤، قال أبو حيان في البحر: وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة إلى الله تعالى . وإذا ثبت ذلك عن ابن عباس، ومن ذكر أوّل على حذف ، أي: بورك من قدرته وسلطانه في النار، وقيل لموسى عليه السلام : أي بورك من في المكان، أو الجهة التي لاح له فيها النار. وقال السدي: (من) للملائكة الموكلين بها. وقيل : من تقع هنا على ما لا يعقل . فقال ابن عباس : أراد النور. وقيل: الشجرة التي تتقد فيها النار. أهـ ٥٤/٧، وكذا قال الغزنوي: بورك من في النار سلطانه."باهر البرهان ١٠٥٢/٢، وقال القرطبي: رأى نوراً عظيماً فظنه نارا، وهذا لأن الله تعالى ظهر لموسى بآياته وكلامه من النار، لا أنه يتحيز في جهة " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله " لا أنه يتحيز فيهما، ولكن يظهر في كل فعل فيعلم به وجود الفاعل. أهـ ١٠٥/١٦.

[٣]) هكذا في النسختين بالياء التحتية.

تعالى[١][٢] وقيل: أنه سمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجميع الجوارح[٣].

قوله تعالى : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾[١٠] أي: وقيل له ألق عصاك من يدك، فألقاها فاهتزت ، فلما رآهَا تهتز أي تتحرك [٤] وتضطرب كأنها جان ، والجان الحية الخفيفة السريعة السير، شديدة الاضطراب، يقال لها الضَئِيْلة [٥][٦] وتسمى جانًا لسرعة استتارها عن الأعين، فشبهت العصا بعد أن صارت حية بالجان، لشبهها به في الخفة لا في القدر والعظم ، فإنها كانت ثعباناً في العظم[٧].

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ أي: أعرض موسى ـ عليه السلام ـ هاربًا: ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾[١٠] أي: لم يلتفت إلى شيء وراءه [٨]، فنودي: ﴿ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ﴾ أي: لا تخف من ضررها: ﴿ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُون﴾[١٠] أي: لا يخاف في حكمي المرسلون.

﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ ﴾ من المرسلين بارتكاب الصغيرة، ثم تاب من بعد ذلك[٩] ﴿فَإِنِي غَفُورٌ ﴾ له :﴿ رَّحِيم﴾[١١] به ، وكان السبب في هذا الاستثناء أن

---

[١]) تفسير ابن كثير ولم يذكر السؤال. ٤٣٨/٣، وانظر اللباب لابن عادل ١١٦/١٥، النكت والعيون بنحوه، إلا أنه ذكر آخره: ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها، إلى أن وضح أمرها على أنها مأمورة ، لا يدري من أمرها أهـ. ١٩٤/٤، وهذا التفصيل ليس عليه دليل صحيح ، وهو من الإسرائيليات التي ينبغي تركها والإعراض عنها.

[٢]) كتب في حاشية الأصل: كانت الشجرةسَمُرة، ذكره النقاش، وقيل: شجرة عناب، قطع به في الواحدي. وانظر: الوسيط للواحدي ٣٩٨/٤، البغوي ص٩٨٠، المحرر الوجيز ٣٩/٤. عند تفسيرهم للآية [٣٠] من سورة القصص.

[٣]) تفسير روح البيان لإسماعيل الإستانبولي بلفظ: وقد صح أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من كل جانب بكل جانب. ١٩٠/٨.

[٤]) تفسير مقاتل ٤٧٠/٢، معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٤، الكشف والبيان ٤٧٤/٤، ، تفسير الخازن ١٣٤/٥، البغوي ص ٩٥٢.

[٥]) الضئيلة الحية الدقيقة المحكم الضئيلة حية كأنها أفعى. لسان العرب مادة(ضأل)١١ / ٣٨٨.

[٦]) كتب في حاشية الأصل:الضَئِييْلة الحية الدقيقة ذكره في ضال في حرف الضاد المعجمة.

[٧]) سبق بيان هذا المعنى في سورة الشعراء انظر ص ١٠٨.

[٨]) معاني القرآن للفراء ٢٨٧/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ١٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٩/ ٢٨٤٨، بحر العلوم ٤٨٩/٢، الكشف والبيان عنه أيضًا ٤٧٥/٤، النكت والعيون ١٩٦/٤، المحرر الوجيز ٢٥١/٤، القرطبي١٠٨/١٦.

[٩]) انظر: تفسير مقاتل ٤٧٠/٢ ، تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣٠٢.

موسى ـ عليه السلام ـ كان مستشعرًا خيفة؛ لما كان منه من قتل القبطي[1] فأمنه الله تعالى بهذا الكلام[2].

والصغائر والكبائر من الذنوب تسمى ظلمًا، ولذلك قال موسى عليه السلام: إني ظلمت نفسي[3].

ويقال إن قوله: (إلا من ظلم) استثناء منقطع، ومعناه: لكن من ظلم فإنه يخافني إلا أن يتوب ويعمل صالحًا فإني أغفر له [4] ، وأرحمه [5].

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾[١٢] فيه بيان أن الله تعالى أعطاه آية أخرى في ذلك المكان . ومعنى تَخرج بيضاء من غير سوء، أي: بيضاء لها شعاع من غير برص[6]، في تسع آياتٍ ، أظهر هاتين الآيتين في تسع آيات، آيات، كما يقال:أعطي فلان عشراً من الإبل فيها فحلان[7].

---

[1]) تقدم نسبة القبط في سورة الشعراء انظر ص ١٠٢.

[2]) أخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن ١٨/١٨، تأويلات أهل السنة ١٠١/٨، بحر العلوم ٤٩٠/٢، الكشف والبيان ٤٧٥/٤، وانظر الكشاف ٤٣٣/٤، ذكره القرطبي عن الحسن وابن جريج.١٠٨/١٦.

[3]) قال ابن عطية في المحرر الوجيز: الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي هي رذائل واختلف فيما عدا هذا. أهـ ٢٥١/٤، ، تفسير الخازن ١٣٤/٥، وهو قول الحسن = = وقتادة و مقاتل زاد المسير ١٥٦/٦، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: ونسبه ابن عطية لمقاتل وابن جريج ٢٢٩/١٩، تأويل مشكل القرآن ١٣٩.

[4]) له، ساقطة من (ب).

[5]) أي من غير المرسلين. معاني القرآن للفراء ٢٨٧/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن وابن جريج نحوه ١٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٤، تأويلات أهل السنة ١٠١/٨، بحر العلوم ٤٩٠/٢، تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣٠٢، وفي زاد المسير عن ابن السائب والزجاج ١٥٦/٦، وصحح هذا القول السمين الحلبي في الدر.٢٤٤/١١.

[6]) الطبري ٢١/١٨ ، معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٤، بحر العلوم ٤٩٠/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس، وقال روي عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وعطاء الخراساني، والربيع بن أنس مثل ذلك.٩/ ٢٨٥١٩، تحصيل نظائر القرآن ص٤١، الكشف والبيان ٤٧٦/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٥٥.

والبرص داء معروف نسأل الله السلامة والعافية منه، ومن كل داء وهو بياض يقع في الجسد، برص برصا والأنثى برصاء. انظر: لسان العرب مادة(برص) ٧ / ٥، القاموس المحيط ٢ / ١٥٧.

[7]) معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٤، تأويلات أهل السنة ١٠١/٨، بحر العلوم ٤٩٠/٢، القرطبي١١١/١٦.

والآيات التسع: قلب العصا حية ، وجعل يده بيضاء ، وما أصاب آل فرعون من الجدب في بواديهم ، ونقص الثمرات من مزارعهم ، وإرسال الطوفان، والجراد ، والقمل ، والضفادع، والدم عليهم فهذه الآيات التسع[١].
قوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾[١٣] معناه: فلما جاءت فرعون وقومه الآيات التسع مبصرة أي: بينة [٢] واضحة قالوا: / ٤٤٢/ ب

﴿ هَذَا سِحْرٌ مُّبِين﴾[١٣] أي: كذبوا بكل آية من الآيات، ونسبوا موسى عليه السلام إلى السحَر.
قوله عز وجل :﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾ أي: جحدوا بألسنتهم [وعلموا][٣] بقلوبهم أن تلك الآيات ليست من جنس أفعال السحرة، وأنها من من الله تعالى، وكانوا يسألون موسى عليه السلام في كل آية من تلك الآيات أن يكشفها عنهم، فكان يكشفها عنهم عند سؤالهم فعلموا يقينًا أنها من عند الله تعالى ، لكن جحدوا بها ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ تجبرًا وتكبرًا [٤] :﴿ فَانظُرْ﴾ يا محمد:﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِين﴾[١٤] كيف كانت خاتمة أمرهم، وكيف أهلكهم الله تعالى في اليم.
قوله عز وجل:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾[١٥] أي: أعطيناهما معرفة الدين وأحكام الشريعة [٥] ، فقابلا تلك النعمة بالشكر:
﴿ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِين﴾[١٥] وذلك أنه لا يبلغ علم أحد من الناس علم أحد من الأنبياءَ صلوات الله عليهم .

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد، غير أنه قال بدل الجدب: الطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم ٢١/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس بروايتين، فذكر في إحداها اللسان والبحر، وذكر في الأخرى نقص الثمرات والسنون، كما أخرجه عن محمد بن كعب القرظي وذكر الطمسة والبحر. ٢٨٥١/٩ ، وذكر الزمخشري في الكشاف أن الآيات إحدى عشر، ذكرها وزاد الفلق والطمسة. ٤٣٥/٤، التحرير والتنوير ٢٣٢/١٩.
[٢]) أخرجه الطبري عن ابن جريج ٢٢/١٨، تأويلات أهل السنة ١٠٢/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٨٥٢/٩ ، الكشف والبيان ٤٧٦/٤، الكشاف ٤٣٤/٤، القرطبي١١١/١٦.
[٣]) في (ب) وعملوا، والصحيح ما ورد في الأصل.
[٤]) انظر الطبري ٢٣/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة قال: " العلو في كتاب الله التجبر" ٢٨٥٣/٩، وقال القرطبي: تكبروا أن يؤمنوا بموسى١١١/١٦.
[٥]) ذكر نحوه في النكت والعيون ١٩٨/٤، وانظر ابن كثير ٤٣٩/٣.

قوله عز وجل : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[١٦] وذلك أنه كان لداود تسعة أبناء[١]، إلا أن سليمانَ عليه السلام هو الذي ورث مجلسه ومقامه في الملك[٢] والنبوة [٣] والدعاء إلى عبادة الله تعالى وسياسة الناس والرياسة عليهم ، كما يقال : (العلماء ورثة الأنبياء) [٤].

ولا يجوز أن يكون المراد به: إرث النبوة؛ لأن النبوة لا تورث[٥]، ولا يجوز يجوز أن يكون المراد به: إرث المال[٦]، على ما روي عن النبي ﷺ أنه قال قال : (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)[١].

---

[١]) معاني القرآن للفراء ٢٨٨/٢، معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٤، وقال في الكشف والبيان: تسعة عشر ابناً ٤٧٧/٤، الكشاف ٤٣٧/٤، وكذا أورد القرطبي١١٢/١٦.

[٢]) تفسير مقاتل ٤٧٢/٢، معاني القرآن للفراء ٢٨٨/٢، الطبري ٢٤/١٨، الكشف والبيان ٤٧٧/٤، الكشاف ٤٣٧/٤، النكت والعيون عن قتادة ١٩٨/٤، ابن كثير٤٣٩/٣ ، القرطبي ١١٣/١٦.

[٣]) معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٤، وذكر في تأويلات أهل السنة مع سابقه ١٠٤/٨، قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٤٧٧/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٨٥٤/٩، النكت والعيون عن قتادة ١٩٨/٤، وفي المحرر الوجيز:"منزلته من النبوة..وسمي ميراثاً تجوزا" ٢٥٣/٤، وقال في البحر: بمعنى : صار ذلك إليه بعد موت أبيه فسمي ميراثا تجوزا ، كما قيل: العلماء ورثة الأنبياء. البحر ٥٧/٧، والتسهيل ٣٠٣/٢، وابن كثير٤٣٩/٣، ولعل المؤلف قصد ذلك، أي: قيامه مقامه في الدعوة للتوحيد؛ لأنه أنكر بعد ذلك أن يكون المراد إرث النبوة، ويؤيده ما قاله القرطبي في تفسيره نقلاً عن ابن عطية١١٣/١٦.

[٤]) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه عن أبي الدرداء. كتاب/ العلم عن رسول الله ﷺ باب/ ما جاء في فضل الفقه على العبادة. حديث رقم(٢٦٨٢)٤٧٧/٣، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب/ العلم عن رسول الله، باب/ماجاء في فضل العلم، حديث رقم (٣٦٣٦)٥٢/١٠. قال أبو عيسى: ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل.أهـ و قال السخاوي في المقاصد الحسنة: صححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها.ص٢٨٦-٧٠٣، وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ٣ / ٧: قال المنذري في مختصره: وقد اختلف في هذا الحديث اختلافا كثيرا ورواه ابن حبان في صحيحه ، و خالفه الدارقطني فذكره في العلل، وأعله بالاضطراب وضعف راويه فقال: وعاصم بن رجاء ومن فوقه إلى أبي الدرداء ضعفاء ولا يثبت. أهـ. وأعله ابن القطان أيضًا في كتاب الوهم والإيهام فقال: داود بن جميل، وكثير ابن قيس لا يعلمان في غير هذا الحديث، ولا نعلم روى عن كثير غير داود والوليد ابن مرة ، ولا نعلم روى عن داود غير عاصم بن رجاء... إلى أن قال: فالمتحصل من علته هو الجهل بحال راويين من رواته والاضطراب فيه ممن لم تثبت عدالته يعني عاصما. أهـ ٨/٣.

[٥]) قال الحسن : ورث المال لأن النبوة عطية مبتدأه لا تورث. البحر ٥٧/٧.

[٦]) وحقيقة الميراث في المال، والأنبياء لا تورث مالا. البحر ٥٧/٧، قال ابن كثير في تفسيره: وليس المراد وراثة المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود، فإنه قد كان لداود مائة امرأة. ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة.أهـ ٤٣٩/٣.

وقوله : ﴿ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾[١٦] فيه دليل أن المراد بقوله: (من قبل) وورث سليمان المقام مقام أبيه في العلم[٢]، ولذلك جعل علم منطق الطير داخلاً في جملة ما ورثه.

ومنطق الطير صوت منه على صيغة واحدة[٣]، لا يمكن فهم معناه إلا بوحي من الله تعالى، أو بدلالة تدل عليه كما يعلم بكاء الغم من بكاء الفرح بالدلالة[٤].

قال الشاعر[٥] :

عجبت لها أنىّ يكوُن دعاؤها فصيحًا ولم تفغر بمنطقها فما[٦].

ومن الطير ماله كلام كالطُوْطِي[٧][٨] وغيره، إلا أن المنطق والكلام إذا أطلق كل واحد منهما أريد به الصوت الذي يكون له حروف، تكون على صيغ مختلفة يفهم معناه. ولما كان سليمان ـ عليه السلام ـ يفهم منطق الطير

---

[١]) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال. ص١٤٤٥حديث رقم (٢٩٦٣) وأخرجه الترمذيعن أنس مطولاً ، وليس فيه إنا معاشر الأنبياء، بل لفظه : لا نورث ما تركناه صدقة. كتاب/ السير عن رسول الله ﷺ.باب/ ما جاء في تركة رسول الله ﷺ. حديث رقم(١٦١٠) قال أبو عيسى: وفي الحديث قصة طويلة وهذا حديث حسن صحيح غريب من حديث مالك بن أنس ٥١٥/٢.

[٢]) تفسير مقاتل ٤٧٢/٢، الطبري ٢٤/١٨، الكشف والبيان ٤٧٧/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة مع الأثر السابق قال :"ورثه نبوته وملكه وعلمه." ٢٨٥٤/٩، البغوي ص ٩٥٣، التسهيل ٣٠٣/٢.

[٣]) تفسير السمعاني ٨٣/٤ ، معاني القرآن للفراء٢٨٨/٢، وانظر الكشاف ٤٣٨/٤، وأحكام لقرآن لابن العربي ٤٧٢/٣ .

[٤]) التحرير والتنوير بنحوه. ٢٣٦/١٩، الدر المصون ٣١٠/١١.

[٥]) حميد بن ثور بن حزن بن عمرو بن عامر الهلالي أبو المثنى، وقيل: غير ذلك، كان أحد الشعراء الفصحاء وكان كل من هاجاه غلبه ، شاعر مخضرم. عاش زمنا في الجاهلية ، وشهد حنينا مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده شعرا ، مات في خلافة عثمان، وقيل: أدرك زمن عبد الملك بن مروان. وعده الجمحي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين. الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٢٤٣، الأعلام للزركلي ٢ / ٢٨٣، تاريخ دمشق ١٥ / ٢٦٩.

[٦]) زاد المسير ١٥٩/٦، لسان العرب مادة (فغر) ٥٩/٥، المخصص ٣٩٠/٤.

[٧]) لم أجده في كتب اللغة بهذا اللفظ ولعله الطيطوي وتصحف إلى الطوطي، والطيطوى على وزن نينوى، قرية يونس بن متى صلوات الله عليه، وهو ضرب من الطير معروف، وقيل: هو ضرب من القطا طوال الأرجل ، وهو دخيل في العربية. لسان العرب (طو ى)١/ ١٦٨، العباب الزاخر للصاغاني ١ / ٢٨٢.

[٨]) كتب في حاشية الأصل:الدُرّة.

وهو على صيغة واحدة، كان ذلك كالمعجزة له. كما يحكي: أنه ـ عليه السلام ـ كان جالسًا في أصحابه إذ مرّ به طير يصوّت ، قال لجلسائه : أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا ، قال: إنه يقول ليت الخلق لم يخلقوا، فإذا خلقوا ليتهم علموا لماذا خلقوا . ثم صاح عنده ديك فقال : هل تدرون ما يقول؟ قالوا : لا ، قال: إنه يقول: اذكروا الله يا غافلين[1] .

وقوله: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[١٦] يعطاه مثلنا من علم وتسخير كما يقال إن فلانًا يقصدَه كل أحد، أيَ كثير من الناس: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾[١٦] أي: هو البّين الظاهر .

قوله عز وجل : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ ﴾ أي: جمع له من كل جهة جموعه ، ﴿ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ ﴾[١٧] والحشر: جمع الخلق من موضع إلى موضع[2]، ومنهَ المَحشر لعرصات[3] القيامة .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : "كان معسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ[4]، خمسةوعشرون فرسخًا للإنس، و خمسة وعشرون فرسخًا للجن و خمسة وعشرون فرسخًا للسباع، و خمسة وعشرون فرسخًا للطير"[5].

ووجه تسخير الطير له أن الله تعالى زاد في عقولها ، حتى كانت تفهم ما يقال لها، ويراد منها وتقبل الأدب، وتخاف وتحذر[6] .

---

[1]) بحر العلوم ٤٩١/٢، و ذكر في الكشف والبيان مطولاً ٤٧٧/٤، وعند البغوي أيضًا ص٩٥٤، كما ذكره القرطبي بأطول من هذا١١٥/١٦. وظاهر هذه الأخبار أنها من حكايا بني إسرائيل.

[2]) لم أقف عليه نصا. والحشر: الجمع. انظر الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٧٠.

[3]) العرصات جمع عرصة ، وقيل هي كل موضع واسع لا بناء فيه. وعرصة الدار: وسطها. لسان العرب مادة (عرص) ٥٢/٧، معجم مقاييس اللغة مادة (عرص). ٤ /٢٦٨، جمهرة اللغة ١ / ٤٠٣، المحكم والمحيط الأعظم ١ / ١٥٣.

[4]) الفرسخ من المسافة المعلومة في الأرض وهو ثلاثة أميال ، سمي بذلك ؛لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك، كأنه سكن، وهو يساوي ٥٥٤٤ مترًا ، ويساوي ٥،٥٤٤ كم. الإيضاحات العصرية للمقاييس. ص٦٤ ، لسان العرب مادة(فرسخ) ٤٤/٣، تاج العروس مادة(فرسخ) ٧ / ٣١٧.

[5]) ذكر هنا مختصرا وأخرجه الطبري في تفسيره عن محمد بن كعب ٢٥/١٨، وورد في الكشف والبيان بأطول من هذا ٤٧٩/٤، ورد في النصوص أن الله وهب سليمان عليه السلام ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، دون الخوض في مقدار ذلك الملك وسعته ، فينبغي التوقف عند حدود ما ذكر القرآن من خبر، وعدم تتبع هذه الروايات الإسرائيلية التي لا تصح.

[6]) تفسير الخازن بلفظ:ليس بمستعبد أن يخلق الله فيها عقلاً ونطقاً فإنه قادر على ذلك. ٥ / ١٣٨

وقوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُون﴾[١٧] أي: كان يحبس أولهم على آخرهم ليلاحقوا [١]، وكانوا يجمعون، ويفرقون، ويقومون في مسيرهم على مراتبهم. والإيزاع: هو المنع[٢] من الذهاب، والوازع هو القيم بأمر الجيش [٣]، ومن ذلك قول الحسن ـ رضي الله عنه ـ :" لا بد للناس من وَزَعَة". أي: من سلطان يكفهم ويقال: لا بد للسلطان من وَزَعَة. أي: ممن يمنع الناس عنه [٤].

قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ معناه ساروا جميعًا حتى إذا جاءوا إلى وادٍ كثير النمل : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ لأصحابها على وجه التحذير: ﴿يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ أي: منازلكم : ﴿لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ لا يكسرنكم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون﴾[١٨] بذلك قابلت عذر سليمان في ذلك وعذر جنوده / وأخبرت أنهم لا يطؤونهم عن علم منهم، فسمع سليمان عليه السلام كلامها ولم يسمعها غيره؛ لأن الريح كانت مسخرة له فطارت بكلامها، فأدخلته في أذن سليمان عليه السلام فضحك فرحًا بظهور عدله في الخلق حين عرفته النمل، فأخبرت أنهم لا يطؤونهم عن علم منهم وذلك قوله (فتبسم ضاحكًا من قولها) أي: تعجبًا من قول تلك النملة [٥]، وقال: رب أوزعني أي: ألهمني[٦] بما يمنع ذهاب الشكر عني فوفقني لشكر نعمتك التي مننت بها بها علي وعلى والدي، ووفقني لأن أعمل صالحًا ترضاه، وأدخلني برحمتك في جملة عبادك الصالحين في الآخرة.

٤٤٢/أ

---

[١]) غريب القرآن لليزيدي بنحوه ص٢٨٦، الطبري ٢٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٠٩/٤، تحصيل نظائر القرآن ص ١٥٧، تأويلات أهل السنة ١٠٥/٨، بحر العلوم ٤٩١/٢، الكشف والبيان ٤٧٩/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٨٥٧/٩، وغريب السجستاني ٥٣٥/١.

[٢]) الوزع : كف النفس عن هواها. انظر: لسان العرب مادة(وزع) ٣٩٠/٨ ، تاج العروس مادة (وزع)٣١٨/٢٣ ، تأويلات أهل السنة ١٠٥/٨، الكشف والبيان ٤٧٩/٤، البغوي ص ٩٥٤.

[٣]) لسان العرب مادة (وزع) ٣٩٠/٨، تاج العروس مادة (وزع) ٣١٨/٢٣ ، و انظر تحصيل نظائر القرآن ص١٥٧، و تأويلات أهل السنة ١٠٥/٨، المجموع المغيث مادة(وزع) ٤٠٩/٣، والقرطبي ١١٧/١٦.

[٤]) قال هذا حين ولى القضاء وازدحم عليه الناس، انظر الطبري ٢٧/١٨، تفسير السمعاني ٨٤/٤، المحرر الوجيز ٢٥٣/٤ ، القرطبي١١٨/١٦، لسان العرب مادة(وزع) ٣٩٠/٨.

[٥]) الكشف والبيان ٤٨١/٤، البغوي ص ٩٥٥، وانظر التسهيل ٣٠٤/٢، والبحر ٦١/٧ .

[٦]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٦، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد ٢٨٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ١١٢/٤، تحصيل نظائر القرآن ص ١٥٧، تأويلات أهل السنة ١٠٥/٨، بحر العلوم ٤٩٢/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه وعن قتادة. ٢٨٥٨/٩، النكت والعيون ٢٠٠/٤، القرطبي١٢٨/١٦.

فإن قال قائل: بماذا عرفت النملة سليمان عليه السلام؟ وعلى أي سبيل كانت معرفتها به؟

قلنا: كانت مأمورة بطاعته فلابد من أن تعرف من أمرت بطاعته، ولا يمتنع أن تعرف الدواب والبهائم هذا الضرب، كما تعرف كثيرًا مما فيه نفعها وضررها، والنملة من الفهم فوق هذا ، فإنا نشاهد كثيرًا صنيعها في ادخار رزقها وحفظه وتعهده، حتى أنها تشق ما تجمع من الحبوب بنصفين لئلا ينبت إلا الكزبرة [١] فإنها تكسرها بأربع قطع؛ لأنها إذا كسرت بنصفين تنبت، ونحن نشاهد اهتداءها في أقطارها حتى تذهب إلى الموضع الذي تريد، ثم تهتدي الرجوع إلى منزلها فمن هداها إلى هذه الأشياء فهو الذي يهديها إلى ما يحطمها مما لا يحطمها ، ولا يستنكر أن يكون للنمل أحوال خافية من الآدميين، يطلع الله تعالى عليها من يشاء من أنبيائه صلوات الله عليهم معجزة له [٢].

قوله تعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾[٢٠] أي: تعرف عن أحوال الطير، فقال : مالي لا أرى الهدهد؟ أعيناي تخطئه فلم تره بين الطير أم كان من الغائبين عند ارتحالنا؟ أم غاب بعد ما حضر؟ [٣]

واختلفوا في سبب تفقده عن حال الهدهد. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان الهدهد يرى الماء من تحت الأرض كما نراه من الزجاج ، وكان سليمان ـ عليه السلام ـ إذا احتاج إلى الماء في مسير، أمر الهدهد حتى ينظر إلى أقرب موضع من الماء فيخبره به، فيأمر الشياطين بحفر ذلك الموضع لإظهار الماء. فاحتاج ذلك اليوم إلى الماء؛ فلذلك تعرف عن حال الهدهد[٤].

---

[١]) الكُزْبُرَةُ) قيل: الكزبرة بفتح الباء عربية معروفة ، وهو لغة في الكُسْبُرَة، نبات الجلجان إذا كان رطبًا. وقال الجوهري : الكزبرة من الأبازير. انظر: العين ١ / ٤٥٥، لسان العرب مادة(كزبر)٥ / ١٣٨.

[٢]) انظر التسهيل ٣٠٤/٢، تفسير السمعاني ٨٦/٤ ، النكت والعيون مختصرا ٢٠٠/٤، المحرر الوجيز مختصرا ٢٥٣/٤، أحكام القرآن بمعناه لابن العربي ٤٧٢/٣ ، والقرطبي بمعناه١٢٨/١٦ .

[٣]) أخرجه الطبري عن وهب بن منبه ٣٢/١٨، وانظر البحر ٦٢/٧.

[٤]) انظر الطبري ٣٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١١٣/٤، تفسير السمعاني ٨٦/٤ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره نحوه عن ابن شداد وقتادة. ٢٨٥٩/٩، وهذا مما لا ينبغي تتبعه و الاشتغال به ، وإلا ما الفائدة من معرفة سبب تفقد سليمان عليه السلام للهدهد.

قال عكرمة [١]: قلت لابن عباس رضي الله عنهما : كيف هو يرى الماء من تحت الأرض ، وإن صبياننا ليأخذوه بالفخ فلا يرى الخيط والشبكة.
قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما ألقى هذه الكلمة على لسانك إلا الشيطان ، أما تعلم أنه إذا جاء القدر ذهب البصر [٢].
وقال وهب بن منبه [٣] : كان تفقده إياه لإخلاله بنوبته [٤] كما يتعرف الوالي عن رعيته ، ويقال: كانت الطير تظله من الشمس، كانت تقف في الهواء

---

[١]) عكرمة ـ مولى ابن عباس ـ أبو عبد الله المدني المفسر. أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس.قال: طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار. قال ابن المديني: لم يكن في موالي ابن عباس أغزر من عكرمة، كان من أهل العلم. وردت الرواية عنه في حروف القرآن، روى عن مولاه وجمع من الصحابة، وروى عنه إبراهيم النخعي وأبو الشعثاء وغيرهم ، وقد تكلم فيه لرأيه لا لروايته فإنه اتهم بأنه كان يرى رأي الخوارج، الصفرية، مات بالمدينة سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك، وهو ابن ثمانين. انظر:طبقات الحفاظ ١ / ٥، غاية النهاية في طبقات القراء ١ / ٢٣٠، تهذيب التهذيب ٧ / ٢٣٤.

[٢]) الطبري ٣٠/١٨، وفي بحر العلوم عن عكرمة ٤٩٢/٢، وفي تفسير السمعاني أن القائل نافع بن الأزرق (رجل من الخوارج). ٨٧/٤، وذكر سعيد بن جبير في الكشف والبيان بأن السائل نافعًا ٤٨٣/٤ ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ، وكذلك عن يوسف بن ماهك أن السائل نافعًاوأخرجه أيضًا عن عكرمة مرتين، فقال مرة: سئل ابن عباس ، دون أن يذكر السائل وصرح في الأخرى بأنه نافع ٢٨٦٠/٩، وكذا في النكت والعيون ٢٠١/٤، وفي المحرر الوجيز أنه نافع ٢٥٣/٤، وفي أحكام القرآن لابن العربي ٤٧٩/٣،. والله اعلم. وأخرجه الإمام أحمد في السنة رقم(٩٠٠) ص١٣١، وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي.٢٦٥/٣، وأخرجه السيوطي في الدر ٣٤٩/٦.

[٣]) وهب بن منبه بن كامل بن سيح الصنعاني الذماري أبو عبد الله الأبناوي الإمام، العلامة الإخباري القصصي، أخو همام بن منبه، مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين، و أصل منبه من خراسان من أهل هراة، أخرجه كسرى من هراة ، فأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامه، فسكن ولده باليمن. قال الإمام أحمد: وكان يتهم بشيء من القدر ثم رجع، قال وهب: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء، في كلها من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر فتركت قولي، وعلمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب ، روى عن جمع من الصحابة. قال الإمام أحمد بن حنبل: كان من أبناء فارس له شرف، وقال: العجلي تابعي ثقة كان على قضاء صنعاء. مات سنة عشر ومائة ، وقيل: مات سنة ثلاث عشرة وقيل: سنة أربع عشرة وقيل: غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٤٤، تهذيب التهذيب ١١ / ١٤٧، وفيات الأعيان ٦ / ٣٥.

[٤]) أخرجه الطبري عن وهب بن منبه مع اختلاف في آخره ٣١/١٨، تأويلات أهل السنة ١٠٨/٨، الكشف والبيان ٤٨٣/٤، المحرر الوجيز ٢٥٥/٤. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: إشارة إلى أن جمع الجنود وتدريبها من واجبات الملوك. ٢٤٠/١٩

مصطفة موصولة الأجنحة أو متقاربة، فلما أخل الهدهد بمكله بَان ذلك بوقوع الشمس عليه فلذلك تعرّف عن حاله [١].

وقوله : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ﴾[٢١] وتعذيبه بنتف ريشه[٢] وإلقائه في الشمس على تلك الحالة [٣]، ويقال: هو قص جناحه[٤] ويجوز أن يعاقب من لا يجري عليه القلم على وجه التأديب على الذنب الذي يكون منه كما يؤدب الأب ولده الصغير[٥].

وأما الذبح فهو: فري الأوداج بما يجري روح الحيوان [٦] وذلك جائز من غير ذنب منه [٧].

وقوله : ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾[٢١] أي: بحجة [٨] ظاهرة توجب عذره في غيبته [٩] وإخلاله بمكانه، فلما رجع بعد مكثه غير وقت بعيد فقال لسليمان: أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بخبر صدق لاشك فيه ، فذكر خبرًا يحتاج إلى معرفته لما فيه من إصلاح قوم تلاعب بهم الشيطان

---

[١]) تأويلات أهل السنة ١٠٩/٨، التسهيل ٣٠٤/٢، وانظر تفسير السمعاني ٨٦/٤ ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سفيان نحوه ٢٨٦١/٩، النكت والعيون ٢٠١/٤، التفصيل الذي لم يرد به نص مردود ، وهو أشبه بالروايات الإسرائيلية التي ينبغي الإعراض عنها .

[٢]) تفسير مقاتل ٤٧٣/٢، تفسير الضحاك ٦٤١/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك ويزيد بن رومان وابن زيد ٣٢/١٨، معاني القرآن للزجاج ١١٣/٤، القرطبي١٣٣/١٦، البحر٦٢/٧.

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وابن شداد ٣٣/١٨، معاني القرآن للزجاج ١١٣/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره مع سابقه عن عبدالله بن شداد ٢٨٦٢/٩، الكشف والبيان ٤٨٢/٤، الكشاف ٤٤٥/٤، القرطبي١٣٤/١٦.

[٤]) انظر القرطبي. ١٣٣/١٦.

[٥]) تنزيه القرآن عن المطاعن بمعناه ص٣٠٣.

[٦]) (ذبح) الذبح قطع الحلقوم من باطن عند النصيل وهو موضع الذبح من الحلق والذبح مصدر ذبحت الشاة يقال ذبحه يذبحه ذبحا فهو مذبوح وذبيح. لسان العرب مادة(ذبح)٢ / ٤٣٦، العين ١ / ٢١١، المحيط في اللغة ١ / ٢١٨.

[٧]) تأويلات أهل السنة ١٠٨/٨، بحر العلوم ٤٩٣/٢، انظر تفسير السمعاني ٨٧/٤ ، القرطبي بنحوه ١٣٣/١٦.

[٨]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه ٣٦/١٨، الكشف والبيان ٤٨٥/٤، المحرر الوجيز ٢٥٥/٤، الكشاف ٤٤٦/٤، تأويل مشكل القرآن ٢٧٣.

[٩]) تفسير مقاتل ٤٧٣/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد ووهب بن منبه ٣٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١١٣/٤، وفي النكت والعيون عن قتادة بمعناه ٢٠٢/٤.

عذره سليمان في ذلك. من قرأ (سبأ)[١] من غير أن يصرفه جعله اسمًا للبقعة، وهي مدينة باليمن [٢] تعرف الآن بمأرب، وبينها وبين صنعاء [٣] مسيرة ثلاثة أيام [٤].

ومن قرأ سباءًا [٥] بالتنوين فصرفه جعله اسما للمكان بعينه كما تقدم الكلام في قوله:اهبطوا مصرًا ومصرَ[٦].

والإحاطة هي: علم الأشياء بتمامها وجهاتها، حتى أن العلم بها يكون كالسور المحيط بها [٧]، فإن قيل كيف يجوز أن يخفى على سليمان / ـ عليه السلام ـ ٤٤٣/ب أمر الملوك على هذا القدر من المسافة ـ مع عظم أمر سليمان عليه السلام ـ حتى يكون الهدهد هو الذي يخبره؟

---

[١])سبأَ) بفتح الهمزة من غير تنوين قراءة ابن كثير في رواية البزي وأبو عمرو، وروى قنبل عن ابن كثير إسكان الهمزة ، النشر. ص٤٢٣، التبيان للعكبري ١٧٢/٢.

[٢]) تقدم ذكرها في سورة الشعراء انظر ص١١٤.

[٣]) صنعاء مدينة كبرى وعاصمة جمهورية اليمن ، أطلق عليها اسم (أزال) و (سام) واسمها اليوم صنعاء ، اشتق اسمها من دقة الصنعة التي اشتهرت بها. والمدينة من المدن الحصينة المرتفعة عن سطح البحر ، فيها أسوار والعديد من المساجد التاريخية ، وهي مشهورة بتجارة البن، والمجوهرات والأسلحة البيضاء، نالت استقلالها من بريطانيا عام ١٣٨٧هـ . انظر: موسوعة الألف مدينة ص ٣٢٠، أطلس الحديث النبوي ص ٢٣٩.

[٤]) (سبأ) اختلف فيه، فقيل: اسم رجل ، وقال الزجاج : سبأ هي مدينة تعرف بمأرب من صنعاء على مسيرة ثلاث ليال، وقيل: بل اسم للبلدة ، فمن صرفه جعله اسما للحي أو الموضع أو للأب، ومن منعه من الصرف جعله اسما للقبيلة أو البقعة، وقد ورد في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن فروة بن مسيك المرادي لما سئل عن سبأ، قال : (ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من اليمن فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة...) كتاب/ تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب/ ومن سورة سبأ.حديث رقم(٣٢٢٢)٢٠٦/٤. قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب. ولعل ذلك الصحيح لورود النص بذلك، ويكون قد خفي على الزجاج كما قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٥٠٦/٤، معاني القرآن للزجاج ١١٤/٤، الكشف والبيان ٤٨٦/٤ ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٨٦٤/٩، النكت والعيون ٢٠٣/٤، الكشاف ٤٤٦/٤، تاج العروس ١ / ١٣٥.

[٥]) (سبأٍ) بالخفض والتنوين قراءة الباقين، النشر. ص٤٢٣، الكشف والبيان ٤٨٦/٤ ، السبعة ٤٨٠/١، الإتحاف ٤٢٧/١، البحر٦٣/٧.

[٦]) أنكر الزجاج أن يكون اسم رجل فقال: اسما للبلد فيكون مذكرا سمي به مذكر، معاني القرآن للزجاج ١١٤/٤، التسهيل ٣٠٥/٢، التبيان للعكبري ١٧٢/٢، باهرالبرهان ١٠٥٨/٢، القرطبي١٣٦/١٦، الدر المصون ٢٥٧/١١.

[٧]) انظر بحر العلوم ٤٩٣/٢، البغوي ص٩٥٧، معاني القرآن للزجاج ١١٤/٤ وفي التعريفات الإحاطة: إدراك الشيء بكماله ظاهرًا وباطنًا. ص ٢٥، ونحوه ذكر الدامعاني في الوجوه والنظائر. ص٤٥.

فيقول: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[٢٣] ؟ قيل :لا يمتنع أن يكون ذلك في بدء أمر سليمانً عليه السلام [١]، ولا يمتنع أن يكون عالما بأمر سبأ على الجملة ولم يكن يعلمه مفصلاً ، حتى جاءه الهدهد ببيان تفصيل أمرها [٢]، وأراد بالمرأة بلقيس بنت شراحيل الحميرية [٣]، كانت تملك الولاية عليهم ، ولم يرد بهذا ملك الرقبة.

وقوله :﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[٢٣] أي: أعطيت من كل نعمةحظـًا وافرًا لا يُعطاه مثلها :﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٢٣] أي: سرير عظيم[٤] أعظم من سريرك.روي أنه كان سريرها ثمانين ذراعًا من ذهب قوائمه من اللآلئ والجواهر[٥]، وعليه من الفرش ما يليق به.

---

[١]) إن النبي قد يخفى عليه جزئيات يعلم بها غيره، ولا يدل ذلك على أنه أعلم منه وإنما خفي على النبي تلك الجزئية، وهذا لا يقدح في نبوته. قال شيخ الإسلام: وصاحب العلم العظيم إذا رجع إلى من هو دونه في بعض الأمور لم يقدح هذا في كونه أعلم منه، فقد تعلم موسى من الخضر ثلاث مسائل، وتعلم سليمان من الهدهد خبر بلقيس، وكان الصحابة فيهم من يشير على النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور، وكان عمر أكثر الصحابة مراجعة للنبي صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن بموافقته في مواضع: كالحجاب، وأسارى بدر، واتخاذ مقام إبراهيم مصلى، وكان ﷺ يشاور أصحابه و يرجع إليهم في الرأي ، كما أشار عليه الحباب يوم بدر. منهاج السنة النبوية في نقض= = كلام الشيعة والقدرية ٨ / ١٤٤ـ ١٥٨، وقال ابن العربي في أحكام القرآن: وهذا دليل على أن الصغير يقول للكبير ، والمتعلم للعالم : عندي ما ليس عندك ، إذا تحقق ذلك وتيقنه. ٣ /٤٨١.

[٢]) ذكر في بحر العلوم معناه حيث قال: علم به سليمان ، ولكنه لم يعلم أنهم يسجدون للشمس، ويقال: إنه علم بها ، ولكنه لم يعلم أن ملكها قد بلغ هذا المبلغ. ٤٩٣/٢، وقال الزمخشري في الكشاف : لعل الله أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب. ٤٤٨/٤، وانظر تأويلات أهل السنة ١٠٩/٨، البحر ٦٥/٧.

[٣]) هي بلقيس بنت شراحيل الهدهاد بن شرحبيل، وقيل: بنت اليشرح بن ذى جدن بن يشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي، وفي نسبها اختلاف ، ملكة سبأ، قيل: إنها ملكت اليمن تسع سنين، ثم كانت خليفة عليها من قبل سليمان بن داود أربع سنين، وقيل: تزوجها سليمان بن داود عليه السلام، وكانت من أعقل النساء. انظر: تاريخ دمشق ٦٩ / ٦٧، البداية والنهاية ٢ / ٢٦، المحبر ص ٣٦٧. الكشف والبيان ٤٨٦/٤، النكت والعيون ٢٠٣/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الحسن وزهير بن محمد، كما أخرج عن ابن جريج أنها بلقيس بنت شريح ٢٨٦٥/٩، البغوي ص ٩٥٧، وفي المحرر الوجيز بلقيس بنت شرحيل وقيل: الفشرح. ٢٥٦/٤، الكشاف ٤٤٧/٤، القرطبي١٣٧/١٦، أحكام القرآن لابن العربي ٤٨١/٣.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن ٤٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١١٤/٤، تأويلات أهل السنة ١١١/٨، الكشف والبيان ٤٨٧/٤، النكت والعيون عن قتادة ٢٠٤/٤، القرطبي١٣٩/١٦.

[٥]) الطبري ٤٠/١٨، وورد في الكشف والبيان عن مقاتل نحوه ٤٨٨/٤، وذكر القرطبي نحوه عن ابن عباس وقتادة ومقاتل١٤٠/١٦. لا فائدة من معرفة صفته ، فالأولى الإعراض عن مثل هذا.

وقوله : ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[٢٤]

قال الحسن ـ رضي الله عنه ـ :"كان القَوم مجوَسًا [١] وكانوا يسقطون على وجوههم مواجهين للشمس" [٢].

وقال الكلبي[٣]: "كان لها من قومها اثنا عشر ألف مقاتل، كل رجل منهم على مائة ألف سوى نسائهم وذراريهم"[٤]. وكان السبب في رواح الهدهد إلى ذلك الجانب، على ما روي في بعض التفاسير أنه رأى هدهدًا من هداهد سبأ، فقال له ذلك الهدهد: أين أنت من ملك صاحبتنا؟ فقال له من صاحبتكم ؟ فوصف الهدهد له ملك بلقيس، وقال له : إن جئت معي أريتك ملكها. فقال: أخاف سليمان عليه السلام أن أغيب دون إذنه. فقال : ومتى يحتاج إليك حتى يطلبك، وسترجع عن قريب فذهب معه فلما رجع أخبر سليمان بهذا الخبر[٥] الذي

---

[١]) المجوس: في بلاد فارس وما حولها، عرفوا من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار ، عكفوا على عبادتها، يبنون لها هياكل ومعابد ، وانتشرت بيوت النار لديهم ، وانقرضت كل ديانة غيرها ، وهم شر من مشركي العرب، دانوا بالثنوية في كل عصر، وآمنوا بإلهين اثنين : أحدهما النور أو إله الخير، والثاني الظلام أو إله الشر ، ولا يزال الصراع بينهما قائما ثم إنهما تهادنا إلى وقت معلوم يعبرون عنه بالقيامة ، وهم يقرون بنبوة زرادشت، وهم فرق شتى: منهم المزدكية ، والخرمية ، وقد قضى الإسلام على هذه النحلة ظاهرا ، لكن بقيت لها آثار في بعض الطوائف كالشيعة ، وإخوان الصفا .. وغيرها. انظر: حز الغلاصم ص ١٠٧، شرح الطحاوية في= = العقيدة السلفية ١ / ٥٠، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص ٢٦٢، الإسلام أصوله ومبادئه ١ / ٩٤.

[٢]) تفسير مقاتل ٤٧٣/٢، الطبري ٤٠/١٨، تأويلات أهل السنة ١١١/٨، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز: كانت هذه الأمة أمة تعبد الشمس؛ لأنهم كانوا زنادقة فيما روي ، وقيل كانوا مجوسا يعبدون الأنوار ٢٥٦/٤، وكذا في البحر عن الحسن ٦٥/٧.

[٣]) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن الكلبي، يكنى أبا النضر الكوفي منهم من يصرح باسمه، ومنهم من يقول: حماد بن السائب، ومنهم من يكنيه بأبي النضر، أو أبي سعيد. قال ابن الصلاح: وهو الذي يروي عنه عطية العوفي التفسير موهما أنه أبو سعيد الخدري. كان عالما بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم، كان يقول: أنا سبأي، قال أبو جعفر العقيلي: هم صنف من الرافضة أصحاب عبد الله بن سبأ، ورضوه في التفسير، وأما الحديث خاصة إذا روي عن أبي صالح عن ابن عباس ففيه مناكير. توفي بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة في خلافة أبي جعفر. انظر: سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٠٢، تهذيب الكمال ٢٥ / ٢٤٦، الطبقات الكبرى ٦ / ٣٥٩.

[٤]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٨٦٦/٩، تفسير ابن كثير عنه أيضًا. ٤٤٢/٣. وهذه مبالغة غير مقبولة ، وغالبًا تحديد الأعداد مما لا يصح.

[٥]) انظر الكشف والبيان ٤٨٤/٤، و البغوي ص ٩٥٧، والبحر ٦٣/٧. وهذا كسابقه لا يصح ، فتفاصيل القصص كما سبق أن ذكرت مأخوذة عن بني إسرائيل.

كان يحبه هو؛ لما كان فيه من الأخذ بإصلاح الملك الذي وهب الله تعالى له[1].

قوله : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي: حسن لهم قبح أعمالهم : ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[٢٤] الطريق فهم لا يهتدون إلى طريق الحق ، وفي هذا بيان أن الهدهد كان كأكيس الصبيان في العلم بالقبح وبما يوجب الإصلاح والتقديم.

وقوله : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[٢٥][2]

يجوز أن يكون ابتدأ خطاب من الله تعالى[3]، ويجوز أن يكون من قول الهدهد [4]، أو من قول سليمان عليه السلام[5]، والمعنى في ذلك أن ألاَ بالتخفيف [6] لابتداء الكلام والتنبيه على ما ذكره بعده ، من أن العبادة إنما تحق لله تعالى لا للشمس والقمر، فكأنه قال: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله أو قلت لهم: يا هؤلاء اسجدوا لله [7]

وهذا كما قال ذو الرمة[8]:

---

[1]) لم أقف على قائله ولعله من قول المؤلف.

[2]) أشار المؤلف في الحاشية لموضع السجدة بكلمة[سجدة].

[3]) ويحتمل أن يكون من [قول] الله تعالى فهو اعتراض بين الكلامين وهو الثابت مع التأمل، وقراءة الجحدري وعيسى بن عمر وحفص والكسائي " تخفون " و " تعلنون " بالتاء على الخطاب، تعطى أن الآية من خطاب الله عز وجل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله القرطبي في تفسيره ١٤٤/١٦ ، النكت والعيون ٢٠٥/٤، المحرر الوجيز ٢٥٧/٤.

[4]) تفسير مقاتل ٤٧٣/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد ٤٤/١٨، وفي الكشف والبيان عنه وعن ابن إسحاق ٤٨٩/٤، وفي النكت والعيون: أنه قول الهدهد حكاه الله عنه. ٢٠٥/٤، التسهيل ٣٠٦/٢، ونقله القرطبي عن ابن عطية، وقال: هو قول ابن زيد وابن إسحاق. (ويعلم ما يخفون وما يعلنون) القراءة بالياء، تعطى أن الآية من كلام الهدهد، وأن الله تعالى خصه من المعرفة بتوحيده ووجوب السجود له ، وإنكار سجودهم للشمس، وإضافته للشيطان، وتزيينه لهم، ما خص به غيره من الطيور وسائر الحيوان، من المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقول الراجحة تهتدي لها، وكذلك قراءة التشديد في " ألا " تعطى أن الكلام للهدهد ، ويعترض عليه بأنه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى شرع.أهـ ١٤٤/١٦، المحرر الوجيز ٢٥٧/٤، الكشاف ٤٤٩/٤.

[5]) وذلك لما أخبره الهدهد عن القوم. القرطبي١٤٤/١٦، ولعل القول الأول أقرب ، والله أعلم.

[6]) (ألا) بتخفيف اللام قراءة أبو جعفر والكسائي ورويس عن يعقوب ، النشر. ص ٤٢٣، الطبري ٤١/١٨، الكشاف ٤٤٨/٤، القرطبي١٤٢/١٦، البحر ٦٥/٧، الدر المصون ٢٦١/١١.

[7]) تأويل مشكل القرآن ص١٤١، معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢، الطبري ٤١/١٨، معاني القرآن للزجاج ١١٥/٤، الكشف والبيان ٤٨٨/٤، التبيان للعكبري ١٧٣/٢، تفسير ابن كثير ٤٤٣/٣.

[8]) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة: شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي

ألا يا اسلمي يا دار ميٍ على البلى ولازال منهلاً بجرعايك[١] القطر[٢]

فحذف التي خاطبها لدلالة الكلام عليها، وأراد يا هذه.

قال العجاج [٣]:

يا دار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي عن سمسم أو عن يمين سمسم[٤]

وفي حرف[٥] أبيّ بن كعب[٦]، " ألا يسجدون " بالنون على معنى لم لا

الرمة.كان أكثر شعره تشبيبًا وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيما بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيرا، وامتاز بإجادة التشبيه ، له ديوان شعر طبع في مجلد ضخم. مات بأصبهان كهلا سنة سبع عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٧، وفيات الأعيان ٤ / ١٦، الأعلام للزركلي ٥ / ١٢٤.

١) هكذا في الأصل بالتحتية ، وهي بالفوقية بجرعاتك.

٢) ديوانه ص٢٠٦ . شرح البيت:

البلى: من بلى الثوب يبلي، أي: خلق ورث.

منهلا: منسكبا منصبا.

جرعائك: الجرعاء: رملة مستوية لا تنبت شيئا. =

= والمعنى: يدعو لدار حبيبته بأن تدوم لها السلامة على مر الزمان من طوارق الحدثان، وأن يدوم نزول الأمطار بساحتها، وكنى بنزول الأمطار عن الخصب والنماء بما يستتبع من رفاهية أهلها، وإقامتهم في ربوعها، وعدم المهاجرة منها. شرح ابن عقيل ٢ / ٢٨.

٣) عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كنيف التميمي السعدي: يكنى أبا الشعثاء ويعرف بالعجاج الراجز المشهور، وكان يقال له: عبد الله الطويل، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أسلم، وعاش إلى أيام الوليد بن عبدالملك، ثم مات في أيامه بعد أن كبر وفلج وأقعد. وهو والد رؤبة بن العجاج الراجز المشهور، له رواية عن أبي هريرة ، وهو أول من رفع الرجز وجعل له أوائل، وشبهه بالقصيدة وكان لا يهجو، له ديوان طبع في مجلدين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٣٥٩، تاريخ دمشق ٢٨ / ١٢٨، الأعلام للزركلي ٤ / ٨٦.

٤) ديوانه ٤٤٢/١.

٥) الحرف من كل شيء : طرفه وشفيره وحده ومن ذلك حرف الجبل وهو : أعلاه المحدد والحرف واحد حروف التهجي. والحرف هو الأداة التي تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل. والحرف: الناقة الضامرة الصلبة ، أوهي المهزولة ، وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفا، تقول هذا في حرف ابن مسعود أي في قراءة ابن مسعود .قال ابن سيده: والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه ، وما جاء في الحديث من نزول القرآن على سبعة أحرف أراد بالحرف سبع لغات. (والمعنى الأخير هو المراد معنا).

أما اصطلاحًا: فقداختلف العلماء في المراد من الأحرف السبعة اختلافًا كبيرًا، وأنسب المعاني في المراد بالحرف أنه: الوجه من أوجه القراءة. انظر: البرهان في علوم القرآن.٢١٣/١ ، الإتقان ص١٢٣، مناهل العرفان ١١٣/١، لسان العرب مادة(حرف) ٩ / ٤١، تاج العروس مادة(حرف) ١٢٨/٢٣.

٦) تقدمت ترجمته انظر ص ٩٥.

يسجدون[١] ؟ ومن قرأ ألاّ يسجدوا بالتشديد [٢] فهو من قول الهدهد على معنى فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا [٣].

قال الفراء[٤]: من قرأه بالتخفيف فهو في موضع سجدة، ومن ثقل فليس بموضع سجدة [٥]. ويجوز أن يكون معنى أن لا يسجدوا، هلا يسجدوا [٦].
وأما الخبء فهو: كل ما غاب عن الإدراك [٧]. وهو بمعنى المخبوء[٨]، مصدر وقع موقع المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق والعلم بمعنى المعلوم ، و خبء السماوات الأمطار[٩]. و خبء الأرض النبات [١].

---

١) معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢، الطبري ٤٤/١٨ إلا أنه ذكرها بالتاء (تسجدون) هكذا في الكشاف ٤٤٩/٤، و الدر المصون ٢٦٥/١١.

٢) (ألاّ) بتشديد اللام قراءة الباقين. انظر: النشر. ص٤٢٤ ، الطبري ٤١/١٨، القرطبي١٦/١٤١، البحر٦٥/٧.

٣) الطبري ٤١/١٨، تأويلات أهل السنة ١١١/٨، الكشف والبيان ٤٨٨/٤، تفسير السمعاني ٩٠/٤، معاني القرآن للزجاج ١١٥/٤.

٤) أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الكوفي مولى بني أسد، وقيل: مولى بني منقر، مولده بالكوفة وانتقل إلى بغداد، وجعل أكثر مقامه بها، وكان أبرع الكوفيين، وأعلمهم بالنحو، واللغة ، وفنون الأدب، حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية؛ لأنه خلصها وضبطها ، أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي ، وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها؛ لأنه كان يفري الكلام ، ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب. لقن أبناء المأمون النحو، له عدد من التصانيف منها: الحدود والمعاني، وكتابان في المشكل، واللغات ، والمصادر في القرآن ، والوقف والابتداء وغير ذلك، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة، وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١٧٦/٦.

٥) معاني القرآن للفراء ٢٩٠/٢، معاني القرآن للزجاج ١١٥/٤، تأويلات أهل السنة ١١١/٨، النكت والعيون ٢٠٤/٤، الدر المصون ٢٦٤/١١.

٦) وهي قراءة عبدالله بن مسعود كما قال الفراء في معاني القرآن ٢٩٠/٢، وأوردها الثعلبي في الكشف والبيان عنه بالتاء ٤٨٨/٤، وفي الكشاف في حرف عبدالله وهي قراءة الأعمش ٤٤٩/٤، القرطبي١٦/١٤٣، البحر٦٥/٧، الدر المصون ٢٦٥/١١.

٧) الخبء: كل شيء غائب مستور، يقال: خبأت الشيء خبأ إذا أخفيته ، والخبء والخبيء والخبيئة الشيء المخبوء، وقال الفراء : الخبء مهموز هو الغيب. لسان العرب مادة (خبأ) ١ / ٦٢، تاج العروس مادة (خبأ) ١ / ٢٠٥.

٨) الطبري ٤٢/١٨، النكت والعيون ٢٠٤/٤، الكشاف ٤٤٩/٤، البحر ٦٧/٧.

٩) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٤٣/١٨، البغوي ٩٥٨، الكشاف ٤٤٩/٤، باهر البرهان ١٠٥٨/٢.

قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٢٦]
أراد بالعرش في هذه الآية: سرير الملك الذي عظمه الله ، ورفعه فوق السماوات السبع، وجعله أعظم من السماوات والأرض ومن كل ما خلق ، وجعل الملائكة عليهم السلام تحف به ، وترفع أعمال العباد إليه ، وتنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن كما وصف الله تعالى.

قوله عز وجل : ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٢٧] فنعذبك.
﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾[٢٨] قريبًا منهم[٢] إلى حيث لا يرونك ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[٢٨] أي: يقولون ويردون ويجيبون عن هذا الكتاب، فأخذ الهدهد الكتاب بمنقاره فذهب به إليهم، فلما أغلقت المرأة الأبواب دونها ونامت على سريرها، ووضعت المفاتيح تحت وسادتها وكان الهدهد في الكوة[٣]. فألقى الكتاب [٤] على وجهها ونبهها بمنقاره وصوته[٥]، فقرأت الكتاب ودعت ذوي الرأي من قومها، كما قال جل ذكره:
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ / إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[٢٩] ٤٤٣/أ
والكريم: الحقيق بأن يؤمل الخير العظيم من جهته [٦]، فلما رأت آثار ذلك في كتاب سليمان وصفته بأنه كريم.

---

[١]) معاني القرآن للفراء ٢٩١/٢، أخرج الطبري في تفسيره عن ابن زيد نحوه ٤٣/١٨، الكشف والبيان ٤٨٨/٤، ذكر في النكت والعيون مع سابقه عن ابن زيد ٤٠٤/٤، البغوي ٩٥٨، الكشاف ٤٤٩/٤.

[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن وهب بن منبه ٤٦/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٨١٧/٩، الكشف والبيان ٤٩٠/٤، النكت والعيون ٢٠٦/٤، القرطبي١٤٩/١٦.

[٣])الكَوَّةُ بالفتح: الخرق في الحائط ، والثقب في البيت، ونحوه وقيل: التذكير للكبير، والتأنيث للصغيرولجمع كِوَاءٌ بالكسر ممدود ومقصور، والكُوَّةُ بالضم لغة وجمعها كُوًى. انظر: لسان العرب مادة (كوى). ٧ / ٢٥٦، مختار الصحاح مادة(كوى)ص ٥٨٦.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة بأطول من هذا ٤٧/١٨، وفي الكشف والبيان عن قتادة ومقاتل نحوه ٤٩٠/٤، البغوي قريبا منه ص ٩٥٩، الكشاف بنحوه ٤٥٢/٤.

[٥]) لم يرد في ذلك دليل صحيح ، وهو من الإسرائيليات التي ينبغي نبذها والترفع عنها ، فلو كان لتفصيله فائدة لذكره القرآن.

[٦]) قال أبو منصور: حسن لما رأت فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف. تأويلات أهل السنة ١١٣/٨، جاء في لسان العرب: الكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. مادة(كرم) ١٢ / ٥١٠.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : "كان الكتاب مختومًا ، ومن كرامة الكتاب ختمه [١].

ويقال: أرادت بالكريم أنه كريم تطيعه الإنس و الجن[٢].
وقوله : ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ كناية [٣] عن الكتاب ، كان عنوانه من سليمان إلى بلقيس.
وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٣٠]كناية عمّا في الكتاب.
وقوله :﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾ بدل من كتاب وموضعه على هذا القول رفع، ويجوز أن يكون موضعه نصبًا على معنى بأن لا تعلو عليّ[٤]. والعلو على القادر طلب القهر له بما يكون به تحت سلطانه [٥]. أي: لا تطلبوا تلك الحالة فإنكم وإن كنتم ملوكا لا تنالونها مني.
﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٣١] أي: مؤمنين بالله ورسله، من الإسلام الذي[٦] هو دين الله عز وجل. ويقال: مستسلمين لأمري[٧] فيما أدعوكم إليه؛ فإني لا أدعو إلا إلا إلى حق فأطيعوني، قبل أن أكرهكم على ذلك [١].

---

[١]) ذكره الطبري غير منسوب ٤٨/١٨، بحر العلوم ٤٩٥/٢، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي وزهير بن محمد نحوه ٢٨٧٢/٩، وفي الكشف والبيان عن الضحاك وعن ابن عباس مرفوعًا ٤٩١/٤، النكت والعيون عن السدي ٢٠٦/٤، أحكام القرآن لابن العربي ٤٨٦/٣، القرطبي١٥٠/١٦.

[٢]) إنما أرادت وصف الكتاب، لا سليمان ـ عليه السلام ـ وهذا يؤيد قول من قال: كريم لكرم صاحبه وأنه كان ملكًا. النكت والعيون حكاية عن ابن بحر. ٤ / ٢٠٦، أحكام القرآن لابن العربي ٤٨٦/٣، البحر ٥٠/٧.

[٣]) المراد بالكناية هنا الشأن، وليس الكناية بالمعنى البلاغي. وقد ورد تعريف الكناية بمعناها البلاغي في سورة القصص ص ٢٤٢.

[٤]) الطبري ٤٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ١١٩/٤، المحرر الوجيز ٢٥٨/٤، التبيان للعكبري ١٧٣/٢، الدر المصون ٢٧١/١١.

[٥]) لسان العرب مادة (علا) ٨٣/١٥ ، العين ٢٤٥/٢.

[٦]) ساقطة من (ب).

[٧]) بحر العلوم ٤٩٥/٢، انظر الكشف والبيان ٤٩١/٤، النكت والعيون ٢٠٧/٤، البغوي ص٩٥٩، والتسهيل ٣٠٦/٢، تفسير السمعاني ٩٣/٤، القرطبي بنحوه١٥٣/١٦.

وكتب الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ تكون على الإيجاز[٢]، فإن قيل لِمَ قال: وإنه بسم الله الرحمن الرحيم على فاتحة العربية ولم تكن لغتهم العربية ؟ قيل: لأنه حكاية على المعنى فقط، نحو أن يحكي الإنسان شيئا لا يعلم معناه، والحكاية على اللفظ والمعنى[٣]، وهو الأصل في الحكاية لأن الحكاية هي أقرب إلى المماثلة الممكنة.

قوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾[٣٢]

أي: بينوا لي ما أعمل به في أمري مماَ هو الصواب بدلاً من الخطأ، ما كنت فيما مضى قاطعة أمرًا من الأمور حتى تشهدون، تحضرون فتشاورونى. فأشيروا علي في هذا الكتاب ماذا أصنع من الملاطفة والمخاشنة؟ قالوا: نحن أولو قوة، أي: ذوو قوة وعدة في القتال، لم يغلبنا عدو قط ، والأمر إليك إن أمرتنا بالقتال قاتلناه، وإن أمرتنا بغير ذلك فعلنا ما تريدين وتأمرين.

قال الزجاج[٤]: كان معها ألف قيل ، والقيل: الملك، مع كل قيل ألف رجل، ويقال: مائة ألف رجل [٥].

قوله تعالى : ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾[٣٤] وذلك أنها لما تدبرت في أمرها وشاورت،َ قوّت أمر الملاطفة بالهدايا، وكانت من أولاد الملوك تعرف عاداتهم وحسن مواقع الهدايا عندهم، وإن ذلك هو الأولى إذا كان الملك القاصد أولى من المقصود إليه. فحذرتهم عاقبة القتال، وقالت: إن من

---

[١]) لم أقف عليه.

[٢]) انظر الطبري ٤٧/١٨، تأويلات أهل السنة ١١٣/٨، معاني القرآن للزجاج ١١٨/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة مثله ٢٨٧٤/٩، الكشف والبيان ٤٩٠/٤، تفسير السمعاني ٩٣/٤.

[٣]) قال السيوطي: وكثيرا ما يقع في كتب التفسير: حكى الله كذا فينبغي تجنبه. قال الإمام أبو النصر القشيري في المرشد: قال معظم أئمتنا: لا يقال كلام الله محكي ولا يقال حكى الله، لأن الحكاية = = الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه مثل. وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الإخبار أهـ. الإتقان ص ٨٧٥.

[٤]) إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج، صاحب كتاب معاني القرآن، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب، لزم المبرد وتعلم منه النحو، وكان يعطيه كل يوم درهما ، توفي الزجاج في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وقيل: مات يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من الشهر. تاريخ بغداد ٦ /٨٩.

[٥]) أخرج الطبري أوله عن مجاهد ٥٠/١٨ ، معاني القرآن للزجاج ١١٨/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس ٢٨٧٥/٩. وهذه مبالغة في العدد لا تصدق، ينبغي الإعراض عنها.

عادة الملوك إذا دخلوا مدينة عنوة أفسدوها بالتخريب[١]، وجعلوا أعزة أهلها أذلة بالقتل والأسر والاستعباد وأخذ المال.
قال الله تعالى: (وكذلك يفعلون)تصديقًا لهذا القول المحكي[٢].

قال الحسن: " وهذا اللفظ أيضًا من قولها ذكرته على وجه التأكيد"[٣]،
وقالت: وإني مرسلة إليهم بهدية، أي: مدبرة في هذا الأمر بهدية أرسلها؛ لأنظر ما عند القوم فيما يلتمسون من خير أو شر، فهيأت الهدايا من المسك، والعنبر، والعود وغير ذلك ودعت بوصائف[٤] وغلمان وجعلتهم على زيّ واحد، وكان في كلام الغلمان تليين، وفي كلام الوصائف بعض الغلظ ، وقالت: إن ميز بينهم ورد الهدية وأبى إلا أن نبايعه على دينه فهو نبي، وإن قبل الهدية فإنما هو من الملوك وعندنا ما يرضيه [٥].
قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ ﴾[٣٦]
معناه: فلما جاء رسولها إلى سليمان[٦] بالهدية، قال سليمان عليه السلام: أتمدونني بمال وأنا أكثر أهل الدنيا مالاً ، ولست ممن يرغب في المال ولا ممن يغتر به، فما أتاني الله من النبوة والعلم والملك خير مما آتاكم، بل أنتم

---

١) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٥٢/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا ٢٨٧٦/٩، الكشف والبيان ٤٩١/٤، النكت والعيون ٢٠٨/٤، البغوي ص٩٦٠، الكشاف ٤٥٣/٤.

٢) تأويلات أهل السنة ١١٤/٨، ذكر في بحر العلوم عن ابن عباس ٤٩٥/٢، وفي النكت والعيون عنه أيضًا ٢٠٨/٤، المحرر الوجيز ٢٥٨/٤، ذكره القرطبي عن ابن عباس وابن الأنباري ومال إليه، وقال الزجاج: هو من قول الله تعالى؛ لأنها هي قد ذكرت أنهم يفسدون، فليس في تكرير هذا فائدة منها. أهـ معاني القرآن للزجاج ١١٩/٤، وقال ابن قتيبة في المشكل: وليس هذا من قولها وانقطع الكلام عند قوله: "أذلة" ص١٧٩.

٣) ذكر في بحر العلوم عنه، وقال أبو الليث: وأكثر المفسرين على خلاف ذلك.٤٩٥/٢، النكت والعيون عن ابن شجرة ٢٠٩/٤، المحرر الوجيز ٢٥٨/٤، القرطبي ١٥/١٦.

٤) الوصائف: جمع وصيفة ، والوصيف: الخادم غلاما كان أو جارية. لسان العرب مادة(وصف) ٩ / ٣٥٦، المحيط في اللغة (وصف) ٢ / ٢٣٥.

٥) أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس والضحاك وابن جريج نحوه ٥٢/١٨، تأويلات أهل السنة ١١٤/٨، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عدة روايات بهذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وزهير بن محمد وعكرمة ٢٨٧٧/٩، الكشف والبيان ٤٩٢/٤، وانظر التسهيل ٣٠٧/٢.

٦) معاني القرآن للفراء ٢٩٣/٢، الطبري ٥٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٢٠/٤، تأويلات أهل السنة ١١٥/٨، النكت والعيون ٢١٠/٤.

بهديتكم ـ مما يهدى إليكم من المال ـ تفرحون، لأنكم أهل مفاخرة و مكاثرة في الدنيا.

والإمداد في اللغة: هو إلحاق الثاني والثالث بالأوائل[١].

والهدية: هي التي تساق إلى صاحبها على هداية إلى رشد. وفي الخبر أن سليمان عليه السلام لما علم بالهدايا قبل وصول رسولها إليه أمر أن تضرب لبنات من الذهب أحسن وأجود مما كان مع رسولها من لبنة الذهب، وأمر أن تلقى تلك اللبنات بين قوائم الدواب حتى تروث [٢] وتبول عليها، فلما رأى الرسول ذلك استحقر الهدايا التي كانت معه[٣] وميز سليمان عليه السلام بين الجواري والغلمان / بأن أمرهم بالتوضؤ ، فكان كل من كان من الغلمان يحدر الماء حدرًا على يديه، فأما [٤] الجواري فكن يصببن الماء صبًا، فلما عزل الغلمان من الجواري[٥]. قال لرسولها: ارجع إليهم بهديتهم فلنأتينهم بجنود أي: بعسكر لا طاقة لهم بها [٦] و لنخرجنهم من تلك البلاد أذلة مغلولة مغلولة أيديهم إلى أعناقهم وهم صاغرون أي: مهانون ، والذليل: هو الذي لا يمكنه أن يمتنع من تصريف غيره وهو نقيض العزيز[٧] ، والصاغر: الصغير القدر هينا [٨]. فرجع رسولها إليها فأخبرها بما رأى من العجائب، فقالت: إن هذا أمر سماوي لا ينبغي لنا منابذته ومخالفته ، ثم عمدت إلى سريرها فوضعته في أقصى سبعة أبيات مقفلة الأبواب وجعلت الجيوش

---

١) تفسير السمعاني ٩٥/٤. وقد تقدم معنى الإمداد في الشعراء انظر ص ١٢٩.

٢) انظر البغوي ص ٩٦١، القرطبي بنحو هذا وبأ طول ١٥٧/١٦.

٣) بحر العلوم ٤٩٦/٢، الكشاف بأطول من هذا ٤٥٤/٤.

٤) في (ب) وأما.

٥) الطبري ٥٨/١٨، بحر العلوم ٤٩٦/٢، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عدة روايات بهذا المعنى عن سعيد ابن جبير والسدي وقتادة ٢٨٧٨/٩، وورد في الكشف والبيان بأطول من هذا ٤٩٣/٤، لا فائدة من هذه القضية ، بل الواجب ترك ذلك ونبذه ، إذ لا دليل يصح عليه.

٦) تفسير مقاتل ٤٧٦/٢، غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٧، تأويلات أهل السنة ١١٦/٨، بحر العلوم ٤٩٦/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي صالح وقال: روي عن قتادة مثله ٢٨٨٢/٩، النكت والعيون ٢١١/٤، التسهيل ٣٠٧/٢.

٧) المحرر الوجيز عن ابن عباس ٢٦٠/٤، وذكر القرطبي أوله ١٦٤/١٦.

٨) قال الخليل: الصاغر الراضي بالضيم، وصغر يصغر صغرا وصغارا. والصغر: مصدر الصغير في القدر. العين ١ / ٣٤٧.

حوله، ثم أقبلت إلى سليمان عليه السلام [١] ، فرجع الهدهد إلى سليمان وأخبره أنها أقبلت، وقال سليمان عليه السلام: لأصحابه حين عرف صدق الهدهد كما قال الله عز وجل : ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾[٣٨] أي: قال لهم: أيكم يأتيني بسرير ملكها؟

﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٣٨] أي: مؤمنين[٢]، ويقال: منقادين مستسلمين[٣].

وإنما خص العرش بالطلب؛ لأنه أعجبه بصفته فأحب أن يراه [٤] ، وأحب أن يعاتبها به ويختبر عقلها إذا رأته أتثبته أم تنكره[٥]، وأحب أن يريها قدرة الله عز وجل في معجزة يأتي بها في عرشها[٦].

قال عفريت من الجن ـ كان يُعرف بعمرو الجنّي[٧] ـ والعفريت في كل شي المبالغ الحاذق فيه[٨]، يقال: رجل عفري، وعفريت، وعفريه، نفريه وعفاريه وعفاريه بمعنى واحد والجمع عفاريت وعفارى [٩].

---

[١]) انظر البغوي ص ٩٦٢، و القرطبي ١٦٤/١٦، تفسير ابن كثير بنحوه ٤٤٦/٣. هذا كسابقه من الخبر الإسرائيلي الذي لا يصح.

[٢]) عن مقاتل: مخلصين بالتوحيد. تفسير مقاتل ٤٧٧/٢، النكت والعيون عن ابن جريج قال: مسلمين أي بحرمة الإسلام ٢١١/٤.

[٣]) الطبري ٦٥/١٨، الكشف والبيان ٤٩٥/٤، النكت والعيون عن ابن عباس ٢١١/٤، البغوي ص ٩٦٢.

[٤]) أورده البغوي عن قتادة ص ٩٦٢، وكذا القرطبي عنه ١٦٥/١٦.

[٥]) الطبري ٦٤/١٨، الكشف والبيان عن ابن زيد ٤٩٥/٤، النكت والعيون عن ابن جبير ٢١٢/٤، الكشاف ٤٥٥/٤، أحكام القرآن لابن العربي ٤٨٨/٣.

[٦]) معاني القرآن للزجاج ١٢٠/٤، تأويلات أهل السنة ١١٦/٨، تفسير السمعاني ٩٧/٤، النكت والعيون عن وهب ٢١٢/٤، ابن كثير ٤٤٦/٣، تفسير البيضاوي ٢٦٨/٤.

[٧]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن شعيب الجبائي أن اسمه كوزن، وعن يزيد بن رومان أن اسمه كوزى ٢٨٨٤/٩، وورد في الكشاف أن اسمه ذكوان ٤٥٥/٤، ولا فائدة في معرفة اسمه.

[٨]) غريب القرآن لليزيدي دون الحاذق فيه. ص٢٨٧، بحر العلوم ٤٩٦/٢، النكت والعيون عن الأخفش ٢١٢/٤.

[٩]) مجاز القرآن ٩٤/٢، معاني القرآن للفراء ٢٩٤/٢، غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٧، الطبري ٦٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٢٠/٤، الكشف والبيان بمعناه ٤٩٥/٤، القرطبي١٦٦/١٦ ، لسان العرب مادة(عفر) ٤ / ٥٨٣، الدر المصون ٢٧٥/١١.

قال لسليمان عليه السلام: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، أي: مجلس القضاء. كان سليمان ـ عليه السلام ـ يجلس للقضاء من الغداة إلى انتصاف النهار[١].

قال الجني : وإني عليه لقوي أي: قوي على حمله[٢]، أمين على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة[٣]، وكانت قوته أنه يضع قدمه إلى حيث ينتهي بصره، فقال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من هذا، فقال الذي عنده علم من الكتاب ـ قيل إن المراد به: آصف بن برخيا[٤] ـ كان عنده علم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب من دعاه[٥].

واختلفوا في ذلك الاسم قال بعضهم: هو يا إلهنا وإله كل شي[٦]، يا ذا الجلال الجلال والإكرام[٧]، لا إله إلا أنت.

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ : اسم الله الأعظم: يا الله يا رحمن؛ وذلك لأنه لا يسمى أحد بهذين الاسمين على الإطلاق غير الله عز وجل[١][٢].

---

١) معاني القرآن للفراء ٢٩٤/٢، الطبري ٦٧/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن زهير بن محمد ٢٨٨٤/٩، المحرر الوجيز عن مجاهد وقتادة وابن منبه ٢٦٠/٤، الكشف والبيان عن ابن عباس بنحوه ٤٩٦/٤، البغوي ص٩٦٢، المحرر الوجيز ٢٦٠/٤، روح المعاني ٢٠٢/١٩.

٢) تفسير مقاتل ٤٧٧/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٦٨/١٨، تأويلات أهل السنة ١١٦/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقال روي عن زهير بن محمد بنحوه ٢٨٨٥/٩، المحرر الوجيز ٢٦٠/٤، القرطبي١٦٨/١٦.

٣) الطبري ٦٨/١٨، بحر العلوم ٤٩٦/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس أوله، وقال: روي عن زهير بن محمد مثل ذلك. ٢٨٨٥/٩، النكت والعيون عن الكلبي وابن جرير٢١٢/٤، تفسير السمعاني ٩٨/٤.

٤) تفسير مقاتل ٤٧٧/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن إسحاق ٧١/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٢١/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس بلفظ: "آصف كاتب سليمان عليه السلام". ورواية عن قتادة وأخرى عن يزيد بن رومان وعن ابن إسحاق ذكر فيها اسمه ٢٨٨٥/٩.

٥) أخرجه الطبري عن الضحاك وقتادة ٧٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٢١/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة وقال في أوله: وكان رجلا من بني إسرائيل وكذا عن السدي مع زيادة في آخره ٢٨٨٦/٩، وذكر في بحر العلوم أنه: " يا حي يا قيوم". ٤٩٦/٢، وكذا ذكر الزمخشري في الكشاف ٤٥٥/٤.

٦) معاني القرآن للزجاج ١٢١/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الزهري ٢٨٨٦/٩، وفي الكشف والبيان عنهأيضًا ٤٩٦/٤، وورد بلفظ يا إلهنا وإله الخلق جميعا إلها واحدا لا إله إلا أنت.

٧) أخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن ٧٠/١٨، بحر العلوم ٤٩٦/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٨٨٦/٩، وفي الكشف والبيان عن مجاهد ٤/ ٤٩٦، وذكره البغوي عن مجاهد ومقاتل ص٩٦٢ ، تفسير مجاهد ٤٧٢/٢.

قال آصف لسليمان عليه السلام: أنا آتيك بسريرها قبل أن يرتد إليك طرفك، وهذا اللفظ عبارة عن المبالغة في السرعة[٣]، كأنه قال: بقدر ما تفتح عينك ثم ....[٤]، أو قال في معناه: قبل أن يبلغ إليك الشيء الذي يراه طرفك من بعيد[٥]، وذلك أن طرف الإنسان لا يرتد عن[١] تأمل المنظور إليه إلا عند

---

[١]) الكشاف ٤٥٥/٤، البحر مختصرا ٧٣/٧، فتح الباري لابن حجر. ١١ / ٢٢٤.

[٢]) اختلف في اسم الله الأعظم:

١ـ فأنكره قوم كأبي جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري و أبي حاتم بن حبان والقاضي الباقلاني وغيرهم فقالوا لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، وحملوا ما ورد من ذلك على ان المراد بالأعظم العظيم وان أسماء الله كلها عظيمة.

قال ابن حبان : الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك كما أطلق ذلك في القرآن والمراد به: مزيد ثواب القارئ، وقيل المراد بالاسم الأعظم: كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله تعالى فان من تأتي له ذلك استجيب له. فالمرجع عندهم اختلاف حال الداعين، لا الدعاء باسم من أسماء الله بعينه.

٢ـ وقال آخرون: استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ويؤيده حديث عائشة رضي الله عنها لما دعت ببعض الأسماء وبالأسماء الحسنى فقال لها صلى الله عليه و سلم إنه لفي الأسماء التي دعوت بها.

٣ـ وأثبته آخرون معينا واختلفوا في ذلك على أقوال، ذكرها ابن حجر في الفتح في أربعة عشر قولا منها:

ـ أنه (الله) لأنه اسم لم يطلق على غيره، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى ومن ثم أضيفت إليه. وهو مذكور في الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم. =

= ـ أنه (المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم) ورد ذلك مجموعا في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان.

ـ أنه (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك.

والذي أراه أن اسم الله الأعظم هو ما ورد في حديث بريدة فهو أصح ما ورد في اسم الله الأعظم.ـ والله تعالى اعلم ـ ومع ذلك فالله عز وجل قريب منا ، فمتى ما أجتهد العبد وألح في الدعاء من قلب صادق، موقن فقمن أن يستجاب له.

انظر: فتح الباري لابن حجر كتاب/ الاستئذان، باب/ قول لا حول ولا قوة إلا بالله ١١ / ٢٢٤ . تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ١٧ / ٤٢٨، شرح ابن بطال ٢ / ١٩٨، عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢٥٤/٤.

[٣]) تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣٠٣.

[٤]) لم تتبين لي هذه الكلمة في النسختين.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن وهب بن منبه وسعيد بن جبير ٧٢/١٨، تأويلات أهل السنة ١١٧/٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير ٢٨٨٧/٩، وفي الكشف والبيان عن وهب ٤٩٧/٤.

حصوله بين يديه، ويقال ارتداد الطرف هو: أن يكون على مقدار ما يرى الناظر ببصره إلى شيء حتى إذا عرفه ردّ بصره عنه[2]. كما قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ ﴾ [3].

فلما رأى سليمان ـ عليه السلام ـ بَدعاء آصف عرشها مستقرًا عند عرشه في مقدار رجع البصر، بأن جاء سريرها في الهواء من مأرب[4] إلى الشام[5][6] ويقال: انشقت عنه الأرض فظهر[7]. والله عز وجل قادر على ذلك بأن يُعدِمَه في مكانه، ثم يوجده في مكان آخر بلا فصل ، بدعاء من كان مستجاب الدعوة إلا أن المعجزة كانت في ذلك لسليمان عليه السلام. وذهب بعض المفسرين إلى أن [الذي][8] عنده علم من الكتاب كان ملكًا بعثه الله تعالى بطاعة سليمان عليه السلام[9] وذهب بعضهم إلى أنه:

---

[1]) في (ب) على.

[2]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وهو الذي اختاره ٧٢/١٨، وفي الكشف والبيان عنه أيضًا ٤٩٧/٤، وفي النكت والعيون عنه وعن ابن عباس ٢١٣/٤، البغوي ص ٩٦٢، الكشاف ٤٥٥/٤.

[3]) سورة المُلك: [٤]

[4]) مأرب: مدينة يمنية عريقة ، تقع شمال شرق العاصمة صنعاء، وفيها السد الذي اشتهر عبر التاريخ باسمها، وجاءت الإشارة عنه في القرآن الكريم ، بناه سبأ بن يشجب. انظر: موسوعة الألف مدينة ص ٤٣٤، أطلس الحديث النبوي ص٣٢٧، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٣٩٧.

[5]) الشام: له ثلاثة اصطلاحات : الشام في عرف العرب كل ما هو في جهة الشمال، والشام في عرف بعض العامة هي دمشق فحسب، أما الشام تاريخيا فيشمل: سورية ، والأردن، ولبنان، وفلسطين ، وتمتد الشام من جبال طوروس شمالاً إلى سيناء جنوبًا ، ومن ساحل البحر المتوسط غربًا حتى روافد الفرات والصحراء العربية شرقًا ، وكان أول دخول المسلمين لها زمن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة، ثم افتتحوا كل بلاد الشام في زمن عمر، وهي اليوم عامرة، ذات قرى متراصة ، وأنهار جارية ومزارع خضرة. معجم البلدان ٣ / ٢٤، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ١١٧، أطلس الحديث النبوي ص ٢٣٠.

[6]) الكشف والبيان ٤٩٧/٤، المحرر الوجيز حكاية عن الرماني ٢٦٠/٤، أورد القرطبي نحوه ١٧٠/١٦.

[7]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٧٤/١٨، تأويلات أهل السنة ١١٧/٨، أخرجه ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد نحوه ورواية عن مجاهد بمعناه ٢٨٨٧/٩، وانظر الكشف والبيان ٤٩٦/٤، تفسير السمعاني ٩٩/٤، أحكام القرآن لابن العربي بنحوه. ٤٨٩/٣.

[8]) زيادة يقتضيها السياق.

[9]) ذكر في بحر العلوم أنه جبريل عليه السلام وقال: وهو قول المعتزلة لأنهم لا يرون كرامة الأولياء.أهـ"٤٩٦/٢، وفي التسهيل أيضًا قال: إنه جبريل عليه السلام ٣٠٧/٢، وكذلك في المحرر

هو سليمان عليه السلام نفسه[١]، قال ذلك للعفريت؛ ليريه نعمة الله تعالى عليه، واستدل هذا القائل بالقول الأخير بقوله: قال: هذا من فضل ربي ليبلوني، أي: ليمتحنني على هذه النعمة، أأشكر أم أترك شكرها[٢].

وأنكر هذا القائل أن يكون في أمة نبي من *هو أعلم منه، لا يمتنع أن يكون لأحدٍ من الخصوصية في زمن نبي من*[٣] الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بشيء دون شيء[٤].

وقوله : ومن شكر أي من شكر نعمة ربه فإنما منفعة شكره راجعة إلى نفسه ومن ترك شكر نعمته فإن ربي غني كريم، أي: عنه وعن شكره[٥]. كريم يقبل الشكر ويزيد في النعمة في الدنيا ويثيب عليه في العقبى./ ٤٤٤/أ

الوجيز عن إبراهيم النخعي ٢٦١/٤، وفي الكشاف: ملك أيد الله به سليمان. ٤٥٥/٤، ورد في النكت والعيون عن ابن بحر ٢١٣/٤، البغوي ٩٦٢، وذكر القرطبي عن بحر: أنه ملك بيده كتاب المقادير١٦٩/١٦، تفسير السمعاني عن ابن بحر ٩٨/٤.

[١]) واستبعده الكلبي في التسهيل ٣٠٧/٢، تفسير السمعاني ٩٨/٤، النكت والعيون ٢١٣/٤، المحرر الوجيز ٢٦١/٤، الكشاف ٤٥٥/٤، البغوي عن محمد بن المنكدر ص٩٦٢، وذكر القرطبي في هذا قرابة ثمانية أقوال منها هذا القول، عن محمد بن المنكدر وذكر قول ابن عطية وأن النحاس قال به، وحسنه ١٩٦/١٦، والألوسي في روح المعاني. ٢٠٣/١٩، وأبو السعود في تفسيره. ٢٨٧/٦، قال السمرقندي في بحر العلوم: وأكثر المفسرين على أنه آصف بن برخيا. ٤٩٧/٢.

[٢]) الطبري ٧٤/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن زهير بن محمد بلفظ:" أشكر على العرش إذ أتيت به في سرعته أم أكفر إذ رأيت من هو أعلم مني في الدنيا". وأخرج عن السدي معناه وقال في آخر روايته: وقال رجل غيري أقدر على ما عند الله مني؟ ٩/ ٢٨٨٩، النكت والعيون ٢١٤/٤، المحرر الوجيز ٢٦١/٤.

[٣]) مابين النجمتين سقط من (ب).

[٤]) لا يمتنع ذلك كما ذكر المؤلف ، وكما كان الخضر في زمان موسى عليه السلام ، وقد تكون هذه الخصوصية بشيء دون شيء فالخضر كان أعلم منه بهذه الجزئية التي علمه الله تعالى إياها فقط، أما في بقية العلم فلا شك أن موسى أعلم ؛ لذلك قال له الخضر لما نقر العصفور من ماء البحر ، قَالَ ياَ موسى ، إِنِّي علَى علْم منلله علّمنيه الله لاتعلمه ، وأَنت علَى علْم من علْم الله علمكه الله لا أعلمه " ، فهنا الخضر إنما هو أعلم من موسى بهذه الجزئية فقط. كما أن الآيات التي يجريها الله على يد غير الأنبياء؛ تكون معجزة للرسول الذي آمنوا به، كما تكون كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم . قال ابن كثير في البداية والنهاية: (وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء، لأن الولي إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه، وثواب إيمانه). ٢٨٩/٦. انظر: تأويلات أهل السنة ١١٧/٨، النبوات ٨٢٣/٢ ـ ٨٦٥/٢، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ٨ / ١٤٤ـ ١٥٨ الاعتقاد للبيهقي ص١٤٣، البحر ٦٣/٧.

[٥]) انظر: الكشف والبيان ٤٩٧/٤، البحر ٧٤/٧.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾[٤١] معناه: قال سليمان عليه السلام: غيروا [١] سريرها زيدوًا فيه وانقصوا منه[٢]، حتى ننظر أتهتدي إلى معرفة سريرها؟[٣] ويقال: إلى وحدانية الله تعالى وصحة نبوتي[٤]، أو تكون من الذين لا يهتدون.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ يعني: بلقيس إلى سليمان عليه السلام، قيل لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: سريرك فشبهوا عليها .﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل نعم ولا لا، لأنه كان يشبه سريرها،وشكّت [٥] في وصول سريرها بعد أن وضعته في أحصن المواضع، وجعلت الحرس حوله وشكت أيضًا، لما أحدثوا في ذلك السرير من التغيير.

قوله : ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا ﴾ من قول سليمان عليه السلام[٦] وقومه، أي قالوا: وأعطينا العلم بها وبملكها وسريرها[٧] من قبل مجيئها، وهو ما أخبر به الهدهد من شأنها وقصتها، وقالوا: ﴿ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[٤٢] بحمد الله عز وجل من قبل مشاهدة هذه المعجزات[٨].

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ومجاهد ٧٦/١٨، تأويلات أهل السنة ١١٨/٨، بحر العلوم ٤٩٧/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٨٩٠/٩، الكشف والبيان ٤٩٧/٤، البغوي ص ٩٦٣، تفسير ابن كثير ٤٤٧/٣.

[٢]) تفسير مقاتل ٤٧٨/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس والضحاك ٧٦/١٨، بحر العلوم ٤٩٧/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة وروى نحوه أيضًا عن قتادة مع زيادة فيه ٢٨٩٠/٩، الكشف والبيان ٤٩٧/٤، النكت والعيون عن عكرمة ٢١٥/٤.

[٣]) تفسير مقاتل ٤٧٨/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ووهب ٧٧/١٨، بحر العلوم ٤٩٧/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير وقال: وروي عن مجاهد، وعكرمة، وزهير بن محمد نحو ذلك. ٢٨٩١/٩.

[٤]) تأويلات أهل السنة ١١٨/٨، انظر التسهيل ٣٠٧/٢، الكشاف ٤٥/٤، البحر ٧٤/٧.

[٥]) معاني القرآن للفراء بنحوه ٢٩٥/٢، الطبري ٧٨/١٨، بحر العلوم ٤٩٧/٢، وانظر البغوي ص ٩٦٣، تفسير ابن كثير ٤٤٧/٣.

[٦]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٧٩/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد وقال روي عن سعيد بن جبير نحو ذلك ٢٨٩٢/٩، التسهيل ٣٠٧/٢، الكشاف ٤٥٥/٤، القرطبي١٧٢/١٦، تفسير ابن كثير عن مجاهد. ٤٤٧/٣.

[٧]) تفسير مقاتل بمعناه ٤٧٨/٢ ، بحر العلوم ٤٩٧/٢.

[٨]) تصحف في (ب) إلى المجرات.

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[٤٣] معناه: وصرفها عن الإيمان بالله عز وجل والتفكر والتفطن لذلك َ العادة التي نشأت عليها لأنها نشأت في قوم لم يكونوا يعرفون إلا عبادة الشمس لأنها كانت من المجوس[١][٢].

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾[٤٤] وذلك أن بلقيس لما لم تسلم بما رأت من الآيات؛ أراد سليمان عليه السلام أن يريها آية أخرى؛ لتسلم فأمر الجن أن يجعلوا قصرا صحنها[٣] من زجاج مملس وأن يجروا تحته الماء ويجعلوا تحته السمك[٤].

والأمرد: الأملس[٥] وشجرة مرداء أي: ملساء لا ورق لها. ففعلوا ذلك فكان فكان هو عليه السلام أ ُخبر أن رجليها شعراوان، فأراد مع ذلك أن يتبينها فقال لها: ادخلي صحن القصر[٦].

والصرح في اللغة هو: البسيط المنكشف من غير سقف[٧]، ومنه صرح بالأمر إذ أفصح به ولم يكن عنه، والتصريح خلاف التضمين[٨]. وصحن الدار، وصرحتها، وساحتها، وناحيتها، وقارعتها وقاعتها بمعنى واحد[١].

---

[١]) تقدم ذكر المجوس والتعريف بهم في نفس السورة ، انظر ص ١٧١.

[٢]) معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢، وانظر الطبري ٧٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٢١/٤، تأويلات أهل السنة ١١٩/٨، الكشف والبيان ٤٩٨/٤، تفسير السمعاني ٩٩/٤، الكشاف ٤٥٥/٤.

[٣]) لعله أراد (صحنه) ليستقيم المعنى.

[٤]) انظر تفسير مقاتل ٤٧٨/٢، الطبري ٨١/١٨ ، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس نحوه ٢٨٩٣/٩، النكت والعيون بنحوه ٢١٦/٤، المحرر الوجيز ٢٦٢/٤، الكشاف ٤٥٨/٤، ذكر القرطبي نحوه عن مجاهد١٧٤/١٦.

[٥]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٧، العين مادة(مرد) ١١٨/٢، الكشف والبيان ٤٩٩/٤، التسهيل ٣٠٩/٢، الكشاف ٤٥٨/٤، القرطبي١٧٥/١٦، المفردات ص ٤٦٨.

[٦]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٧، أخرجه الطبري في تفسيره عن محمد بن كعب ٨١/١٨، تأويلات أهل السنة ١١٩/٨، بحر العلوم ٤٩٨/٢، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي نحوه ٢٨٩٣/٩، الكشف والبيان ٤٩٨/٤، النكت والعيون ٢١٧/٤، الكشاف ٤٥٨/٤.

[٧]) وهذا بالمعنى إذ من معانيه الصحن وهكذا صفته، والصرح في اللغة: القصر والصحن. قاله الزجاج في معاني القرآن ١٢٢/٤، القرطبي١٧٤/١٦ ، المفردات ص ٢٨٢، لسان العرب مادة (صرح) ٥٠٩/٢، وانظر المحرر الوجيز ٢٦٠/٤، الكشاف ٤٥٨/٤.

[٨]) ورد أوله في النكت والعيون ٢١٦/٤، والتضمين: إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم. الإتقان ص٦٥٩، وقال الزركشي في البرهان: التضمين هو إعطاء الشيء معنى الشيء وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف. ٣ / ٣٣٨.

فلما رأت بلقيس الصرح على تلك الصفة حسبته لجة واللجة: معظم الماء، وهو الماء الغمر الكثير[٢]. وكشفت عن ساقيها حتى لا تبتل ثيابها على ما هو العادة فيمن قصد أن يخوض الماء.

فقال لها سليمان عليه السلام: ـ وقيل: قال لها قائل[٣] ـ: ليس هذا بحر، وإنما هو قصر ممرد من قوارير، أي: مملس من زجاج فلا تخافي واعبري عليه.

قالت: رب إني ظلمت نفسي بعبادة الشمس، أي: استدلت بما شاهدت على وحدانية الله تعالى[٤]، وعلى صحة نبوة سليمان عليه السلام لما رأت ملكه، وسعة علمه، وبسطة قومه، وما كان من[٥] ترسل الطير له، وإحضار عرشها في أسرع المدة على بعد المسافة، وبناء الصرح من القوارير على وجه الماء، فلذلك قالت: ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين إذ كانت هذه الأسباب داعية إلى الإسلام فتزوجها سليمان عليه السلام[٦].

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ[٧] أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[٤٥] أي: أرسلنا إليهم أخاهم في النسب صالحا؛ ليدَعوهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته، فآمن به

---

[١]) انظر تفسير السمعاني ١٠٠/٤، النكت والعيون ٢١٦/٤، معاني القرآن للزجاج ١٢٢/٤، إلا أنه قال: ساحة الدار، وصحنه الدار، وباحة الدار، وقاعة الدار، وقارعة الدار، هذا كله في معنى الصحن.أهـ. لسان العرب مادة(صرح) ٥٠٩/٢، ومختار الصحاح مادة (صرح) ص١٥١.

[٢]) تأويلات أهل السنة ١٢٠/٨، و انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢، لسان العرب مادة (لجج) ٣٥٣/٢، أوله في باهر البرهان ١٠٦١/٢.

[٣]) ذكر في تأويلات أهل السنة أن الجن قالت لها ذلك. ١١٩/٨، بحر العلوم ٤٩٩/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس والسدي وأبي صالح ويزيد بن رومان بصيغة التمريض ٢٨٩٥/٩، وذكر القرطبي أن القائل سليمان عليه السلام ١٧٥/١٦.

[٤]) الطبري ٨٥/١٨، تأويلات أهل السنة ١٢٠/٨، البغوي بمعناه ص ٩٦٤، تفسير ابن كثير بنحوه ٤٤٩/٣.

[٥]) ساقطة من (ب).

[٦]) تفسير مقاتل بمعناه. ٤٧٩/٢، تفسير الضحاك ٦٤٤/٢، الكشف والبيان ٥٠١/٤، النكت والعيون عن مقاتل ٢١٧/٤، تفسير السمعاني ١٠١/٤، المحرر الوجيز عن الضحاك وسعيد بن عبدالعزيز. ٢٦٢/٤، البغوي ص ٩٦٤، الكشاف ٤٥٨/٤، وذكره القرطبي عن الضحاك، وقيل: زوجها ذا تبع ملك همذان ١٧٥/١٦، روح المعاني ٢١٠/١٩، و القول بأنه تزوجها أشهر.

[٧]) ثمود: هم ولد ثمود بن جاثر بن إرم بن سام، مساكنهم الحجر، وكانوا بعد عاد وقد كثروا وكفروا وعتوا، فبعث الله إليهم نبيه صالح يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، وكانوا يعبدون الأصنام، وقد أطال الله أعمارهم، و اتخذوا من الجبال بيوتًا فارهين فنحتوها، وكانوا في سعة من العيش، ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون. الكامل في التاريخ ١ / ٢٨، البداية والنهاية ١ / ١٥٠.

فريق وكفر به فريق، فجعل الفريقان يختصمون(١)، كما قال الله جل ذكره في سورة الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾(٢) الآية.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾[٤٦] لأبد فيه من إضمار قبله، والمضمر فيه أن المؤمنين أوعدوا الكافرين على تكذيبهم وكفرهم، فاستعجل الكافرون العذاب، فقال لهم صالح لِمَ تستعجلون بالعذاب الموعود على الكفر ولا تستعجلون الثواب الموعود على الإيمان؟! لولا تستغفرون الله أي: هلا تستغفرون الله عن كفركم وتكذيبكم رجاء أن ترحموا(٣).

والاستعجال هو: طلب التعجيل بالأمر قبل وقته(٤).

وقوله : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾[٤٧] أي قالوا له: تشاءمنا بكم؛ بما لحقنا من نقصان الزروع والثمار والمياه(٥).

والتطير هو: التشاؤم(٦) وذلك نسبة الشؤم إلى الشيء على ما يأتي به الطير من *ناحية اليد الشوما وهو البارح، وأما السانح فهو إتيان الطير من*(٧) جهة اليد اليمنى(٨).

---

١) معاني القرآن للفراء٢٩٥/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٨٦/١٨، بحر العلوم ٤٩٩/٢، الكشف والبيان ٥٠٢/٤، النكت والعيون ٢١٨/٤، التسهيل ٣٠٩/٢، الكشاف ٤٥٩/٤.

٢) سورة الأعراف الآية: [٧٥].

٣) انظر الطبري ٨٦/١٨، تأويلات أهل السنة ١٢١/٨، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره أوله عن السدي ٢٨٩٩/٩، الكشف والبيان ٥٠٢/٤، القرطبي بنحوه ١٨١/١٦.

٤) انظر الكشف والبيان ٥٠٢/٤، لسان العرب مادة(عجل) ١١ /٤٢٥.

٥) تفسير مقاتل ٤٧٩/٢، انظر بحر العلوم ٤٩٩/٢، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره أوله عن مجاهد ٢٨٩٩/٩، التسهيل ٣٠٩/٢، البغوي بمعناه ص٩٦٥، المحرر الوجيز بلفظ: وكانوا في قحط. ٢٦٣/٤، وكذا في الكشاف ٤٥٩/٤.

٦) الكشاف ٤٥٩/٤، وهو منهي عنه شرعًاً قال صلى الله عليه وسلم: "لاعدوى ولا طيرة" أخرجه الشيخان، قال الشيخ: صالح آل الشيخ: والتطير نوع من الشرك بالله- جل وعلا-، والشرك الذي يكون من جهة التطير مناف لكمال التوحيد الواجب ، لأنه شرك أصغر. التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١ / ٤٧١، قال القرطبي: " لا شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدورا فقد جهل." أهـ ١٨١/١٦.

٧) مابين النجمتين سقط من (ب).

٨) البارح من الظباء والطير والوحش: خلاف السانح وقد برحت تبرح بروحا، وهو ما مر من ميامنك إلى مياسرك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف. والسانح : ما مر بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمي والصيد ، والعرب تختلف في عيافة ذلك فمنهم من يتيمن بالسانح ويتشاءم بالبارح، ومنهم من يخالف ذلك، وفي مجمع الأمثال

٤٤٥/ب

و اطير وتطير بمعنى واحد[١] كما قيل في / قوله : ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [٢].

وقوله : ﴿ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾[٤٧] أي: قال لهم صالح عليه السلام ردًا عليهم ما طار لكم من القسمة في الشدة والرخاء فهو في علم الله عز وجل ومن عنده[٣].

(بل أنتم قوم تفتنون) أي: تختبرون[٤] في الدنيا باختلاف الأحوال، وقد تقدم أن أصل الفتنة هو: الاختبار يقال: فتنت الذهب بالنار أي: أدخلته فيها لينظر جودته[٥].

و يجوز أن يكون معنى تفتنون تعذبون[٦]، كما في قوله: ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾[٧] أي: عقوبتكم.

وقوله: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ ﴾[٤٨] معناه: وكان في مدينة صالح عليه السلام وهي الحجر[٨] تسعة رهط من الفساق من أبناء رؤسائهم يفسدون في الأرض بالمعاصي، ولا يعملون بالصلاح ولا يأتمرون به[١].

للميداني: " من لي بالسانح بعد البارح" أي بالمبارك بعد الشؤم. المخصص لابن سيده (باب الرقص) ٤ / ١٩، تاج العروس مادة(برح) ٦ / ٣٠٦.

[١]) فالأصل تطيرنا فأدغمت التاء في الطاء ، واجتلبت الألف لسكون الطاء ، فإذا ابتدأت قلت اطيرنا بك، وإذا وصلت لم تذكر الألف وتسقط لأنها ألف وصل. معاني القرآن للزجاج ١٢٣/٤.

[٢]) سورة التوبة :[٣٨].

[٣]) انظر معاني القرآن للفراء ٢٩٥/٢، ومعاني القرآن للزجاج ١٢٣/٤، تأويلات أهل السنة ١٢٢/٨، بحر العلوم بمعناه ٤٩٩/٢، قال السمعاني في تفسيره : "طائركم عند الله أي: ما يصيبكم من الخير والشر من الله ، ويسمى ذلك طائرا لسرعة نزوله بالإنسان، فإنه لا شيء أسرع نزولا من قضاء محتوم.أهـ"، البغوي بمعناه ص ٩٦٥، الكشاف ٤٥٩/٤.

[٤]) تأويل مشكل القرآن ص٢٦٠، معاني القرآن للزجاج ١٢٣/٤، بحر العلوم ٤٩٩/٢، الكشف والبيان ٥٠٢/٤، البغوي بمعناه ص ٩٦٥، الكشاف ٤٥٩/٤.

[٥]) بحر العلوم ٤٩٩/٢، مختار الصحاح مادة(فتن) ١ /٢٠٥، لسان العرب مادة(فتن) ٣١٧/١٣.

[٦]) تحصيل نظائر القرآن ص٩٦، تأويلات أهل السنة ١٢٢/٨، و انظر الكشف والبيان ٥٠٢/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٥، القرطبي ١٨٢/١٦، لسان العرب مادة(فتن) ٣١٧/١٣.

[٧]) سورة الذاريات: [١٤].

[٨]) الحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام ، و تقع شمال المدينة المنورة (٣٤٧ كم) وهي قرية صغيرة كثيرة الآبار والمزارع، و بها كانت منازل ثمود، وما زال يعرف باسمه ، وهو رأس وادي القرى، وأهله اليوم قبيلة عنزة، وتبعد المنطقة المحرمة من الحجر قرابة (٢٢) كيلا من مدينة العلا شمالا، وأصبح وادي القرى يسمى وادي العلا. انظر: أحسن التقاسيم في

والرهط والنفر واحد[٢]، وإذا أطلق كان عبارة عن القوم والأهل[٣]، كما قال الله تعالى مخبرا عن قوم شعيب عليه السلام:

﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾[٤]. وإذا ذكر الرهط بمعنى العدد، كان عبارة عن عدد مخصوص من ثلاثة إلى عشرة [٥].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [٤٩] فيه وجهان: أحدهما بمعنى متقاسمين بالله، إلا أنه حذف منه قد[٦]، والآخر الأمر أي: تحالفوا بالله لندخلن عليه وعلى أهله الذين آمنوا به ليلا فلنقتلنهم بياتًا، ثم لنقولن لأوليائه إن اتهمونا بقتله: ما شهدنا إهلاك صالح وأهله وإنا لصادقون فيما نقول لكم[٧].

هذا إذا قرأت مُهلك بضم الميم ونصب اللام[١] وهو مصدر، وإن قرأت بفتح الميم وكسر اللام[٢] فهو موضع الهلاك.

معرفة الأقاليم ١ / ٢٩، معجم البلدان ٢ / ٥٦، أطلس الحديث النبوي ص ١٣٨، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٤٤٥ ، الكشف والبيان ٥٠٢/٤، الكشاف ٤٦٠/٤.

[١]) الطبري ٨٨/١٨ ، تأويلات أهل السنة ١٢٢/٨، وانظر بحر العلوم ٤٩٩/٢، النكت والعيون ٢٢٠/٤، القرطبي قريبا منه ١٨٢/١٦.

[٢]) ذكر في تأويلات أهل السنة عن أبي عوسجة. ١٢٢/٨.

[٣]) وفرق بعضهم بين الرهط والنفر. قال الزمخشري في الكشاف: الرهط من الثلاثة إلى العشرة أو من السبعة إلى العشرة، أما النفر فمن الثلاثة إلى التسعة ٤٦٠/٤، وفي لسان العرب: الرهط : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة ، وبعضهم يقول من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر. انظر: لسان العرب مادة(رهط)٧ /٣٠٥، النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٥٤، البحر ٧٩/٧، المخصص باب/أسماء الجماعات من الناس ٢٦٤/١.

[٤]) سورة هود: [٩١].

[٥]) أو من السبعة إلى عشرة. الكشاف ٤٦٠/٤، لسان العرب مادة(رهط) ٣٠٥/٧، تاج العروس مادة (رهط) ٣١٢/١٩، المعجم الوسيط باب الراء ٣٧٧/١.

[٦]) معاني القرآن للفراء ٢٩٦/٢، بحر العلوم ٤٩٩/٢، الكشف والبيان ٥٠٣/٤ ، البغوي بمعناه ص ٩٦٥، المحرر الوجيز ٢٦٣/٤، القرطبي ١٨٣/١٦.

[٧]) تأويلات أهل السنة ١٢٣/٨، بحر العلوم ٤٩٩/٢، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره نحوه عن ابن عباس ومجاهد٢٩٠٢/٩، وذكر أوله في المحرر الوجيز ٢٦٣/٤، قال القرطبي: أي قال بعضهم لبعض أي: احلفوا، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ووافقهم الحسن. الكشف والبيان ٥٠٣/٤ ، حجة القراءات ٥٣٠/١، الإتحاف ٤٢٩/١، النشر. ص٤٢٦، الطبري ٨٨/١٨ ، البحر٨٠/٧.

ويقرأ لَتُبَيِّتُنّهُ وأهله بالتاء وضمها [٣] على معنى احلفوا بالله لتبيتنه وأهله، ثم لَتَقولُنّ لوليه بالتاء أيضا، وهذا مكر عزموا عليه كما قال تعالى :

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا ﴾[٥٠] أي: دبروا في قتل صالح وأهله من حيث لم يشعر بهم صالح ولا أهله ، ومكرنا مكرا: دبرنا نحن في إهلاكهم مجازاة لهم على

مكرهم، وهم لا يشعرون بما أردناه فيهم[٤].

فانظر يا محمد ﷺ كيف كان عاقبة مكرهم، أي: كيف كان آخر مكرهم أنا دمرناهم أي: أهلكناهم بالحجارة، وأهلكنا قومهم أجمعين، وذلك أن الملائكة دمغتهم بالحجارة واستأصلتهم عن آخرهم[٥].

والتدمير هو: الإهلاك على وجه عظيم فظيع[١]. فتلك بيوتهم تراها خالية[٢] عن الأهل والخير والنعمة، بسبب ظلمهم لم يبق فيهامنهم ديارًا ، إن في ذلك

---

[١]) (مُهلَك) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف. النشر. ص ٣٦٠، الكشف والبيان ٥٠٣/٤، المحرر الوجيز ٢٦٤/٤، الكشاف ٤٦١/٤، القرطبي ١٨٤/١٦، البحر ٨٠/٧.

[٢]) (مَهلِك) فتح الميم وكسر اللام، قراءة حفص عن عاصم النشر ص ٣٦٠، الكشف والبيان ٥٠٣/٤، المحرر الوجيز ٢٦٤/٤، الكشاف ٤٦١/٤، القرطبي١٨٤/١٦، البحر ٨٠/٧.

[٣])(لَتُبَيِّتُنّهُ) بالتاء على الخطاب وضم التاء الثانية) قراءة حمزة والكسائي وخلف و يحيى والأعمش ،وهناك وجه ثالث وهو(ليبيّتُنّه) بالياء ثم(لَيَقُولُنّ) لوليه، وهي قراءة شاذة قرأ بها مجاهد وحميد الأعرج. انظر: معاني القرآن للزجاج ١٢٣/٤، النشر. ص ٤٢٦، الكشف والبيان ٥٠٣/٤، التبيان للعكبري ١٧٤/٢، البحر٨٠/٧ ، الدر المصون ٢٨٤/١١.

[٤]) المكر فسره العلماء بأنه: التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم. وهو من الصفات التي وُصِف الله بها ، ولكن لا يشتق له منها اسم فلا نقول من أسمائه الماكر ، وكذا الكيد والخداع ونحوها، وذلك لأنها تكون في موضع مدحًا، وتكون في موضع آخر ذم ، وإنما تكون من الله على وجه الجزاء لمن فعلها، لهذا لم يصف الله نفسه بها إلا على سبيل المقابلة والتقييد. قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:المكر ينقسم إلى محمود ومذموم .. فمن المحمود : مكره تعالى بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم بجنس عملهم. قال تعالى : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ، فالمكر الذي وصف به نفسه فهو مجازاته للماكرين بأوليائه ورسله، فيقابل مكرهم السيئ بمكره الحسن، فيكون المكر منهم أقبح شيء، ومنه أحسن شيء لأنه عدل ومجازاة. أهـ إغاثة اللهفان ١ /٣٨٨ ، الفوائد ص ١٦٣، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١ / ٣٣١، الكشاف ٤٦١/٤.

[٥]) انظر: الطبري ٩٢/١٨، بحر العلوم ٤٩٩/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة نحوه ٢٩٠٢/٩، والكشف والبيان ٥٠٣/٤،ولم يرد تفصيل ذلك في نصٍ من كتاب أو سنة.

في إهلاكنا إياهم لدلالة ظاهرة لقوم يعلمون. و أنجينا الذين آمنوا بصالح عليه السلام وكانوا يتقون عقاب الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ يعني: اللواطة، وسماها فاحشة لعظم شأنها في القبح. وقوله : ﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[٥٤] أي: تعلمون أنها فاحشة، وذلك أن فعل القبيح[٣] ممن يعلم قبحه أقبح من فعله ممن لا يعلم قبحه[٤].

وقوله: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴾[٥٥] فيه بيان الفاحشة.

وقوله: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[٥٥] أي: تجهلون العذاب الموعود على هذه الفاحشة، وتجهلون عاقبة الأمر.

قوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ﴾[٥٦] أي: لم يكن جواب قوم لوط عليه السلام إلا أن قالوا: أخرجوا آل لوط من قريتكم، أي: من مدينتكم﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[٥٦] عن أدبار الرجال فأخرجوهم من بينكم. ويجوز أن يكونوا قالوا هذا على وجه الهزء بهم[٥].

وقوله: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ﴾ أي: خلصناه وأهله﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ ﴾[٥٧]
قدرنا عليها أن تكون من المتخلفين فتهلك فيمَن هلك، وأمطرنا على شذاذهم ومسافريهم حجارة، فبئس المطر مطر قوم أنذرهم لوط ـ عليه السلام ـ فلم يؤمنوا به.

قوله تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ معناه: احمد الله يا محمد ﷺ ، وسلام على عباده الأنبياء عليهم السلام الذين اختارهم الله للرسالة[٦].

وقوله: ﴿ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥٩] أي: قل لأهل مكة: أعبادة الله أفضل أم

---

[١]) والتدمير : الإهلاك المستأصل. تاج العروس مادة (دمر) ١١ / ٣٠٩، لسان العرب مادة (دمر) ٤ / ٢٩١.

[٢]) تأويلات أهل السنة ١٢٣/٨، الكشف والبيان ٥٠٤/٤، البغوي ص ٩٦٥، المحرر الوجيز ٢٦٥/٤، القرطبي ١٨٦/١٦.

[٣]) كتب في حاشية الأصل: وصح الخبيث.

[٤]) انظر معاني القرآن للزجاج ١٢٦/٤، الكشاف ٤٦٢/٤، أوله عند البغوي ص ٩٦٥.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٩٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٢٦/٤، تأويلات أهل السنة ١٢٤/٨، الكشف والبيان ٥٠٤/٤، وأورده الزمخشري في الكشاف عن ابن عباس ٤٦٣/٤، كما ذكره القرطبي عن مجاهد أيضًا ١٨٨/١٦ .

[٦]) تفسير مقاتل ٤٨٢/٢، تأويلات أهل السنة ١٢٥/٨، بحر العلوم ٥٠١/٢، الكشف والبيان ٥٠٥/٤، البغوي عن مقاتل ص ٩٦٦، التسهيل ٣٠٩/٢، الكشاف ٤٦٣/٤، القرطبي١٨٩/١٦، تفسير ابن كثير ٤٥٢/٣.

عبادة من تشركون به من دونه[١]؟!

وكان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: الله تعالى خير وأبقى وأجل وأكرم[٢] مما يشركون، فإن قيل لفظ[٣] الخير إنما يستعمل في شيئين فيهما خير، ولأحدهما مزية ولا خير في الأصنام، قلنا إن لفظ الخير في مثل / هذا الموضع إذا أطلق كان تنبيها على أن الذي في مقابلته لا خير فيه[٤]، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[٥]. ٤٤٥/أ

قوله تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾[٦٠]

معناه: الذي تشركونه[٦] بالله تعالى خيرا؟! والذين تعبدون من دونه خير؟! أم أم من خلق السماوات والأرض وما فيهما من العجائب والبدائع، وأنزل لكم من السماء ماء يعنى المطر[٧]، فأنبتنا بالمطر حدائق أي: بساتين، ذات بهجة، أي: منظر حسن[٨] وأنوار.

والحديقة: هي البستان الذي يحاط عليه[٩] بما فيه من النخل والشجر.

---

[١]) لفظ الاستفهام والمراد به التقرير، يعني الله تعالى خير لهم مما يشركون . معاني القرآن للفراء ٢٩٧/٢، تأويلات أهل السنة ١٢٦/٨، بحر العلوم ٥٠١/٢، المحرر الوجيز بمعناه. ٢٦٦/٤.

[٢]) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريق أبو نصر بن قتادة، في دعاء ختم القرآن وهو حديث منقطع بإسناد ضعيف. حديث رقم(٢٠٨٢) ٢ /٣٧٢، وأخرجه عبد بن حميد عن قتادة موقوفا كما في الدر ٣٠٧/٦ ، وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن جابر الجعفي عن أبي جعفر.١٧/٣، وذكره الثعلبي من غير سند ولا راو.١٨/٣.
بحر العلوم ٥٠١/٢، الكشف والبيان ٥٠٥/٤، الكشاف ٤٦٤/٤، القرطبي١٩٠/١٦. و جابر الجعفي ترك عبد الرحمن بن مهدي حديثه، و عن يحيى بن معين قال: جابر الجعفي كذابا لا يكتب حديثه. انظر: تهذيب الكمال٨٠/٢٠ ، الكامل لابن عدي ١٠٩/٣، الضعفاء للعقيلي٧١/٢.

[٣]) زيادة من (ب).

[٤]) قال في البحر: والظاهر أن (خيرا) أفعل التفضيل ، وأن الاستفهام في نحو هذا يجيء لبيان فساد ما عليه الخصم ، وتنبيهه على خطئه ، وإلزامه الإقرار بحصر التفضيل في جانب واحد ، وانتفائه عن الآخر. أهـ ٨٤/٧.

[٥]) سورة الفرقان: [٢٤].

[٦]) في (ب) بالتحتية يشركونه.

[٧]) الطبري ١٠٠/١٨، البغوي ص ٩٦٦، تفسير ابن كثير ٤٥٢/٣، البحر ٨٤/٧.

[٨]) تفسير مقاتل ٤٨٢/٢، بحر العلوم ٥٠٢/٢، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك نحوه ٢٩٠٧/٩، وكذا النكت والعيون ٢٢١/٤، البغوي ص ٩٦٦، القرطبي١٩٠/١٦.

[٩]) معاني القرآن للفراء ٢٩٧/٢، الطبري ١٠٠/١٨، بحر العلوم ٥٠٢/٢، وانظر تفسير السمعاني ١٠٧/٤، البغوي ص ٩٦٦، الكشاف ٤٦٤/٤.

وقوله: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ﴾[٦٠] أي: ما كان لكم قدرة أن تنبتوا شجرها، ويقال: في تقديرهَ ما كنتم لتنبتوا شجرها، فتصير اللام متصلة بالفعل معنى وإن اتصلت بالاسملفظ ًا؛ لأنه لو لم يجعل كذلك وحمل على ظاهره لكان نهيا ، ولا يصح النهي عن مالا يدخل تحت قدرة البشر[1]، ونظيره قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[2]. أي: ما كان لله أن يتخذ ولدا.

وقوله: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾[٦٠] استفهام بمعنى الإنكار[3]، معناه: أمع الله إله يشاركه فيَ خلق هذه الأشياء، تشركوا بينه وبين الله تعالى في العبادة.

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[٦٠] الأصنام بخالقهم[4] بجهلهم، ويقال: يميلون عن الطريق، وعن النظر في الدلائل المؤدية إلى العلم بوحدانية الله تعالى وأنه هو المستحق للعبادة [5].

وقوله[6] تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾[٦١] معناه: أم من جعل الأرض مسكنا يستقرون عليها، ويتصرفون فيها فلا هي تضطرب بهم ولا هي حزنة غليظة مثل رؤوس الجبال وجعل خلالها أنهارا، أي: جعل وسط الأرض من الأودية والعيونوالقُنِي[7][8] أنهارًا تنتفعون[9] بها، وجعل على الأرض رواسي، أي: جبال ثوابت، أوتادًا لها.

(وجعل بين البحرين حاجزا) أي: بين العذب والمالح مانعا[10] بلطيف قدرته لا يشاهد ولا يعاين، يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، أإله مع الله فعل شيئًا من هذه الأشياء ؟ بل أكثرهم لا يعلمون لأنهم لا يتدبرون ولا يتفكرون.

---

[1]) الكشاف ٣٨٠/٣، القرطبي ١٩١/١٦ ، وذكر معنى آخره في الدر المصون ٢٨٨/١١، فتح القدير ١٤٦/٤.

[2]) سورة مريم : [٣٥].

[3]) بحر العلوم ٥٠٢/٢، تفسير السمعاني ١٠٧/٤، البغوي ص ٩٦٦.

[4]) تأويلات أهل السنة ١٢٧/٨، النكت والعيون عن قطرب ومقاتل نحوه ٢٢١/٤، البحر ٨٥/٧.

[5]) تأويلات أهل السنة ١٢٧/٨، و المحرر الوجيز ٢٦٦/٤، البحر ٨٥/٧.

[6]) سقطت الواو من (ب).

[7]) القناة: هي التي تجري تحت الأرض،وجمعها قُنِى ويقال لفمها - الفقير وجمعه فقر. المخصص لابن سيده (باب نعوت الآبار) ٢ / ٢٣٨.

[8]) كتب في حاشية الأصل: جمع قناة.

[9]) في (ب) بالتحتية ينتفعون.

[10]) تأويلات أهل السنة ١٢٧/٨، بحر العلوم ٥٠٢/٢، الكشف والبيان ٥٠٦/٤، النكت والعيون ٢٢٢/٤، البغوي ص ٩٦٦، القرطبي١٩٢/١٦، تفسير ابن كثير ٤٥٣/٣.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ معناه: أم من يجيب المدفوع إلى ضيق من الأمور[١]، من غرقٍ ينقذه، ومن مرض يشفيه، أو بلاء يعافيه، أو حبس يطلقه ،أو كرب يفرج عنه ﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ يعني: الشدائد ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ ﴾[٦٢] يأتي بقوم بعد قوم ، وقرن بعد قرن، وكل قرن خلفا لمن قبلهم. (أإلهَ مع الله) أي سوى الله فعل ذلك؟ ما أقل ما يتعظون!

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ ﴾ معناه: أم من يرشدكم إلى الطريق في ظلمات الليل في البر والبحر، بما خلق لكم من النجوم، والقمر، والمسالك، والرياح؟ ويجوز أن يكون المراد بالظلمات: الشدائد[٢].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أراد بالرحمة: المطر[٣]. والنشر جمع النشور وهيَ: الريح التي تأتي بالسحاب، يقال: نشرت إذا جمعت، ونشرت إذا فرقت، واللفظ من الأضداد[٤].

قوله تعالى: ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٦٣] أي: جل وعز عن أن يكون له شريك.

وقوله :﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ معناه: أم من يخلق الخلق ابتداء من النطفة ثم يميته ثم يعيده للبعث والنشور؟ ﴿ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ ﴾[٦٤] بإنزال المطر من السماء، وإخراج الزرع والنبات منَ الأرض.

(قل هاتوا برهانكم) أي: حجتكم[٥] فيما تدعونه من إله سواه إن كنتم صادقين صادقين أن مع الله آلهة أخرى.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[٦٥] معناه: قل لهم يا محمد: ﷺ لا يعلم من في السماوات شيئًا من َالغيب، من وقت نزول

---

[١]) ذكر في الكشاف عدة أقوال تدور حول هذا المعنى ٤٦٥/٤، وكذلك عند القرطبي ١٩٣/١٦، وفي البحر عرف المضطر بأنه: الذي أحوجه مرض، أو فقر، أو حادث من حوادث الدهر إلى الالتجاء إلى الله والتضرع إليه ، فيدعوه لكشف ما اعتراه من ذلك وإزالته عنه.أهـ ٨٤/٧.

[٢]) قال أبو حيان:وتنطلق مجازاً على الجهل وعلى انبهام الأمر فيقال :أظلم عليّ الأمر. البحر٧ / ٦٦.

[٣]) انظر تفسير مقاتل ٤٨٢/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي ٢٩١١/٩، النكت والعيون ٢٢٣/٤، البغوي ص ٩٦٦.

[٤]) انظر لسان العرب مادة(نشر) ٢٠٦/٥، مختار الصحاح مادة(نشره) ص٢٧٦.

[٥]) تفسير مقاتل ٤٨٣/٢، وانظر الطبري ١٠٤/١٨، بحر العلوم ٥٠٢/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي العالية وقال: روي عن مجاهد والسدي نحو ذلك ٢٩١٢/٩، البغوي ص ٩٦٦، القرطبي ١٦ /١٩٦.

العذاب وقيام الساعة وغير ذلك إلا الله. (وما يشعرون أيان يبعثون) أي: لا يدرون متى يبعثون من القبور[١]. والأصل في أيان: أي أوان، ضمتا وجعلتا أداة واحدة [٢].

وفي قوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ﴾[٦٦] قراءتان من قرأ(بَلْ أَدْرَكَ)[٣] فالمعنى سيدرك أي سيلحق الحال، التي تظهر فيها معلومهم بحقائق هذه الأشياء في الآخرة حين لا ينفعهم.

ومن قرأ(بَلِ ادّارَكَ)[٤] معناه: تدارك، أي: تتابع وتلاحق حتى كمل علمهم في الآخرة[٥]، ويجوز أن يكون هذا على وجه الاستفهام / كأنه قيل(بَلْ آدْرَكَ ٤٤٦/ب آدْرَكَ علمهم في الآخرة[٦]؟ أي: لم يدرك ولم يقفوا على حقيقتها في الدنيا، ولو أدرك علمهم لآمنوا به[٧].

وقوله :﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ﴾[٦٦] أي: في الدنيا، (بل هم منها عمون) أي: متحيرون بترك التأمل، يقال: رجل عمه و عامه وعم إذا كان متحيرا، وقوم عمون أي: متحيرون[٨]، ويجوز أن يكون معنى ادارك: لحق علمهم ذلك بما بما نصب عليه من الأدلة. بل هم في شك منها بترك التأمل.

---

[١]) غريب القرآن لليزيدي ص ٢٨٨.

[٢]) الصاحبي في فقه اللغة ٣٤/١، فقه اللغة للثعالبي ٨٣/١ ، ونقله الأزهري في تهذيب اللغة عن الفراء مادة (أيان) ٤٧١/١٥ ، المحيط في اللغة لابن عباد ٤٧٢/١٠.

[٣]) بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها دون ألف(بَلْ أَدْرَكَ) قراءة جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وشعبة. النشرص٤٢٧، المحتسب ١٨٧/٢، الإتحاف ٤٣١/١، السبعة ٤٨٥/١، الكشاف ٤٦٨/٤، البحر ٨٨/٧ .

[٤]) بكسر اللام وتشديد الدال وألف بعدها(بَلِ ادّارك) قراءة نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف والأعمش. النشر ص ٤٢٧ ، معاني القرآن للفراء ٢٩٩/٢، الإتحاف ٤٣١/١، السبعة ٤٨٥/١ ، الكشف والبيان ٥٠٧/٤، النكت والعيون ٢٢٤/٤، البحر ٨٧/٧.

[٥]) الوجوه والنظائر بلفظ: اجتمع. ص٦٥، التبيان للعكبري ١٧٤/٢، تفسير ابن كثير ٤٥٧/٣.

[٦])(بَلْ ءآدْرَكَ) قراءة الحسن وأبو رجاء وابن محيصن وقتادة وابن مسعود وابن أبي جمرة وهي قراءة شاذة، المحتسب ١٨٧/٢، الإتحاف ٤٣١/١، الطبري ١٠٦/١٨، الكشف والبيان ٥٠٧/٤، البحر ٨٨/٧ ، الدر المصون ٢٩٤/١١.

[٧]) ذكر الطبري أن أبا عمرو بن العلاء أنكر هذه القراءة ؛ لمخالفة معنى بل للاستفهام ١٠٦/١٨، تأويلات أهل السنة ١٣٠/٨، النكت والعيون عن ابن محيصن ٢٢٤/٤، التبيان للعكبري ١٧٤/٢، البحر ٨٧/٧.

[٨]) لسان العرب مادة(عمه) ١٣ /٥١٩.

وذهب القتبي[١] في معنى بل ادارك: إلى أنهم تتابعت ظنونهم في الآخرة أنها لا تكون[٢].
وقال الضحاك[٣]: استوى علمهم[٤].
قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [٦٧]
معناه: وقال كفار مكة إذا صرنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون من القبور ؟! لقد وعدنا هذا الذي تخوفنا به من البعث والنشور، ووعد آباؤنا من قبلنا، فما وجدنا لذلك حقيقة وما هذا الذي تعدنا يا محمد إلا أساطير الأولين. قل لهم يا محمد ﷺ سيروا أي: سافروا وترددوا، فانظروا كيف كان آخر أمر المكذبين بالرسل، كيف أهلكهم الله تعالى بأنواع العقوبات، وتلك الأدلة على صحة خبر الرسل بالبعث، فلذلك احتج الله تعالى بها [٥] عليهم.
وقوله : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تحزن على تكذيبهم[٦] إياك، ولا على هلاكهم[٧] إن لم يؤمنوا، وذلك أن النبي ﷺ كان حريصا على إيمانهم ونجاتهم.
وقوله :﴿ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾[٧٠] أي: لا يضيق صدرك يا محمدﷺ بما يمكرون، وسيظهرك الله عليهم.

---

[١]) عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوري ، وقيل: المروزي النحوي اللغوي ، كان ثقة دينا فاضلا، وهو صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة، منها غريب القرآن، وغريب الحديث ، ومشكل القرآن، ومشكل الحديث، وأدب الكتاب، وغير ذلك، سكن بغداد ومات سنة سبعين ومائتين وقيل: ست وسبعين. انظر: تاريخ بغداد ١٠ /١٧٠ ، طبقات المفسرين للداودي ١ /٤٤.

[٢]) تأويل مشكل القرآن ٢١٠، بحر العلوم ٥٠٣/٢، وذكره القرطبي غير منسوب بلفظ : تتابع علمهم اليوم في الآخرة فقالوا تكون أو لا تكون ١٩٨/١٦ .

[٣]) الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني يكنى أبا القاسم، وقيل: أبا محمد صاحب التفسير كان من أوعية العلم، صدوق كثير الإرسال من الخامسة ، حملت به أمه سنتين، وكان يعلم ولا يأخذ أجرا، أصله من الكوفة ثم أقام ببلخ . وثقه الإمام أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهما وحديثه في السنن لا في الصحيحين ، وضعفه يحيى بن سعيد وقيل: كان يدلس، توفي سنة اثنتين و قيل: سنة خمس و مائة وقيل: سنة ست ومئة. انظر: تقريب التهذيب٢٨٠/١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨، الكاشف ١ /٥٠٩، صفة الصفوة ٤ /١٥٠.

[٤]) لم أجده في تفسير الضحاك ، وذكره ابن كثير في تفسيره غير منسوب. ٤٥٧/٣.

[٥]) ساقطة من (ب).

[٦]) تأويلات أهل السنة بمعناه ١٣١/٨، بحر العلوم ٥٠٣/٢، الكشف والبيان ٥٠٨/٤، البغوي ص ٩٦٧.

[٧]) الطبري ١١٢/١٨، تأويلات أهل السنة ١٣١/٨.

وقوله : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ أي: يقولون على وجه التكذيب متى هذا الوعد الذي تعدنا به في الدنيا والآخرة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٧١] في ذلك قل لهم:﴿قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾[٧٢] دَنا لكم[١] وركبكم[٢] بعض ما تستعجلون به من العذاب ، لا يجوز أن يكون عسي في هذا الموضع بمعنى الشك وإنما هو بمعنى الإيجاب على وجه التخويف[٣].

وأراد بقرب بعض الذي كانوا يستعجلون: القحط الذي سلط الله عليهم عقب هذه الآية حتى أكلوا الجيف[٤]

ويقال: أراد به عذاب السيف يوم بدر[٥]. وفي ردف لكم قولان :

أحدهما: أنه من الفعل الذي تعدى بحرف وبغير حرف [٦]

كما قال الشاعر[٧]:

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى

وهم تعناني مُعَنّى ركائبه [٨]

والثاني: أن الباء لحقته لما دخله معنى يرمين[٩] بالفتى، ولذلك وحد قوله: ردف لكم بمعنى دنا لكم[١].

---

١) معاني القرآن للفراء ٢٩٩/٢، الطبري ١١٤/١٨، تأويلات أهل السنة ١٣٢/٨، الكشف والبيان ٥٠٨/٤، النكت والعيون عن ابن عباس وابن عيسى ٢٢٥/٤، البغوي ص٩٦٧، الكشاف ٤٧٠/٤، التبيان للعكبري ١٧٥/٢.

٢) معاني القرآن للزجاج ١٢٨/٤. ومادة (ردف) في اللغة: الراء والدال والفاء أصل واحد مطرد، يدل على اتبِّاع الشيء. فالتَّرادف: التتابع.والرَّدِيف: الذي يرادفك ويقال: نزل بهم أمر فردف لهم= = أعظم منه، أي : تبع الأول ما كان أعظم منه. مقاييس اللغة ٥١٩/١، لسان العرب مادة (ردف) ٩/ ١١٤، العين ٢ / ١١٥، المفردات ص ١٩٩.

٣) كلمة عسى شك وهو في حق الله عز وجل محال، فعسى من الله تعالى واجبة؛ لأن الترجي والإشفاق محالان في حقه تعالى ، وإنما تفيد القطع بالإجابة. انظر: معاني القرآن للفراء ١ / ٣٣٨، الكشاف ٣٨٦/٣، الدر المصون في علم الكتاب المكنون ٣ / ٩٥، مفاتيح الغيب ١٦ / ١٤٠.

٤) لم أقف عليه.

٥) تفسير مقاتل ٤٨٤/٢، بحر العلوم ٥٠٤/٢، النكت ٢٢٥/٤، تفسير السمعاني ١١٠/٤، التسهيل ٣١٤/٢، الكشاف ٤٧٠/٤، القرطبي٢٠٣/١٦.

٦) الطبري ١١٤/١٨، معاني القرآن للفراء ٢٩٩/٢.

٧) لم أهتد لقائله.

٨) البيت من شواهد الطبري ١١٤/١٨ ، والفراء في معاني القرآن ٢٩٩/٢، ونسب في الأمالي الشجرية للفرزدق(باب لطف الله بالمعمر) ٤٥٨/١.

٩) في (ب) بالفوقية ترمين.

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾[٧٣] أي:لذو منٍّ على الناس بإمهالهم والإنعام عليهم : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُون﴾[٧٣] فضله عليهم :
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾[٧٤] أي: ما تضمره قلوبهم من البغض والعداوة. (وما يعلنون) أي وما يظهرون من الكفر والتكذيب[٢].
وقوله: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْض﴾[٧٥] معناه: وما من خافية على أهل السماء والأرض إلاّ وهو مكتوب[٣] في اللوح المحفوظ [٤]، كتبه الله لتعرف الملائكة بذلك إذا حدث المكتوب لأنه تعالى عالمُ بكل ما سيكون[٥].
قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل﴾ أي: ليبين لبني إسرائيل ﴿أَكْثَرَ الذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفون﴾[٧٦] كاختلافَ اليهود والنصارى في المسيح[٦] وفي غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وكاختلافهم في جواز نسخ الشريعة، وفي صفة النبي ﷺ المبشر به في التوراة، حتى قال بعضهم هو: يوشع بن نون[٧]عليه السلام وقال بعضهم: بل هو منتظر[٨] لم يأت بعد[٩].
قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى﴾[٧٧] أي: دلالة إلى طريق الحق، ورحمة للمؤمنين في تأديتهم إلَى رضا رب العالمين .
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾[٧٨] أي: يقضي بين المؤمنين والكفار بحكمه. وهو العزيز بالانتقام من الكفار، و العليم بهم وبعقوبتهم.

---

[١]) وهو الذي اختاره الطبري ١١٤/١٨، معاني القرآن للفراء ٢٩٩/٢، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ص٤٦٦. والبيت شاهد على أن الباء في (بالفتى) زائدة كما في قوله تعالى: (ردف لكم) ودخول اللام للوجهين اللذين ذكر المؤلف.
[٢]) انظر الكشاف ٤٧١/٤.
[٣]) هكذا في النسخ، والصواب: وهي مكتوبة.
[٤]) النكت والعيون حكاية عن ابن شجرة. ٤ / ٢٢٥، تفسير ابن كثير ٤٥٨/٣.
[٥]) تنزيه القرآن عن المطاعن بنحوه. ص٣٠٤.
[٦]) الطبري ١١٦/١٨، انظر الكشاف ٤٧١/٤، والبحر ٩٠/٧، ابن كثير ٤٥٨/٣.
[٧]) هو يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام وأهل الكتاب يقولون يوشع ابن عم هود وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر مع موسى عليه السلام، في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ و ثبت ذكره في الحديث الصحيح الذيَ أخرجه البخاري في كتاب/التفسير، باب/ قوله: (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) ينظر قصة الخضر في صحيح البخاري. فتح الباري حديث رقم(٤٧٢٥) ٥٢٢/٨، البداية والنهاية ١ /٣١٩، المنتظم ١ /٣٧٧.
[٨]) في (ب) مستعار.
[٩]) لم أقف عليه.

وقوله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ثق به يا محمد ﷺ وفوض أمورك إليه ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾[٧٩] أي: على طريق الإسلام. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ والمحقين بأن أمورهم ستؤول إلى أن يحكم الله تعالى بينهم وبين المبطلين.

قوله عز وجل : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ معناه: إنك لا تقدر أن تسمع الكفار[١] الذين لا يسمعون ولا يتفكرون فيما يسمعون، كما لا يمكنك أن تسمع الموتى الذين ليس لهم آلة السماع[٢]، وكما لا يمكنك أن تسمع الصم دعاءك إياهم إلى إلى الحق. وفي قوله: ﴿إِذَا / وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[٨٠] بيان أنه أراد بالموتى الكفار، ٤٤٦/أ كانوا لا يسمعون القرآن سماع قبول فشبههم بالموتى والصم، ثم شبههم بالعمى لمعاندتهم[٣]، فقال الله تعالى: (وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم) أي: كما لا يمكن إرشاد الأعمى إلى قصد الطريق بالإمارات الدالة على الطريق كذلك لا يمكن هداية القوم الذين عميت بصائرهم عن آيات الله، وليس على الرسل عليهم السلام إلا الدعاء إلى الله.

وقوله :﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾[٨١] معناه: ما تسمع دعوتك سماع القبول إلا من يطلب الحق بالنظر في آيات الله تعالى، فلا يلبث أن يسلم مع ظهور الدلائل، ولأن عقله يخاصمه حتى يقول بالحق ويعتقده[٤].

قوله عز وجل :﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾[٨٢]

---

[١]) تفسير مقاتل ٤٨٥/٢، تأويلات أهل السنة ١٣٥/٨، بحر العلوم ٥٠٤/٢، الكشف والبيان ٥٠٩/٤، البغوي ص ٩٦٨، تفسير السمعاني ١١/٤، القرطبي ٢٠٥/١٦، أضواء البيان ١٢٤/٦.

[٢]) الموتى لا يجب أن ينفى عنهم جميع أنواع السماع، فهم يسمعون كلام من كلمهم ، كما ثبتت بذلك الأدلة، فالميت يسمع قرع نعال المشيعين له، ويرد سلام من سلم عليه، وكم من الآثار الواردة عن النبي في ذلك. ولزيادة الإيضاح في المسألة. انظر: تفسير ابن كثير في سورة الروم ٥٣٥/٣، أضواء البيان ١٢٨/٦.

[٣]) وعن قتادة قال: هذا مثل ضربه الله للكافر. انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢٩٢١/٩، وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان: إن معنى قوله : (إنك لا تسمع الموتى ، لا يصح فيه من أقوال العلماء إلا تفسيران:

الأول: أن المعنى : (إنك لا تسمع الموتى) ، أي لا تسمع الكفار الذين أمات الله قلوبهم ، وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه، إسماع هدى وانتفاع ؛ لأن الله كتب عليهم الشقاء ، فختم على قلوبهم.

التفسير الثاني : هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل ، ولكن المراد بالسماع المنفي في قوله : (إنك لا تسمع الموتى) خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به ، وأن هذا مثل ضرب للكفار. ١٢٥/٦.

[٤]) في (ب) بالفوقية وتعتقده.

معناه: وإذا وجب القول عليهم[1] بالسخط [2] والعذاب[3] عند قرب الساعة أخرجنا لهم دابة من الأرض ، روي أنها تخرج بين الصفا والمروة ولا تخرج إلا رأسها وعنقها، فيبلغ رأسها السحاب، فيراها أهل المشرق والمغرب فيسمعون كلامها باللسان ، تقبل على الكفار فتقول لهم أيها الكفار، ثم تقبل على المؤمنين فتقول أيها المؤمنون مصيركم إلى الجنة، فيتميز عند ذلك أهل الجنة من أهل النار[4].

وهي أول آية من آيات القيامة التي عندها يغلق باب التوبة [5].

ويجوز أن يكون قوله (تَكْلِمُهُمْ) من الكلم وهو الجراحة [1]، كما يروى في قراءة ابن عباس ـ رضي الله عنهماـ تكلمهم بنصب التاء وكسر اللام أي

---

[1]) أخرجه الطبري عن قتادة ١١٩/١٨، النكت والعيون عن قتادة ٢٢٦/٤، البغوي ص ٩٦٧، وذكره القرطبي عن قتادة بلفظ: وجب الغضب عليهم ٢٠٧/١٦، معاني القرآن للزجاج ١٢٩/٤.

[2]) تأويلات أهل السنة ١٣٦/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مقاتل بن حيان ٢٩٢٢/٩، معاني القرآن للفراء ٣٠٠/٢.

[3]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وابن جريج ١٢٠/١٨، بحر العلوم بلفظ: وجب عليهم العذاب والسخط ٥٠٥/٢، الكشف والبيان ٥٠٩/٤.

[4]) عن مقاتل أنها تخرج من الصفا. تفسير مقاتل ٤٨٥/٢، وروي أوله في بحر العلوم عنه ٥٠٥/٢، وأخرج الثعلبي في الكشف والبيان أنها تخرج من صدع في الصفا ٥٠٩/٤، وكذا عند البغوي ص٩٦٩، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره أوله ٢٩٢٣/٩، وذكر ابن عطية عن ابن عمر أنها تخرج من جبل الصفا بمكة. المحرر الوجيز ٢٧٠/٤، الكشاف ٤٧٤/٤، وكذا ذكر القرطبي عن ابن عمر٢١٢/١٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم حديث رقم (٨٤٩٠) ٦١/٧، و الطيالسي في مسنده حديث رقم(١٠٦٩) ص١٤٤، والطبراني في الكبير حديث رقم(٣٠٣٥)١٩٣/٣، أنها تخرج من أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله..) كلهم من طريق طلحة بن عمرو الحضرمي ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي. قال الحاكم في مستدركه: حديث صحيح الإسناد ، وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض ، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: طلحة بن عمرو الحضرمي ضعفوه وتركه أحمد. ٦٢/٧، و قال ابن عدي في الكامل: طلحة بن عمرو الحضرمي ضعيف. ١٤٢٦/٤، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه ابن مردويه في تفسيره ٢٠/٣، تخريج أحاديث الكشاف٢٠/٣. وفي الدابة وصفتها أحاديث كثيرة معظمها لا يصح وهو من قبيل الروايات الإسرائيلية ٢٠٩/١٦.

[5]) أخرج مسلم في صحيحه كتاب/الإيمان، باب/بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :(ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض) حديث رقم(١٥٨)١٦٧/٢. بحر العلوم ٥٠٥/٢، وفي الحديث : (أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول الأشراط)، ولم يعين الأول ، وكذلك الدجال؛ وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخرها. ذكره أبو حيان في البحر٩١/٧.

تسمهم[٢]، وتكتب على جبين[٣] الكافر أنه كافر وعلى جبين المؤمن أنه مؤمن[٤].

قال أبو هريرة [٥] ـ رضي الله عنه ـ: أنها تخرج ومعها عصا موسى عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام [٦].

---

[١]) غريب القرآن لليزيدي ص ٢٨٨، معاني القرآن للزجاج ١٢٩/٤، تأويلات أهل السنة ١٣٦/٨، معاني القرآن للفراء ٣٠٠/٢، المحتسب ١٨٩/٢، النكت والعيون ٢٢٧/٤، البغوي ص ٩٦٨، القرطبي٢٠٧/١٦.

[٢]) (تَكْلِمُهم) قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدري و أبو زرعة بن عمرو والحسن وأبو رجاء، والباقون(تُكَلِّمُهم) من الكلام، ويشهد لها قراءة أبي(تُنَبِّئُهُم) وقراءة ابن مسعود وستأتي معنا. المحتسب ١٨٩/٢، الطبري ١٢٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٢٩/٤، الكشف والبيان ٥٠٩/٤، النكت والعيون ٢٢٧/٤، زاد المسير١٩٣/٦، القرطبي٢١٤/١٦.

[٣]) في (ب) وجه.

[٤]) روى أبو أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم) رواه الإمام أحمد في مسند باقي الأنصار حديث رقم (٢٢٣٠٨)٦٤٦/٣٦، و أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١٧٢/٦ ، وابن مردويه كما في الدر ٣٧٨/٦، و قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٥٧٦ : من طرق عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف المزني عن أبي أمامة يرفعه إلى النبي ﷺ به . و رجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية و هو ثقة ".

[٥]) عبد الرحمن بن صخر الدوسي: أبو هريرة.اختلفوا في اسمه واسم أبيهاختلافًا كثيراً لا يحاط به ولا يضبط ، فقيل اسمه: عبد عمرو، وقيل: عبد شمس وقيل: عبد الله وقيل: عامر، وقيل: عبد الرحمن والله أعلم ، وهو مشهور بكنيته، كناه بذلك النبي ﷺ ؛ لهرة كان يحملها أسلم عام خيبر. وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لزمه رغبة في العلم راضيًا بشبع بطنه ، فكانت يده مع يد رسول الله ﷺ وكان يدور معه حيث دار ، كان من أحفظ الصحابة ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث، حدث عن جمع من الصحابة ، وروى عنه جمع منهم ومن كبار التابعين، دعا له رسول الله بأن يحببه إلى المؤمنين. و استعمله عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله، ثم لم يزل يسكن المدينة حتى مات ، وبها كانت وفاته. سنة سبع وخمسين. وقيل غير ذلك. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٧٠، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ١٩٥، الكنى والأسماء للدولابي ٦١/٢، الطبقات الكبرى ٢ / ٣٦٥.

[٦]) أخرجه الترمذي في سننه بأطول من هذا مع قلب فيه ، بتقديم خاتم سليمان على العصا. (انظر معنى الحديث المقلوب ص ١٤٨) كتاب/ تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب/ ومن سورة النمل. حديث رقم (٣١٨٧) ١٨٧/٤. وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب/ الفتن باب/ دابة الأرض حديث رقم(٤٠٦٦) ص٢٧٢٢ ، و الإمام أحمد في مسند أبي هريرة حديث رقم (٧٩٣٧)٣٢١/١٣، أخرجه الطيالسي في مسنده رقم(٢٥٦٤) ص ٣٣٤، والثعلبي في الكشف والبيان ٥٠٩/٤، وأخرجه أيضًا جمع من المفسرين. وأخرجه الحاكم في مستدركه وسكت عنه ، وكذا الذهبي ٥٣٢/٤، كلهم من طريق علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

وعن ابن عمر[1] - رضي عنهما - أنه قال: تنكت على وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه حتى يسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه ، فيعرف المؤمن من الكافر بعد ذلك[2].
وعن أبي سعيد الخدري[3] - رضي الله عنه - أنه قال: إذا ترك الناس الأمر

فذكره . و قال الترمذي :" حديث حسن غريب". ١٨٧/٤ . وقال الشيخ الألباني في " السلسلة الضعيفة و الموضوعة : منكر...و فيه علتان : الأولى : أوس بن خالد ، ذكره البخاري في " الضعفاء " . و قال ابن القطان :" له عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث منكرة ، و ليس له كبير شيء " .كذا في الميزان ٢٧٨/١. و في " التقريب " :" مجهول ". والأخرى : علي بن زيد و هو ابن جدعان ، ضعيف.أهـ ٢٣٣/٣، تهذيب التهذيب٣٧٥/٣.

[1]) عبدالله بن عمر أبو عبدالرحمن العدوي. أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، لم يشهد بدر، واختلفوا في شهوده أحدا، والصحيح أن أول مشاهده الخندق وشهد غزوة مؤتة، و اليرموك وفتح مصر وإفريقية ، روى عنه بنوه ونافع وزيد بن أسلم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عبد الله رجل صالح). وقال جابر: "ما منا أحد إلا مالت به الدنيا، ومال بها إلا ابن عمر". كان كثير الإتباع لآثار رسول الله ﷺ، شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى، توفي سنة ثلاث وسبعين، وقيل : سنة أربع وسبعين. انظر: أسد الغابة ١ / ٦٥٣، من له رواية في الكتب الستة ١ / ٥٧٧، حلية الأولياء ١ / ٢٩٢.

[2]) أخرجه الطبري في تفسيره عنه مع اختلاف في آخره ١٢٦/١٨، بحر العلوم بنحوه ٥٠٥/٢، ذكر في الكشاف مطولاً وغير منسوب ٤٧٤/٤.

[3]) أبو سعيد الخدري اسمه: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري الخدري. وأمه من بني النجار، وقتادة بن النعمان أخوه لأمه ، مشهور بكنيته استصغر بأحد واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها، فأول مشاهده الخندق. كان من الحفاظ المكثرين، ومن نجباء الأنصار وعلمائهم، ومن أفقه أحداث الصحابة ، قاضي ومفتي المدينة ، روى عنه جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين، هو الذي شهد لأبي موسى الأشعري عند عمر فِي حديث الاستئذان، و أنكر عَلَى مروان بن الحكم فِي تقديمه خطبة العيد عَلَى الصلاة، شهد خطبة عمر بالجابية ، توفي سنة أربع وسبعين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٣٤، الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٤٣٣ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٦٨ ، الوافي بالوفيات ٥ / ٤٣.

بالمعروف والنهي عن المنكر، كان ذلك الوقت وقت أشراط الساعة وخروج الدابة [(١)].

ومن قرأ (إِن الناس) بالكسر[(٢)] فعلى معنى الابتداء ، فأما قراءة النصب[(٣)] فعلى وجه الحكاية عن قول الدابة ، وعلى معنى أخرجنا الدابة بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾[٨٣] أي: نجمع من كل أمة جماعة[(٥)] من المكذبين بالرسل.

(فهم يوزعون) أي: يحبسون ليتلاحقوا[(٦)] فيساقون[(٧)] إلى الموقف إذا

---

[١]) أخرج الطبري في تفسيره نحوه عن ابن عمر ١٢٠/١٨، وكذا الكشف والبيان ٥٠٩/٤، والسمعاني ١١٢/٤. وذكر القرطبي عن أبي سعيد الخدري نحوه ٢٠٨/١٦، وأخرجه الحاكم في مستدركه وسكت عنه ، وكذا الذهبي. ٥٣٢/٤.

[٢]) (إن) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ، النشر ص ٤٢٦، الإتحاف ٤٣٢/١، التبيان للعكبري ١٧٥/٢، الدر المصون ٢٩٩/١١.

[٣]) (أن) بالنصب قراءة عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف ، المصادر السابقة.

[٤]) وهي قراءة ابن مسعود، وهي شاهد لمن قرأ (تُكَلِّمُهم) من الكلام كما مر معنا، وإن كانوا اختلفوا في كلامها ما تقول لهم. المحتسب ١٩٠/٢، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: "تحدثهم" = = وقال روي عن قتادة مثل ذلك و قال: كل ذلك والله تفعل ، تكلم المؤمن وتكلم الكافر أو تجرحه" ٢٩٢٣/٩، وفي قراءة أبي "تنبئهم" المحرر الوجيز ٢٧١/٤، تفسير السمعاني ١١٤/٤، وقال بعض أهل العلم : إن كلامها على المجاز وليس حقيقة ، وليس ثمة مانع من ذلك وهي معجزة ظاهرة وآية باهرة على قيام الساعة توحي بتغير هائل عظيم في الكون كله، وقد صحت بذلك النقول فلا وجه لحمل كلامها على المجاز، ولعل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن كل ذلك يقع منها . والله تعالى أعلم . وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي مسلم الخراساني: " وأما دابة الأرض تكلمهم ، فكلامها يعني إياهم ، أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون"٢٩٢٦/٩، تأويلات أهل السنة ١٣٦/٨، النكت ٢٢٧/٤، البغوي ٩٦٨، القرطبي٢٠٩/١٦.

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - : " وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة ، كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة ، وإنما ذكر أثرها والمقصود منها ، وأنها من آيات الله ، تكلم الناس كلاما خارقا للعادة حين يقع القول على الناس ، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة وبرهانا للمؤمنين، وحجة على المعاندين أهـ". ص٦١٠

[٥]) غريب القرآن لليزيدي ص ٢٨٨، الطبري ١٢٨/١٨، بحر العلوم ٥٠٥/٢، الكشف والبيان ٥١٣/٤، المحرر الوجيز ٢٧١/٤، القرطبي٢١٥/١٦ ، مجاز القرآن ٩٦/٢، تفسير ابن كثير بنحوه. ٤٦٠/٣.

[٦]) تأويلات أهل السنة ١٣٨/٨، بحر العلوم ٥٠٥/٢، البغوي ص٩٧٠، انظر الكشاف ٤٧٤/٤.

[٧]) قاله ابن زيد والسدي. النكت والعيون ٢٣٠/٤.

اجتمعوا حتى إذا جاؤوا موقف المحاسبة.

قال الله تعالى: ﴿ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾[٨٤] أي: جهلا بغير علم، أم ماذا كنتم تعملون؟ إذا لم يتدبروا ولم يتفكروا فيها، وهذا اللفظ لفظ السؤال ومعناه التوبيخ[١]، فوقع القول عليهم أي: وقع العذاب عليهم بظلمهم. فهم لا ينطقون أي: يختم على أفواههم [٢]، ويقال: لا ينطقون نطقا ينفعهم[٣] ولا يتكلمون من الهيبة [٤].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾[٨٦] أي: ليستقروا فيه وليستريحوا من تعب النهار، وجعلنا النهار مبصرا أي: مضيئا[٥] ؛ لطلب المعاش، وسمي النهار مبصرا؛ لأنه يرى الأشياء كما يراها من يبصرها ، والأبصار والبصير بمعنى واحد ويجوز أن يكون معنى المبصر أي: ذا أبصار كعيشة راضية أي ذات رضى[٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾[٨٦] أي: فيما ذكرناه من اختلاف الليل والنهار لآيات أي: دلالات للمؤمنين والكافرين، لكن خص المؤمنين في آخر الآية؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالذكر [٧].

قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[٨٧] اختلفوا في هذه الآية ، قال بعضهم: أراد به يوم القيامة، ينفخ في الصور يوم القيامة للاجتماع على المسير إلى أرض الجزاء، كبوق[٨] الرحيل في الدنيا[٩].

---

١) بحر العلوم ٥٠٦/٢، انظر الكشف والبيان ٥١٣/٤، والكشاف ٤٧٤/٤، القرطبي٢١٥/١٦.

٢) الكشف والبيان ٥١٣/٤، البغوي ص٩٧٠، قال القرطبي: قاله أكثر المفسرين ٢١٥/١٦.

٣) انظر الطبري ١٣٠/١٨، تأويلات أهل السنة ١٣٨/٨، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: لا ينطقون بحجة. ٢٧١/٤.

٤) تفسير مقاتل ٤٨٥٦/٢ ، بحر العلوم ٥٠٦/٢.

٥) الكشف والبيان ٥١٣/٤.

٦) المحرر الوجيز ٢٧٢/٤.

٧) البحر ٥١/٤.

٨) معنى البوق في اللغة : الذي ينفخ فيه ويزمر، وقيل: البوق شبه منقاف ملتوي الخرق ينفخ فيه الطحان فيعلو صوته فيعلم المراد به. لسان العرب مادة (بوق)١٠ / ٣٠، تهذيب اللغة مادة (بوق) ٢٦٢/٩، المخصص ٣ / ١٢٤.

٩) تأويلات أهل السنة ١٤٠/٨، و ورد في النكت: شيء ينفخ فيه كالبوق يخرج منه صوت يحيا به به الموتى. ٢٢٩/٤، قال ابن عطية في تفسيره: وهو القرن في قول جمهور العلماء ، وهو مقتضى

وقوله: ففزع أي: خاف أهل السماوات وأهل الأرض من ذلك، إلا من شاء الله أن لا يخاف قيل: أراد به بعضًا من الملائكة [1] وقيل: هم الأنبياء صلوات الله عليهم[2]، والشهداء [3] استثناهم الله تعالى من الذين يفزعون في تلك الساعة.

وقوله : ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[٨٧] أي: كل الخلائق يأتون إلى موضع الجزاء أذلاء صاغرين [4]. أراد بهذه النفخة، النفخة الأولى وهي نفخة الصعق[5]، وأما النفخة الثانية فهي / نفخة البعث كما قال الله عز وجل :﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾[6]. ٤٤٧/ ب

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: بين[7] النفختين أربعون سنة [8].

ويقال: إن النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق وهو الموت، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين [1].

الأحاديث. ٢٧٢/٤، و قال القرطبي: والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل، قال مجاهد: كهيئة البوق وقيل: هو البوق بلغة أهل اليمن.٢١٦/١٦، وفي الحديث: قرن ينفخ فيه. ابن كثير ٤٦٢/٣.

[1]) تفسير مقاتل ٤٨٦/٢، الطبري ١٣٥/١٨، تأويلات أهل السنة ١٤١/٨، وفي النكت عن ابن عيسى الملائكة ٢٣٠/٤، قال الكلبي في التسهيل: قيل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل عليهم السلام ٣١٥/٢، وكذا في بحر العلوم ٥٠٦/٢، البغوي ص٩٧٠، الكشاف ٤٧٦/٤، وكذلك ذكر ابن عطية في تفسيره عن مقاتل ٢٧٢/٤، وذكر في زاد المسير ملك الموت بدلا من عزرائيل ونسبه لمقاتل ١٩٥/٦، و ذكره القرطبي. ٢١٨/١٦ .

[2]) تأويلات أهل السنة ١٤١/٨، و نقله القرطبي عن القشيري بأن الأنبياء داخلون في جملة الشهداء. ٢١٩/١٦.

[3]) أخرجه الطبري في تفسيره من حديث أبو هريرة ١٣٣/١٨، تأويلات أهل السنة ١٤١/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٢٩٣٠/٩، الكشف والبيان ٥١٤/٤، النكت ٢٣٠/٤، الكشاف ٤٧٦/٤، التسهيل ٣١٥/٢، زاد المسير عن ابن عباس وابن جبير وأبو هريرة ١٩٥/٦.

[4]) تفسير مقاتل ٤٨٦/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ١٣٥/١٨، بحر العلوم ٥٠٦/٢، الكشف والبيان ٥١٦/٤ ، البغوي ص٩٧٠، التسهيل ٣١٥/٢، مجاز القرآن ٩٦/٢.

[5]) ذهب إلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد والقرطبي وابن حجر ومرعي الحنبلي. بحر العلوم ٥٠٦/٢، المحرر الوجيز ٢٧٢/٤.

[6]) سورةالزُّمر: [٦٨].

[7]) ساقطة من (ب).

[8]) وفي هذا المعنى ورد الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري من رواية أبي هريرة في كتاب/ تفسير القرآن، باب قوله: (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) حديث رقم (٤٨١٤) ٧٠٨/١٠، وأخرجه مسلم في كتاب /الفتن و أشراط الساعة ، باب/ مابين النفختين. حديث رقم (٢٩٥٥)٧٢/١٨.

قوله : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾[٨٨] أي: ترى يا محمد ﷺ الجبال تظنها ساكنة لا تتحرك في رأي العين، وهي تسير في الهواء سيرًا سريعًا، كراكب السفينة يحسبها واقفة وهي سائرة [٢].

وقوله: (صنع الله) نصب على المصدر أي: كأنه قال: صنع الله ذلك صنعا على الإتقان والإحكام[٣] إنه خبير بما يفعلون من الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ﴾[٨٩] معناه: من وافى عرصات[٤] القيامة بالحسنات[٥] فله ثواب أنفع له منها [٦].

---

[١]) *اختلف في عدد النفخات ، فمنهم من ذهب إلى أنها:

١ـ نفختان: وهم ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد والقرطبي وابن حجر ومرعي الحنبلي ـ رحمهم الله ـ قال أبو الليث: الفزع والصعق كناية عن الهلاك، ثم نفخة للبعث .أهـ ٥٠٦/٢، رسالة علمية لتفسير الكشف والبيان للثعلبي، تحقيق: عفراء المصري٢٣٥، المحرر الوجيز ٢٧٢/٤، القرطبي٢١٨/١٦.

٢- ومنهم من ذهب إلى أنها ثلاث ، فنفخة الفزع في قوله: (ففزع من في السماوات ..) ونفخة الموت في: قوله: (فصعق من في السماوات...) ونفخة البعث في قوله : (ثم نفخ فيه أخرى..) بحر العلوم ٥٠٦/٢، و أخرج الطبري في تفسيره عن محمد بن كعب وأبي هريرة أطول من هذا ١٣٣/١٨، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي هريرة ٢٩٢٩/٩، السمعاني ١١٦/٤. وذهب إليه ابن تيمية وابن عطية وابن العربي وابن كثير والسفاريني . =

= ٣ـ وهناك قول ثالث لابن حزم وهو أنها أربع : نفخة الإماتة ، ثم نفخة الإحياء والنشر ثم ، نفخة الفزع والصعق يفيقون كالمغشي عليه من الموت، ثم نفخة إقامة بعد ذلك الغشي . انظر: فتح الباري كتاب/ الأنبياء ، باب/ وفاة موسى وذكره بعد ، حديث رقم (٣٤٠٨) ٥٥٠/٦ .

٤ـوذكر أبو منصور قولاً زائدًا على ما ذُكِر وهو قول من قال: إنها واحدة لقوله تعالى: (إلا صيحة واحدة) ولم ينسبه. تأويلات أهل السنة ١٤٠/٨، المحرر الوجيز ٢٧٢/٤. والقول الثاني أقرب إلى ظاهر القرآن، والله تعالى أعلم.

[٢]) انظر الكشف والبيان ٥١٦/٤، الكشاف ٤٧٦/٤، تأويل مشكل القرآن ١٢، الجمان في تشبيهات القرآن، باهر البرهان ١٠٦٦/٢، وذكر القرطبي نحوه عنه وعن ابن عباس ٢٢٠/١٦.

[٣]) النصب على المصدر، ويجوز الرفع أيضًاعلى معنى ذلك صُنْعُ الله ، تفسير مقاتل ٤٨٦/٢، معاني القرآن للزجاج ١٣٠/٤، تأويلات أهل السنة ١٤٢/٨، النكت عن ابن عباس ٢٣١/٤، وانظر الكشاف ٤٧٧/٤، التبيان للعكبري ١٧٥/٢، ونقله القرطبي عن الخليل وسيبويه ٢٢٢/١٦.

[٤]) تقدم في نفس السورة انظر ص ١٦٤.

[٥]) المفسرون على أن الحسنة هي لا إله إلا الله ، وذكر البغوي في تفسيره عن قتادة الإخلاص وقيل كل طاعة. ص٩٧١، وفي النكت والعيون: الفرائض كلها ٢٣١/٤.

[٦]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ١٤٣/١٨، تأويلات أهل السنة ١٤٢/٨، بحر العلوم ٥٠٦/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٩٣٤/٩، البغوي ص ٩٧١، قال ابن عطية: و يحتمل أن خير ليس للتفضيل بل اسم للثواب والنعمة ويكون قوله : منها لابتداء الغاية أي هذا الخير الذي يكون له من حسنته بسببها . أهـ ٢٧٣/٤، الكشاف ٤٧٧/٤.

ويقال في معناه: فله خيرا أي: حظ وافر[١]، وهم آمنون يومئذ من الفزع والعذاب [٢]، (ومن جاء بالسيئة) أي: وافى بالشرك [٣] والكبائر فكبت وجوههم في النار، أي: ألقوا على وجوههم في النار، وقيل لهم: هل تجزون اليوم إلا بما كنتم تعملون في الدنيا؟

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾[٩١] أي: قل لهم إنما أمرت أن أعبد رب مكة [٤] الذي حرمها، أي: حرم فيها ما أحل في غيرها، من الاصطياد والاختلاء [٥] والقتل وأن يهاج فيها أحد حتى يخرج منها[٦]، ويجوز أن يكون معنى حرمها: عظم حرمتها، فجعل لها من الأمن ما لم يجعل لغيرها [٧] كما قال:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [٨].

---

[١]) لعله أراد مضاعفتها قال في بحر العلوم: خير من الحسنة . يعني : أكثر منها للواحد عشرة.٥٠٦/٢، النكت والعيون ٢٣١/٤، ونقل البغوي عن محمد بن كعب وعبدالرحمن بن زيد: يعني الأضعاف. ص٩٧١، وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز عن ابن زيد: يعطي بالواحدة عشرا. ٢٧٣/٤.

[٢]) الكشف والبيان عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن جريج ٥١٧/٤، البحر ٩٦/٧.

[٣]) تفسير الضحاك ٦٤٦/٢، وأخرجه الطبري عن أبي هريرة وابن عباس وجمع من السلف ١٣٩/١٨، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهم. ٢٩٣٥/٩، الكشف والبيان ٥١٨/٤ ، = = النكت والعيون ٢٣١/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٧٢، و قال القرطبي : وهو إجماع من أهل التأويل في أن الحسنة لا إله إلا الله ، وأن السيئة الشرك في هذه الآية. أهـ ٢٢٥/١٦

[٤]) تفسير مقاتل ٤٨٧/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ١٤٦/١٨، بحر العلوم ٥٠٧/٢، الكشف والبيان ٥١٨/٤، النكت والعيون ٢٣١/٤، البغوي ص ٩٧٢، المحرر الوجيز ٢٧٤/٤، الكشاف ٤٧٨/٤، البحر ٩٦/٧.

[٥]) (خلو) الخاء واللام والحرف المعتل أصل واحد يدل على تعري الشيء من الشيء.ويَخْتَلِي، أي: يقتَطع ، والاختلاء: جذب الغصن حتى ينزع من أصله والخَلا: الحشيش. مقاييس اللغة ٣٧١/١، المخصص لابن سيده ٢ / ٣٢٢.

[٦]) ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا لمن عرفها، ولا يختلى خلاها" الحديث.

وانظر تفسير مقاتل٢/ ٤٨٧، تأويلات أهل السنة ١٤٤/٨، النكت والعيون ٢٣١/٤، البغوي ص ٩٧٢، الكشاف ٤٧٨/٤، القرطبي٢٢٥/١٦، ابن كثير ٤٦٣/٣.

[٧]) البحر ٩٦/٧.

[٨]) سورة العنكبوت: [٦٧]

وقوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾[٩١-٩٢] فيه تعظيم لأمر الإسلام وتلاوة القرآن، فمن اهتدى فإنما منفعة اهتدائه راجعة إلى نفسه، ومن ضل فإني لم أؤمر بالإجبار على الهدى وليس بيدي إلا الإنذار.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: احمد الله تعالى على نعمته.

﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل توحيده في جميع ما خلق وفي أنفسكم[١].

فتعلمون أن ذلك حق فتعرفونها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٩٣] من المكر والكفر والفساد، وعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قرأ سورة النمل كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق وكذب بموسى، وهود، وشعيب، وصالح، ولوط، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وسليمان ـ عليهم السلام[٢] ـ وخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله[٣].

وبالله التوفيق، وله الحمد والمنة على نعمه وأفضاله.

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ١٤٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٣٠/٤، وورد في بحر العلوم عن الزجاج ٥٠٧/٢، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد نحوه ٢٩٣٧/٩، الكشف والبيان ٥١٨/٤ ، النكت والعيون ٢٣١/٤.

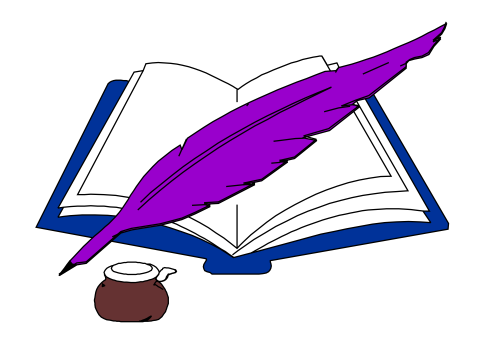
[٢]) ساقطة من (ب).

[٣]) حديث أبي هذا الوارد نهاية كل سورة حديث موضوع سبق تخريجه ص٩٦.

تم الثلث الثاني من تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم المحقق عبد الصمد الغزنوي ـ رحمه الله تعالى ـ ونفع بعلومه، وكان الفراغ من زبر هذا الثلث المبارك: يوم الأحد، الثاني من شهر شعبان الكريم، وذلك بعد صلاة العصر، في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، يتلوه في الثلث الثالث الذي يليه من أول سورة القصص إلى آخر القرآن العظيم والحمد لله حمدا وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم[١].

[١]) مابين النجمتين ساقط من (ب).

سورة القصص



بسم الله الرحمن الرحيم [١] رب يسر وأعن [٢] يا كريم

﴿طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [١-٢] قد تقدم تفسيره [٣].

وقوله: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ [٣]

أي: نقرأ عليك خبر موسى وفرعون نبينهَا لقوم يؤمنون (إن فرعون علا في الأرض) أي: تجبر وتكبر في أرض مصر وجعل أهلها شيعا، أي: فرقا [٤] يكرم قوما ويذل آخرين، يقهر طائفة من أهلها باستعباده إياهم وهم بنو إسرائيل كان يكلفهم الأعمال الشاقة، ومن كان منهم لا يصلح لعمله كان يأخذ منهم كل يوم درهمًا ضريبة [٥]، فإذا غربت الشمس ولم يأت به غلت يده اليمنى إلى عنقه وأُمر أن يعمل بشماله شهرا كذلك[٦].

قوله : ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ [٤]

أي: يذبحهم صغارا، ويَستبقي إناثهم للخدمة [٧]، وسبب ذلك أنه قيل له: سيذهب بملكك ولد يولد من بني إسرائيل [٨].

قوله: (إنه كان من المفسدين) يصلح أن يكون خبراً ويصلح أن يكون تعليلاً .

---

[١]) لم يذكر المؤلف في هذه السورة بيانات السورة (اسمها ونوعها وعدد آياتها)، وإنما ذكر اسم السورة في نهاية سورة النمل بقوله : يتلوه في الثلث الثالث الذي يليه من أول سورة القصص..." وذكر البسملة مباشرة. والسورة التي معنا هي سورة القصص سميت بذلك لاشتمالها عليها، وهي مكية إلا آية منها نزلت بالجحفة (الجحفة : موضع بين مكة والمدينة . معجم البلدان ٦٢٦/٣) وهي قوله تعالى: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وعدد آياتها ثمان وثمانون آية. انظر: تفسير مقاتل ٤٨٨/٢، بصائر ذوي التمييز ٢٤٧/١، المحرر الوجيز ٢٧٥/٤ ، زاد المسير ٢٠٠/٦.

[٢]) لم تثبت في (ب).

[٣]) في سورة النمل انظر ص ١٥٢.

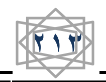
[٤]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٩، أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ومجاهد وابن زيد ١٥٠/١٨ ، تأويلات أهل السنة ١٤٧/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهما ٢٩٣٩/٩، بحر العلوم ٥٠٨/٢، تحصيل نظائر القرآن ص١٣٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٨٥.

[٥]) ضربت عليهم ضريبة وضرائب من الجزية وغيرها. تاج العروس مادة (ضرب) ٣/ ٢٣٧، المغرب ٣ / ٣١٣.

[٦]) بحر العلوم ٥٠٩/٢، القرطبي بلفظ: ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال ضربت عليه الجزية فذلك سوء العذاب.٨٣/٢ .

[٧]) تفسير الطبري ١٥١/١٨، فمعنى يستحيون أي يستخدمون. الوجوه والنظائر ص٤٧، تفسير النسفي ٢٨/٢.

[٨]) تفسير مقاتل ٤٨٩/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن السدي ١٥١/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا بأطول من هذا ٢٩٣٨/٩، النكت والعيون بأطول منه ٢٣٤/٤، الكشاف ٤٨٢/٤، المحرر الوجيز ٢٧٦/٤.



قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾[٥].
معناه: نحن نريد أن نمن في سابق علمنا على الذين قهروا منهم وهم بنو إسرائيل، ونجعلهم أئمة يقتدى بهم في الدين [١]، ونجعلهم الوارثين لدار أهل مصر وأموالهم [٢]، ونريد أن نمكن لهم [٣] ـ لبني إسرائيل ـ في الأرض، ونري فرعون وهامان[٤] وجنودهما [٥] منهم ما كانوا يحذرون أي: يخافون يخافون من جهتهم من ذهاب ملكهم على أيديهم.
ويقرأ: ويرى فرعون بالياء وضم فرعون[٦] على تقدير وجود العمل منهم.
وفي الآية تسلية للمظلومين وترغيب لهم في الصبر على الظلم .
قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[٧]
لم يرد بالوحي وحيَ الرسالة، وإنما أراد به الإلهام [٧] كما في قوله : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾[٨].
ويقال: أراها الله تعالىَ في المنام فعرفته بتعبير الرؤيا [٩].

---

[١]) ذكر مقاتل: قادة يقتدي بهم في الخير. تفسير مقاتل ٤٨٩/٢، وعن قتادة ولاة ملوكا، وعن مجاهد: دعاة إلى الخير. البغوي ص٩٧٢.
[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ١٥٣/١٨، بحر العلوم ٥٠٩/٢ ، الكشف والبيان ٥٢٠/٤، النكت والعيون ٢٣٥/٤، الكشاف ٤٨٢/٤، البحر١٠٠/٧.
[٣]) ساقطة من (ب).
[٤]) هو وزير فرعون وأكبر رجاله. المحرر الوجيز ٢٧٦/٤.
[٥]) في (ب) جموعهما.
[٦]) (يَرى فرعونُ) بالياء وفتحها وإمالة فتحة الراء بعدها، ورفع الأسماء الثلاثة قراءة حمزة و الكسائي وخلف. وقرأ الباقون (نُرِي) بالنون وضمها وكسر الراء وفتح الياء ونصب الأسماء الثلاثة. النشر ص ٤٣١، الإتحاف ٤٣٤/١، حجة القراءات ٥٤٢/١، الطبري ١٥٥/١٨، الدر المصون ٣٠٦/١١ ، البحر١٠٠/٧.
[٧]) وعلى هذا أكثر المفسرين كما ذكر السمعاني في تفسيره ١٢١/٤، تأويل مشكل القرآن ص٢٦٧، وأخرج الطبري عن قتادة نحوه بلفظ : " قذفنا في قلبها." ١٥٥/١٨، تحصيل نظائر القرآن ص١٤٩، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وذكر أنه روي عن الحسن نحوه ٢٩٤١/٩ ، بحر العلوم ٥٠٩/٢، الكشف والبيان ٥٢٠/٤، باهر البرهان ١٠٦٧/٢.
[٨]) سورة النحل :[٦٨].
[٩]) انظر: تفسير السمعاني ١٢١/٤، بحر العلوم ٥٠٩/٢، النكت والعيون حكاية عن ابن عيسى٢٣٥/٤، تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٣٠٨، المحرر الوجيز ٢٧٦/٤، باهر البرهان ١٠٦٧/٢، البحر١٠٠/٧.

والوحي في اللغة: هو إلقاء المعنى إلى النفس في الخفة بالسرعة [(١)]، ولم يكن يكن ما ألقي إليها كلاما أفصح لها به، وهذا كأخباره عز وجل عن زكريا عليه السلام: ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[(٢)]. وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى بعث ملائكة حتى خاطبوها بهذا الكلام، كما بعث إلى مريم عليها السلام [(٣)] في قوله : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ ﴾[(٤)].

وقوله : (أن أرضعيه) أي: أرضعيه ما لم تخافي عليه الطلب، فإذا خفت عليه الطلب فألقيه في اليم أي: البحر[(٥)]. روي أنها قالت: يا رب إني أخاف عليه حيتان البحر؛فأُمرت أن تجعله في تابوت مقير[(٦)][(٧)] فذهبت إلى نجار نجار فأمرته أن يتخذ تاوتًا على قدره، فعرف النجار ذلك فذهب إلى الوكلاء الموكلين بذبح بني إسرائيل ليخبرهم بذلك، فلما انتهى إليهم اعتقل لسانه ففعل ذلك ثلاث مرات؛ فعرف أنه من عند الله عز وجل، فسلم التابوت إليها

---

[١]) قال أبو إسحاق: وأصل الوحي في اللغة: إعلام في خفاء؛ ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا قال الأزهري: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيا، والكتابة تسمى: وحيا، وقال الله عز وجل: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) معناه: إلا أن يوحي إليه وحيا فيعلمه بما يعلم البشر، أنه أعلمه إما إلهاما أو رؤيا، وإما أن ينزل عليه كتابا. لسان العرب مادة(وحي) ١٥ /٣٧٩.

[٢]) سورة مريم: [١١].

[٣]) زعم ابن حزم وبعض المتكلمين أن الوحي إليها وحي نبوة، وقال القاضي عبدالجبار في تنزيه القرآن عن المطاعن: أو نزل جبريل فعرفها.ص ٣٠٨، قال أبو منصور: وعندنا جائز أن يكون الوحي إليها وحي إرسال رسول وإخبار من غير أن صارت هي بذلك رسوله..إلى أن قال: وهو أشبه وأقرب والله أعلم أهـ. تأويلات أهل السنة ١٤٩/٨، النكت والعيون حكاية عن قطرب ٢٣٥/٤، وقال ابن عطية في تفسيره: وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية ، وإنما إرسال الملك لها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص في الحديث المشهور وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة .أهـ ٢٧٦/٤، البحر١٠٠/٧. وذكر القاضي عبدالجبار في تنزيه القرآن عن المطاعن رأيا آخر وهو: يجوز أن يكون عرفها على لسان نبي ذلك الزمان. ص ٣٠٨. و الصواب من القول: أن يكون الملك أرسل إليها هي، من غير أن تكون نبيه ـ كما ذكر ابن عطية ـ وهو ما ذهب إليه جمهور أهل السنة والجماعة، كما حكاه أبو الحسن الأشعري عنهم، وقول القاضي عبدالجبار لا يستقيم، فنبي ذلك الزمان هو هذا الرضيع الذي أوحيا إليها بشأنه، فكيف يقال عرفها الله على لسان نبي ذلك الزمان؟! وانظر: البغوي ص٩٧٣ ، قصص الأنبياء لابن كثير ٨/٢ .

[٤]) سورة آل عمران :[٤٥].

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن السدي ١٥٧/١، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٢٩٤٢/٩، بحر العلوم ٥٠٩/٢، النكت والعيون ٢٣٥/٤.

[٦]) تفسير مقاتل بأطول منه. ٤٩٠/٢، الطبري١٧٥/١٨، الكشاف ٤٨٣/٤، التحرير والتنوير ١٠ / ٣٥٣.

[٧]) كتب في حاشية الأصل: أي: مطلو بالقار.

فوضعته في التابوت وألقته في النيل [1] وقوله: ﴿ وَلَا تَخَافِي ﴾[٧] أي: لا تخافي عليه الغرق والهلاك ولا تحزني لفراقه[2]. ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٧] إلى فرعون وقومه، وهذه الآية تضمنت: أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين [3]. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فلما ألقته في البحر أقبل تهوي به الأمواج، وكان منزل فرعون منها على فرسخين [4]، فأقبل التابوت يهوي حتى كان بحيال منزل فرعون فخرجت جواري آل فرعون يستقين الماء، فأبصرن التابوت بين الشجر والماء فأخذنه وذهبن به إلى امرأة فرعون[5] وذلك قوله:

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[٨] معناه: ليصير آخر أمرهم إلى أن يكون هو لهم[6] عدواً وحزناً، فهذه لام العاقبة[7] لأن أحدًا لا يلتقط الولد ليكون لهم عدوا ، ونظير هذا قول القائل له[8]:

تلك تنادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب[9].

---

[1]) تفسير مقاتل ٤٩٠/٢، الكشف والبيان ٥٢١/٤، النكت والعيون بنحوه ٢٣٦/٤. ومعرفة تفاصيل القصص بهذه الصورة من غير ورود دليل ، من الإسرائيليات التي لا تصح.

[2]) أخرج الطبري في تفسيره عن ابن زيد نحوه ١٥٨/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٢٩٤٢/٩، النكت والعيون ٢٣٦/٤، البغوي ص٩٧٣، البحر١٠٠/٧.

[3]) ذكر في النكت والعيون حكاية للأصمعي عن أعرابية. ٢٣٦/٤، وفي زاد المسير ٢٠٣/٦، البحر١٠١/٧.

[4]) تقدم معنى الفرسخ في سورة النمل انظر ص ١٦٤ .

[5]) أخرج الطبري في تفسيره عن السدي نحوه ١٥٩/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس نحوه ٢٩٤٣/٩، بحر العلوم بنحوه ٥١٠/٢، النكت والعيون ٢٣٦/٤.

[6]) في الأصل لم.

[7]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن إسحاق ١٦١/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٢٩٤٤/٩، الكشف والبيان ٥٢٣/٤، المحرر الوجيز ٢٧٧/٤، الدر المصون ٣٠٦/١١ ، البحر١٠١/٧.

[8]) أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، كنيته أبو إسحاق، مولده بعين التمر ، كان يبيع الجرار. واشتهر بمحبة عتبة جارية المهدي، وأكثر تشبيبه بها، ونسك آخر عمره، ولقب أبا العتاهية لاضطراب كان فيه ، كان لطيف المعاني، قليل التكلف ، إلا إنه كثير الساقط المرذول مع ذلك. وأكثر شعره في الزهد والأمثال ، نسبه قوم من أهل عصره إلى التشيع بمذهب الزيدية ، وكانت ولادته سنة ثلاثين ومائة، ووفاته سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل: سنة إحدى عشرة ومائتين. في خلافة المأمون، ودفن ببغداد. انظر: الأغاني١ / ٣٤٤، الوافي بالوفيات ٣ / ٢٣٣.

[9]) الشطر الأول روي في أبيات منسوبة لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ، وبعضهم نسبه إلى إلى الملائكة، كما أخرج أبو الشيخ في العظمة والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة عن النبي

ويقل للذي اكتسب مالاً فأداه إلى الهلاك: ما اكتسب فلان ذلك المال إلا لحتفه[1].

وقوله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾[٨] أي: متعمدين في ذنب الإقامة علىَ الكفر والمعصية، يقال: خطي فلان يخطا خطا إذا تعمد الذنب وأخطأ إذا وقع منه على غير الصواب.[2] وفي الآية بيان بديع صنع الله تعالى، حيث جعل لموسى عليه السلام النجاة في سببي الهلاك: أحدهما البحر، والآخر فرعون لعنه الله [3].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾[٩] وذلك أن فرعون لعنه الله / همّ بقتله، فقالت له امرأته ـ آسية بُنَت مزاحم ـ [4]: إنه ليس من أولاد بني إسرائيل فإن نساهم يشفقن على أولادهن ويكتمنهم خوفًا منا عليهم، فكيف تظن بالوالدة أن تلقي ولدها بيدها في اليم، وقالت: إن هذا الغلام قرة عين [لي][5] ولك، لا تقتله أيها الملك عسى أن ينفعنا في أمورنا أو نتبناه[6]. وهم لا يشعرون عاقبة أمرهم ولا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه[7].

٤٤٩/ب

= = صلى الله عليه وسلم: (أن ملكا بباب من أبواب السماء يقول : ... يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب). والبيت من شواهد الألوسي. ٤٤٦/٦، والرازي ٦١/١٢، وابن عادل ٧٤/٨، وابن عاشور ٣٨/١٢، والخازن في تفاسيرهم. ٨٦/٥ ، والبيت شاهد على لام الصيرورة أو العاقبة في (وابنوا للخراب) فلما كان نتيجة فعلهم ما آل إليه الأمر شبه بالذي يفعل الفعل لأجله.

[1]) معاني القرآن للزجاج ١٣٣/٤.

[2]) المحرر الوجيز ٢٧٧/٤، البحر١٠١/٧.

[3]) النكت والعيون ٢٤٠/٤.

[4]) آسية بنت مزاحم، امرأة فرعون ، قيل إنها من بني إسرائيل ، وقيل : ابنة عم فرعون. ورد ذكرها في حديث صحيح ،عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).
فتح الباري كتاب/ كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون..) إلى قوله: (وكانت من القانتين) حديث رقم(٣٤١١) ٥٥١/٦.

[5]) زيادة من النسخة (ب).

[6]) تفسير مقاتل ٤٩٠/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن محمد بن قيس ١٦٣/١٨، تفسير ابن كثير بمعناه ٤٦٧/٣.

[7]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ١٦٥/١٨، تأويلات أهل السنة ١٥٠/٨، بحر العلوم ٥١٠/٢، الكشف والبيان ٥٢٤/٤، النكت والعيون ٢٣٧/٤.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾[١٠] معناه: وأصبح قلب أم موسى ـ عليه السلام، وهي يوخايذ َبنت لاويَ بن يعقوب ـ [١] فارغا من كل شيء إلا من هم موسى وذكره[٢]، قد كادت ُتظهر قصتها وقصة ولدها وأن تقول يا ابناه[٣]، لولا أن ربطنا على قلبها، أي: لولا شددنا على قلبها بالصبر عن إظهار ذلك؛ لتكون من المصدقين بما سبق من الوعد، ولو أظهرت لكان ذلك سببًا لقتله. والربط على القلب هو إلهام الصبر وتقويته[٤]، يقال: ربطني فلان فلان بالمدينة بإحسانه ويراد بذلك تقوية القلب بإحسانه، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[٥]، فلذلك قال: لتكون من المؤمنين. وقيل في معنى فارغا: من الصبر على فراقه لشدة ثقتها بالله عز وجل[٦]؛ لولا أن ربطنا

---

[١]) الكشف والبيان ٥٢٠/٤، قال البغوي: (يوخانذ) ص٩٧٣ ، اللباب لابن عادل ٣٦٠/١٢ . ولم يرد في تعيين اسمها خبر صحيح، فلعله من روايات بني إسرائيل.

[٢]) غريب القرآن لليزيدي ولم يذكر الهم ص ٢٨٩، أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وابن عباس ومطر والضحاك ١٦٧/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وقال: روي عن مجاهد وعكرمة وأبي عبيدة والحسن وابن جبير ومطر والضحاك نحوه ٢٩٤٦/٩، بحر العلوم ٥١٠/٢، الكشف والبيان ٥٢٤/٤، النكت والعيون ٢٣٨/٤.

[٣]) تأويلات أهل السنة ١٥١/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٩٤٧/٩، الكشف والبيان ٥٢٤/٤، النكت والعيون ٢٣٨/٤، البغوي عن ابن عباس ص٩٧٥، معاني القرآن للفراء ٣٠٣/٢، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ص٤٦٧.

[٤]) معاني القرآن للزجاج ١٣٤/٤، بحر العلوم ٥١٠/٢، قال الثعالبي في تفسيره: الربط: عبارة عن شدة عزم ، وقوة صبر، ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال ، حسن في شدة النفس ، وقوة التصميم أن يشبه الربط . الجواهر الحسان ٢ / ٤١١، المحرر الوجيز٢٧٧/٤، العباب الزاخر ١ / ٢٥٥.

[٥]) حديث ضعيف، أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (ما ذكر في الإيمان) ١ / ١٢٩، وفي مصنفه ٧ / ٢٢٩، وأخرجه البيهقي في الشعب باب/ القول في زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم ١ / ٣٢، وذكره ابن كثير في تفسيره موقوفا على علي رضي الله عنه، عند تفسير الآية (٢٤) من سورة السجدة. ٥٦٧/٣، وأخرجه السيوطي في الدر ١ / ١٠٧ وغيرهم. قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، والمتهم به عبدالله بن زياد وهو ابن سمعان. وقال مالك ويحيى: كان كذابا. وقال النسائي والدار قطني: متروك الحديث، على أن علي بن زيد قد قال فيه الإمام أحمد ويحيى: ليس بشيء. وقال الألباني (ضعيف جدا) مرفوعا وضعيف موقوفا. انظر: الموضوعات ٣ / ١٨٤، صحيح وضعيف الجامع الصغير ١٧ / ١٢١، السلسلة الضعيفة ـ مختصرة ٨ / ٢٩٥.

[٦]) قال أبو عبيدة: فارغا من الحزن؛ لعلمها أنه لم يغرق. مجاز القرآن ٩٨/٢، الكشف والبيان ٥٢٤/٤، وعند البغوي فارغا من الحزن؛ لعلمها بصدق وعد الله، وأنكره القتبي وقال: كيف يكون هذا والله يقول: إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها. والأول أصح ص٩٧٥ ، المحرر الوجيز ٢٧٧/٤.

على قلبها لأبدت به، لثقتها بالوعد. وقالت لأخته قصيه، معناه: وقالت أم موسى عليه السلام ـ لأخته وهي مريم ابنة عمران ـ [١] ابتغي[٢] أثره بتتبع آثار التابوت[٣]، فذهبت في أثر التابوت، فبصرت بموسى ـ عليه السلام ـ عن جُنُب أي عن بعد[٤] وقد أخذوه وهم لا يشعرون أنها جاءت لتعرف عن خبره؛ لأنها كانت مجانبة لتحديق النظر إليه[٥]؛ كيلا يعلم بما قصدت له.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾[١٢] أي: منعناه الارتضاع من قبل مجيء أمه، فكان يبكي ولا يقبل ثدي امرأة حتى اشتد حزنهم عليه[٦].

وقد يذكر التحريم بمعنى المنع[٧]، كما قال الشاعر:[٨]

جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري   إني امرؤ صرعي عليك حرام.[٩]

---

[١]) وهي ليست مريم أم عيسى ـ عليه السلام ـ وإنما هو توافق في الأسماء لتسميهم بأسماء الأنبياء قبلهم. الكشف والبيان ٥٢٥/٤، البغوي ص٩٧٥، المحرر الوجيز. ٣٧٧/٤.

[٢]) في (ب) أتبعي.

[٣]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٨٩، أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وابن إسحاق والسدي ١٧٣/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٩٤٨/٩، الكشف والبيان ٥٢٥/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٨٦، الكشاف ٤٨٦/٤.

[٤]) انظر تفسير مقاتل ٤٩١/٢،غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٠، أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ١٧٤/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٢٩٤٨/٩، بحر العلوم ٥١١/٢، الكشف والبيان ٥٢٥/٤، النكت والعيون عنه ٢٣٩/٤، البغوي ص٩٧٥.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن السدي وابن إسحاق نحوه ١٧٦/١٨، الكشف والبيان بمعناه٥٢٥/٤، الكشاف بمعناه ٤٨٦/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٢٧٩/٤.

[٦]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وابن عباس وقتادة نحوه ١٧٧/١٨، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس نحوه ٢٩٤٩/٩، وذكر أوله في بحر العلوم ٥١١/٢، الكشف والبيان ٥٢٥/٤، النكت والعيون إلا أنه قال: من قبل مجيء أخته ، أو من قبل ردّه إلى أمه. ٢٣٩/٤، الكشاف ٤٨٦/٤.

[٧]) الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٩١، تنزيه القرآن عن المطاعن بلفظ: المراد به الصرف والمنع لا التحريم على الحقيقة. ص٣٠٨، البغوي ص٩٧٥.

[٨]) القائل هو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمر وابن حجر آكل المرار، وقيل غير ذلك ، أمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب ومهلهل، ولد ببلاد بني أسد. ويكنى أبا زيد، وأبا وهب، وأبا الحارث. وذكر بعض اللغويين أن اسمه حندج ، وامرؤ القيس لقب له لقب به لجماله، وهو من شعراء الطبقة الأولى في العصر الجاهلي ، كان يقال له الملك الضليل، وقيل له أيضًا: ذو القروح. انظر: ديوان امرئ القيس ص ٩، الأغاني ٢ / ٤٧٢، خزانة الأدب للبغدادي ١ / ١١٦.

[٩]) ديوانه ص١٥٢. من قصيدة دار هند التي يهجو فيها سُبيع بن عوف بن مالك. والبيت في الديوان بلفظ جالت وليس جاءت ، وفي مغني اللبيب بلفظجاءت ، كما ذكر المؤلف. ١ / ٢٥٩. واستشهد به المؤلف على ورود التحريم هنا بمعنى المنع من الارتضاع.

أي: ممتنع، ويقال: حرم فلان على نفسه كذا، وامتنع منه كما يمتنع بالنهي[١].

بالنهي[١].

وقوله: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ [١٢] أي: قالت أخت موسى عليه السلام: هل أدلكم على أهل بيت يضمنون لكم هذا الغلام ويبذلون النصح في أمره، فقال هامان: خذوها فإنها تعرف أم الغلام. فأُخذت، فألهمها الله عز وجل عند ذلك حتى قالت: إنما قلت ذلك نصيحة للملك بما قلت. وهم له ناصحون، فقال فرعون لهامان: دعها فقد صدقت[٢]. وكانت

وكانت الأخت تقول: إنها امرأة قد قتل ولدها، فأحب الأشياء إليها أن تجد صبيًا ترضعه، فقالوا: نعم أئتنا بها ، فانطلقت إلى أمه فجاءت بها، فلما قبل الولد ثديها وشرب لبنها قال فرعون: من أنت من هذا الصبي وما حالك معه؟ قالت: إني امرأة طيبة الريح واللبن، لا أوتي بصبي إلا ويقبل ثديي ويشرب لبني[٣].

قوله عز وجل : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ ﴾[١٣] عليه ولتعلم أن وعد الله الذي وعدت به في رده إليها حق[٤] ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[١٣] من صحة وعد الله ما عرفته أمه.

وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[١٤] معناه: أن فرعون كان يربيه ويحفظه، حتى إذا بلغ كمال العقل والقوة أتاه الله النبوة والعلم[٥] ، ويجوز أن يكون المراد بالحكم الحكم الذي يحكم به بين الناس[١].

حَرَمَه[١] الشيء يَحْرِمُه، وحرِمَه، حِرمانا وحَرِما : منعه ،ورجل محرومٌ: ممنوع من الخير. قال ابن عباس: وهذا تحريم منع لا تحريم شرع. النكت والعيون ٢٣٩/٤، الكشاف ٤٨٦/٤. المحكم والمحيط الأعظم ٢٩٢/١، لسان العرب مادة(حرم) ١٢ / ١١٩.

[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن السدي وابن جريج نحوه ١٧٩/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس والسدي نحوه ٢٩٥٠/٩، بحر العلوم ٥١١/٢، المحرر الوجيز بنحوه ٢٧٩/٤.

[٣]) النكت والعيون ٢٣٩/٤، الكشاف ٤٨٦/٤، المحرر الوجيز ٢٧٩/٤. هذا وسابقه مما لا يعول عليه ؛ حيث لم يرد فيه نص صحيح من كتاب أو سنة.

[٤]) أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة نحوه ١٨٠/١٨، الكشف والبيان ٥٢٥/٤، النكت والعيون ٢٤٠/٤، الكشاف ٤٨٧/٤، البغوي ص٩٧٥، البحر ١٠٣/٧، تفسير ابن كثير ٤٦٨/٣.

[٥]) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس: الحكم العلم، وعن السدي: النبوة وأخرج عن مجاهد الفقه والعقل والعلم قبل النبوة. ٢٩٥٢/٩، بحر العلوم ٥١٢/٢، الكشف والبيان ٥٢٦/٤، وذكر في النكت والعيون قول السدي ٢٤١/٤.

والأشد في اللغة: منتهى الشباب والقوة[2]. والاستواء: إتمام الخلق واعتدال الجسم في الطول والعظم[3]. وإنما يبلغ المرء هذا الحد في اثنين وعشرين سنة إلى أربعين سنة [4]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن موسى ـ عليه السلام ـ لما بلغ أربعين سنة أتاه الله النبوة[5].

وفي قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[١٤] بيان أن إيتاء العلم أو الحكمة يجوز أن يكون مجازاة على الإحسان، لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين[6].

والعليم الحكيم هو: الذي يعمل بعلمه لأن [الله][7]تعالى قال: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [8]. فجعلهم جهالاً حين لم يعملوا بالعلم.

قوله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾[١٥] أي: دخل مدينة فرعون وكانت من مصر على فرسخين[1].

---

[1]) تأويلات أهل السنة ١٥٥/٨، فيكون علم موسى وحكم قبل أن يبعث. البغوي ص٩٧٥.

[2])بلغ أَشُدَّهُأي مُنْتَهى شَبَابه وقوته من قبل أن يأخذ في النُّقْصان قال وليس له واحد من لفظه. المخصص٤ / ٢٢١، المحرر الوجيز ٢٨٠/٤.

[3]) قال أبو الهيثم: السوي فعيل في معنى مفتعل، أي: مستو، قال: والمستوي التام في كلام العرب الذي قد بلغ الغاية في شبابه، وتمام خلقه وعقله، واستوى الرجل إذا انتهى شبابه، أو استوى الرجل إذا بلغ أشده أو بلغ (أربعين سنة) لسان العرب مادة(سوا)١٤ / ٤١٤، تاج العروس مادة (سوو) ٣٨ / ٣٢١.

[4]) اختلف في عدد سنين الاستواء والأشد على أقوال عده ، فأخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد (ولما بلغ أشده) قال: ثلاثا وثلاثين سنة. و في قوله: (واستوى) قال: أربعين سنة. وعن ابن عباس (ولما بلغ أشده) قال: بضعا وثلاثين سنة. وعن قتادة(أشده واستوى) قال: أربعين سنة، وأشده: ثلاثا وثلاثين سنة. ١٨١/١٨، وقال الثعلبي في الكشف والبيان: قال سائر المفسرين: الأشد ثلاث وثلاثون سنة واستوى، أي: بلغ أربعين سنة. أهـ ٥٢٦/٤، وذكر في النكت والعيون تسعة أقوال في معنى الأشد ٢٤٠/٤، البغوي ص٩٧٥، وكذا ذكر ابن عطية في تفسيره عدة أقوال ليس فيها الذي معنا ٢٨٠/٤، وكذلك ذكر ابن كثير في تفسيره ٥٨٨/٢. ولعل الأشد بداية القوة والشباب، من سن خمسة عشر سنة إلى الثلاثين، والاستواء من الأربعين سنة ، والله أعلم.

[5]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقال روي عن مجاهد وقتادة وزيد بن أسلم والثوري مثله. ٢٩٥١/٩، بحر العلوم ٥١٢/٢، و روي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين. قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف:غريب.٢٧/٣.

[6]) معاني القرآن للزجاج ١٣٦/٤.

[7]) زيادة من النسخة (ب).

[8]) سورة البقرة: [١٠٢].

قال الحسن: "دخلها يوم عيدهم وكانوا مشغولين عن موضع مدينتهم باللهو واللعب"[٢]. ويقال: كان دخوله فيها وقت القيلولة[٣].

وقوله: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾[١٥] / الاقتتال: افتعال من القتال، والقتال والمقاتلة واحد[٤]. ٤٤٩/أ

وقوله: ﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[١٥]

معناه: أحدهما من شيعته [٥] وكانَ من بنيَ إسرائيل، وأحدهما من عدوه وهو من القبط [٦][٧]، كان القبطي يتسخر الإسرائيلي، وكان يكلفه حمل الحطب إلى دار فرعون، وكان الإسرائيلي يأبى[٨]. ويقال: كانا يقتتلان في الدين[٩] فاستنصره الإسرائيلي على القبطي فضربه موسى بجمع كفه في

---

[١]) ذكر مقاتل في تفسيره أنها قرية تدعى خانين. ٤٩١/٢، وذكر الطبري أنها مدين منف ١٨٣/١٨، ذكر في بحر العلوم عن مقاتل ٥١٢/٢، الكشف والبيان ٥٢٧/٤، النكت والعيون ٢٤١/٤.

[٢]) تأويلات أهل السنة بنحوه ١٥٥/٨، الكشف والبيان ٥٢٧/٤، النكت والعيون ٢٤١/٤، البغوي عن علي. ص٩٧٦، الكشاف ٤٨٨/٤، ذكر في المحرر الوجيز أوله ٢٨٠/٤.

[٣]) انظر تفسير مقاتل ٤٩١/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة وابن عباس والسدي ١٨٣/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وابن جبير وقتادة وقال روي عن عكرمة و السدي مثله ٢٩٥٣/٩، بحر العلوم ٥١٢/٢، المحرر الوجيز ٢٨٠/٤.

[٤]) انظر: المخصص(باب مصادر ما لحقته الزوائد من الفعل) ٤ / ٣١٣.

[٥]) والشيعة: أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع وأشياع، والشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع، قال الأزهري: ومعنى الشيعة: الذين يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين. لسان العرب مادة(شيع) ٨ / ١٨٨.

[٦]) تقدم في سورة الشعراء التعريف بالقبط ، انظر ص ١٠٢.

[٧]) تفسير مقاتل ٤٩١/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وقتادة و السدي ومجاهد ١٨٦/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ٢٩٥٤/٩، بحر العلوم عن مقاتل ٥١٢/٢، النكت والعيون ٢٤١/٤، البغوي ص٩٧٦.

[٨]) أخرج الطبري في تفسيره عن ابن جبير نحوه دون آخره ١٨٧/١٨، الكشف والبيان ٥٢٨/٤، النكت والعيون حكاية عن ابن سلام ٢٤٢/٤، البغوي ص٩٧٦، الكشاف ٤٨٨/٤.

[٩]) هذا مؤمن وهذا كافر. البغوي ص٩٧٦، البحر ١٠٤/٧.

صدره، فقضى عليه، أي: فرغ منه بالقتل[١] فوقع القبطي ميتًا. ويقال: وكزه بعصاه[٢].

والوكز، واللكز، واللهز، بمعنى واحد وهو: الدفع[٣]. قال موسى عليه السلام: السلام: هذا من عمل الشيطان، أي: من إغوائه ووسوسته حتى زدت على الإيقاع بالرجل، وإن كنت لم أتعمد قتله[٤].

وقوله: ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١٥-١٦] أيَ: الشيطان عَدوٌّ لبني آدم عليه السلام داع لهمَ إلى الضلال، مبين العداوة لهم، قال موسى: يا رب إني ظلمت بقتل القبطي، قبل ورود الإذن لي فيه[٥]، فاغفر لي ذنبي. فغفر الله[٦] له، إنه هو الغفور الرحيم، وإنما استغفر موسى عليه السلام عن ذلك الذنب وكان صغيرة منه[٧]؛ لأنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار[١]، وإنما كان

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ١٨٨/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٩٥٥/٩، الكشف والبيان ٥٢٨/٤، البغوي ص٩٧٦، الكشاف ٤٨٨/٤.

[٢]) معاني القرآن للزجاج ١٣٧/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة ٢٩٥٥/٩، النكت والعيون ٢٤٢/٤، تفسير ابن كثير عن قتادة. ٤٦٨/٣.

[٣]) الوكز: الطعن. يقال: وكزه بجمع كفه. وقيل: وكزه بالعصا. وقيل: وكزه وكزا: دفعه وضربه بجمع يده على ذقنه، ويقال: الوكز: في الصدر واللكز: في العنق. وقيل: اللكز: بأطراف الأصابع أو غير ذلك، وقيل: اللكز والوكز مترادفان. أبو عبيد عن الكسائي: وكزته، ونكزته، ونهزته، ولهزته، بمعنى واحد.العين ١ / ٤٤٨، تهذيب اللغة مادة(وكز) ٣ / ٣٩٦، لسان العرب مادة(وكز) ٥ / ٤٣٠، تاج العروس مادة(وكز) ١٥ /٣٧٥، مجاز القرآن ٩٩/٢.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة وابن إسحاق ١٩٠/١٨، أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٣، الكشف والبيان ٥٢٨/٤، النكت والعيون بنحوه ٢٤٢/٤.

[٥]) تفسير مقاتل ٤٩١/٢، البغوي بنحوه ص٩٧٦، الكشاف ٤٨٨/٤، المحرر الوجيز ٢٨١/٤، البحر ١٠٤/٧.

[٦]) ساقطة من (ب).

[٧]) عد المؤلف القتل هنا من الصغائر، بينما هو من الكبائر، لكن موسى ـ عليه السلام ـ كان قتله خطأً لا عمدًا، بل كان قبل النبوة أصلاً ، و وقوع الصغائر من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ محل نزاع وخلاف بين أهل العلم، و الراجح أنهم غير معصومين من الصغائر، وهم معصومون من الإصرار عليها، وهي منهم إما اجتهاد محض أو ذنوب بسبب البشرية ، وليست بسبب التفريط في حق الله، وفي العموم الأنبياء لا يزكون أنفسهم ويقرون لله عز وجل بالعبودية عند فعل خلاف الأولى، كما كان من داوود ، وموسى ، ويونس ـ عليهم السلام ـ ولقد جعل بعضهم هذه الآية حجة للطعن في عصمة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ كما نقل ذلك جمع من المفسرين. انظر: اللباب لابن عادل ١٥ /٢٢٧، أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٣، القرطبي ٢٤٨/١٦، روح المعاني ٢٠ /٥٤، مفاتيح الغيب ٢٤ /٢٠١، التحرير والتنوير٢٠ / ٩١، البحر ٧ /١٠٥، فتح القدير١٦٤/٤.

كان ذلك ذنبًا لأنه كان يمكنه أن يخلص الإسرائيلي منه بالرفق أو بالضرب لا بالقتل.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾[١٧] بما مننت علي من إعطاء العلم والحكم[٢] وإيجاب المغفرة، فلا أدع مهادنة الإسلاميين على المجرمين بسبب ما جرى علي من الخطأ [٣]. وفي قراءة ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ [٤]فلا تجعلني ظهيرًا للمجرمين[٥].

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا﴾[١٨] معناه: فأصبح موسى عليه السلام في المدينة من غدِ ذلك اليوم خائفا على نفسه من فرعون وقومه ﴿يَتَرَقَّبُ﴾[١٨] أي: ينتظر مآل أمره [٦]، فإذا ذلك الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس: ﴿يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى﴾[١٨] يستغيثه [٧] على رجل آخر من القبط، وقال موسى عليه السلام للإسرائيلي: إنك لغوي أي: ضال عن طريق الحق مجادل، بيّن الجدال تقاتل من لا تقاومه [٨]. فلما أن أراد موسى ـ عليه السلام ـ أن يبطش بالقبطي ـ الذي هو عدوٌ لهما ـ ظن الإسرائيلي بقول موسى عليه السلام له ـ إنك لغوي مبين ـ أنه يريد أن يأخذه، فقال له: يا

---

[١]) رواه البيهقي في الشعب عن ابن عباس موقوفا(٧٢٦٨) ٤٥٦/٥، ورواه الثعلبي وابن شاهين في الترغيب عن أبي هريرة بنحوه. الكشف والبيان عند الآية[١٣٥] من سورة آل عمران ١٦٩/٣، الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين ١ / ٢١٠، وأخرجه : القضاعي في مسند الشهاب عن أبي هريرة ٣٠٦/٤، والطبراني في مسند الشاميين بنحوه وفي إسناده بشر بن عبيد الراسبي وهو متروك ١٠ / ٩٥، وقال الشيخ الألباني: (ضعيف). انظر: المقاصد الحسنة = = ١ / ٢٤٢، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١ / ٢٢، كشف الخفاء ٢ / ٣٦٤، صحيح وضعيف الجامع الصغير ٢٩ / ٤٥٣.

[٢]) في (ب) الحكمة.

[٣]) البحر ١٠٤/٧، فتح القدير ١٦٤/٤.

[٤]) تقدمت ترجمته ص ١٠٣.

[٥]) قال الطبري: كأنه على هذه القراءة دعا ربه، فقال: اللهم لن أكون ظهيرًا للمجرمين. أهـ ١٩١/١٨.

[٦]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٠، تأويلات أهل السنة بنحوه ١٥٧/٨، بحر العلوم بمعناه ٥١٢/٢، الكشف والبيان ٥٢٩/٤، البغوي ص٩٧٧، مجاز القرآن ٩٩/٢.

[٧]) أخرجه الطبري في تفسيره عن السدي ١٩٣/١٨، بحر العلوم ٥١٢/٢، الكشف والبيان ٥٢٦/٤، البغوي ص٩٧٧.

[٨]) تأويلات أهل السنة بمعناه ١٥٧/٨.

موسى أتريد أن تقتلني [اليوم][1] كما قتلت قبطيًا بالأمس[2]؟ ما تريد إلا أن أن تكون جبارًا أي: قتالاً[3] في أرض مصر، وما تريد أن تكون من المصلحين، من الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فلما سمع القبطي مقالة الإسرائيلي علم أن موسى عليه السلام هو الذي قتل القبطي بالأمس، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، فأرسل فرعون إلى أولياء المقتول أن اقتلوا موسى ـ عليه السلام[4].

ويقال في معنى هذه الآية أن قوله: أتريد أن تقتلني من قول القبطي، قال ذلك ظنا منه على موسى ـ عليه السلام ـ ، أو سماعًا بأنه هو الذي كان قتل قبطيًا بالأمس، ورجحوا هذا القول بأنه تعالى قال:

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [١٩] فاقتضى اللفظ أن هذا القول كان من عدوهما[5].

وقوله : ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[١٩] لا يليق إلا بأن يكون قولا للكافر منهما.

قوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[٢٠] معناه: وجاء رجل من أبعاد أطراف المدينة وهو حزبيل مؤمن من آل فرعون[6] يسرع في مشيه، وكان يكتم إيمانه على

---

[1]) زيادة من النسخة (ب).

[2]) تفسير مقاتل ٤٩٢/٢، الكشف والبيان ٥٣٠/٤، النكت والعيون ٢٤٣/٤، البغوي ص٩٧٧، المحرر الوجيز ٢٨١/٤، تفسير ابن كثير ٤٦٩/٣.

[3]) تفسير مقاتل ٤٩٢/٢، غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٠، بحر العلوم ٥١٣/٢، النكت والعيون عن السدي ٢٤٤/٤، البغوي بنحوه ص٩٧٧.

[4]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس والسدي نحوه ٢٩٥٨/٩، بحر العلوم ٥١٣/٢، البغوي بنحوه ص٩٧٧، المحرر الوجيز بنحوه ٢٨٢/٤.

[5]) تأويلات أهل السنة ١٥٩/٨.

[6]) أخرج الطبري عن قتادة، قال: .. كنا نحدث أنه مؤمن آل فرعون. وأخرج عن شعيب الجبائي، قال: اسمه شمعون و عن ابن إسحاق، قال: .. يقال له سمعان. ٢٠٠/١٨، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك أنه مؤمن آل فرعون ولم يذكر اسمه، كما أخرج قول ابن إسحاق وشعيب الجبائي السابق. ٢٩٦٠/٩ ، الكشف والبيان ٥٣٠/٤، ونقل في النكت والعيون عن الضحاك والكلبي: اسمه حزقيل بن شمعون. ٢٤٤/٤، ولا فائدة من معرفة الاسم وتحديده وإلا حدده الله عز وجل .

على وجه التقية[١]، فلما رآهم يتشاورون في قتل موسى عليه السلام عند فرعون جاءه بالسرعة فقال: إن الخواص من قومه يأتمرون بك، أي: يتشاورون في قتلك[٢]، فاخرج من المدينة، إني لك من الناصحين.

والائتمار في اللغة هو: أن يأمر بعضهم بعضًا. يقال: ائتمر القوم وتآمروا ، كما يقال: اقتتلوا وتقاتلوا واختصموا[٣].

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[٢١] معناه: خرج موسى عليه السلام من المدينة خائفًا يترقب، ينتظر متى يلحق فيؤخذ[٤]. قال عند ذلك: (رب نجني من القوم الظالمين) أي: من فرعون وقومه.

قوله عز وجل : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيل﴾[٢٢] معناه: ولما سار نحو مدين قال: عسى ربي أن يرشدني قصد الطريق إلى مدين[٥] ، وذلك أنه خرج من مصر /هاربا هائمًا على وجهه لا يدري أين يذهب؛ فخاف أن يخطئ الطريق[٦]. ويقال: كان قصده سلوك الطريق التي تفضي إلى مدين ولكن ضل الطريق؛فخاف أن يذهب يمينًا اوشمالاً . ومدين:

٤٥٠/ ب

[١]) التقية: الحذر والمخافة. وهي أن يقي نفسه من اللائمة أو من العقوبة بما يظهر وإن كان على خلاف ما يضمر. المغرب ٥ / ٣٨٤، معجم لغة الفقهاء. ص ١٤٢.

وهذه هي التقية التي أباحها الله للمضطر المكره ، وهي خلاف ما اصطلح عليه بعض الفرق ومن أشهرها الشيعة التي تعد هي أصل من أصول دينهم وتعني: النفاق والكذب والمراوغة والبراعة في خداع الناس. أهـ انظر: فرق معاصرة ٣٨٠/١ - ٣٨١ .

[٢]) مجاز القرآن ١٠٠/٢، تأويلات أهل السنة ١٥٩/٨، بحر العلوم ٥١٣/٢، الكشف والبيان ٥٣٠/٤، ورد في النكت والعيون عن الكلبي ٢٤٤/٤، الدر المصون ٣١٢/١١.

[٣]) وتخاصموا لكنه لم يذكرها لظهور ذلك. قال الزجاج : معنى قوله : " يأتمرون بك " : يأمر بعضهم بعضا بقتلك . قال أبو منصور: ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضا كما يقال : اقتتل القوم وتقاتلوا واختصموا وتخاصموا. تاج العروس مادة (أمر) ٧٧/١٠، معاني القرآن للزجاج ١٣٨/٤، البغوي ص٩٧٧، المحرر الوجيز نقلا عن ابن قتيبة ٢٨٢/٤.

[٤]) انظر تفسير مقاتل ٤٩٣/٢، أخرج الطبري عن قتادة وابن زيد نحوه ٢٠١/١٨، الكشف والبيان بمعناه ٥٣١/٤، الكشاف ٤٨٩/٤.

[٥]) تفسير مقاتل ٤٩٣/٢، أخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد نحوه ٢٠٣/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٢٩٦١/٩، بحر العلوم ٥١٣/٢، الكشف والبيان ٥٣١/٤، النكت والعيون عن قتادة والسدي ٢٤٥/٤، البغوي ص٩٧٧.

[٦]) تفسير مقاتل ٤٩٣/٢، وذكر الطبري نحوه ٢٠٣/١٨، البحر بمعناه ١٠٧/٧.

اسم ماء لقوم شعيب بينه وبين مصر ثمانية أيام[١]، سمي ذلك الماء باسم مدين الذي هو مدين من ولد إبراهيم عليه السلام[٢].

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ[٣] قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[٢٣] معناه: ولما بلغ بئرهم التي كانوا يسقون منها وجد على ذلك الماء جماعة من الناس يسقون أغنامهم، ووجد من ورائهم امرأتين يحبسان[٤] غنمهما حتى لا تختلط بغيرها، وحتى لا تقرب الماء، إلى أن يفرغ القوم[٥]، قال لهما موسى عليه السلام: ما خطبكما؟ أي: ما شأنكما لا تسقيان غنمكما وليس معكما محرم؟ قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء بغنمهم، فنسقي أغنامنا بفضل مائهم في الحوض، وأبونا شيخ كبير ضعيف ليس له أحد غيرنا؛ لذلك احتجنا ـ ونحن نساء ـ أن نسقي[٦]. ومن قرأ حتى يُصدِر الرعاء الرعاء بضم الياء وكسر الدال[٧] فالمعنى: حتى يصرف الرعاء غنمهم.

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس و سعيد بن جبير ٢٠٤/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٣٨/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة أوله ٢٩٦١/٩، الكشف والبيان ٥٣١/٤، النكت والعيون ٢٤٥/٤، الكشاف ٤٩٠/٤.

[٢]) اختلف في نسبه، فقيل: شعيب عليه السلام من ولد مدين بن إبراهيم، وقيل: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم، وإنما هو من ولد بعض من آمن به وهاجر معه إلى الشام، ولكنه ابن بنت لوط، فجدة شعيب ابنة لوط. انظر: تفسير مقاتل ٤٩٣/٢، بحر العلوم ٥١٣/٢، الكشف والبيان ٥٣١/٤، الكامل في التاريخ ١ / ٥١ ، المنتظم ١ / ٧٣، وليس على ذلك دليل صحيح يعلم منه.

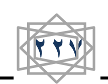
[٣]) (ذود) الذود: السوق والطرد والدفع تقول: ذددته عن كذا وذاده عن الشيء ذودا وذيادا ورجل ذائد أي: حامي. لسان العرب مادة(ذود) ٣ / ١٦٧، القاموس المحيط (فصل الذال) ١ / ٢٧٦، الدر المصون ٣١٣/١١.

[٤]) هكذا في الأصل بالتحتية.

[٥]) تفسير مقاتل ٤٩٣/٢، غريب القرآن لليزيدي ص٢٩١، معاني القرآن للفراء ٣٠٥/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي مالك وابن إسحاق ٢٠٨/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وأبي مالك ٢٩٦٢/٩، بحر العلوم عن سعيد بن جبير ٥١٣/٢، الكشف والبيان ٥٣٢/٤، ذكر أوله الحسن، كما عند البغوي. ص ٩٧٨.

[٦]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وابن إسحاق ٢١١/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٣٨/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقتادة أوله ٢٩٦٤/٩، بحر العلوم بنحوه ٥١٤/٢، الكشاف ٤٩١/٤، المحرر الوجيز ٢٨٣/٤.

[٧]) (يُصدِر) قراءة نافع وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب ، وبإشمام الصاد لحمزة والكسائي وخلف و رويس. و(يَصدُر) بفتح الياء وضم الدال قراءة أبي جعفر وابن عامر



والصَدَرُ هو: الانصراف عن الماء والإصدار هو: صرف الغير عنه[١]، ومن ذلك سُمي الصدر صدرًا لأن الثديين يصدر[٢] عنه، ويسمى المصدر مصدرًا لأن الأفعال تصدر عنه[٣]. والرعاء: جمع راع مثل صاحب وصحاب[٤]. واختلفوا في الشيخ المذكور في الآية قال[٥] بعضهم ـ رحمهم الله ـ : كان شعيبًا عليه السلام[٦] وقال الحسن ـ رضي الله عنه ـ: هيهات أن يكون شعيبًا بل هو رجل مسلم قبل الدين من شعيب، ومات شعيب قبل ذلك[٧]، ويقال له:

نيرون ابن أخي شعيب عليه السلام[٨].

وأبو عمرو. النشر.ص ٤٣١، السبعة٤٩٢/١، الإتحاف ٤٣٥/١، الطبري ٢١٢/١٨، البغوي ص٩٧٨، الدر المصون ٣١٣/١١.

[١]) وقال الليث:الصَّدَر الانصراف عن الورد وعن كل أمر، يقال: صدروا، وأصدرناهم. وطريق صادر، معناه: أنه يصدر بأهله عن الماء. وطريق وارد يرد بهم، والمصدر: أصل الكلمة التي تصدر عنها صوادر الأفعال. لسان العرب مادة(صدر) ٤ / ٤٤٥، تهذيب اللغة مادة(صدر) ٤ / ١٨٩.

[٢]) هكذا في الأصل والصواب، يصدران.

[٣]) تهذيب اللغة مادة(صدر) ٤ / ١٨٩، لسان العرب مادة(صدر) ٤ / ٤٤٥، التعريفات ١ / ٧١.

[٤]) معاني القرآن للزجاج ١٣٩/٤، لسان العرب مادة(رعي) ١٤ / ٣٢٥، البغوي ص٩٧٨.

[٥]) ساقطة من (ب).

[٦]) ذكره الطبري ٢٢٣/١٨، وهو قول عامة المفسرين انظر بحر العلوم ٥١٤/٢، النكت والعيون ٢٤٦/٤، قاله مجاهد والضحاك والسدي والحسن. البغوي ص٩٧٨.

[٧]) أخرج الطبري في تفسيره عن الحسن قال: "يقولون شعيب صاحب موسى، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ". ٢٢٤/١٨، بحر العلوم ٥١٤/٢، نقله في النكت والعيون عن أبي عبيدة والكلبي ٢٤٧/٤، البغوي ص٩٧٨.

[٨]) أخرج الطبري في تفسيره عن شعيب الجبائي وابن إسحاق وأبو عبيدة أن اسمه "يثرون" ٢٢٤/١٨، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي عبيدة : أثرون ابن أخي شعيب ، قال أبو زرعة: الصحيح يثرون. ٢٩٦٦/٩، بحر العلوم ٥١٤/٢.

اختلف المفسرون في هذا الرجل: من هو؟ على أقوال:

١ـ أحدها أنه شعيب النبي ـ عليه السلام ـ الذي أرسل إلى أهل مدين. وهذا هو قول الجمهور والمشهور عند كثير من المفسرين، وممن نص عليه وقال به: مجاهد والضحاك والسدي والحسن البصري ومالك بن أنس حيث قال: إنه بلغه : أن شعيبًا عليه السلام هو الذي قص على موسى القصص. فجاء مصرحا به في هذا الحديث، لكن في إسناده نظر، وقال أحدهم: اسمه في العربية شعيب عليه السلام واسمه في التوراة : (يثرون) ويسمى أيضًا (رعوئيل). وقال القرطبي: وهو ظاهر القرآن.٢٦٠/١٦.

٢ـ وذهب جماعة إلى أنه ليس بشعيب عليه السلام وهم: وهب وسعيد بن جبير وأبو عبيدة بن عبدالله. ثم اختلفوا فيه على أقوال :

قوله عز وجل : ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢٤-٢٥] معناه: فسقى لهما أغنامهما قبل الوقت الذي كانا يسقيان[١] فيه من قبل، ثم رجع من الشمس إلى ظل الشجرة[٢]، ويقال: إلى ظل الظلة [٣] فقال: (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير).[٤] محتاج إلى ما قدرت لي من الطعام، وكان خرج من مصر بغير زاد، وكان لا يأكل في الأيام الثمانية إلا الحشيش[٥] إلى أن بلغ مدين فلما أدركه الجوع الشديد وكان لا يقدر على شيء؛ سأل الله

ـ وقال الحسن : كان سيد الماء يومئذ .
ـ وقيل : هو ابن أخي شعيب ، ونسب القول للحسن أيضًا، ثم اختلفوا في اسمه.
ـ وقيل : ابن عمه .
ـ وقيل : هو رجل صالح ليس من شعيب ينسب.
ـ وقيل : كان عمهما صاحب الغنم ، وهو المزوج ، عبرت عنه بالأب ، إذ كان بمثابته.
ـ قال ابن جرير: الصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر تجب به الحجة في ذلك.
نعم الأخبار الواردة في ذلك مختلفة لكن الظاهر أنه ليس شعيبا عليه السلام؛ فزمان شعيب كان قبل زمان موسى، عليه السلام، بمدة طويلة؛ لأنه قال لقومه: (وما قوم لوط منكم ببعيد) سورة هود : [٩٥]. قال ابن كثير: وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين موسى والخليل ـ عليهما السلام ـ مدة طويلة، تزيد على أربعمائة سنة؛ قال سيد قطب= = في الظلال: لو كان شعيبا النبي سمعنا صوت النبوة في شيء من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات". أهـ ٤٧١/٣.
فلعل الراجح أنه ليس شعيبًا عليه السلام لكنه ـ كما قيل ـ رجل صالح. انظر: الطبري ٢٢٤/١٨، الكشف والبيان ٥٣٢/٤، القرطبي ٢٦٠/١٦، البحر١٠٩/٧، المحرر الوجيز ٢٨٤/٤، الدر المنثور ٧ / ٤٨٥، الجواهر الحسان للثعالبي٣ / ١٥١، روح المعاني ١٥ / ١٠٣، تفسير ابن كثير٤٧١/٣، التحرير والتنوير ٥ / ٣٧٢، البداية والنهاية ١ / ٢٨١.

[١]) هكذا في الأصل، والصواب: كانتا تسقيان.

[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس و السدي ٢١٤/١٨، بحر العلوم ٥١٤/٢، الكشف والبيان ٥٣٢/٤، النكت والعيون ٢٤٦/٤، البغوي ص٩٧٨.

[٣]) كتب في حاشية الأصل: الظلة جدار بلا سقف. وانظر: البحر ١٠٧/٧.

[٤]) كتب في حاشية الأصل: أي: إني.

[٥]) الكشف والبيان بمعناه ٥٣١/٤، ورد في النكت والعيون عن الضحاك أنه مكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا إلا بقل الأرض. ٢٤٦/٤، البغوي بنحوه. ص ٩٧٧ . ولعل في ذلك مبالغة ، ولم يأت الخبر الصحيح بذلك فيصدق.

تعالى أكلة من الطعام[١] وقال الحسن ـ رضي الله عنه ـ :إنما طلب من الله زيادة علم[٢].

وقوله عز وجل: (فجاءته إحداهما) تدل على إضمار في الآية قبله، وذلك الإضمار أنهما رجعتا إلى أبيهما قبل الوقت الذي كانتا ترجعان إليه من قبل، فقصتا عليه القصة، فأرسل إحداهما وهي الصغرى منهما واسمها صدَبُورًا[٣][٤] أرسلها لتدعوه فيجازيه على عمله، فجاءته تمشي مستحية واضعة كمها على وجهها معترضة من الحياء، مشية من لم يعتد الدخول والخروج[٥]، فقالت: إن أبي يدعوك ليجزيك، أي: ليعطيك أجر ما سقيت لنا غنمنا. فشق ذلك على موسى عليه السلام؛ وكان بينه وبين أبيها مقدار ثلاثة أميال[٦] فيما روي. فلم يجد بدًا (عذر) من اتباعها؛ لأنه كان بين الجبال خائفًا مستوحشًا. فلما جاءه قال له شعيب عليه السلام من أنت؟ فقال: أنا رجل من بني إسرائيل من أهل مصر ثم استنسب له [٧] وحدثه بما كان منه من قتل

---

[١]) تفسير مقاتل ٤٩٤/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير٢١٥/١٨، بحر العلوم ٥١٤/٢، الكشف والبيان ٥٣٢/٤، النكت والعيون ٢٤٦/٤، وكذا في الوجوه والنظائر للدامغاني ذكر من معاني الخير: الطعام. ص١٩٧.

[٢]) لم أقف عليه.

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن شعيب الجبائي وابن إسحاق أن اسمها صفورا ٢٢٢/١٨، الكشف والبيان عن شعيب الجبائي وابن إسحاق صفوره. ٥٣٤/٤، وفي النكت والعيون (صفوريا) ٢٤٦/٤، وفي البغوي عن شعيب الجبائي وابن إسحاق: صفوره. ص٩٧٩، وفي المحرر الوجيز صفورة وقيل: صوريا. ٢٨٤/٤. ولا حاجة للتكلف في معرفة الأسماء ، فلم يرد بذلك خبر صحيح وغالبه من الروايات الإسرائيلية.

[٤]) كتب في حاشية الأصل في التعريف صدَفُورا.

[٥]) أخرج الطبري في تفسيره عن عمر بن الخطاب وعمرو بن ميمون نحوه ٢١٩/١٨، أخرج ابن أبي حاتم عن عمر نحوه ٢٩٦٥/٩، الكشف والبيان ٥٣٢/٤، النكت والعيون بنحوه ٢٤٦/٤، البغوي ص٩٧٨.

[٦]) تفسير مقاتل ٢ / ٤٩٤ ، بحر العلوم ٥١٤/٢، القرطبي ٢٦٠/١٦.

[٧]) النسب واحد الأنساب، ويكون من قبل الأم والأب. و هو أن تذكر الرجل فتقول:هو فلان بن فلان أو تنسبه إلى قبيلة أو بلد أو صناعة. قال أبو زيد: يقال للرجل إذا سئل عن نسبه: استنسب لنا، بمعنى انتسب لنا حتى نعرفك. تهذيب اللغة مادة(نسب) ٤ / ٣٠٢، لسان العرب مادة(نسب) ١ / ٧٥٥، تاج العروس مادة(نسب) ٢١٦/٤.

قتل القبطي وفراره من فرعون، قال له شعيب عليه السلام: لا تخف يا موسى نجوت من القوم الظالمين فإنهم ليس لهم سلطان بأرضنا[١].

قوله عز وجل : ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[٢٦] معناه: قالت إحَداهما يا أبت اتخذه أجيرًا، فانه خير من اتخذته أجيرًا على عملك الذي يقوى على العمل، ويؤدي الأمانة فيه وإنما وصفته بالقوة؛ لأنه سقى غنمهما بقوته، كما روي أنه كان على رأس البئر حجر لا يدفعه إلا عشرة من الأقوياء، فألقوه على رأس البئر حين زحمهم هو على الماء حتى أخرهم عنه، فجاء ورفع الحجر بنفسه، ثم استعار منهم دلوهم الذي كان لا ينزحه[٢] إلا أربعون رجلاً فأرسله في البئر ونزحه بنفسه سَهلاً[٣][٤]، وإنما وصفته / بالأمانة لأن موسى عليه السلام لما مضى معها ٤٥٠/أ معها إلى أبيها تقدم أمامها وأمرها أن تمشي خلفه، فتدله على الطريق، وقال: أنا من قوم لا ينظرون إلى وراء النساء، ويقال: أمرها بذلك لأنه خاف أن يكشف الريح شيئًا منها أومن شعرها، فأمرها بالتأخر[٥].

وفي الآية دليل أن الأولى أن يفوض الأمور إلى القوي الأمين. كما روي أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: لا يصلح لأمور المسلمين إلا القوي من غير عُنف، والرقيق من غير ضعف[٦].

---

[١]) ذكره الطبري ٢٢٠/١٨، تأويلات أهل السنة ١٦١/٨، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٩٦٥/٩، الكشف والبيان ٥٣٣/٤، النكت والعيون ٢٤٨/٤، البغوي ص٩٧٨، المحرر الوجيز ٢٨٤/٤.

[٢]) نزح البئر ينزحها نزحا و أنزحها: إذا استقى ما فيها حتى ينفد، وقيل: حتى يقل ماؤها. لسان العرب مادة(نزح) ٢ / ٦١٤.

[٣]) السهل كل شيء إلى اللين وقلة الخشونة. لسان العرب مادة(سهل) ١١ / ٣٤٩.

[٤]) تفسير مقاتل ٤٩٤/٢، تأويلات أهل السنة بنحوه ١٦١/٨، بحر العلوم ٥١٤/٢، النكت والعيون ٢٤٨/٤، ومعرفة تفاصيل القصص بهذه الصورة من الإسرائيليات التي لا يصح فيها دليل، كما سبق أن بينت .

[٥]) أخرج الطبري في تفسيره عدة روايات بهذا المعنى عن ابن عباس وابن إسحاق و شريح وعمرو بن ميمون وغيرهم ٢٢٢/١٨، وكذلك اخرج ابن أبي حاتم في تفسيره. ٢٩٦٦/٩، الكشف والبيان ٥٣٣/٤، البغوي بلفظ: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك. ص٩٧٩.

[٦]) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه بمعناه مطولا(باب كيف ينبغي للقاضي أن يكون) رقم (١٥٢٨٨) قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : لا ينبغي أن يلي هذا الأمر ـ يعني أمر الناس ـ إلا رجل فيه أربع خلال: اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف ، والإمساك في غير بخل ، والسماحة في غير سرف فإن سقطت واحدة منهن فسدت الثلاث.أهـ ٨ / ٢٩٩.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ۞ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [٢٧-٢٨]

معناه: قال له أبوهما: إني أريد أن أنكحك، أي: أزوجك إحدى ابنتي هاتين على أن تعمل لي، وترعى غنمي بأجر إلى ثماني سنين، فإن أتممت عشرًا فهو بفضل منك، وما أريد أن أشق عليك فأكلفك غير العمل المشروط ولا فوق الطاقة، ستجدني إن شاء الله ممن وافق فِعلهُ قوله[١].

قال موسى عليه السلام: ذلك الشرط بيني وبينك، أي الأجلين قضيت وفيت وأتممت الثماني أو العشر فلا حرج علي، والله على ما نقول شهيد على ما عقد بعضنا على بعض[٢]. وحَرف ما في قوله (أيما) صلة مؤكدة للكلام والمعنى:أي الأجلين قضيتُ[٣].

ومن الناس من يحتج بهذه الآية في جواز عقد النكاح على منافع الحر[٤] وليس فيها دلالة على ذلك، لأن شعيبًا عليه السلام شرط على موسى عليه السلام منافعة لنفسه[٥]،لا لابنته فهو بمنزلة من تزوج امرأة بغير مهر مسمى، وشرط لوليها منافع نفسه مدة معلومة، وهذا إنما يدل على [جواز عقد النكاح من غير تسمية المهر ، وشرط الزوج للولي منفعة نفسه تدل على][٦]. أن عقد النكاح لا يبطل بالشرط الذي لا يوجبه العقد[٧]، ويحتمل أن

---

[١]) ذكره الطبري ٢٣٠/١٨، النكت والعيون بنحوه ٢٤٩/٤، الكشاف ٤٩٥/٤.

[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن السدي ٢٢٩/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره عنهأيضاً ٢٩٦٩/٩، بحر العلوم ٥١٥/٢، الكشاف ٤٩٦/٤.

[٣]) معاني القرآن للفراء ٣٠٥/٢، الطبري ٢٣٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٤٢/٤، البغوي مختصرا. ص٩٧٩، المحرر الوجيز ٢٨٥/٤، القرطبي ٢٧١/١٦.

[٤]) أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٢، وأجازه الإمام الشافعي على منافع الحر والعبد. أحكام القرآن لابن العربي ٦ / ٢٤٠.

[٥]) وذهب أبو حنيفة إلى أن منافع الحر ليست بمال ؛ لأن الملك لا يتطرق إليها ، بخلاف العبد ، فإنه مال كله . وهذا غير صحيح ، فإن منافع الحر مال ، بدليل جواز بيعها بالمال ، ولو لم تكن مالا ما جاز أخذ العوض عنه مالا ؛ لأنه كان يدخل في أكل المال بالباطل بغير عوض. أحكام القرآن لابن العربي ٦ / ٢٤٠، أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٢ .

[٦]) زيادة من النسخة (ب).

[٧]) أحكام القرآن للجصاص ٣ /٤٥٢، اللباب في الجمع بين السنة و الكتاب ٦٨٠/٢.

أن النكاح كان جائزًا في تلك الشريعة بغير مهر تستحقه المرأة، أو بشرط منفعة الولي[١] فإن كان ذلك كذلك فهو منسوخ[٢] بشريعة نبينا ﷺ.

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[٢٩]

معناه: فلما أوفى موسى عليه السلام أتم الأجلين وهو عشر سنين[٣]، وسار بأهله نحو أرض مصر. أبصر بالليل المظلم عن يسار الطريق من جانب الجبل نارًا، قال لأهله: انزلوا ها هنا، إني أبصرت نارًا لعلي آتيكم من عند النار بخبر، وأعلم لم أوقدت تلك النار[٤]، ويقال: كان أخطأ الطريق فأراد أن أن يسأل عنه بمن يجده عند النار[٥].

وقوله تعالى: (أو جذوة من النار) معناه: أو آتيكم بقطعة من الحطب في رأسها شعلة من النار[٦]؛ لكي تدفئوا من البرد.

---

[١]) أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٢، المبسوط للسرخسي ٥ / ١٨، الكشاف ٤٩٥/٤، المحرر الوجيز ٢٨٥/٤، اللباب في الجمع بين السنة و الكتاب ٦٨٠/٢.

[٢]) النسخ في اللغة بمعنى: إبطال الشيء، فيرد بمعنى الرفع والإزالة وهو: إزالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل ، وبمعنى التبديل ومنه (وإذا بدلنا آية مكان آية)، وبمعنى النقل والتحويل من موضع إلى موضع. ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيًا للفظه وخطه.

و هو في اصطلاح العلماء: إبطال حكم تشريعي بدليل يدل عليه صراحة أو ضمنا إبطالا كليا أو جزئيا لمصلحة اقتضته. وهو جائز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود ، الذين ينكرونه، ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى محض. وشذت طائفة قليلة من المسلمين فأنكرته ، مدعية أن هذا يتعارض مع أحكامه وتنزيله مع الذي لا يخفى عليه شيء، ولا= = شك أن هذا مخالف للقرآن نفسه، ومخالف لما عليه سلف الأمة جميعا، ومكابرة ورد للحق الواضح... وتقديم للعقل على النص، وإن لاح للمجادل أنه ينزه القرآن، انظر: البرهان ٢ / ٣٠، الإتقان ص٢٥٢، نواسخ القرآن. ص ٢٠ ، البيان المأمول في علم الأصول١ / ٨٦، تفسير السعدي١ / ٦١، التشريع الجنائي في الإسلام ١ / ٢٣٨، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ١ / ٦ ، المحصول ٣ / ٢٨٠ ، الإحكام في أصول القرآن١ / ٢٨٢، الناسخ والمنسوخ للسدوسي ١ / ٦.

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا ، وعن محمد بن كعب القرظي مرفوعا، وعن مجاهد بنحوه ٢٣٥/١٨، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وأبي ذر ويوسف بن سرج ٢٩٦٩/٩، بحر العلوم بنحوه ٥١٥/٢، الكشف والبيان ٥٣٦/٤.

[٤]) النكت والعيون ٢٥٠/٤.

[٥]) تفسير مقاتل ٤٩٥/٢، النكت والعيون ٢٥٠/٤، البغوي ص٩٨٠.

[٦])الجَذوة والجُذوة والجِذوة: القبسة من النار، وقيل: القطعة الغليظة من الخشب ليس فيها لهب، وفي الصحاح كأن فيها نارا، ولم يكن. قال ابن السكيت: جذوة من النار هو العود الغليظ يؤخذ فيه نار، ويقال: لأصل الشجرة جذية وجذاة ، وجذم كل شيء وجذيه أصله، والجذاء أصول الشجر العظام العادية التي بلي أعلاها وبقي أسفلها. انظر: لسان العرب مادة(جذا) ١٤ / ١٣٦، المحيط

وكانوا في شدة من الشتاء[١].

ويقرأ جُذوة بضم الجيم[٢] وجَذوة بنصبها[٣] ومعناهما: معنى الكسر[٤].

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ[٥] الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾[٣٠-٣١]

معناه: فلما أتى موسى عليه السلام النار نودي من جانب الوادي الأيمن، أراد به يمين موسى عليه السلام[٦].

وقوله تعالى: (في البقعة المباركة من الشجرة) أي: من نحو الشجرة. وسميت البقعة مباركة؛ لأن الله تعالى كلم موسى عليه السلام فيها وبعثه نبيًا[٧].

وقوله تعالى :(أن يا موسى) في موضع نصب، المعنى: نودي بأن: يا موسى (إني أنا الله) ونودي بأن:(ألق عصاك) من يدك[٨].

في اللغة ١٣٣/٢، الطبري ٢٤٠/١٨، أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد و عبدالرحمن بن زيد نحوه ، ٢٩٧٢/٩، النكت والعيون ٢٥٠/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٥٥.

[١]) تأويلات أهل السنة ٢٥٥/٨، أخرجه بن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٢٩٦٩/٩، النكت والعيون ٢٥٠/٤، البغوي ص ٩٨٠.

[٢]) (جُذوة) قراءة حمزة وخلف. انظر: النشر. ص٤٣٢، السبعة ٤٩٣/١، الإتحاف٤٣٥/١، حجة القراءات٥٤٣/١، التيسير ١٧١/١، الطبري ٢٤٠/١٨، البغوي ص٩٨٠، التبيان للعكبري ١٧٢/٢، الدر المصون ٣١٩/١١.

[٣]) (جَذوة) قراءة عاصم.المصادر السابقة.

[٤]) (جِذوة) قراءة الباقين. المصادر السابقة.

[٥]) الشط: شاطئ النهر جانبه وطرفه وشطأ الزرع والنخل يشطأ شطأ وشطوءا أخرج شطأه وفي التنزيل (كزرع أخرج شطأه) الفتح: [٢٩] أي: طرفه ، وشاطئ البحر: ساحله، وفي الصحاح للجوهري وشاطئ الوادي شطه وجانبه. لسان العرب مادة(شطأ) ١ / ١٠٠، تهذيب اللغة مادة(شطأ) ١١ / ٣٦٩، مجاز القرآن ١٠٣/٢.

[٦]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٢٤٠/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٢٩٧٢/٩، بحر العلوم بنحوه ٥١٦/٢، الكشف والبيان ٥٣٧/٤، البغوي ص٩٨٠.

[٧]) تفسير مقاتل دون لفظ (وبعثه نبيا) ٤٩٥/٢، وكذا في بحر العلوم ٥١٦/٢، النكت والعيون ٢٥١/٤، البغوي ص٩٨٠.

[٨]) معاني القرآن للزجاج ١٤٣/٤، المحرر الوجيز ٢٨٧/٤.

وقوله تعالى: (فلما رآها تهتز)، معناه: فلما رآها بعدما ألقاها تتحرك غاية الاضطراب كأنها جان في الخفة مع عظمها ولى مدبرًا،هاربًا، ولم يلتفت إلى ما وراءه[١].

قال الله تعالى :(يا موسى أقبل) أي: أقبل إليها ولا تخف منها إنك من الآمنين من أن ينالك منها مكروه، فأخذها موسى عليه السلام ، فإذا هي عصا كما كانت. ويقال: سُميت جنًا في هذه الآية؛ لأنها صارت جنًا في البقعة المباركة،ثعبانًا عند فرعون[٢].

قوله عز وجل: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فذانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا / فاسِقِين﴾ [٣٢] ٤٥١/ ب

معناه: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس[٣]

(من غيرسوءٍ) أي: من غير برص[٤].

وقوله تعالى: (واضمم إليك جناحك)[٥] أي: ضع يدك على صدرك ليسكن ما ما بك من الفزعفتصير آمنًا مما كنت تخافه. وهذا لأن من شأن الخائف أن يرتعد ويقلق فيكون ضم يده إلى نفسه في معنى السكون[٦].

والرَهْب والرُهْب:لغتان مثل الرَشد والرُشد[١]، ويقال: إن قوله من الرهب متصل بقوله تعالى: (من الآمنين). وفي الآية تقديم وتأخير[٢].

---

١) معاني القرآن للفراء ٣٠٥/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ٢٤٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٤٣/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٩/ ٢٩٧٢، بحر العلوم ٥١٦/٢، النكت والعيون ٢٥١/٤، القرطبي٢٧١/١٦.

٢) بحر العلوم ٤٩٠/٢.

٣) تفسير مقاتل ٤٩٦/٢، بحر العلوم ٤٧٢/٢، المحرر الوجيز ٢٨٧/٤ ، البحر ١٤/٧.

٤) الطبري ٢٤٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٤٣/٤، بحر العلوم ٥١٦/٢، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس، وقال: روي عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وعطاء الخراساني، والربيع بن أنس مثل ذلك. ٢٩٧٧/٩، الكشف والبيان ٥٣٧/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٥٥.

٥) جناح الطائر: يده. وجناح الإنسان: عضده ويده، وجانبه، قال الزجاج: معنى جناحك العضد ويقال: اليد كلها جناح، وجمعه أجنحة وأجنح. وكله راجع إلى معنى الميل لأن جناح الإنسان والطائر في أحد شقيه. لسان العرب مادة(جنح) ٢ / ٤٢٨، المحكم والمحيط الأعظم ١ / ٤٤١، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالرحمن بن زيد: جناحه الذراع. ٢٩٧٥/٩.

٦) بحر العلوم بنحوه ٥١٦/٢، الكشف والبيان ٥٣٧/٤، البغوي ص ٩٨١، المحرر الوجيز ٢٨٧/٤، تفسير ابن كثير بمعناه. ٤٧٥/٣.

وقوله تعالى: (فذانك برهانان من ربك) أراد به: العصا واليد البيضاء هما حجتان من ربك أرسلناك بهما إلى فرعون وأشراف قومه، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله تعالى(٣).

وقوله تعالى:(فذانك) يقرأ بالتخفيف والتشديد، فمن قرأ بالتخفيف(٤) فهو تثنية ذا، وكان القياس أن يضم إلى ذا ألفًا ونونًا، فحذفت الألف الأولى لالتقاء الساكنين(٥)، ومن قرأ بتشديد النون(٦) .....(٧)، فالتشديد عوض عن الألف الذاهبة وذلك لغة قريش، وذهب الزجاج(٨) ـ رحمه الله ـ إلى أن المشددة تثنية ذلك، وتشديد النون بدل اللام في ذلك(٩).

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [٣٣-٣٤-٣٥] معناه: قال موسى عليه السلامَ: يا رَبِّ إني قتلتَ من القبط نفسا فأخاف أن يقتلوني بدلها، وأخي هارون هو أبين مني كلامًا، قال ذلك للعقدة التي كانت

---

١) (الرَهَب): بفتح الراء والهاء قراءة المدنيين (نافع وأبو جعفر) والبصريين (أبو عمرو ويعقوب) وابن كثير، ورواه حفص عن عاصم (الرَهْب) بفتح الراء وإسكان الهاء ، وقرأ الباقون (الرُهْب): بضم الراء وإسكان الهاء. قال السمين الحلبي: وكلها لغات بمعنى الخوف. الدر المصون ٣٢١/١١، النشر. ص ٤٣٢، الطبري ٢٤٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٤٣/٤.

٢) تأويلات أهل السنة ١٦٧/٨.

٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد وقال روي عن السدي نحوه ٢٩٧٧/٩، المحرر الوجيز عنهما ٢٨٧/٤، تفسير ابن كثير ٤٧٥/٣.

٤) (فذانِك) تخفيف النون قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة و الكسائي وخلف. النشر. ص٢١١، الإتحاف ٤٣٦/١، حجة القراءات ٥٤٤/١، الطبري ٢٤٦/١٨.

٥) معاني القرآن للزجاج ١٤٣/٤، الكشف والبيان ٥٣٨/٤، حجة القراءات٥٤٤/١.

٦) (فذانّك) تشديد النون قراءة أبو عمرو وابن كثير ورويس عن يعقوب. وقرأ بتشديد النون وياء بعدها (فذانّيك). النشر. ص٢١١، الإتحاف ٤٣٦/١، حجة القراءات ٥٤٤/١، الطبري ٢٤٦/١٨، الدر المصون ٣٢٢/١١.

٧) مكان النقط كلمة لم تبين.

٨) تقدمت ترجمته انظر ص ١٧٨.

٩) معاني القرآن للزجاج ١٤٣/٤، الكشف والبيان ٥٣٨/٤، القرطبي ٢٧٩/١٦، حجة القراءات ٥٤٤/١.

في لسان موسى عليه السلام[١]. وقوله تعالى :(فأرسله معي رداء) أي: عوناً مصدقًا لي[٢].

وهذا على قراءة من يقرأ برفع القاف[٣] جعله صلة[٤] للنكرة. ومن قرأ بالجزم[٥] جعله جوابًا للمسألة[٦]. والردء هو: المعين في دفع الرداءة عن صاحبه[٧]. وقوله تعالى :(قال سنشد عضدك بأخيك) أي: سنقويك وننصرك وننصرك بأخيك[٨]، ولفظ العضد على وجه التمثيل[٩].

وقوله تعالى :(ونجعل لكما سلطانًا) أي: حجة بينة، يقال للزيت: السليط لأنه يستضاء به [١٠].

---

١) ذكره الطبري ٢٤٩/١٨، بحر العلوم ٥١٧/٢، الكشف والبيان ٥٣٨/٤، البغوي ص ٩٨١، وأنكر أبو منصور ذلك في التأويلات ، وأوله أن ذلك خلقة فيه على ما خلق بعض الخلق أفصح من بعض، أو أن ما ذكر من الخوف والذنب، ولاشك أن من اشتد به الخوف منع صاحبه من التكلم. أهـ ١٦٧/٨.والذي جاء به الدليل هو ذكر العقدة دون ذكر سببها، فلعل ذلك خِلقة فيه ، والله أعلم.

٢) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وقتادة ٢٤٩/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد وقال: روي عن قتادة مثله ٢٩٧٧/٩، بحر العلوم ٥١٧/٢، الكشف والبيان ٥٣٨/٤، النكت والعيون ٢٥٢/٤، الكشاف ٥٠١/٤، المحرر الوجيز ٢٨٩/٤.

٣)(يُصَدِّقُني) بضم الياء وكسر الدال ورفع القاف قراءة عاصم وحمزة. الكشف لمكي ٢٧٦/٢، التيسير١٧١/١، الإتحاف٤٣٦/١، التبيان للعكبري ١٧٨/٢، البحر١١٣/٧، الدر المصون ٣٢٥/١١.

٤) والصحيح صفة ، فلعله سبق قلم .

٥)(يُصَدِّقْني) بضم الياء وكسر الدال وجزم القاف قراءة الباقين. انظر: المصادر السابقة.

٦) ذكره الطبري ٢٥١/١٨، الكشف لمكي ٢٧٦/٢، التبيان للعكبري ١٧٨/٢، الدر المصون ٣٢٥/١١.

٧) أردأته بنفسي: إذا كنت له ردءا وهو العون، وفلان ردء لفلان أي: ينصره ويشد ظهره، وقال الليث: تقول ردأت فلانا بكذا وكذا أي: جعلته قوة له وعمادا كالحائط تردؤه من بناء تلزقه به. لسان العرب مادة(ردأ) ١/ ٨٤، العين ٢ / ١٢٥، مجاز القرآن بمعناه ١٠٤/٢.

٨) تأويلات أهل السنة ١٦٨/٨، بحر العلوم ٥١٧/٢، الكشف والبيان بنحوه ٥٣٨/٤، البغوي ص٩٨١، الكشاف ٥٠٢/٤.

٩) العضد من الإنسان وغيره : الساعد وهو ما بين المرفق إلى الكتف، والعضد بفتح فسكون من الطريق: الناحية..قيل: كل ناحية: عضد. وأعضاد البيت: نواحيه. ومن المجاز: العضد: الناصر والمعين وعضد الرجل: أنصاره وأعوانه، وهو الذي أراده المؤلف هنا. المخصص ١ / ٩٧، تاج العروس مادة(عضد) ٨ /٣٨٣.

١٠) لسان العرب مادة(سلط) ٧ / ٣٢٠، تهذيب اللغة مادة(سلط) ٤ / ٢٥٥، تاج العروس مادة(سلط) ١٩/ ٣٧١، الكشاف ٥٠٢/٤، الفائق في غريب الحديث و الأثر ١ / ١٩٢، معاني القرآن للزجاج ١٤٤/٤.

والسلطان أبين الحجج[١]. وقوله تعالى : (ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا) أي: قتلكما و أذيتكما[٢]، تمتنعان منهما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون لمن خالفكما.

قوله عز و جل : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ۞ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٣٦-٣٧] وذلك أنهما ذهبا إلى باب فرعون فحُجبا، فقَالَ موسى عليه السلام للبواب: اذهب إلى فرعون، وقل له: إن بالباب رسول رب العالمين، فدخل عليه، فقال : إن بالباب مجنونًا يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال: ومن هو ؟ فقال: لا أعرفه إلا أن معه هارون فقال: إيذن لهما، فأذن لهما فدخلا عليه وأديا الرسالة وأقاما المعجزة[٣]. فلم يقدروا على دفع تلك الآيات، إلا أن قالوا: هذا سحر مخترع، وما سمعنا أحدًا ادعى الرسالة في آبائنا الأولين. فلما جمع فرعون وقومه السحرة تبينوا أن آيات موسى عليه السلام ليست بسحر، فغلبهم موسى عليه السلام بآيات الله ، فإن قيل: كيف قالوا: وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، مع أن الله تعالى قد بعث كثيرًا من الرسل في آبائهم؟ قيل: إنهم قالوا ذلك للفترة التي كانت بينهم وبين الرسل فطال عهدهم بالرسل[٤]، أو جحدوا مع علمهم[٥]، كما قال الله الله تعالى :

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٦]، ويحتمل أنهم أرادوا بهذا الكلام: ما بلَغنا عن أحد من آبائنا أنهم أجابوا الرسل [٧].

---

[١]) معاني القرآن للزجاج ١٤٤/٤، وأخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد والسدي السلطان: الحجة ٢٥٣/١٨، الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٨، أي: حجة وبرهانا. البغوي ص٩٨١.

[٢]) انظر تفسير مقاتل ٤٩٦/٢، بحر العلوم ٥١٧/٢، البحر ١١٣/٧، تفسير ابن كثير دون أوله. ٤٧٦/٣.

[٣]) بحر العلوم بنحوه ٥١٧/٢، ذكر القصة البغوي في سورة الشعراء عند الآية رقم[١٧]. ص ٩٣٧ ، وكذا الزمخشري في الكشاف ٣٨٣/٤، وهذا التفصيل ليس عليه دليل.

[٤]) لم أقف عليه.

[٥]) البحر بمعناه ١١٣/٧.

[٦]) سورة النمل: [١٤] ، ويرجع لمعنى الآية السابق بيانه في سورة النمل انظر ص ١٦١.

[٧]) تفسير ابن كثير بمعناه. ٤٧٧/٣.

وقوله تعالى :(وقال موسى ربي أعلم) معناه: هو أعلم بمن يدعو إلى الهدى وبمن يدعو إلى الضلال، فلا يمكن من مثل ما أتيت به من يدعو إلى الضلال؛ لأنه عالم ما في ذلك من فساد العباد، ولذلك قال: إنه لا يفلح الظالمون.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[٣٨] معناه: وقال فرعون لخواص قومه: ما علمت لكم من إله غيري، وهذه إحدى الكلمتين اللتين أخذه / الله تعالى بهما، والأخرى قوله:﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[١][٢]. ٤٥١/أ

وقوله تعالى : (فأوقد لي يا هامان على الطين) أي: اتخذ لي أجرًا[٣]، واجعل لي قصرًا[٤] متسعًا مرتفعًا، لعلي أطلع إلى إله موسى، ظن أن يتهيأ له أن يبلغ بصرحه إلى السماء فيرى السماء وما فيها ، وظن أن إله موسى جسما يشاهد كما يقوله المشبهة[٥] ـ تعالى الله ـ عن ذلك. وقوله: (وإني لأظنه لأظنه من الكاذبين) اعتراف منه بأنه شاك لا يدري ما في السماء، وهذا القول منه مناقضة في دعواه أنه إله، لأنه لو كان إلهًا لم يجهل ولم يشك. والمبطل تظهر عليه المناقضة، والحق هو الذي لا يتناقض.

وفي قول موسى عليه السلام ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾[٦] دليل أنه ألزم فرعون الحجة القاطعة[٧].

---

[١]) سورة النازعات: [٢٤].

[٢]) بحر العلوم ٥١٧/٢.

[٣]) الآجُرّ بضم الجيم مع تشديد الراء: طبيخ الطين، أو ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارا، واحدتها خزف وقيل: الآجر القائم بعضه فوق بعض، وهو الذي يسمى بالفارسية البراستق والملاط ـ الطين الذي يخلط بين سافي البناء، تقول ملطت الحائط ملطا وملطته: طليته، آجرة وآجر للجمع، وآجرة وجمعها آجر وأجرة. لسان العرب مادة(أجر) ٤ / ١٠، تاج العروس مادة(أجر) ١٠ / ٢٤. وقد أخرج الطبري عن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه ٢٥٤/١٨، الكشف والبيان ٥٤٠/٤، البغوي ص٩٨١.

[٤]) انظر تفسير مقاتل ٤٩٧/٢، النكت والعيون ٤ / ٢٥٣، البغوي ص٩٨١، تفسير ابن كثير ٤٧٧/٣.

[٥]) سبق بيان معنى الجسم في سورة الشعراء انظر ص ١٠٥. وتقدمأيضًا معنى المشبهة في سورة النمل انظر ص ١٥٧.

[٦]) سورة الإسراء: [١٠٢].

[٧]) معاني القرآن للزجاج ١٤٥/٤.

قوله عز وجل : ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ۞ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٣٩-٤٠] ظاهر المراد.

وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ۞ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[٤١-٤٢] قال الحسن - رضي الله عنه - : معنى وجعلناهم أئمة: سميناهم قادة في الضلالة بكفرهم وذهابهم إلى عمل أهل النار[١]. وذهب إلى أن لفظ الجُعل يُطلق ويُراد به التسمية، كما يقال: إن فلانًا جعل فلانًا سارقًا أي:سماه سارقًا، ويقال:جعل القاضي فلانًا مجروحًا أي: حكم بجرحه[٢].

وقوله تعالى: (ويوم القيامة لا ينصرون) أي: لا يدفع عنهم عذاب الله تعالى.

وقوله تعالى: (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) يريد بها: لعنة الملائكة والمؤمنين[٣].

(ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي: من المشوهين في النار بسواد الوجوه و زراقة الأعين[٤].

---

[١]) لم أقف عليه .

[٢]) وهو منهج المعتزلة حيث أولوا جعلناهم إلى سميناهم لتوافق مذهبهم.

قال أبو حيان في البحر: وجعل هنا بمعنى : صير ، أي: صيرناهم أئمة قدوة للكفار يقتدون بهم في ضلالتهم ، كما أن للخير أئمة يقتدى بهم ، اشتهروا بذلك وبقي حديثهم. وقال الزمخشري : وجعلناهم : دعوناهم ، أئمة : دعاة إلى النار ، وقلنا : إنهم أئمة دعاة إلى النار ، وهو من قولك : جعله بخيلا وفاسقا إذا دعاه فقال : إنه بخيل وفاسق. ويقول أهل اللغة في تفسير فسقه وبخله : جعله بخيلا وفاسقا ، ومنه قوله عز وجل : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) . ومعنى دعوتهم إلى النار : دعوتهم إلى موجباتها من الكفر. انتهى. وإنما فسر جعلناهم بمعنى دعوناهم ، لا بمعنى صيرناهم ، جريا على مذهبه من الاعتزال ، لأن في تصييرهم أئمة ، خلق ذلك لهم. وعلى مذهب المعتزلة ، لا يجوّزون ذلك من الله ، ولا ينسبونه إليه.أهـ ١١٥/٧.كما قال ابن القيم: وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي جعل أئمة الخير يدعون إلى الهدى، وأئمة الشر يدعون إلى النار، فتلك الإمامة والدعوة بجعله فهي مجعولة له وفعل لهم. شفاء العليل ١ / ١٥٧، الكشاف ٥٠٨/٤.

[٣]) ذكر ابن كثير: أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم كذلك. تفسير ابن كثير ٤٧٨/٣، وذكر الرازي: لعنة الله والملائكة لهم. مفاتيح الغيب ٢٤ / ٢١٨.

[٤]) تأويلات أهل السنة ٨١٧١، البغوي ص ٩٨٢، ذكر أوله في بحر العلوم ٥١٨/٢، الكشف والبيان ٥٤٠/٤، وورد في النكت والعيون من المشوهين عن مقاتل وبقيته عن الكلبي ٢٥٤/٤، المحرر الوجيز عن ابن عباس ٢٨٩/٤. مع أن زرقة الأعين ممدوحة اليوم. ولعل المقصود زرقة الأجساد لدلالتها على المرض الشديد والتعب، وإنما يدل على تعب العين اصفرارها لا زرقتها

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾[١].

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٤٣] معناه: أعطينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم الماضية عظةً وعبرة للناس؛ ليبصروا بها أمر دينهم ، وأعطيناه هدى ونعمة لكي يتعظوا بما في التوراة؛ فيؤمنوا.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [٤٤-٤٥]

معناه: وما كنت يا محمد ﷺ بجانب الوادي الغربي إذ قضينا إلى موسى أي: أوحينا إليه الأمر بما ألزمناه وقومه[٢]. (وما كنت من الشاهدين) لتلك الحالة حتى تخبر عنها أمتك؛ وإنما أخبرناك بذلك لتكون معجزة لك[٣].

وقوله تعالى: (ولكنا أنشأنا قرونًا) أي: خلقنا قرنا بعد قرن[٤] فتطاول عليهم العمر ونسوا العهود والمواثيق، وكفروا بالرسل فأهلكناهم قرنا بعد قرن. وما كنت يا محمد ثاويًا أي:مقيمًا [٥] في أهل مدين تقرأ عليهم آياتنا، ثم تقرأ على قومك فتخبرهم عنهم خبر من شاهدهم[٦]، ولكنا كنا مرسلين للرسل إلى قرن بعد قرن، نبين لهم قصة الأول للآخر كما بينا لك قصة الأولين.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [٤٦]

والأولى عدم التخصيص بالعيون. (نبه على هذه النقطة الدكتور: عبدالعزيز عزت ـ حفظه الله ـ في بعض المناقشات).

[١]) سورة المؤمنون: [١٠٤].

[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة وابن جريج نحوه بلفظ: غربي الجبل. ٢٦٠/١٨، وفي الكشف والبيان على أنه لموسى دون قومه، قاله الكلبي. ٥٤١/٤، البغوي ص٩٨٣، البحر ١١٦/٧.

[٣]) الكشاف بنحوه ٥١٠/٤ ، البحر بمعناه ١١٦/٧.

[٤]) تقدم المراد بالقرن ومقدار ما يساويه في سورة الفرقان ، انظر ص ٧٥.

[٥]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد ٢٦١/١٨، بحر العلوم ٥١٨/٢، الكشف والبيان ٥٤١/٤، البغوي ص ٩٨٣.

[٦]) تأويلات أهل السنة ١٧٢/٨، البغوي بمعناه ص ٩٨٣، الكشاف بمعناه ٥١٠/٤، البحر ١١٧/٧.

معناه: ما كنت يا محمد ﷺ بجانب جبل زبير[١]، إذ نادينا موسى (يا موسى إني أنا الله) و(يا موسى أقبل ولا تخف)[٢]، ولكن أوحينا بها إليك وقصصناها عليك رحمة من ربك، ويقال: ولكن أعلمنا موسى عليه السلام بفضل أمتك وبيان بعثك وصفتك، إني باعث في العرب نبيًا من ولد إسماعيل[٣]؛لتنذر يا محمد قومًا لم يأتهم رسول مخوف قبلك لكي يتعظوا.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٧]

محذوف الجواب، المعنى: لولا أنه إذا أصابتهم عقوبة بما قدمت أيديهم، فيقولون عند نزول العذاب بهم ربنا / هلا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع كتابك ورسولك ونكون من المؤمنين؛ لعجلنا لهم العقوبة[٤] ، ويقال: معناه لولا إذا أصابتهم عقوبة الآخرة؛ فيقولون ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا لما أرسلناك[٥]. وفي الآية بيان أنه أرسل النبي محمدًا ﷺ مبالغة في إلزام الحجة الحجة وقطع المعذرة[٦].

٤٥٢/ب

قوله عز وجل :﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ۝ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۝ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٤٨-٤٩-٥٠]

---

[١]) ذكره البغوي عند مجيء موسى لميقات ربه في سورة الأعراف ص٤٨٧، وكذا السمرقندي في بحر العلوم ١٤٢/٢، والوارد في الآية: أنه جبل الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.

[٢]) تأويلات أهل السنة ١٧٢/٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٩٨٤/٩، الكشاف ٥١٠/٤، البحر ١١٧/٧.

[٣]) تأويلات أهل السنة بنحوه ١٧٣/٨.

[٤]) قال الطبري في تفسيره: أي: لو عجلناهم بالعقوبة ما أرسلناك. ٢٦٤/١٨، بحر العلوم ٥٢٠/٢، الكشف والبيان ٥٤٢/٤، البغوي ص ٩٨٣، الكشاف ٥١٠/٤، البحر ١١٧/٧.

[٥]) بحر العلوم ٥٢٠/٢، الكشف والبيان ٥٤٢/٤، البغوي ص ٩٨٣، الكشاف ٥١١/٤، البحر ١١٧/٧.

[٦]) قال ابن القيم: وهذا صريح في أن أعمالهم قبل البعثة كانت قبيحة ، بحيث استحقوا أن يصابوا بها بالمصيبة، ولكنه سبحانه لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل ..وهذه النكتة هي التي فاتت المعتزلة والكلابية. التفسير القيم ص ٤٠١.

معناه: فلما جاء أهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن[١]قالوا هلا أُعطي محمد ﷺمثل ما أُعطي موسى، أي: هلا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة جملة واحدة[٢]،وهلا أُعطي محمد ﷺ اليد والعصا والمن والسلوى، وغير ذلك من الآيات الظاهرة مثل ما أعطي موسى عليه السلام من الآيات[٣].

قالوا: ساحران تظاهرا[٤] يعنون: محمد وموسى ـ عليهما السلام[٥] ـ ، وقالوا: إنا بكل منهما كافرون. ومن قرأ سحران تظاهرا[٦] أراد بذلك: أنهم عنوا به التوراة والقرآن[٧]. ويقال: إن قوله تعالى: (أولم يكفروا) كناية[٨] عن قوم فرعون كفروا بما أعطي موسى[ـ عليه السلام ـ من الآيات الآيات وقالوا لموسى وهارون عليهما السلام][٩][١].

---

[١]) تفسير مقاتل ٤٩٩/٢، بحر العلوم ٥٢٠/٢، الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٨٩، البحر ١١٨/٧.

[٢]) تفسير مقاتل ٤٩٩/٢، تأويلات أهل السنة ١٧٥/٨، بحر العلوم ٥٢٠/٢، الكشف والبيان ٥٤٢/٤، الكشاف ٥١٢/٤.

[٣]) معاني القرآن للزجاج ١٤٧/٤، تأويلات أهل السنة ١٧٥/٨، الكشاف ٥١٢/٤، المحرر الوجيز ٢٩٠/٤.

[٤]) (ساحران) بالألف قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر و أبي جعفر ويعقوب . السبعة٤٩٥/١، الكشف والبيان ٥٤٢/٤، التيسير١٧٢/١، الإتحاف٤٣٦/١، حجة القراءات ٥٤٧/١، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٢٦٦/١٨، البحر١١٨/٧.

[٥]) تفسير مقاتل ٤٩٩/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٢٦٦/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا ٢٩٨٥/٩، بحر العلوم ٥٢٠/٢، الكشف والبيان ٥٤٢/٤، النكت والعيون عن ابن عباس والحسن على أنه قول مشركي العرب. ٢٤٦/٤، الكشف والبيان ٥٤٢/٤، التبيان للعكبري ١٧٩/٢.

[٦]) (سحران) بغير ألف قراءة الكوفيين(عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش). وهي قراءة ابن مسعود وبها قرأ عكرمة. انظر: الكشف والبيان ٥٤٢/٤ ، البحر ١١٨/٧، الدر المصون ٣٣٠/١١.

[٧]) تفسير مقاتل ٤٩٩/٢، وأخرجه الطبري عن ابن عباس وابن زيد ٢٦٦/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهما وعن السدي وعاصم الجحدري نحوه ٢٩٨٥/٩، بحر العلوم ٥٢٠/٢، وفي النكت والعيون عن الجحدري والسدي٢٤٦/٤، وهذا القول أولى من الأول، قال البغوي: لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب. ص ٩٨٣، التبيان للعكبري ١٧٩/٢.

[٨]) الكناية: لفظ أريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة معناه حينئذ. كقولك: فلان طويل النجاد أي طويل القامة، وفلانة نؤوم الضحى ، أي مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات. الإيضاح في علوم البلاغة ص٣٠١.

[٩]) زيادة من النسخة (ب).

ساحران تعاونا [٢] وقالوا في العصا واليد البيضاء سحران تظاهرا، وذهب بعضهم ـ رحمهم الله ـ: إلى أن هذا مقالة اليهود قالوا: إن محمدا وعيسى عليهما السلام ساحران[٣]. ومما يؤيد القول الأول أنه تعالى قال بعد هذه الآية :(قل فأتوا بكتاب من عند الله)[معناه: قل يا محمد لأهل مكة فأتوا بكتاب من الله][٤] هو أهدى من التوراة والقرآن حتى أتبعه، إن كنتم صادقين إن التوراة والقرآن سحران تظاهرا فصدق كل واحد منهما الآخر[٥] فلما عجز أهل مكة عن إتيان كتاب مثل القرآن ، قيل للنبي ﷺ (فإن لم يستجيبوا لك) أي: إن لم يجيبوك إلى ما سألتهم ولا يجيبون ، فاعلم أنهم إنما يعملون بهوى أنفسهم بغير علمهم بالقرآن ، بغير حجة [٦] إنه الحق، ومن أضل ممن عمل بهوى نفسه بغير حجة من الله تعالى. إن الله لا يهدي من ظلم نفسه في إتباع الهوى، ولا يثبت على مثله[٧].

قوله عز وجل :﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾[٥١-٥٢] معناه: ولقد وصلنا لأهل مكة ذكر الأنبياء ـ صلوات الله تعالى عليهم ـ والأمم وأقاصيص بعضهم لبعض، فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا، وقوم صالح بكذا لكي يتعظوا بالقرآن؛ فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم[٨].

---

[١]) أخرج القول الطبري في تفسيره عن مجاهد وابن جبير وأبي رزين ٢٦٦/١٨، وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهم ٢٩٨٥/٩، بحر العلوم ٥٢٠/٢، النكت والعيون عن ابن جبير ومجاهد وأبو زيد على أنها مقالة اليهود في ابتداء الرسالة ٢٥٦/٤، المحرر الوجيز عن مجاهد ٢٩٠/٤. وقال ابن عطية : وهو الأظهر.

[٢]) ساقطة من (ب).

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة والحسن ٢٦٧/١٨، تأويلات أهل السنة ١٧٥/٨، النكت والعيون عن قتادة ٢٥٦/٤، المحرر الوجيز عن الحسن ٢٩٠/٤.

[٤]) زيادة من النسخة (ب).

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن الضحاك ٢٦٨/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٢٩٨٥/٩ .

[٦]) الطبري بمعناه ٢٧٤/١٨، المحرر الوجيز ٢٩١/٤، البحر ١١٨/٧.

[٧]) هكذا في النسختين، و المعنى غير واضح.

[٨]) أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة معناه مختصرا ٢٧٤/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه وعن مجاهد بلفظ: فصلنا لهم القول ٢٩٨٧/٩، بحر العلوم بنحوه ٥٢٠/٢، النكت والعيون ٢٥٧/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٢٩١/٤.

واصل التوصيل وصل الحبال بعضها ببعض[١]

قال الشاعر[٢]:

فقل لبني مروان ما بال دمه   وحبل ضعيف مازال يوصل[٣]

وأما قوله تعالى: (الذين ءاتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) أهل الكتاب أُعطوا علم التوراة قبل محمد ﷺ والقرآن ، فآمنوا بالقرآن وصدقوا به[٤].

قوله عز وجل :﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[٥٣] وهذا قول مؤمني أهل الكتاب.

قوله عز وجل :﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٥٤] معناه: إنهم يُعطون أجرهم مرتين، مرة لإيمانهم به قبل مبعثه، ومرة لإيمانهم به بعد مبعثه[٥]، ويقال: مرة لإيمانهم بموسى عليه السلام ، ومرة لإيمانهم بمحمد ﷺ وصبرهم على أذى الكفار[٦].

---

[١]) الكشف والبيان ٥٤٣/٤، تاج العروس مادة(وصل) ٣١/ ٧٨، الدر المصون ٣٣١/١١.

[٢]) الأخطل: اسمه غياث بن غوث بن الصلت السيحاني والأخطل لقبٌ غلب عليه، وهو شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة، ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، نشأ في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجبا بأدبه، تياها، كثير العناية به، وأخباره مع الشعراء والخلفاء كثيرة. انظر: طبقات فحول الشعراء ١ / ٦٧، الأغاني ٢ / ٤٠٣، سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٨٩، الأعلام للزركلي ٥ / ١٢٣.

[٣]) ديوانه ص ٢٧١. والبيت شاهد على أن الوصل ضد القطع، فأصله من وصل الحبل، والمعنى تابعنا بعضه ببعض، بذكر أخبار من سبق.

[٤]) الطبري ٢٧٧/١٨ ، البغوي ص٩٨٤.

[٥]) تفسير الضحاك ٦٥٠/٢ ، وأخرجه الطبري في تفسيره عن الضحاك بن مزاحم ٢٧٨/١٨، تأويلات أهل السنة ١٨٠/٨، الكشاف ٥١٤/٤.

[٦]) أخرج الطبري في تفسيره : وعدهم ما وعد جل ثناؤه بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وصبرهم على ذلك. وذلك قول قتادة، و وافقه على قوله:عبد الرحمن بن زيد ٢٧٨/١٨. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عنه نحوه ٢٩٨٩/٩، بحر العلوم ٥٢١/٢، وورد في ذلك الحديث الصحيح عند البخاري ـ رحمه الله ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين الرجل تكون له الأمة فيعلمها، فيحسن تعليمها، ويؤدبها، فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران، ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فله أجران، والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده). كتاب/ الجهاد والسير، باب/ فضل من أسلم من أهل الكتابين حديث رقم(٣٠١١)١٤٦/٦.

وقوله تعالى: (ويدرؤون) أي: يدفعون ما يلحقهم من الأذية بالحلم والاحتمال[١]، ويستدركون بما يعملون من الحسنات ما يقدم منهم من السيئات[٢] ومما أعطيناهم من الأموال ينفقون في طاعة الله تعالى[٣].

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[٥٥] معناه:وإذا خُوطبوا بالسفاهة ردوا عليهم جميلاً وأعرضوا عن الكلام الذي لا فائدة فيه، وقالوا لنا / جزاء أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم. ٤٥٢/أ

وقوله تعالى: (سلام عليكم) سلام متاركة وتسليم، لا سلام تحية [٤] كما قال قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأبيه حين قال له أبوه: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[٥]. قال: ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾[٦].

وقوله تعالى: (لا نبتغي الجاهلين) ومعناه لا نطلب مجالسة الجاهلين ومجادلتهم[٧].

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٥٦] ذهبَ أكثر المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت في أبي طالب وذلك أنه لما مرض مرضه الذي قبض فيه، دخل عليه رسول الله ﷺ فقال له: أسلم أشفع لك . فقال: لولا أني أخاف أن يتحدث نساء قريش أن أبا طالب جزع عند الموت فآمن لآمنت بك[٨].

---

[١]) وهو معنى قول يحيى بن سلام. النكت والعيون ٤ / ٢٥٨.
[٢]) معاني القرآن للزجاج ١٤٩/٤، بحر العلوم ٥٢١/٢، النكت والعيون. ٤/ ٢٥٨، البحر بنحوه ١٢٠/٧.
[٣]) انظر الطبري ٢٨٢/١٨ ، البغوي ص٩٨٤، المحرر الوجيز ٢٩٢/٤.
[٤]) معاني القرآن للزجاج ١٤٩/٤، أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٢، بحر العلوم إلا أنه ذكر(تسليم متاركة ومسالمة أي: بيننا وبينكم المتاركة والمسالمة) ٥٢١/٢، البغوي ص٩٨٤، الكشاف ٥١٤/٤.
[٥]) سورة مريم: [٤٦].
[٦]) سورة مريم: [٤٧].
[٧]) الكشاف ٥١٤/٤، البحر ١٢٠/٧.
[٨]) الحديث بمعناه أخرجه البخاري في كتاب/ تفسير القرآن، سورة القصص حديث رقم (٤٧٧٢) ٦٤٩/٨، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت. حديث رقم (٢٤) ١٨٩/٢، وأخرج الطبري في تفسيره هذا الحديث عن أبي هريرة بعدة روايات وكذلك أخرجه مقطوعا ٢٨٣/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي هريرة ٢٩٩٤/٩، أسباب النزول

واختلفوا في المراد بهذه الآية فقال بعضهم ـ رحمهم الله ـ: إنك لا تهدي هداية إجبار وإكراه ولكن الله يهدي من يشاء على هذه الصفة [١]، كما قال جل ذكره:
﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [٢].
وقال بعضهم ـ رحمهم الله ـ: المراد به التنجية [٣]. وقد يطلق لفظ الهدى بمعنى التنجية كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ﴾ [٤]. وهذا إخبار عن قول أهل النار لو نجانا الله لنجيناكم وقال بعضهم ـ رحمهم الله ـ: المراد به اللطف والتوفيق[٥].
وإنما اختلفوا في هذه الآية، لأنه لا يجوز أن يكون المراد بالهدى في قوله تعالى :(إنك لا تهدي من أحببت) البيان بالأدلة [٦]، لأنه ﷺ كان يبين بالأدلة

للواحدي ص ٣٨٩، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم (٩٦٨٧)٤٢٩/١٥، والسيوطي في الدر ٤٢٨/٦ . واللفظ بمعناه أقرب لرواية مسلم.
[١]) الهداية أنواع منها:
ـ الهداية بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده، وهي المثبتة للنبي عليه الصلاة والسلام.
ـ الهداية المستلزمة للاهتداء، وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعي الهدى وإرادته والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله ـ عز وجل ـ وقد نفاها عن نبيه في هذه الآية ، فهداية النبي إرشاد وتعليم وإيضاح، ولا يجبرا أحدا، بل حتى الله عز وجل لا يجبر أحدا على الإيمان. وهذا هو تأويل المعتزلة عند هذه الآية حيث قالوا أن الله قادر أن يدخل في الإيمان من يشاء بالإجبار والاضطرار ، ولكن هذا لم يحصل لأنه لو حصل لزال التكليف. انظر:=
= موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٦١٧/٢ ـ ٦١٨. قال ابن القيم في الرد عليهم: هذا كلام باطل فإنه سبحانه قادر على أن يخلق فيهم مشيئة الإيمان وإرادته ومحبته، فيؤمنون بغير قسر ولا إلجاء، بل إيمان اختيار وطاعة، كما قال تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) قال د: سليمان الغصن :هذا كلام باطل لأنه يقتضي أن الله لا يقدر أن يهديهم إلا بطريق الإلجاء، ولا يخفى ما في هذا من تنقص الرب تعالى ونسبته إلى ما لا يليق به سبحانه أهـ. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٦٤٨/٢ . شفاء العليل ١ / ٥٢، لوامع الأنوار البهية ١ / ٣٣٥.
[٢]) سورة يونس: [٩٩].
[٣]) النكت والعيون تفسير سورة إبراهيم. ٣ / ١٣٠، القرطبي١٢٦/١٢.
[٤]) سورة إبراهيم: [٢١].
[٥]) تأويلات أهل السنة ١٨٢/٨، الكشاف ٥١٤/٤، البحر ١٢٠/٧.
[٦]) وهذا هو قول المعتزلة، الذي أنكره المؤلف. تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣١١.
واللطف عرفه بعضهم بأنه: هو الذي يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية.

لكافة الناس، كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(١)].

وقوله تعالى: (ولكن الله يهدي من يشاء) أي: هو الذي يعرف ويرشد ويوفق وهو أعلم بمن اهتدى بهداه فيلطف به.

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ[(٢)] مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٥٧]

وذلك أن الحارث بن عمرو النوفلي[(٣)] جاء إلى النبي ﷺ في جماعة فقال : قد علمنا أنك صادق وما كذبت قط فنتهمك اليوم، ولكنا متى ما نؤمن بك تختلسنا[(٤)] العرب من أرضنا، فأنزل الله هذه الآية ردًا عليهم حيث قال:(أولم نمكن لهم حرمًا آمنًا)[(٥)] معناه: أو لم نجعل أهل مكة في أمان قبل الإيمان

أي: أن يفعل الله ما به يكون العبد أقرب إلى الطاعة وأبعد عن المعصية ، من غير أن يضطره هذا الفعل إلى عمل الطاعة واجتناب المعصية. (و أكثر المعتزلة أوجبوا اللطف على الله وإلا لم يفعل ما يجب عليه تجاه عبيده، أما الأشاعرة فلم يوجبوه على الله، بناءً على قولهم أن الحسن والقبح شرعيان، والإيجاب بالشرع لا بالعقل) والسلف ـ رحمهم الله ـ لم يوجبوا على الله شيئًا ، كما أنهم لم يجوزوا عليه ما ينافي أسماءه الحسنى وصفاته العلى. قال شيخ الإسلام: في اقتضاء الصراط المستقيم :.. وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى ، والتحريم بالقياس على خلقه ، فهذا قول القدرية ... وأن العباد لا يوجبون عليه شيئًا. ص ٤٢٦ ، المواقف ٢٨٣/٣، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٣٠٣/١ـ٣١٨، الملل والنحل ٧٩/١، مقالات الإسلاميين ٥٧٤/١.

(١) سورة الشورى: [٥٢].

(٢) خ ط ف، الخطف: الأخذ في الاستلاب،والخِطْفةُ مثل الخلسة،هو كل ما اختطَفْتَ، فالخطف سرعة أخذ الشيء. لسان العرب مادة(خطف) ٩ / ٧٥، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٠٨، العين ١ / ٣١٢، وسيأتي أيضًا في سورة العنكبوت.

(٣) لم أقف على ترجمته. و أورد المفسرون اسمه، انظر الطبري ٢٨٧/١٨، البغوي ص٩٨٤، عمدة القارئ (٧٨٥٠)٢٢٣/٩.

(٤) خلست الشيء واختلسته وتخلسته، إذا استلبته. والتخالس: التسالب. و الخلس: الأخذ في نهزة ومخاتلة خلسه يخلسه خلسا. لسان العرب مادة(خلس) ٦ / ٦٥، تاج العروس مادة(خلس) ١٦/ ١٨، الصحاح للجوهري ١ / ١٨١.

(٥) انظر تفسير مقاتل ٥٠١/٢ ، وأخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس نحوه ٢٨٧/١٨، بحر العلوم ٥٢٢/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس نحوه ٢٩٩٥/٩، الكشف والبيان ٥٤٥/٤، النكت والعيون بنحوه ٢٦٠/٤، و الواحدي في أسباب النزول إلا أنه قال: الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف ص٣٩١، وكذا ذكر البغوي ص٩٨٤، ولباب النقول١٥٠/١. وهو ضعيف لانقطاع السند فعمرو بن شعيب لم يدرك ابن عباس. والمفسرين على إنه: الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف ، انظر الاستيعاب في بيان الأسباب ٣٨/٣.

يُجبى[1] إلى الحرم ثمرات كل شيء، نعمة من عندنا؛ فكيف يخافون زوال الأمان بالإيمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون)؛ لأنهم لا يتدبرون ولا يتفكرون.

قوله عز وجل : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾[٥٨] معناه: وكم أهلكنا من [أهل][2] قريَة أبطرتهَا معيشتها وطغت فَي نعيمها، فتلك مساكنهم ـ منازلهم ـ التي كانوا يسكنونها لم يسكنها أحد إلا المسافرون ينزلون ببعضها ساعة من النهار ثم يرتحلون[3]. (وكنا نحن الوارثين) المالكين لما تركوه بعد هلاكهم لم يخلفهم في ذلك أحد غيرنا.

قوله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[٥٩] معناه: وما كان ربك يا محمد ﷺ معذب أهل القرى حتى يبعث في أعظمها قرية، رسولاً يقرأ عليهم آياتنا ـ دلالاتنا ـ وما كنا مهلكي القرى إلا بظلم أهلها [4]. وقيل المراد بالقرى: القرى التي حوالي مكة، والمراد بأمها: مكة [5] سميت أم القرى؛ لأن الأرض دُحِيَتْ من تحتها [6].

وقوله عز وجل : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [وَزِينَتُهَا] وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٦٠] معناه: وما أعطيتم من شيء في الدنيا فهو منفعة لكم تتمتعون به إلى مدة، ثم ينقطع ويفنى كمتاع البيت، وما عند الله تعالى من الثواب والجنة أبقى وأدوم [7] مما في الدنيا أفلا تعقلون خير الأمرين فتطلبوه، وشر الأمرين فتتركوه.

---

[1]) (جبي) جبى الخراج والماء يجباه ويجبيه جمعه. لسان العرب مادة(جبى) ١٤ / ١٢٨، العين ١ / ٤٩٣.

[2]) أهل زيادة من النسخة (ب).

[3]) ذكره البغوي عن ابن عباس بمعناه. ص٩٨٥.

[4]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٢٩٢/١٨، بحر العلوم ٥٢٢/٢، الكشاف ٥١٧/٤.

[5]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٣، الطبري ٢٩١/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ومجاهد وعطاء ٢٩٩٧/٩، بحر العلوم ٥٢٢/٢، الكشف والبيان ٥٤٥/٤، النكت والعيون ٢٦١/٤.

[6]) معاني القرآن للفراء ٣٠٩/٢، المحرر الوجيز بمعناه ٢٩٣/٤، تفسير البيضاوي ١٨٢/٢، زاد المسير٨٥/٣ ، روح المعاني ٢٣٤/١٨، تفسير النسفي ٥٠/٣.

[7]) تفسير مقاتل ٥٠٢/٢، بحر العلوم ٥٢٢/٢، البغوي بنحوه ص٩٨٥، البحر ١٢٢/٧.

قوله عز وجل : ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[٦١] استفهام بمعنى التقرير[١] ومعناه: كيف يستوي حال من وعدناه الثواب والجنة [٢] في الآخرة فهو لاقيه، وحال من متعناه بعرض الدنيا، ثم هو يوم القيامة من المحضرين في العذاب؟

قوله / عز وجل :﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ۝ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ۝ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾[٦٢-٦٣-٦٤]

٤٥٣/ ب

معناه: واذكروا يوم يُنادي الكفار وهو يوم القيامة، فيقول: أين شركائي في قولكم ؟ وليس لله شريك، ولكن خرج هذا الكلام على ما كانوا يلفظون به فيقولون هؤلاء شركاء الله.

وقوله تعالى :(قال الذين حق عليهم القول) معناه: الذين وجب عليهم وعيد[٣] وعيد[٣] العقاب قالوا: يا ربنا هؤلاء الذين أغوينا ـ يعنون سفلتهم ـ أضللناهم كما كنا ضالين. وقوله تعالى: (تبرأنا إليك) أي: تبرأنا بجملتنا إليك من الضلالة [والإضلال][٤] ما كانوا يعبدوننا بإكراه من جهتنا [٥]، ويقال: ما كانوا يعبدوننا بحجة ولا استحقاق [٦].

وقوله :(وقيل ادعوا شركاءكم) معناه: أنه يقال لستم تُسألون عن الإغواء والغواية، ولكن ادعوا [٧] آلهتكم حتى تدفعوا [٨] عنكم عذاب الله، فدعوهم فلم فلم يستجيبوا لهم بدفع العذاب عنهم، و رأوا كلهم القادة والسفلة العذاب.

---

[١]) الاستفهام التقريري: هو توقيف المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه. نحو قوله تعالى: " أأنت قلت للناس اتخذوني " . الجنى الداني في حروف المعاني ص ٣.

[٢]) ذكر مقاتل: أي الجنة. ٥٠٣/٢، وورد في النكت والعيون عن السدي: الوعد الحسن الجنة. وعن الضحاك: النصر في الدنيا والجنة في الآخرة. ٤ / ٢٦١، وعند البغوي الجنة. ص٩٨٥، وفي تفسير ابن كثير: الثواب. ٤٨٥/٣.

[٣]) في (ب) وعد.

[٤]) زيادة من النسخة (ب).

[٥]) بحر العلوم بمعناه ٥٢٣/٢، الكشاف ٥١٩/٤.

[٦]) لم أقف عليه.

[٧]) في (ب) أذ.

[٨]) هكذا في الأصل.

وقوله تعالى : (لو أنهم كانوا يهتدون) محذوف الجواب، معناه: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لما رأوا العذاب[١].

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ۞ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاء يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءلُونَ۞ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [٦٥-٦٦-٦٧]

معناه: واذكر يوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم المرسلين عما دعوكم إليه في الدنيا؟ فالتبست عليهم الأجوبة يومئذ فلم يدروا ماذا يقولون من الفزع والتحيّر، فهم لا يسأل بعضهم بعضًا في تلك الساعة لردّ الجواب [٢] ، ويقال: لا يسأل أحد أحدًا أن يبذل له طاعة أو يتحمل عنه معصية [٣]، ولا يسأل أحد عن حال أحد لاشتغال كل واحد منهم بنفسه [٤].

وقوله تعالى: (فأما من تاب) معناه: من تاب من الشرك وصدق بالله تعالى وبمحمد ﷺ وعمل صالحًا فيما بينه وبين ربه؛ فسيكون في الآخرة من الفائزين بالثواب الناجين من العذاب. والعمل الصالح ما يكون مفعولا على موجب الشريعة [٥]، وإنما أخره عن الإيمان [لأن العمل][٦] لا يكون صالحًا إلا بعد تقدم الإيمان.

قوله عز وجل : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ۞ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [٦٨-٦٩] وذلك أن الوليد بن المغيرةَ [٧] كان يقول:

---

[١]) تفسير مقاتل ٥٠٣/٢، معاني القرآن للزجاج ١٥١/٤، تأويلات أهل السنة ١٨٨/٨، البغوي ص ٩٨٥، الكشاف ٥١٩/٤، البحر ١٢٣/٧.

[٢]) تفسير مقاتل بمعناه ٥٠٣/٢، بحر العلوم بمعناه ٥٢٣/٢، النكت والعيون بنحوه ٢٦٢/٤، البحر ١٢٤/٧.

[٣]) النكت والعيون ٢٦٢/٤.

[٤]) مشكل ابن قتيبة ص ٤٧.

[٥]) وهو مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله ، وجاء المؤلف بشرطه الآخر وهو الإخلاص لله عز وجل بلفظ الإيمان، فهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن مقتضاها إخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به وهو الإيمان.

[٦]) زيادة من النسخة (ب).

[٧]) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها.يقال له " العدل " لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو " البيت "جميعها والوليد يكسوه وحده، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد.كان ممن

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١]. يعني نفسه وأبا مسعود الثقفي[٢] فأنزل الله قوله تعالىً :َ

(وربك يخلق ما يشاء ويختار)[٣] أي: ما يشاء أن يخلقه ويختار من توجب[٤] الحكمة اختاره[٥].

وقوله تعالى : (ما كان لهم الخيرة) ابتداء كلام بمعنى النفي يقول: ليس لهم أن يختاروا على الله تعالى من يصلح للنبوة[٦]، ولا اختيار لأحد على اختيار الله تعالى ، ومن قرأ ويختار ما كان لهم الخيرة[٧] من غير أن يقف على قوله: ويختار، جعل ما في معنى: الذي ، كأنه قال: ويختار الذي لهم الخيرة ، أي: يصنع بهم ما هو أصلح لهم[٨].

حرم الخمر في الجاهلية، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، ونزل فيه آيات من القرآن ،هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. قال أبو الفرج صاحب " الأغاني " : إنه لما مات الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أرخت قريش بوفاته مدة؛ لإعظامها إياه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٤١٥، الأعلام للزركلي ٨ / ١٢٢، المحبر ١ / ٢٣٧، الوافي بالوفيات ٦ / ٣٥٨.

[١]) سورة الزخرف: [٣١].

[٢]) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك الثقفي. أبو مسعود وقيل: أبو يعفور، كان أحد الأكابر من قومه، وكانت له اليد البيضاء في تقرير صلح الحديبية، كان إسلامه عند منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف، ولما أسلم رجع إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام ونصحهم فعصوه، ورماه رجل منهم بسهم فقتله كان يشبه عيسى بن مريم عليه السلام كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٢٤٩، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٣٢٨، الوافي بالوفيات ٦ / ٣٥٨.

[٣]) تفسير مقاتل ٥٠٣/٢، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول. ص٣٩٢، بحر العلوم ٥٢٤/٢، النكت والعيون ٢٦٣/٤، البغوي ص٩٨٦، الكشاف ٥٢٠/٤. وهو عندهم بلا إسناد، فلم يمكنني الحكم عليه ، وهو عندي أشبه بمناسبة الآية وبيان معناها، والله أعلم.

[٤]) في (ب) بالتحتية (يوجب).

[٥]) هكذا في الأصل ولعله تصحيف(اختياره).

[٦]) بأن تكون (ما) للنفي. معاني القرآن للزجاج ١٥٢/٤، تأويلات أهل السنة ١٩٠/٨، بحر العلوم ٥٢٤/٢، الكشف والبيان ٥٤٧/٤ ، النكت والعيون ٢٦٣/٤، البغوي ص٩٨٦، الدر المصون ٣٣٥/١١.

[٧]) لم أهتد لمن هذه القراءة ولا من قرأ بها.

[٨]) بأن تكون (ما) للإثبات. معاني القرآن للزجاج١٥٢/٤، تأويلات أهل السنة ١٩٠/٨، بحر العلوم ٥٢٤/٢، الكشف والبيان ٥٤٧/٤، النكت والعيون ٢٦٣/٤، الدر المصون ٣٣٥/١١.

وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾[٦٨] كلمة تنزيه [١] عن جميع مالا يليق بصفاته، وليس في ألفاظ التنزيه لفظ أبلغ منه.

وقوله تعالى : (عما يشركون) أي: جلّ وتعظم عن أن يكون له شريك، (وربك يعلم ما تكن صدورهم) أي: ما تضمر قلوبهم من العداوة لك وما يعلنون من تكذيبهم إياك[٢].

قوله عز وجل : ﴿وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٧٠] معناه: وهو المَستَحق للإلوهية لا إله غيره ، له الحمد في الأولى والآخرة يستحقه في الدارين على خلقه [٣]. وذلك أن الحمد إنما يستحقه على النعمة [٤] ، والنعم كلها من الله تعالى كما قال عز وجل : ﴿وَمَا ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [٥].

وقوله تعالى: (وله الحكم) أي: له الحكم في الأولى والآخرة، فحكمه في الأولى أن لا يتجاوز أحد حدًا من حدوده [٦].

وحكمه في الآخرة أن لا يملك أحد فيها حكمًا [٧].

وقوله تعالى : (وإليه ترجعون) أي: إلى موضع جزائه تردون.

قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلاَ تَسْمَعُونَ﴾[٧١] معناه: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم أخبروني إن جعل الله تعالى عليكم الليل دائما أبدًا[٨] إلى يوم القيامة، من إله سوى الله يأتيكم بنهار مُضيء تتصرفون فيه؟! أفلا تسمعون سماع الانتفاع والنظر والاستدلال. ٤٥٣/أ

---

[١]) الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٧٧.

[٢]) ذكر في الكشاف معنى أوله ٥٢٠/٤.

[٣]) تفسير مقاتل بمعناه.٥٠٤/٢، بحر العلوم ٥٢٤/٢، البغوي بمعناه ص٩٨٦.

[٤]) الحمد إنما يستحقه على النعمة ، وعلى غير النعمة أيضًا ، فهو الثناء باللسان على النعمة ، و على ما ليس بنعمة من الجميل. وهذا هو الفارق بينه وبين الشكر، فالشكر لا يكون إلا على النعمة. تحقيق شرح العقيدة الواسطية للهرّاس ١ / ١٨، أسماء الله الحسنى ، د: محمود الرضواني

[٥]) سورة النحل: [٥٣].

[٦]) لم أقف عليه.

[٧]) تأويلات أهل السنة بمعناه ١٩١/٨.

[٨]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٣، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وعن مجاهد بلفظ:دائمًا لا ينقطع. ٣٠٤/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهما وعن قتادة ٣٠٠٢/٩، بحر العلوم ٥٢٤/٢ ، الكشف والبيان ٥٤٨/٤.

قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٧٢] معناه: قل لهم إن جعل الله عليكم النهار دائمًا إلى يوم القيامة، من إله سوى الله يأتيكم بليل تستقرون فيه وتستريحون من التعب والنصب؟! أفلا تبصرون أدلة الله تعالى!.

قوله عز وجل :﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٧٣] معناه: و من نعمته عليكم أن خلق لكم الليل والنهار؛ لتستريحوا ليلاً ولتبصروا نهارًا؛لكي تشكروا ربّ هذه النعم فتوحدوه.

قوله عز وجل :﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ۝وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٧٤-٧٥] قيل في فائدة تكرار هذا النداء: إن النداء الأول للتقرير بإقرارهم على أنفسهم بالغّي الذي كانوا عليه ودعوا إليه [١]، والدعاء الثاني للتعجيز عن إقامة البرهان [٢]. وقيل: إنهما تقريع بالإشراك بعد تقريع [٣]. وقوله تعالى : (ونزعنا من كل أمة شهيدًا) أي: نبيًا [٤] شهيدًا عليهم كما قال جل وعز: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ [٥].

وقال بعضهم ـ رحمهم الله ـ: أراد بالشهداء العدول من كل أمة [٦]، وذلك أن الله تعالى لا يخلي عصرا من الأعصار من عدول يرجع إليهم في أمر الدين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وقوله : (فقلنا هاتوا برهانكم) أي: قلنا للمشهود عليهم هاتوا حجتكم[٧]؛ فعلموا أن الحق لله فيضل عنهم افتراؤهم على الله تعالى.

---

١) تأويلات أهل السنة بلفظ: لزوم الحجة لما مكنوا من الاستماع والسماع، وإن كانوا لا يستمعون إليها. ١٩٣/٨، الكشاف بمعناه ٥٢٢/٤.

٢) لم أقف عليه.

٣) قال البغوي: كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة التقريع والتوبيخ. ص ٩٨٦، تفسير ابن كثير بنحوه. ٤٨٧/٣.

٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة وعن مجاهد: رسولاً ٣٠٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٥٣/٤، بحر العلوم ٥٢٤/٢، النكت والعيون ٢٦٣/٤، المحرر الوجيز ٢٩٧/٤.

٥) سورة النحل: [٨٩].

٦) المحرر الوجيز نقلا عن الرماني ٢٩٧/٤، البحر ١٢٦/٧.

٧) تفسير مقاتل ٥٠٥/٢، وانظر الطبري ٣١٠/١٨، بحر العلوم ٥٢٤/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي العالية وقال: روي عن مجاهد والسدي نحو ذلك ٣٠٠٥/٩.

قوله عز وجل : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۝ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٧٦-٧٧]

قال أكثرَ المفسرين ـ رحمهم الله ـ : كان قارون ابن عم موسى عليه السلام من بني إسرائيل [١] وكان من العلماء بالتوراة [٢].

وقال بعضهم : كان ابن أخته [٣]. وقوله تعالى : (فبغى عليهم) أي: تطاول على موسى وهارون عليهما السلام وقومهما. والبغي في اللغة: طلب الغلو بغير الحق[٤]، ومنه يقال: لولاة الجور بُغاة. وكان سبب بغي قارون أنه لما كثر ماله؛ قال: إن موسى عليه السلام فاز بالنبوة والرسالة ، وهارون ـ عليه السلام ـ فاز بالقرابين والذبائح، ولست على شيء من هذا لا أرضى بهذا، ثم جعل يستخف بفقراء بني إسرائيل وأهل العلم منهم [٥]. وقوله تعالى : (وآتيناه (وآتيناه من الكنوز) معناه: وأعطيناه من الأموال المجموعة [٦] ما إن مفاتحه. مفاتحه. قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما: أراد بالمفاتح: الخزائن،

---

[١]) اختلف في قرابته من موسى فأخرج الطبري في تفسيره هذا القول عن ابن جريج وقتادة وإبراهيم ومالك بن دينار ٣١٠/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن جبير وجمع من التابعين ٣٠٠٥/٩، النكت والعيون ٢٦٤/٤، المحرر الوجيز ٢٩٨/٤.

[٢]) تأويلات أهل السنة ١٩٨/٨، بحر العلوم بنحوه ٥٢٧/٢، الكشف والبيان بنحوه ٥٤٩/٤ ، البغوي ص٩٨٦، الكشاف ٥٢٢/٤. وهذا مما لا دليل عليه ، يثبت صحته.

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن إسحاق أن موسى ابن أخي قارون. ٣١٠/١٨، وكذا في الكشف والبيان ٥٤٩/٤ ، ولم يرد في النصوص الصحيحة تحديد القرابة بينهما، فلا داع للتكلف في معرفة ذلك.

[٤]) (ب غ ي) البغي: التعدي، وبغى عليه استطال وبابه رمى، وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي، بغت السماء: اشتد مطرها. وبغى الجرح: ورم وترامى إلى فساد. وبغى الوالي: ظلم. لسان العرب مادة(بغي) ١ / ٢٤، الصحاح للجوهري ١ / ٤٩، مختار الصحاح مادة(بغي) ص ٢٤.

[٥]) تأويلات أهل السنة بنحوه ١٩٦/٨، بحر العلوم ٥٢٥/٢، البحر بنحوه ١٢٦/٧، معاني القرآن للفراء بأوجز منه ٣١٠/٢.

[٦]) الوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٠٣.

كانت خزائنه تثقل بالجماعة ذوي القوة إذا حملوها [١]. قال: وكانت خزائنه أربعمائة ألف فكان يحملها أربعون رجلاً كل رجل منهم عشرة آلاف[٢].

وقال غيره ـ رضي الله عنه ـ أراد بالمفاتح المفاتيح [٣] ، والمفاتيح هاهنا: جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح [٤] ، فأما المفتح بفتح الميم فهو: الخزانة وجمعه المفاتح أيضًا [٥] ، وأما المفتاح فيجمع مفاتيح ، ويجوز أن تكون المفاتح: جمع المفتاح، وأصله المفاتيح فحذف منه أحد الحرفين كما يقال في جمع الفرفر: فرافير ، وفرافر بمعنى واحد، وإذا أريد بالمفاتح: مفاتيح الأقفال كان قوله تعالى: (لتنوء بالعصبة أولي القوة) يعني: لتميل بالعصبة ذي القوة[٦]. والعصبة هي: الجماعة الملتفة التي تتعصب بعضهم لبعض[٧].

قيل: كانوا عشرة [٨]. كما قال عز وجل في قصة يوسف:

---

[١]) اختلف في معنى المفاتح فمنهم من قال: إنها الخزائن أخرج ذلك الطبري عن أبي صالح والضحاك بلفظ: أوعيته.٣١٤/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي رزين والسدي والضحاك نحوه ٣٠٠٧/٩، بحر العلوم ٥٢٦/٢ . ومنهم من قال هي المفتاح كما سيأتي.

[٢]) بحر العلوم ٥٢٦/٢. ذكر الله عز وجل عن مفاتح خزائن قارون أن مفاتح هذه الخزائن يثقل بحملها العصبة من الرجال ، والعصبة دون العشرة ، ولم يرد في السنة أنه كان يحمل هذه المفاتح أو خزائنها أربعون رجلا ، والظاهر أن هذا من أخبار بني إسرائيل التي لا تصح.

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن خيثمة ومجاهد ٣١٢/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن خيثمة ومجاهد ٣٠٠٩/٩، بحر العلوم ٥٢٦/٢، الكشف والبيان ٥٤٩/٤، النكت والعيون ٢٦٦/٤، قاله قتادة ومجاهد وجماعة ، المحرر الوجيز ٢٩٩/٤.

[٤]) لسان العرب ٥٣٦/٢ مادة (فتح).

[٥]) قاله الفراء في معاني القرآن ٣١٠/٢ ، تهذيب اللغة مادة(فتح) ٢ / ٨١، لسان العرب مادة(فتح) ٢ / ٥٣٦، تاج العروس مادة(فتح) ٧ / ٥ ، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٢٨.

[٦]) مشكل ابن قتيبة ص ١٣٠، غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٣، الكشف والبيان ٥٤٩/٤، النكت والعيون عن الربيع بن أنس ٢٦٦/٤، قال البغوي: قال أبو عبيدة: هذا من المقلوب. ص٩٨٧، الكشاف ٥٢٣/٤، التبيان للعكبري ١٨٠/٢.

[٧]) تأويلات أهل السنة ١٩٧/٨، النكت والعيون ٢٦٦/٤، الفائق في غريب الحديث ٢ /٣٨٧، معجم مقاييس اللغة مادة(عصب). ٤/ ٣٤٠.

[٨]) أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس قال: العصبة: ما بين الثلاثة إلى العشرة.٣١٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٥٥/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عدة روايات مختلفة العدد تتراوح مابين سبعين رجلا إلى ستة أو سبعة. ٣٠٠٩/٩، وذكر في بحر العلوم عن مقاتل العصبة من العشرة إلى أربعين. ٥٢٦/٢، الكشف والبيان ٥٥٠/٤، النكت والعيون عن الكلبي ومقاتل ٢٦٦/٤، البغوي ص٩٨٧.

﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[1]. وكانوا إخوة يوسف عليه السلام عشرة ، وقيل: أراد بالعصبة في هذا الموضع ثلاثة [2]، ولا يمتنع أن تبلغ مفاتيح الأقفال عددًا تنوء بالعصبة؛ لأن المفاتيح تشتمل على مفاتيح الدور، والبيوت، والصناديق فيبلغ مبلغًا يشق على الجماعة حملها [3]، فإن قيل: كيف قال تنوء بالعصبة، وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح؟ / أي: تثقل في حملها، ومنه أخذت الأنواء[4]؛ لأنها تنهض من المشرف على ثقل نهوضها، قيل: مثل هذا شائع في الكلام، كما يقال: عرضت الناقة على الحوض أو النهر، وإنما يعرض الماء على الناقة ولا تعرض الناقة على الماء[5] ، ويجوز أن يكون المراد بقوله تعالى : : (تنوء بالعصبة) تنوء العصبة أي: بثقلها [6] ، يقال: ناء بالشيء و أناه بمعنى واحد.

٤٥٤/ب

وناء بفلان الحمل و أناه: إذا أثقله، كما يقال: ذهب به وأذهبه [7].

---

[1]) سورة يوسف: [٨].

[2]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٣١٦/١٨، ذكر في النكت والعيون عن عبدالرحمن ابن زيد مابين الثلاثة والتسعة، وهم النفر ٢٦٦/٤، المحرر الوجيز عن ابن عباس ٢٩٩/٤، والأشهر أنه من الثلاثة إلى العشرة.

[3]) معاني القرآن للفراء ٣١٠/٢، النكت والعيون عن أبي عبيدة ٢٦٦/٤، الكشف والبيان ٥٥٠/٤.

[4]) الأنواء : نجوم الأمطار، قال أبو عبيد: الأنواء، ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمى. وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لابد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا والدبران و... وإنما سمي نوءا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءا، أي: نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به. انظر: = = الفائق في غريب الحديث. ٢ / ٣٨٧، كشف المشكل من حديث الصحيحين ١ / ٤٧٠، تهذيب اللغة مادة (ناء) ٥ / ٢٣٢.

[5]) أخرجه الطبري في تفسيره عن بعض أهل البصرة. ٣١٧/١٨، الكشف والبيان ٥٥٠/٤، المحرر الوجيز ٢٩٨/٤، معاني القرآن للفراء ٣١٠/٢، والقائل بهذا القول أبو عبيدة في مجاز القرآن ١١٠/٢.

[6]) ذكره الطبري ٣١٤/١٨، الكشف والبيان ٥٥٠/٤، النكت والعيون عن ابن عباس وأبو صالح والسدي ٢٦٦/٤، الكشف والبيان ٥٥٠/٤، مجاز القرآن١١٠/٢.

[7]) (نوأ) ناء بحمله ينوء نوءا وتنواء: نهض بجهد ومشقة، وقيل: أثقل فسقط فهو من الأضداد. ويقال: ناء بالحمل إذا نهض به مثقلا، وناء به الحمل إذا أثقله وأماله، كما يقال: ذهب به وأذهبه. غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٣، معاني القرآن للزجاج ١٥٥/٤، لسان العرب مادة(نوأ) ١/ ١٧٤، المحيط في اللغة ٢ / ٤٧٧، الدر المصون ٣٣٨/١١.

والكنز في اللغة: اسم للمال الذي يجمع بعضه على بعض. وإذا أطلق أريد به ما يخبأ تحت الأرض[١]، وفي اسم الدين عبارة عن المال الذي لم تخرج زكاته؛ وذلك للوعيد الذي جاء في القرآن [٢].

وقوله تعالى: (إذ قال له قومه لا تفرح) أي: قالوا له قومه لا تفرح بالكنوز والمال إن الله لا يحب الأشرين[٣] بالمال. والفرح إذا أطلق أريد به المرح الذي يخرج إلى البطر[٤]. ولذلك قال: (لا يحب الفرحين) فأما ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾[٥]، فهو فرح بهداية النفس وهو حسن جميل.

قال الشاعر[٦]:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب[٧]

واطلب فيما أعطاك الله تعالى *الجنة وثوابها[٨]، ولا تنس حظك[٩]

---

[١]) وقيل الكنز: اسم للمال إذا أحرز في وعاء ولما يحرز فيه، وقيل: الكنز المال المدفون وجمعه كنوز كنزه، وفي الحديث كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز. لسان العرب مادة(كنز) ٥ / ٤٠١. النهاية في غريب الحديث ٣١١/٧.

[٢]) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة التوبة :[٣٤]. وعن مقاتل: كل ما لم يعط حق الله تعالى منه ، فهو كنز ، وإن كان ظاهرًا. تفسير مقاتل ٤٥٢/٢.

[٣]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٣، تأويل مشكل القرآن ص٢٦٨، وأخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد بعدة ألفاظ منها: الأشرين البطرين البذخين. ٣٢١/١٨، تأويلات أهل السنة ١٩٧/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٣٠٠٩/٩، مشكل ابن قتيبة ٢٦٨.

[٤]) وذلك كقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾: [١٠] وفي سورة غافر: ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: [٧٥] الوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٥٩.

[٥]) سورة آل عمران: [١٧٠].

[٦]) هو: هدبة بن خشرم بن كرز القضاعي ثم الأسلمي، كان شاعرا فصيحا، وهو راوية الحطيئة، من أهل بادية الحجاز (بين تبوك والمدينة) كان بينه وبين زيادة بن زيد ملاحاة، وأهاج وزاد ذلك إلى أن قتل هدبة زيادة، ثم هرب وذلك في عهد معاوية، ثم طلب واقتيد منه. انظر: تاريخ دمشق ٣٤ / ٣٧٤، الأعلام للزركلي ٨ / ٧٨، إكمال الكمال ٢ / ٣٤٤، الوافي بالوفيات ٧ / ٤١٠.

[٧]) البيت من شواهد الثعلبي في الكشف والبيان ٥٥٠/٤ ، والكشاف ٥٢٣/٤، وابن الجوزي في زاد المسير٢٤١/٦، والشعر والشعراء للدينوري ١٤٨/١، ومعجم الشعراء ١٤٤/١، والكامل في اللغة والأدب ٣٢٥/١.

[٨]) تفسير مقاتل ٥٠٥/٢، النكت والعيون ٢٦٧/٤، البغوي ص٩٨٧.

[٩]) كتب في حاشية الأصل: من الدنيا.

وهو التزود للآخرة [١] فإن الله جعل الدنيا مزرعة [٢]، وقيل في معنى*[٣] معنى*[٣] (ولا تنس نصيبك من الدنيا) انتفع بما أعطاك الله تعالى من الدنيا، الدنيا، وأحسن إلى الفقراء والمساكين كما أحسن الله تعالى إليك [٤]، ولا تعمل تعمل في الأرض بالمعاصي ومخالفة موسى عليه السلام، إن الله لا يحب المفسدين في الأرض.

قوله عز وجل : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٧٨] معناه: قال قارون: إنما أعطيت هذا المال على علم عندي بوجوه الاكتساب لا يعلمه أحد غيري [٥]. ويقال: أراد بقوله على علم عندي: أعطيت هذا المال: على فضل فضل علم عندي[٦]، كما روي أنه كان أقرأهم للتوراة [٧].

وقوله تعالى : (أولم يعلم) معناه: أولم يعلم هذا المسكين ـ الذي قد أعجبته نفسه وما ملك من الدنيا ـ أن الله تعالى قد أهلك من قبله من الأمم الماضية من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا للمال والخدم والحشم [٨].

وقوله تعالى : (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) معناه: لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم في الآخرة، فإنهم يُعرفون بسيماهم ويعرف الناس؛ سبب عقوبتهم بما يظهر الله تعالى عليهم من العلامة [٩]. ويقال في معناه: لا يسألون سؤال

---

[١]) انظر تفسير مقاتل ٥٠٥/٢، معاني القرآن للزجاج ١٥٥/٤، تأويلات أهل السنة ١٩٧/٨، الكشف والبيان ٥٥١/٤ ، النكت والعيون عن ابن عباس ٢٦٧/٤، و ذكر البغوي عن مجاهد وابن زيد: لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة. ص٩٨٧.

[٢]) كتب في حاشية الأصل: للآخرة.

[٣]) مابين النجمتين ساقط من (ب).

[٤]) الكشاف بنحوه ٥٢٣/٤، البغوي ص ٩٨٧، المحرر الوجيز ٢٩٩/٤، البحر ١٢٨/٧.

[٥]) وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة نحوه ٣٠١٣/٩، الكشف والبيان ٥٥١/٤ ، النكت والعيون ٢٦٨/٤، البغوي بنحوه ص٩٨٧، الكشاف ٥٢٤/٤، المحرر الوجيز ٣٠٠/٤.

[٦]) تفسير مقاتل بمعناه ٥٠٥/٢، الكشف والبيان ٥٥١/٤ ، النكت والعيون عن قتادة ٢٦٨/٤، الكشاف ٥٢٤/٤، المحرر الوجيز ٣٠٠/٤.

[٧]) تقدم هذا الأثر قبل عدة آيات انظر ص ٢٥٤.

[٨]) الحشم: خدم الرجل ومن دون أهله من ولده وعياله ، وحشمة الرجل: خاصته الذين يغضبون له. العين ١ / ١٨٧، المحيط في اللغة ١ / ١٨٦، النهاية في غريب الأثر ١ / ٩٧٢.

[٩]) أخرج الطبري في تفسيره أوله عن مجاهد ٣٢٧/١٨، تأويلات أهل السنة ١٩٩/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٣٠١٣/٩، بحر العلوم عن الكلبي ٥٢٧/٢، الكشف والبيان ٥٥٢/٤،

الاختبار أفعلتم كذا؟ ليعلم ذلك من جهتهم، وإنما يساءلون سؤال التوبيخ والمناقشة [١]، ويقال في معناه: لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الماضية [٢].

قوله عز وجل : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٧٩] معناه: فخرج قارون على قومه في حشمه وزينته منَ الدواب، والثياب، والغلمان، والجواري، واللآلئ وسائر صنوف المال [٣] . روي عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: خرج قارون على بغلة [٤] شهباء[٥]، سرجها [٦] ذهب و مياثرها [٧] الأرجوان[٨] ومعه ألف جارية، على بغال شهب سروجهن الذهب ولباسهن أرجوان أحمر[١]. وقوله تعالى: (قال الذين يريدون الحياة

عن مجاهد: لا يسأل الملائكة عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم. البغوي ص٩٨٨، المحرر الوجيز ٣٠٠/٤.

١) وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الربيع بن أنس نحوه ٣٠١٣/٩، بحر العلوم ٥٢٧/٢، الكشف والبيان ٥٥٢/٤ ، البغوي عن الحسن. ص ٩٨٨، المحرر الوجيز ٣٠٠/٤.

٢) تفسير مقاتل ٥٠٦/٢، وذكر ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن جوابًا آخر هو: أنهم يسألون في مواطن، فإذا انتهت المسألة ووجبت الحجة لا يسألون. ص٣٧، وانظر تأويلات أهل السنة ١٩٩/٨، بحر العلوم عن مقاتل ٥٢٧/٢. ولا تعارض بين هذه الوجوه جميعها.

٣) وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عدة روايات في هذا المعنى ٣٠١٥/٩، الكشاف ٥٢٥/٤.

٤) البغل معروف وهو: المولد من بين الحمار والفرس والجمع : بغال. لسان العرب مادة(بغل) ١١ / ٦٠، تاج العروس مادة(بغل) ٢٨ / ٩٦.

٥) (شهب): الشين والهاء والباء أصل واحد يدل على بياض في شيء من سواد، لا تكون الشهبة خالصة بياضا. ومن ذلك الشهبة في الفرس هو: بياض يخالطه سواد. تاج العروس مادة (شهب) ٣ / ١٦٤ ، المعجم الوسيط ١ / ٤٩٧، معجم مقاييس اللغة ٣ / ٢٢٠.

٦) (سرج) السرج رحل الدابة معروف والجمع سروج وأسرجها إسراجا وضع عليها السرج. تهذيب اللغة مادة(سرج) ٣ / ٤٥٩، لسان العرب مادة(سرج) ٢ / ٢٩٧.

٧) الميثرة : ميثرة السرج والرحل يوطآن بها وميثرة الفرس .. وفي الحديث أنه نهى عن ميثرة الأرجوان، هي وطاء محشو يترك على رحل البعير تحت الراكب، والميثرة بالكسر: مفعلة من الوثارة. لسان العرب مادة (وثر) ٥ / ٢٧٨، تاج العروس مادة(وثر) ١٤ / ٣٤٦، النهاية في غريب الأثر ٥ / ٣٢٥.

٨) قال الزجاج الأرجوان: صبغ أحمر شديد الحمرة، وقال الجوهري: ويقال أيضًا: الأرجوان معرب وهو بالفارسية أرغوان: وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون، وكل لون يشبهه فهو أرجوان، و يقال: (أحمر أرجواني) أي: (قاني). تاج العروس مادة(رجو) ٣٨/ ١٢٧، النهاية في غريب الأثر ٢ / ٤٩٦.

الدنيا) أراد به: العوام الذين يرغبون في الدنيا ويتمنونها قالوا: (ياليت لنا)، وهذه كلمة تمن، أي: ليتنا أعطينا من المال مثل ما أعطي قارون إنه لذو نصيب وافر من الدنيا[٢].

قوله عز وجل : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[٨٠] معناه: وقال الذين أكرمهم اللهَ تعالى بالعلم والعمل عليه للراغبينَ في الدنيا: ارتدعوا عن مقالتكم، فإن ثواب الله تعالى في الآخرة لمن صدّق بالله تعالى وعمل صالحًا فيما بينه وبين الله تعالى، خير من الدنيا وما فيها ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون على طاعة الله عز وجل وعلى ما يصيبهم فيها.

قوله عز وجل : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾[٨١] / معناه: فخسفنا بقارون وبقصره الذي بناه عقوبة له على كفره، وذلك أنه لما أضاف النعم التي أعطاه الله تعالى إلى فعل نفسه وعلمه، ولم ينسبها إلى تسهيل الله تعالى ذلك عليه، وتمكينه إياه من تلك المكاسب صار كافرًا بنعم الله تعالى، والكفر بنعم الله تعالى كفر بالله تعالى[٣]. ١/٣٥٤أ

وقيل في سبب خسفه: أنه لما حسد موسى وهارون عليهما السلام وضيق عليهما دعا امرأة ذات جمال معروفة بالفجور وجعل لها حكمها[٤]، إن هي جاءت على رأس الملأ و ادعت أن موسى عليه السلام راودها عن نفسها، فأجابته إلى ذلك ورجعت إلى بيتها فألهمها [الله][٥] تعالى التوبة، قالت: إن

---

[١]) لم أجده بلفظه، ولكن ذكر مقاتل نحوه مع اختلاف عدد الجواري ٥٠٦/٢، وأخرج الطبري في تفسيره عدة روايات بهذا المعنى عن مجاهد وابن جريج والحسن وإبراهيم النخعي ٣٣١/١٨، بحر العلوم عن مقاتل نحوه ٥٢٧/٢، وكذا ذكر البغوي عن مقاتل نحوه، إلا أنه قال معه أربعة آلاف فارس، وثلاثمائة جارية. ص ٩٨٨.

[٢]) الطبري ٣٣٠/١٨، بحر العلوم ٥٢٧/٢، الكشاف ٥٢٥/٤.

[٣]) الكفر بنعم الله أو عدم شكرها ، من أنواع الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة، لكن الواجب على العبد أن يعلم أن كل النعم من الله ـ جل وعلا ـ وأن كمال التوحيد لا يكون إلا بإضافة كل نعمة إلى الله جل وعلا ـ وأن إضافة النعم إلى غير الله نقص في كمال التوحيد ، وهي شرك أصغر بالله ـ جل وعلا. انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ٢ / ١٣٤.

[٤]) لعله أراد عتقها إذا كانت مملوكة ، فإنه من معاني حكم، قال الأزهري: والمحكم: الذي يحكم في نفسه. ويقال: حكمت فلانًا أي: أطلقت يده فيما يشاء. تهذيب اللغة مادة(حكم) ١ / ٤٧٧، لسان العرب مادة(حكم) ١٢ / ١٤٠ وذكر أهل التفسير أن قارون جعل لها جُعلاً.

[٥]) زيادة من النسخة (ب).

هذا الموضع الذي أذهب إليه أجود من موضع للتوبة ، ثم إن قارون عقد مجلسًا واستحضر فيه الخاص والعام وأرسل إليها حتى أحضرها، فقال لموسى عليه السلام: ما تقول فيمن زنا وفيمن سرق؟ فجعل موسى عليه السلام يذكر عقوبة الزاني والسارق فقال قارون: على كل من كان ؟ وإن كنت أنت؟ فقال موسى عليه السلام : وإن كنت أنا. فالتفت قارون إلى المرأة فقال لها: ما تقولين؟ فقالت: يا أيها الملأ إن قارون جعل لي حكمي إن ادعيت على موسى عليه السلام الفاحشة، وأنا أبرأ إلى الله تعالى من ذلك، وقد تبت من كل فاحشة. فافتضح قارون، وحزن موسى عليه السلام، فخر ساجدًا لله تعالى يبكي، فأوحى إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فمرها بما شئت فقال موسى للأرض: يا أرض خذيه، فأخذته إلى كعبيه [١]، ثم قال: يا أرض خذيه، فأخذته إلى ركبتيه، ثم قال: يا أرض خذيه، فأخذته إلى حقويه [٢]، ثم قال: خذيه، فأخذته إلى عنقه، ثم قال: خذيه، فغيبته الأرض، وكان قارون يتضرع في ذلك إلى موسى، فلم يسمع تضرعه، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى، لو استغاث بي كما استغاث بك لأغثته ، هكذا روي في التفاسير [٣].

وقد اختلفوا في [وقت][٤] خسف داره وأمواله، قال بعضهم: إنها خسفت معه [٥]، و قال بعضهم ـ رحمهم الله ـ : لما خسف بقارون فقالت بنو إسرائيل:

---

[١]) الكعب: كل مفصل للعظام، وكعب الإنسان ما أشرف فوق رسغه عند قدمه، وقيل: هو العظم الناشز فوق قدمه، وقيل: هو العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم، وقيل: الكعبان : العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم عن الجنبين. النهاية في غريب الأثر ٤ / ٣٣٠، لسان العرب مادة(كعب) ١ / ٧١٧، معجم مقاييس اللغة ١٨٦/٥.

[٢]) (حقو): الحاء والقاف والحرف المعتل أصل واحد، وهو بعض أعضاء البدن. فالحقو: الخصر ومشد الإزار، والجميع: الأحقاء. العين ١ / ٢٢٣، لسان العرب مادة(حقا) ١٤ / ١٨٩، معجم مقاييس اللغة ٢ / ٧١.

[٣]) أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس نحوه ٣٣٢/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه وعن السدي ٣٠١٧/٩، بحر العلوم بنحوه ٥٢٦/٢، الكشف والبيان بأطول من هذا. ٥٥٥/٤، الكشاف ٥٢٧/٤، وأخرجه الحاكم في مستدركه مختصرًا من حديث عبد الله بن الحارث عن ابن عباس. ١٩٣/٨. وهذه القصة الطويلة التي ترويها كتب التفاسير من الأخبار التي لا يصح سندها ، بل الغالب عليها أنها من الإسرائيليات التي يجب تركها وعدم الاشتغال بها ، فالدخول في تفاصيل القصص لا فائدة منه، إذا لم تفصله آيات الكتاب والسنة.

[٤]) زيادة من النسخة (ب).

[٥]) لم أقف عليه.

إسرائيل: أراد موسى عليه السلام أن يستخلص ماله لنفسه، فخسف الله تعالى بداره وأمواله، بعد ما خسف به [١]. ثلاثة أيام فهو يتجلجل[٢] في الأرض بماله كل يوم قامة لا يبلغ أسفلها إلى يوم القيامة [٣].

قوله عز وجل : (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) معناه: فما كان لقارون من جند وجماعة يمنعونه من عذاب الله تعالى، وما كان هو ممن يقدر على الامتناع منه بنفسه، لم ينتصر ولا وجد أحد ينصره، ولم يكن الأمر على ما قدره من امتناعه بحاشيته من جنده ـ الذين كان أعتزل[٤] بهم لكثرتهم ـحتى تمرّد في طغيانه [٥]. والفئة: الجماعة الجماعة المنقطعة إلى أمر يجتمع عليه، من قولهم فأوت رأس فلان بالسيف إذا قطعته، وتصغيرها فيئة [٦].

قوله عز وجل : ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ۞ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٨٢–٨٣] معناه: وأصبح الذين تمنوا منزلته وماله بالأمس حين رأوه في زينته يقول بعضهم لبعض بعد ما خسف به يقولون: و يكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده. وهذه كلمة تنبيه ومعناها: أما ترون [٧] أن الله يبسط الرزق لمن

---

[١]) تفسير مقاتل ٥٠٧/٢، البغوي بنحوه ص ٩٨٩.

[٢]) في الأصل يتخلخل.

[٣]) تفسير مقاتل ٥٠٧/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن جريج ومالك بن دينار وقتادة ٣٣٧/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سمرة بن جندب وعن قتادة نحوه ٣٠٢٠/٩، بحر العلوم ٥٢٧/٢، الكشف والبيان ٥٥٥/٤ ، النكت والعيون ٢٧٠/٤.

[٤]) هكذا كتبت في النسخ ، والصحيح أعتز بهم، لمناسبة معنى الكلام.

[٥]) انظر الطبري ٣٣٨/١٨، بحر العلوم بأوجز منه ٥٢٧/٢، تفسير ابن كثير بمعناه. ٤٩٠/٣.

[٦]) (فأي) فأوته بالعصا: ضربته، عن ابن الأعرابي قال الليث: فأوت رأسه فأوا وفأيته فأيا: إذا فلقته بالسيف، والانفياء في كل شيء: الانفراج. ومنه الفئة: للطائفة من الناس، والجميع الفئون ، والفأو الصدع في الجبل ، وتفاءى ما بينهم: أي فسد. انظر: وانظر الطبري ٣٣٨/١٨، لسان العرب مادة(فأي) ١٥ / ١٤٤، المحيط في اللغة ٢ / ٤٨١، المحرر الوجيز ٣٠١/٤.

[٧]) اختلف في معنى ويكأن فروي عن قتادة فيها قولان: ألم تر أنه ، والقول الآخر: أو لا يعلم أنه. مجاز القرآن ١١٢/٢، غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٤، تأويل مشكل القرآن عن قتادة والكسائي ص٢٨١، الطبري ٣٣٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٥٦/٤، تأويلات أهل السنة ٢٠٣/٨، ذكر في بحر العلوم عن الكسائي ٥٢٨/٢ ، ووافق أبو عبيدة قتادة في قول ألم تر أن الله. فتح الباري ٦٥٥/٨.

يشاء من عباده، ور بما يكون مكرا له مجازاة منه إيّاه على فعله كما كان لقارون ، ويضيق على من يشاء وذلك يكون نظرًا منه [١]. (لولا أن من الله علينا) أي: لو أعطانا من المال مثل ما أعطاه لخسف بنا ببغينا كما خسف به ببغيه، أما تعلمون أنه لا يفلح الكافرون.

قال الفراء[٢] في قوله تعالى: (ويكأن)عند العرب، تقرير كما يقال[٣] الرجل الرجل

للآخر: ألا ترى إلى صنع الله تعالى وإحسانه إلى عباده [٤]، ويحكى أن امرأة امرأة من العرب قال لها زوجها: أين ابنك؟ قالت : و يكأنه وراء هذا البيت، أرادت بذلك أما تراه وراء هذا البيت [٥]. وذهب بعض النحويين إلى أن قوله قوله و يكأنه بمنزلة قولك: ويلك اعلم، فحذف اللام وجعل أن مفتوحة على ضمير فعل، كأنه قال: ويلك اعلم أنه كذا وأنه كذا [٦].

وقال الزجاج [٧]: هذا / غلط؛ لأنه لو كان كما قالوا لكانت أن مكسورة، لأنك ٤٥٥/ب لأنك تقول: ويلك إنه قد كان كذا وإنه يكون كذا [٨]. وقال الخليل[٩] ويونس

---

١) لعله قصد بـ (نظرًا منه) أي: عن حكمة منه سبحانه ونظر، وتقدير للأمور، فمن الناس من لا يصلح له الغنى، والعكس.

٢) تقدمت ترجمته انظر ص١٨٨ .

٣) هكذا في الأصل والصحيح يقول.

٤) معاني القرآن للفراء ٣١٢/٢، الكشف والبيان ٥٥٦/٤، البغوي ص ٩٨٩، الدر المصون ٣٤٢/١١.

٥) معاني القرآن للفراء ٣١٢/٢، الكشف ٥٥٦/٤، البغوي ص ٩٨٩، الكشاف ٥٢٨/٤، البحر ١٣٠/٧.

٦) معاني القرآن للفراء ٣١٢/٢، معاني القرآن للزجاج ١٥٦/٤، الكشف والبيان عن قطرب ٥٥٦/٤، النكت والعيون عن ابن شجرة ٢٧٠/٤، المحررالوجيز ٣٠٢/٤، ذهب إلى ذلك الكسائي ويونس وأبو حاتم. الدر المصون ٣٤٢/١١، ذكر في أسرار التكرار للكرماني غير منسوب وضعفه ص ١٩٧، ونسب في التحرير لعمرو بن العلاء ١٧٨/٢٠

٧) تقدمت ترجمته انظر ص١٩١.

٨) قال الأستاذ أحمد و محمود شاكر في مقدمة تحقيق الطبري: والذي قاله الخليل وسيبويه من حيث اللفظ أقرب إلى الصواب، لأن الكلمة مركبة من ثلاثة أشياء: وي، والكاف، وأن. والذي قال الفراء من جهة المعنى حسن واضح. ١٩ / ٦٣٤.

٩) الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي: أبو عبدالرحمن البصري النحوي صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، أستاذ سيبويه، كان دينا، متواضعا، مفرط الذكاء، وثقة ابن حبان، عاش فقيرا صابرا. له كتاب العين، ومعاني الحروف، والعروض، والنقط والشكل وغيرها، ولد ومات في

ويونس [١] في معنى و يكأنه: أن وي مفصولة من كأن و وي تندم وتنبه، كما يقول الرجل للرجل: وي كأنك قصدت مكرا [٢]. وهي وكأن في هذا الموضع بمعنى: الظن أو العلم كأنه قال تعالى: إنهم لما رأوا الخسف انتبهوا وتكلموا على قدر علمهم، وقالوا: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامته عليه، ويضيق على من يشاء لا لهوانه عليه [٣].

وكتبت ويكأن متصلة كما كتبوا ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ [٤][٥].

وقال زيد بن عمرو بن نفيل[٦] :

سألتاني الطلاق إذا رأتياني

البصرة ولد سنة مئة، ومات سنة بضع وستين ومائة ، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٢٩، تهذيب الكمال ٨ / ٣٢٦، الأعلام للزركلي ٢ / ٣١٤.

[١]) يونس إمام النحو: هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي، مولاهم البصري،يعرف بالنحوي علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره، أعجمي الأصل، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة، من كتبه معاني القرآن و اللغات و النوادر و الأمثال ، أرخ خليفة بن خياط موته في سنة ثلاث وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ٨ / ١٩١، أخبار النحويين ١ / ٤، الأعلام للزركلي ٨ / ٢٦١.

[٢]) معاني القرآن للفراء ٣١٢/٢، وذكر هذا القول أيضًا عن ابن عباس ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص٢٨١، معاني القرآن للزجاج ١٥٧/٤، ونسب في تأويلات أهل السنة للزجاج ٢٠٣/٨= = ونقل في بحر العلوم عن الخليل وحسنه الزجاج ٥٢٨/٢، وهو قول الخليل لسؤال سأله الزجاج كما ورد في الكشف والبيان ٥٥٦/٤، الكشاف ٥٢٧/٤.

[٣]) رجح الطبري في تفسيره من هذه الأقوال قول قتادة: من أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، للشاهد الذي ذكرنا فيه من قول الشاعر، والرواية عن العرب؛ وأن "ويكأن" في خط المصحف حرف واحد. ومتى وجه ذلك إلى غير التأويل الذي ذكرنا عن قتادة، فإنه يصير حرفين، وذلك أنه إن وجه إلى قول من تأوله بمعنى: ويلك اعلم أن الله؛ وجب أن يفصل "ويك" من "أن" ، وذلك خلاف خط جميع المصاحف، مع فساده في العربية، لما ذكرنا. وإن وجه إلى قول من يقول: "وي" بمعنى التنبيه، ثم استأنف الكلام بكأن، وجب أن يفصل "وي" من "كأن" ، وذلك أيضًا خلاف خطوط المصاحف كلها.٣٤١/١٨.

[٤]) سورة طه : [٩٤].

[٥]) معاني القرآن للفراء ٣١٣/٢.

[٦]) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي: والد سعيد بن زيد، أحد العشرة وابن عم عمر بن الخطاب.ذكره البغوي وابن منده وغيرهما في الصحابة ، كان يحيي الموءودة، ويعيب على قريش ذبحهم لغير الله تعالى، روت عنه مولاته مارية، ومات قبل البعثة بخمس سنين ، أخرج البخاري من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: خرج زيد بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين فاتفق له علماء اليهود والنصارى على أن الدين دين إبراهيم ولم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا فقال - ورفع يديه -: اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم. انظر: سير أعلام النبلاء ١ / ١٣٤، الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٢١٤.

قل مالي قد حيتماني بنكر
ويكأن من يكن له نشيب[١] يحبب
ومن يفتقر يعش عيش ضر[٢].

وأما قوله: (تلك الدار) فالمراد به الجنة [٣]، نجعلها أي: نعدها للذين لا يريدون تكبرا في الأرض كما تكبر قارون بالمال، ولا فساد أي: عزما على معصية الله حتى يظهر ذلك بقول أو فعل. والعاقبة الحميدة للذين يتقون الكفر والعلو والفساد.

وعن أبي هريرة [٤] أنه قال: بينما رجل يتبختر في ثوبيه إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل[٥] فيها إلى يوم القيامة [٦]. وعن كعب ـ رضي الله عنه عنه ـ أنه قال: يحشر المتكبرون يوم القيامة كالذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يسلكون في النار ويسقون من طينة الخبال. قيل وما طينة الخبال ؟ قال: عصارة أهل النار[٧].

---

[١]) الصحيح نشب والنشب: من أسماء المال النشب والنشبة يقال: فلان ذو نشب وفلان ما له نشب، والنشب المال والعقار .. وانتشب فلان طعاما أي: جمعه واتخذ منه نشبا، ونقل عن أئمة الاشتقاق: أن النشب أكثر ما يستعمل في الأشياء الثابتة التي لا براح بها كالدور والضياع. لسان العرب مادة(نشب) ١ / ٧٥٦ ، المجموع المغيث مادة(نشب) ٢٩٧/٣.

[٢]) خزانة الأدب الكبرى للبغدادي ٣٩٨/٢، الأغاني لنبيه بن الحجاج ٢٨٣/١٧، لسان العرب مادة(نشب) ٧٥٦/١، وفي الجنى الداني غير منسوب ص٥٩ . واستشهد به على أن (وي) مفصولة، يوقف عليها، وإن كانت كتبت متصلة.

[٣]) تفسير مقاتل ٥٠٧/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة والسدي ٣٠٢٢/٩، بحر العلوم ٥٢٨/٢، الكشف والبيان ٥٥٦/٤.

[٤]) تقدمت ترجمته انظر ص٢٠٣.

[٥]) في الأصل يتخلخل. وهو بالتحتية، ومعناه تجلجل في الأرض، أي: ساخ فيها ودخل. قال ابن شميل: جلجلت الشيء جلجلة: إذا حركته حتى يكون للحركة صوت، وكل شيء تحرك فقد تجلجل.لسان العرب مادة(جلل)١١ / ١١٦، تهذيب اللغة مادة(جلجل) ٣ / ٤٣٩، والصحاح للجوهري ١ / ٩٥، المحكم والمحيط الأعظم ٣ / ٢٣٣.

[٦]) لم أجده بنصه، لكن الحديث بمعناه مخرج في الصحيحين أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء حديث رقم(٥٧٨٩)٣١٦/١٣، وأخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب/ تحريم التبختر في المشي، مع إعجابه بثيابه حديث رقم(...) ١٤ / ٥٥. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم(١٠٨٦٩)٥٠٥/١٦. وورد الحديث أيضًا في الصحيحين عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ حديث رقم(٥٧٩٠).

[٧]) روي هذا الحديث عن كعب ـ رضي الله عنه ـ موقوفا عليه، أخرجه عنه كلٌ من: البيهقي في الشعب (فصل في التواضع ، وترك الزهو...) ١٧ / ٢٢٤، وأخرجه السيوطي في الدر عن عبد بن

والمراد بالتكبر في هذه الأخبار: أن يكون التكبر لأمر يرجع إلى الدنيا، فأما ما يكون من ذلك لإزالة المنكر، أو إقامة حق من حقوق الله تعالى، فلا يكون ذلك من التكبر في شي، وإنما هو تمسك بالدين على مقتضى اليقين.

قوله عز وجل: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ [٨٤] معناه: منَ جاء بالحسنة فلهَ خير من ثوابها تفضلاً وَالله تَعالى ولي التفضل، ومن جاء بالسيئة [١] فلا يزاد في عقوبته على قدر الاستحقاق، فإن الزيادة على ذلك ظلم، والله تعالى منزه عن الظلم[٢].

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِين﴾ [٨٥] معناه: إن الذي فَرض عليكَ العمل بالقرآن لَرادك إلى بلدك وأرادَ بَه مكة [٣]، فإن معاد الرجل بلده لأنه ينصرف في البلاد، ثم يكون عوده إلى بلده [٤]، وقد تقدم أن هذه الآية إنما نزلت بالجحفة[٥] بين مكة والمدينة [١] وفيها دلالة نبوة محمد ﷺ حيث وجد مخبره

حميد كما في سورة الزمر ٨ / ٤٦٧، و أبو نعيم في الحلية ٢ / ٤٣٩، مع اختلاف يسير عن اللفظ الوارد معنا. وأصل هذا الحديث صحيح، رواه الترمذي مرفوعا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، كتاب/ صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب/٤٧. حديث رقم(٢٤٩٢) ٣٧٨/٣.

١) تقدم معنى الحسنة والسيئة في سورة النمل، انظر ص ٢٠٩.

٢) تنزيه القرآن عن المطاعن بنحوه ص٣١٢، وقال ابن عادل: والفرق بين الحسنات والسيئات: أنه إذا زاد في الحسنات يكون تفضلا، وذلك حسن ، وفيه ترغيب في الطاعة، وأما الزيادة على قدر الاستحقاق على السيئات فهو ظلم، والله منزه عنه. أهـ اللباب لابن عادل ٣١٣/١٠. فمن فضله سبحانه مضاعفة الحسنات، وكتابة الحسنة للعبد بمجرد الهم بها، والعكس في السيئة، فله الحمد.

٣) أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ٣٤٩/١٨، تأويلات أهل السنة ٢٠٥/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه وعن جمع من التابعين ٣٠٢٦/٩، بحر العلوم ٥٢٩/٢، الكشف والبيان ٥٥٧/٤، الكشاف ٥٣٠/٤.

٤) تأويل مشكل القرآن ص٢٤، البغوي عن ابن قتيبة ص٩٩٠.

٥)الجُحْفة : ميقات أهل الشام ومصر،واسمها قديمًا: مهيعة،سميت الجُحْفة؛ لأن السيل اجتحفها: أي حمل أهلها وجرفهم. كانت مدينة عامرة ومحطة من محطات الحاج بين الحرمين ، ثم تقهقرت في زمن لم نستطع تحديده؛ إلا أنه قبل القرن السادس ، وتوجد اليوم آثارها جنوب شرق مدينة رابغ بحوالي (٢٢) كيلا ، إذا خرجت من رابغ تؤم مكة كانت إلى يسارك ، بنت الحكومة السعودية بها مسجدًا يزوره بعض الحجاج. انظر: معجم البلدان ١ / ٤٧٥، أطلس الحديث النبوي ص١١٣، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٦٧، الجبال و الأمكنة و المياه. ص ٥.

على وفق خبره، ويقال: إن المراد بالمعاد في هذه الآية: يوم القيامة[٢]، كما يقول الرجل لصاحبه: اذكر معادك، أي: مبعثك.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ۝ وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٨٥- ٨٦-٨٧] معناه: وما كنت يا محمد ﷺ ترجو أن يوحى إليك القرآن، ولكن أوحى الله إليك فأكرمك بالنبوة نعمة منه عليك، فلا تكونن عونا للكافرين. والخطاب في هذا للنبي ﷺ والمراد به في آخر الآية غيره[٣]. وقوله تعالى : (ولا يصدنك) أي: ولا يصرفنك عن آيات الله في العمل بآيات الله بعد ما أنزلت إليك، وادع إلى طاعة الله تعالى ولا تكونن مع المشركين.

قوله عز وجل : ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٨٨] معناه: لا تعبد أحدًا سوى الله تعالى، ولا تدعَ أحدًا من الخلق إلى أحد من دون الله ، لا معبود للخلق سواه كل شيء هالك إلا وجهه: إلا ذاته [٤]، وهذا كما يقال: هذا وجه الأمر، وجاء من وجوه بني فلان يراد به الذات [٥]، وانتصبت قوله تعالى: (إلا وجهه) بالاستثناء كأنه قال: إلا

---

[١]) تفسير مقاتل ٥٠٨/٢، بحر العلوم ٥٢٩/٢، الكشف والبيان ٥٥٧/٤، النكت والعيون ٢٧٢/٤، البغوي ص٩٩٠ ، مشكل ابن قتيبة ص٢٤٠. قد يكون هناك نقص في بداية السورة ، حيث قال المؤلف هنا : وقد تقدم أن هذه الآية إنما نزلت بالجحفة ، فلعله ذكر بيانات السورة في صفحة مستقلة قد سقطت، مع أن تسلسل الترقيم لا يدل على نقص في الألواح. و هذا الاستثناء ليس عليه دليل صحيح ، وانظر أول سورة الشعراء ص ٩٨.

[٢]) وهو قول الحسن والزهري وعكرمة أخرجه الطبري في تفسيره ٣٤٨/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد والحسن ٣٠٢٦/٩، البغوي عن الزهري وعكرمة ص٩٩٠، وجمع ابن كثير في تفسيره بين الأقوال. ٤٩٣/٣، تأويل مشكل القرآن ص٢٤٠.

[٣]) تأويلات أهل السنة ٢٠٦/٨، عن ابن عباس: الخطاب فالظاهر للنبي، والمراد به أهل دينه ، أي لا تظاهروا الكفار ولا توافقوهم. البغوي ص٩٩٠.

[٤]) تفسير مقاتل بلفظ: إلا هو. ٥٠٩/٢ ، الطبري ٣٥٣/١٨، النكت والعيون عن الضحاك بلفظ: إلا هو. ٢٧٣/٤، تأويلات أهل السنة ٢٠٦/٨، الكشف والبيان عن مجاهد ٥٥٧/٤ ، تنزيه القرآن عن المطاعن بلفظ: إلا هو. ص٣١٢ ، البغوي٩٩١ ، الكشاف ٥٣١/٤، المحررالوجيز٣٠٤/٤، القرطبي ٣٣١/١٦. قال ابن القيم : وقال الأشعري في كتاب جمل المقالات: .. وأما الوجه فإن المعتزلة قالت فيه قولين: قال بعضهم وهو أبو الهذيل: وجه الله هو الله ، وقال غيره معنى قوله: " ويبقى وجه ربك " أي ويبقى ربك من غير أن يكون يثبت وجها، يقال: إنه هو الله ولا يقال ذلك فيه. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية. ص ٨٦.

[٥]) قال القاضي عبد الجبار تعليقا على آية سورة الرحمن في متشابه القرآن :" وأما قوله تعالى : (كل من عليها فان * ويبقى وجه) فلا يدل على إثبات وجه له ، تعالى عن قولهم ، وذلك لأن الوجه

إياه[١]. ولا شبهة في أن المراد بالوجه الذات؛ لأن من المحال أن يقال: لله تعالى أعضاء فيبقى الوجه ويفنى سائر الأعضاء، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا [٢].

قد يراد به ذات الشيء ، وعلى هذا تقول العرب : هذا وجه الرأي ، ووجه الأمر ، ووجه الطريق ومتى كان الكلام فيما لا بعض له ، فلا شك أن المراد به ذاته.أهـ. ص ٦٣٧ـ ٦٣٨، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٥٥٨/٢.

وقال الرازي في أساس التقديس: المراد منه الذات والمقصود من ذكره :التأكيد والمبالغة ، فإنه يقال: وجه هذا الأمر : كذا وكذا، ووجه هذا الدليل: هو كذا وكذا، والمراد منه: هو نفس ذلك الشيء ونفس ذلك الدليل ، فكذا هذا). ص ١٥٦.

وقال النيسابوري: (يريدون وجهه) ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة، ولكن المراد به التعظيم ، فقد يعبر به عن ذات الشيء أو حقيقته، كما يقال : هذا وجه الرأي وذاك وجه الدليل . تفسير النيسابوري عند تفسير الآية (٥٢) من سورة الأنعام. ٣ / ٢٧٧. وهذه هي أقوال المعتزلة ـ تعالى الله عما يقولون ـ قال د سليمان الغصن: واستدلالهم على إطلاق الوجه على =
= الذات بقول العرب: وجه الأمر أي: نفس الشيء فغير صحيح، فليس وجه الشيء هو ذاته بل الوجه في اللغة: مستقبل كل شيء وأول ما يواجه منه ، ووجه كل شيء بحسبه فوجه الحائط أحد جانبيه ، ووجه الثوب أحد جانبيه، ووجه الأمر ما يظهر أنه صواب، فالوجه في كل محل بحسب ما يضاف إليه . انظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٥٦٣/٢، العين ٢٧٥/١، تاج العروس مادة (وجه) ٥٤٣/٣٦.

[١]) بحر العلوم ٥٢٩/٢، المحرر الوجيز عن الزجاج ٣٠٤/٤، التبيان للعكبري ١٨١/٢، البحر ١٣٣/٧.

[٢])ولهذه الشبهة أوّل القاضي عبدالجبار الوجه في كتابه: تنزيه القرآن عن المطاعن على ما ذكرنا (إلا هو) ص٣١٢، إن من منهج أهل السنة والجماعة الإيمان بأسماء الله وصفاته كما جاءت، بلا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل ، و المؤلف هنا ـ رحمه الله ـ نهج نهج الأشاعرة في تأويل الصفات، فأول الوجه إلى الذات. وصفة الوجه لله تعالى جاءت في آيات وأحاديث كثيرة كالآية الواردة معنا، وثبت في صحيح البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه).أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بوجه الله فقال: (أعوذ بوجهك).حديث رقم (٧٤٠٦)٤٧٩/١٦. ومما يدل أيضًا على أن الوجه صفة من صفات الله: ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد قال:أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم ،وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم) ففرق في الاستعاذة بين استعاذته بالذات، واستعاذته بالوجه الكريم. وقد أثبتها سلف الأمة ، بل حتى بعض المعتدلين من الأشاعرة كابن فورك والبيهقي وغيرهم ـ رحمهم الله ـ ومن أنكرها فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :قوله : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقوله: (كل شيء هالك إلا وجهه). تضمنت هاتان الآيتان: إثبات صفة الوجه لله عز وجل، والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تحصى كثرة ، وكلها (تبين فساد) تأويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات ، والذي عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات ، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركبا من أعضاء ، كما تقوله المجسمة ، بل هو صفة لله على ما يليق به ، فلا يشبه وجها ولا يشبهه وجه. واستدلت المعطلة بهاتين الآيتين على

ويقال في معنى الآية: كل عمل يعمل في الدنيا فهو باطل إلا ما أريد به وجهه تعالى[١].

كما روي عن عبادة بن الصامت[٢] ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال ميزوا ما كان لله تعالى / منها فيميز ما كان لله تعالى

٤٥٥/أ

أن المراد بالوجه الذات ؛ إذ لا خصوص للوجه في البقاء وعدم الهلاك. ونحن نعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن لله عز وجل وجه على الحقيقة لما جاء استعمال هذا اللفظ في معنى الذات ؛ فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتا للموصوف ، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه.أهـ شرح العقيدة الواسطية لهراس ١٢٠/١. وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: ولكن لا يقال لهذه الصفات إنها أعضاء ، أو جوارح ، أو أدوات ، أو أركان ، لأن الركن جزء الماهية ، والله تعالى هو الأحد الصمد ، لا يتجزأ ـ سبحانه وتعالى ، والأعضاء فيها معنى التفريق... . ولم يرد ذكرها في صفات الله تعالى . فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني ، سالمة من الاحتمالات الفاسدة ، فكذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيا ولا إثباتا ، لئلا يثبت معنى فاسد ، أو ينفى معنى صحيح . وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمحق والمبطل.أهـ شرح الطحاوية ٢٣/٢. =

= ولمزيد من الرد على منكر هذه الصفة انظر: الرد الأقوم علّى ما في كتاب فصوص الحكم لشيخ الإسلام ٤٣٣/٢، ضمن مجموع الفتاوى، مختصر الصواعق المرسلة ٢٢٩/١، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ٥٦٢/٢، الاعتقاد للبيهقي ص ٣٥، لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٣٥/١، ابن كثير ٤٩٣/٣، الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٨٣، التوحيد لابن خزيمة ص ١٥، مشكل الحديث لابن فورك ٣٥٦/١، فتح الباري باب/ كل شي هالك إلا وجهه ٦٤٨/٨.

[١]) معاني القرآن للفراء ٣١٤/٢، الطبري ٣٥٣/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد وسفيان الثوري ٣٠٢٨/٩، بحر العلوم ٥٢٩/٢، البغوي ص٩٩١، وأخرجه السيوطي في الدر ٤٤٧/٦، النكت والعيون ٢٧٣/٤، الكشف والبيان ٥٥٧/٤ ، والقرطبي عنه وعن أبي العالية ٣٣١/١٦، وذكر ابن حجر في الفتح: أنه منقول عن سفيان وغيره. ٦٤٨/٨.

وما ذكره أبو عبيده والضحاك أن المراد بالوجه أي: إلا هو، وما ذكره البخاري (إلا ما أريد به وجهه)، فذا ليس تأويل، فالشيء قد يعبر عنه ببعض صفاته فقوله: (إلا وجهه) المراد به: ذاته المتصفة بالصفات ومنها الوجه وهذا ظاهر لا خفاء فيه. فتفسيرهم ليس نفيا للصفة بل إثبات لها. نقلاً عن الأشاعرة في ميزان أهل السنة ص ٥٧٥-٥٧٧، وقال الشيخ محمد العثيمين ـ رحمه الله ـ : وعلى طريقة من يقول بجواز استعمال المشترك في معنييه ؛ نقول: يمكن أن نحمل الآية على المعنيين ؛ إذ لا منافاة بينهما، فتحمل على هذا وهذا ، فيقال: كل شيء يفنى إلا وجه الله عز وجل، وكل شيء من الأعمال يذهب هباءً، إلا ما أريد به وجه الله . وعلى أي التقديرين ، ففي الآية دليل على ثبوت الوجه لله عز وجل. أهـ شرح العقيدة الواسطية ١ /٢٨٦.

[٢]) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر الخزرجي الأنصاري: يكنى أبا الوليد أحد النقباء. آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وهو أول من تولى قضاء فلسطين، وممن جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كان قويا في دين الله و في الأمر بالمعروف، روى عنه عددا من الصحابة والتابعين.وجهه عمر إلى الشام قاضيًاومعلمًا، ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها، ودفن ببيت المقدس، وقيل: توفي بالمدينة سنة أربع وثلاثين، وهو ابن

منها، ثم يؤمر بسائرها فتلقى في النار[١].

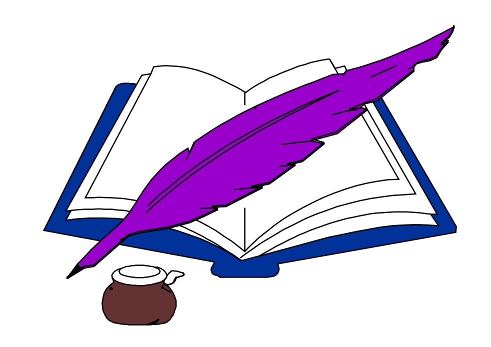
وقوله تعالى: (له الحكم) أي: له القضاء في الدنيا والآخرة، وإلى موضع جزائه يردون فيجازيكم بأعمالكم. وعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من قرأ سورة القصص كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى عليه السلام وكذب به، ولم يبق ملك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه من الصادقين)[٢].

اثنتين وسبعين سنة، وقيل: إنه عاش إلى سنة خمس وأربعين. الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٩٦، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٢٤٣، تهذيب التهذيب ٥ / ٩٨.

[١]) هذا حديث ضعيف وموقوف على غير واحد من الصحابة فقد أخرجه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب كتاب الإخلاص الترغيب في الإخلاص والصدق والنية الصالحة) ٢٤/١، وذكره المتقي في كنز العمال رقم (٦٣٢٨) ٣ / ٩٧، كما أخرجه السيوطي في الدر (سورة الكهف) ٦ / ٤٣٤، وقال الشيخ الألباني: ضعيف موقوف. انظر: ضعيف الترغيب والترهيب ١ / ٢.

[٢]) حديث أبي الوارد في نهاية كل سورة حديث موضوع سبق تخريجه ص٩٦.

سورة العنكبوت



سورة العنكبوت[١] تسع وستون آية [٢] مكية [٣] عند ابن عباس ـ رضي الله عنهماـ وقال الحسن ـ رضي الله عنه ـ: هي مكية إلا قوله تعالى: (الم. أحسب الناس) من أول السورة إلى تمام الآيات العشر فإنها مدنية [٤].

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[١-٢- ٣] قد تقدم الكلام في تفسير حروف الهجاء في أوائل السور، ومَن جعل هذه الحروف التي في أول هذه السورة قسمًا [٥] احتمل أن يكون جواب القسم في قوله تعالى : (ولقد فتنا الذين من قبلهم)، واحتمل أن يكون في قوله : (فليعلمن الله).

وقوله: (أحسب الناس) لفظه لفظ الاستخبار، ومعناه معنى التوبيخ والتقرير كأنه قال: أظن أن نقنع منهم بأن يقولوا آمنا فقط ولا يمتحنون بالأوامر والنواهي في التكليف[٦]، ولا يختبرون بما يعلم صدق إيمانهم به [٧]، وذلك أن الله تعالى إنما يجازي عباده على ما يظهر منهم، لا على ما يعلم منهم[٨].

---

[١]) سميت سورة العنكبوت؛ لتكرر ذكره فيه (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت). بصائر ذوى التمييز ١ / ٢٥٢.

[٢]) تفسير مقاتل ٥١٠/٢، البيان في عد آي القرآن ٢٠٣/١، البغوي ص ٩٩١ ، القرطبي٣٣٣/١٦.

[٣]) في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. تفسير مقاتل ٥١٠/٢ ، وأخرجه السيوطي في الدر عنه، وعن ابن الزبير ٤٤٩/٦، النحاس في ناسخه ٦١٦/١.

[٤]) المحرر الوجيز ٣٠٥/٤، ونسب القول في النكت والعيون ليحيى بن سلام ٢٧٤/٤، البيان في عد آي القرآن ٢٠٣/١، القرطبي في أحد قولي ابن عباس وقتادة ٣٣٣/١٦. و هذا الاستثناء ليس عليه دليل صحيح ، وانظر أول سورة الشعراء ص ٩٨.

[٥]) أخرجه الطبري عن ابن عباس ٥/١٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا ٢٨٣٨/٩، وقد تقدم في سورة النمل انظر ص ١٥٢.

[٦]) معاني القرآن للزجاج ١٥٩/٤، تأويلات أهل السنة ٢٠٧/٨، بحر العلوم عن الزجاج دون آخره ٥٣٠/٢، الكشف والبيان ٤/٥، قاله ابن بحر في النكت والعيون ٢٧٤/٤.

[٧]) معاني القرآن للزجاج ١٥٩/٤،غريب القرآن لليزيدي بلفظ: تختبرون ص ٢٩٥، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالرحمن بن زيد نحوه ٣٠٣٢/٩، النكت والعيون عن الحسن /٢٧٤، البغوي ص ٩٩١.

[٨]) قال أبو عبيدة في مجازه : فليميزن الله، لأن الله قد علم ذلك من قبل.١١٣/٢، وسيأتي بعد قليل قول المؤلف: لأن علم الشهادة هو الذي يجب به الجزاء. وفي الحديث الصحيح: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم. أخرجه البخاري كتاب/ الطلاق، باب/ الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما، حديث رقم(٥٢٦٩) ٤٨٥/١٢، واللفظ له. وأخرجه مسلم كتاب/ الإيمان =

فيعاملهم معاملة المختبر المبتلي مظاهرة في العدل، لأنهم إنما [١] يستحقون الجزاء على كسبهم وعلم الله تعالى ليس من كسبهم. وفائدة إخباره تعالى بهذا أن يوطن نفسه على شدائد التكاليف، فإذا نزل به الأمر الذي كان يكرهه كان ذلك أيسر عليه.

قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [٢] إلى آخر الآية قال ﷺ لجبريل عليه السلام: مَا بقاء أمتي على هذه الخصال الأربع؟ فقال جبريل عليه السلام : ادع الله تعالى لأمتك، فدعا رسول الله فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى قد أجار أمتك من خصلتين أن لا يبعث عليهم عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ، ولم يجرهم من خصلتين أن يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض، قال : ثم أنزل الله تعالى قوله: (الم. أحسب الناس أن يتركوا)[٣]، وأما على ما ذهب إليه الحسن ـ رضي الله عنه ـ فسبب نزول هذه الآية [أنه][٤] لما أصيب المسلمون يوم أحد وكانت الكرة عليهم عيّرهم اليهود والنصارى بذلك ، فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية [٥].

= باب/ تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر.حديث رقم(...) ١٢٨/٢، معاني القرآن للزجاج ١٦٠/٤. هذا في السيئات ، أما الحسنات فعلى العكس من ذلك ، فمن فضل الله عز وجل وكرمه أنه يثيب العبد على مجرد النية الصادقة مع عدم العمل، عند انتفاء الاستطاعة. كما ثبت في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه و سلم فيما يروي عن ربه عز و جل. قال قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة..) الحديث. كتاب/ الرقاق ، باب/ من هم بحسنة أو بسيئة. حديث رقم (٦٤٩١)٣٩٢/١١.

[١]) ساقطة من (ب).

[٢]) سورة الأنعام :[٦٥].

[٣]) قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: غريب بهذا اللفظ. وأقرب ما وجدته إلى هذا اللفظ ما رواه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس مرفوعا، ولم يذكر بعده: ثم أنزل الله تعالى قوله: (الم. أحسب الناس أن يتركوا) وقد وورد هذا الحديث من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة. ١ / ٤٤٠ ، وأخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن ١١ / ٤٢٨، وذكر في بحر العلوم بنحوه ٥٣٠/٢، و أخرجه السيوطي في الدر ونسبه لابن جرير وابن مردويه. ٣٠٨/٥.

[٤]) زيادة من النسخة (ب).

[٥]) بحر العلوم ٥٣٠/٢. ولم أقف عليه في كتب أسباب النزول.

وقوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٣] فيه تسلية للمسلمين يقول: امتحنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الصادق بوقوع صدقه منه بالصبر على ما يؤمر به، والكاذب بوقوع كذبه منه، بالجزع والمخالفة في القتال الذي يؤمر به، والله عز وجل قد علم الصادق من الكاذب قبل أن يخلقهما ، ولكن القصد من الآية قصد وقوع العلم بما يجازى عليه؛ لأن علم الشهادة هو الذي يجب به الجزاء. فأما علم الغيب قبل وقوعه فلا يجب به الجزاء، فذكر العلم في هذه الآية وأراد المعلوم والتمييز، وهذا كما يقول القائل: إن عرفت منك تقصيرًا فعلت كذا وكذا، ومراده وقوع التقصير[١].

وقوله عز وجل : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُون ۞ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم ۞ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين﴾[٤-٥-٦] معناه: أظن الذين يعملون السيئات أن يفوتونا[٢] فوت السابق المسبوق، بحيث لا يدركه عجز، والله تعالى منزه عن أن يلحقه عجز، وقيل: إن هذه الآية نزلت في عتبة[٣] وشيبة ابني ربيعة[٤] / ٤٥٦/ب

[١]) البغوي عند تفسير الآية [١٤٣] من سورة البقرة. ص٧٠، وانظر: تنزيه القرآن عن المطاعن ص٣١٣، وهذا هو المعنى الذي أشرنا إليه في الآية السابقة لهذه الآية. وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره أن عليا كان يقرأ (ليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) قال: يعلمهم الناس. ٣٠٣٢/٩، وذكر معناه الثعلبي في الكشف والبيان ٤/٥، المحرر الوجيز ٣٥٨/٤ ، البحر ١٣٨/٧.

[٢]) تفسير مقاتل ٥١١/٢، تفسير الطبري ٣٦٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦٠/٤، بحر العلوم ٥٣١/٢، النكت والعيون ٢٧٥/٤، الكشاف ٥٣٤/٤.

[٣]) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو الوليد القرشي العبشمي ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، كان موصوفا بالرأي والحلم والفضل، خطيبا، نافذ القول. نشأ يتيمًا في حجر حرب بن أمية، وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار (بين هوازن وكنانة) وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده، أدرك الإسلام، وطغى فشهد بدرا مع المشركين، وقاتل قتالا شديدا، فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث، فقتلوه. انظر: البداية والنهاية ٢٩٢/٣، مختصر تاريخ دمشق ١٤٨/٥، تهذيب سيرة ابن هشام ٨١/١ ، الكامل في التاريخ ٢٨٠/١، الأعلام للزركلي ٤ / ٢٠٠.

[٤]) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام، وقتل على الوثنية، وهو أحد الذين نزلت فيهم الآية: (كما أنزلنا على المقتسمين) وهم سبعة عشر رجلا، من قريش، اقتسموا عقبات مكة في بدء ظهور الإسلام، وجعلوا دأبهم في أيام موسم الحج أن يصدوا الناس عن النبي ﷺ ولما كانت وقعة بدر، حضرها شيبة مع المشركين وقتل فيها. انظر: سمط النجوم العوالي ٣٧٠/١، الوافي بالوفيات٣٢٣/٤، البداية والنهاية ٢٩٢/٣، تهذيب سيرة ابن هشام ١٩٦/١، الأعلام للزركلي ٣ / ١٨١.

وفي الوليد بن عتبة بن ربيعة [١] وهم الذين بارزوا يوم بدر عليًا وحمزة[٢] وعبيدة بن الحارث[٣] فقتلوا على أيديهم يوم بدر[٤].

وقوله تعالى : (من كان يرجو لقاء الله) ترغيب في الجهاد، ومعناه: من كان يطمع في الثواب ويخشى العقاب[٥] فليبادر إلى طاعة الله تعالى قبل الموت، فإن أجل الموت لآت لمن يرجو ولمن لا يرجو، وإن ثواب العمل الصالح لقريب. وهو السميع لمقالة المؤمنين والكافرين. العليم بما يستحقه كل واحد منهم.

وقوله تعالى : (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) قيل: إنه نزل في علي وصاحبيه ـ رضي الله عنهم ـ بما فعلوا في طاعة الله تعالى[٦]. ومعناه: من

---

[١]) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان صديقا للعباس بن عبدالمطلب ، و نديما للعاص بن منبه بن الحجاج السهمي قتلهما علي بن أبى طالب ـ رضي الله عنه ـ يوم بدر مشركين. انظر: سمط النجوم العوالي ١ / ١٨٠، المنمق في أخبار قريش للبغدادي ١ / ٣٦٦.

[٢]) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو يعلى، وقيل: أبو عمارة شقيق صفية بنت عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب، وكان رضي الله عنه، أسن من رسول الله ﷺ بسنتين، وهو سيد الشهداء، آخى رسول الله بينه وبين زيد بن حارثة.أسلم في السنة الثانية من النُّبوَّة، وقيل: في السادسة. ولما أسلم عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع.هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأبلى بلاء عظيمًا، وشهد أحدًا، فقتل بها، قتله وحشيّ بن حرب مولى جبير بن مطعم. وكان يوم قتل ابن تسع وخمسين سنة. وقيل: غير ذلك. انظر: أسد الغابة ١ / ٢٨١ ، الوافي بالوفيات ٤ / ٣٢٣.

[٣]) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي يكنى أبا الحارث. وقيل: أبا معاوية كان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان له قدر ومنزلة عند رسول الله ﷺ، قال ابن إسحاق: راية عبيدة أول رايةٍ عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام، شهد بدرًا و قطع عتبة بن ربيعة رجله يومئذٍ وقيل: بل قطع رجله شيبة بن ربيعة ؛ فارتث منها فمات في العشر الأخير من رمضان، سنة اثنتين للهجرة بالصفراء على ليلةٍ من بدر، وله ثلاث وستون سنة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٣١٣، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٢٢٩، سير أعلام النبلاء ١ / ٢٥٦، الإكمال ١ / ٤٢٨.

[٤]) تفسير مقاتل، مع زيادة فيه. ٥١١/٢، بحر العلوم ٥٣١/٢. ولم يذكر غيرهما أنها نزلت فيهم، فلعلهما قصدا أنها مناسبة للآية ويحتملها المعنى ـ والله اعلم ـ .

[٥]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير أوله. ٣٠٣٤/٩، الكشف والبيان ٥/٥، النكت والعيون ٢٧٦/٤، الكشاف بمعناه ٥٣٥/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٣٠٧/٤، وقد سبق بيان معنى الرجاء في سورة الفرقان انظر ص ٧٦.

[٦]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي ٣٠٣٣/٩، بحر العلوم ٥٣١/٢. ولم يذكرا أنها نزلت في علي وصاحبيه ، بل قال السمرقندي: ويقال: نزلت في جميع المسلمين. فلعلهما قصدا أنها مناسبة للآية وفي معناها ، كالآية السابقة والله أعلم.

جاهد في سبيل الله فإنما منفعة جهاده راجعة إليه ، (وإن الله لغني عن العالمين) لا يأمرهم ولا ينهاهم إلا لمنفعة ترجع إليهم، والجهاد هو: الصبر على الشدة في الحرب (١) كما أمر الله تعالى به .

قوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٧] معناه: والذين صدقوا بالله تعالى وعملوا الصالحات: الطاعات فيما بينهم وبين ربهم، لنكفرن عنهم سيئاتهم بالإيمان، وقيل: بالتوبة(٢). ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾(٣) وأمّا العمل الأحسن فهو الطاعة؛ لأن الثواب يستحق عليها والمباحات حسنة لا يستحق الثواب عليها (٤).

قوله عز وجل :﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[٨- ٩]

روي أن الآية الأولى نزلت في سعد بن أبي وقاص(٥)كان بارًا بأمه فلما

---

١) الجهاد: المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب، أو اللسان أو ما أطاق من شيء. لسان العرب مادة(جهد) ٣ / ١٣٣، تاج العروس مادة(جهد) ٥٣٥/٧، البغوي ص٩٩٢.

٢) يشمل من كان كافرًا فآمن، فأسقط عنه عقاب ماكان قبل الإيمان ، ومن نشأ مؤمنًا وأساء، كفر عنه ذلك بتوبته. انظر: البحر١٣٨/٧.

٣) سورة الفرقان من الآية :[٧٠].

٤) ذكر أوله الثعلبي في الكشف والبيان ٥/٥، وهذا المعنى ليس على إطلاقه؛ لأن المرء ينال الثواب على المباحات إذا احتسب، كما قال أحدهم: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. وقبل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم: (وفي بضع أحدكم صدقة، عندما قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟..الحديث كتاب/الزكاة باب/ بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف. حديث رقم (٢٣٧٦).

٥) سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي يكنى أبا إسحاق، كان سابع سبعة في الإسلام ، شهد بدرًا، والحديبية، وسائر المشاهد، وهو أحد الستة أهل الشورى، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة.كان مجاب الدعوة مشهورًا بذلك لدعوة رسول الله ﷺ له. روى جملة صالحة من الأحاديث ، كان أحد الفرسان وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وكان من الذين يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه ، ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولزم بيته. مات سنة إحدى وخمسين، وقيل: ست، وقيل: سبع، وقيل: ثمان وقيل: غير ذلك، والثاني أشهر. والله أعلم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٤٣٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ١٨٢، سير أعلام النبلاء ١ / ٩٣.

أسلم قالت له أمه: يا سعد بلغني أنك قد صبأت [١] فو الله لا يظلني سقف بيت، وإن الطعام والشراب علي حرام، حتى تكفر بمحمد ﷺ. فأنزل الله تعالى هذه الآية فأبى سعد عليها، وثبتت هي على حالها لا تأكل، ولا تشرب، ولا تستظل بشيء، فلما خلص إليها [٢] الجوع لم تجد بدًا من أن تأكل[٣]. ومعنى الآية: أمرنا الإنسان بالبر والإحسان إلى والديه وقلنا له: وإن طلبا وأرادا منك أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما [فإن طاعتهما][٤] في الإشراك، والمعصية ليست من باب الحسن بل هي قبيحة، ونظير هذا قوله ﷺ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[٥].

وقوله تعالى : (إلي مرجعكم) أي: متقلبكم في الآخرة إلى حيث لا يملك أحد ضرًا ولا نفعًا لكم فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من الخير والشر والبر

---

[١]) صبأإذا خرج من دين إلى دين، من صبأ ناب البعير إذا طلع، وصَبَأَتِ النجوم: إذا ظهرت وقال أبو إسحاق في قوله تعالى: (والصابئين) معناه: الخارجين من دين إلى دين، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ قد صبأ؛ عنوا أنه خرج من دين إلى دينٍ. لسان العرب مادة(صبأ) ١/ ١٠٧، الفائق في غريب الحديث و الأثر ١ / ٢٤٧، تهذيب اللغة مادة(صبا) ٤ / ٢٢٩.

[٢]) في (ب) عليها.

[٣]) أخرج الحديث الإمام مسلم في صحيحه كتاب/ فضائل الصحابة باب/فضل سعد بن أبي وقاص ، حديث رقم (٦٣١٩) مع اختلاف في آخره. ١٢٥/٧، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ص٣٩٤، وأخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة بأوجز من هذا ٣٦٣/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره عن مصعب بن سعيد وقتادة بنحوه ٣٠٣٦/٩، بحر العلوم ٥٣١/٢، الكشف والبيان ٥/٥، المحرر الوجيز عن قتادة وقال ابن عطية: قيل نزلت في عياش بن أبي ربيعة .. ولا مرية أنها نزلت فيمن كان من المؤمنين بمكة، يشقى بجهاد أبويه في شأن الإسلام أو الهجرة.٣٠٧/٤، ونحوه ذكر الزمخشري في الكشاف ٥٣٧/٤، وجمهور المفسرين على أن هذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص. المحرر في أسباب النزول ٧٧٣/٢.

[٤]) زيادة من النسخة (ب).

[٥]) رواه البغوي في شرح السنة مرفوعا من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه وإسناده ضعيف. ٤٤/١٠، قال الدارقطني في العلل: فيه علي بن قرين وكان ضعيفا.(٧٨٦) ٥ / ١٥٥. وكذبه يحيى ابن معين ، وغيره.نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ٦ / ٣٢٩. ويشهد له حديث الحكم بن عمرو الغفاري، وعمران بن حصين رضي الله عنهما، عند الإمام أحمد في مسنده حديث رقم(٢٠٦٥٣) ١٥١/٣٤، والطيالسي في مسنده (٨٥٠) ص١١٤، وإسناده صحيح صححه الحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي. ٤٤٣/٢.

والعقوق. وقوله تعالى : (لندخلنهم في الصالحين) أي: في زمرة الصالحين خواص أصحاب محمد ﷺ [١].

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾[١٠-١١] رُوي أن هذه الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة [٢] كان أسلم مع رسول الله ﷺ وكان يخاف على نفسه من أمه وأخويه لأمّه، وهما أبو جهل بن هشام[٣] والحارث[٤] فخرج عياش ـ رضي الله عنه ـ بعد ما ظهر إسلامه هاربًا إلى المدينة، قبل هجرة النبي ﷺ ، وبلغ أمه الخبر فجزعت جزعًا شديدًا، وامتنعت عن الطعام والشراب، فخرج أخواه وقومه في طلبه فأخذوه وقيدوه، وحلفت بالله تعالى لا

---

[١]) وفي الكشف والبيان: الأولياء والأنبياء ٦/٥، وذكر نحوه البغوي، وقيل: مدخل الصالحين هو الجنة. ص٩٩٢.

[٢]) عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله، يكنى أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا عبد الله، وهو ابن عم خالد بن الوليد.كان إسلامه قديمًا قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم. وهاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته أسماء بنت سلمة فولدت له ابنه عبد الله، ثم هاجر إلى المدينة حين هاجر عمر رضي الله عنه فقدم عليه أخواه لأمه: أبو جهل، والحارث ابنا هشام فخدعاه ورجعا به إلى مكة فحبساه ، فلما منع عياش من الهجرة قنت رسول الله ﷺ يدعو للمستضعفين بمكة، ويسميهم. مات سنة خمس عشرة بالشام في خلافة عمر وقيل: استشهد باليمامة وقيل: باليرموك وقيل: مات بمكة. انظر: الطبقات الكبرى ٤ /١٢٩، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٣٨١، أسد الغابة ٢ / ٣٨٤ ، الإصابة في تمييز الصحابة٢ / ٣٢٨.

[٣]) أبو جهل بن هشام، واسمه: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، سودته قريش ولم يطر شاربه، فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام، وكان يقال له: أبو الحكم ، فدعاه المسلمون: أبا جهل. وهو أشد الناس عداوة للنبيﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية. استمر على عناده، يثير الناس على رسول الله ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فكان من قتلاها. ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، فقطع رجله، ثم ضربه معوذ بن عفراء؛ حتى أثبته وتركه وبه رمق، ثم احتز عبد الله بن مسعود رأسه. انظر: سمط النجوم العوالي ١ / ٢٦٧، الأعلام للزركلي ٥ / ٨٧ ، تهذيب الأسماء ٣ / ٨٤.

[٤]) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر، أبو عبد الرحمن القرشي، وهو أخو أبي جهل لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد ،شهد بدرًا كافرًا فانهزم، وعير بفراره، ثم أسلم يوم الفتح و حسن إسلامه ، وكان استجار يومئذ بأم هانئ بنت أبي طالب، فأراد أخوها علي قتله، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: (قد أجرنا من أجرت) وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين، وخرج إلى الشام مجاهدًا أيام عمر بن الخطاب بأهله وماله، فلم يزل يجاهد حتى استشهد يوم اليرموك في رجب من سنة خمس عشرة، وقيل: بل مات في طاعون عمواس سنة سبع عشرة. انظر: أسد الغابة ١ / ٢٢٢.

أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد ﷺ ، ثم أقبلت تجلده بالسياط وتعذبه حتى كفر جزعا من الضرب، فأنزل الله تعالى هذه الآية [١].

ومعناها: ومن الناس من يقول صدقنا بتوحيد الله تعالى،فإذا عُذِب في طاعة الله تعالى جعل تعذيب الناس كتعذيب الله [٢]،فأطاع الناس خوفًا منهم كما يطيع الله تعالى من خاف عذابه، ولئن جاء فتح من ربك ليقولن: إنا كنا معكم وهذه صفة المنافقين، يقول الله عز وجل : (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) أي: بما في قلوب الخلق من الطمأنينة بالإيمان والانشراح بالكفر، وليعلمن الله الذين آمنوا، أي: ليجزين الله المؤمنين، وليميزن المنافقين، ثم أسلم عياش بعد وحسن إسلامه.

٤٥٦/أ

قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ / وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[١٢-١٣]

معناه: قال كفار مكة أبو جهل بن هشام[٣] وغيره لأصحاب النبي ﷺ اتبعوا ديننا، فإن تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم، أي: إن كان في ذلك إثم عليكم فنحن نحمله عنكم[٤].

---

[١]) اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية ، و قصة عياش أخرجها ابن إسحاق في المغازي ، وذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ورواها البزار عن عمر ، ورجاله ثقات. (٩٩١٨) ٧٦/٦، وذكرها مقاتل في تفسيره ٥١٢/٢، وأخرج الطبري في تفسيره لهذه الآية عن الضحاك وابن زيد أنها نزلت في أناس من المنافقين، وعن عكرمة أنها في قوم أسلموا بمكة، وعن قتادة أنها في القوم الذين ردهم المشركون ٣٦٦/١٨، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس والسدي نحوه ٣٠٣٧/٩، بحر العلوم ٥٣٢/٢، وذكر الثعلبي في الكشف والبيان عدة أقوال، منها قصة عياش. ٦/٥، وذكر البغوي نحو ما ذكر الطبري من أقوال. ص ٩٩٢، وهذه الآية كما قال الزمخشري في الكشاف: هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم ، فإذا مسهم أذى من الكفار .. كان ذلك صارفا لهم عن الإيمان ٥٣٨/٤، وذكر الواحدي في أسباب النزول نحوه ص٣٩٥. قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: غريب.٤٣/٣، فلعل الآية نزلت في عياش، إلا أنها عامة فيه وفي غيره ممن كان فيه هذا السبب ـ والله تعالى أعلم ـ.

[٢]) الوجوه والنظائر للدامغاني ص٣٦٤.

[٣]) تقدمت ترجمته انظر ص ٢٧٨.

[٤]) أخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد نحوه ٣٦٨/١٨، معاني القرآن للزجاج بنحوه ١٦١/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٣٠٣٩/٩، تأويلات أهل السنة بنحوه ٢١٢/٨، بحر العلوم بنحوه ٥٣٢/٢، الكشف والبيان ٨/٥ ، المحرر الوجيز ٣٠٩/٤.

وقوله تعالى :(ولنحمل) لفظ أمر في تأويل الشرط والجزاء[١].

والحمالة هي: الضمان، والحميل: الضامن للشيء من الحمل على الظهر[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[١٢] تكذيب من الله تعالى للكفار وإخبارٌ بأنهم لا يحملون يوم القيامة شيئًا من خطايا غيرهم ولا يخففون العذاب عن أحد [٣].

وقوله تعالى : ﴿ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[١٣] معناه:وأوزارًا مع أوزارهم وذلك أنهم يعاقبون على كفرهم وعلى دعاء غيرهم إلى الكفر، وهذا موافق لقول النبي ﷺ في الحديث [المعروف][٤]:(من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص من أوزارهم شيء)[٥].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ [الْقِيَامَةِ] عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[١٣]

أراد به: سؤال توبيخ لا استعلام [٦] يقال لهم:هل كان عندكم من الغيب شيء شيء ومن أين قلتم إنكم تحملون أوزار غيركم؟

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۞ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[١٤-١٥] معناه:ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بالنبوة، فمكث بين أظهرهم يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلم يجبه إلى الإيمان منهم إلا قليل، وأهلك الله تعالى المكذبين بالطوفان وهو الغرق.

---

١) معاني القرآن للفراء ٣١٤/٢، تفسير الطبري ٣٦٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦١/٤، البغوي ص٩٩٣.

٢) المحيط في اللغة ١ /٢٣٠، تهذيب اللغة مادة(حمل) ٥ / ٥٨، لسان العرب مادة(حمل)١١ / ١٧٤، وفي المحرر الوجيز قال مجاهد: الحمل هو من الحمالة، لا من الحمل على الظهر. ٣٠٩/٤.

٣) انظر الكشف والبيان ٨/٥ ، والبغوي ص٩٩٣، تفسير ابن كثير ٤٩٧/٣.

٤) زيادة من النسخة (ب).

٥) لم أجده بلفظه حيث ذكر هاهنا مقلوبًا (الحديث المقلوب تقدم في سورة الشعراء تعريفه انظر ص ١٤٩). و ورد في الصحيح مطولاً ، فقد أخرج الحديث مسلم في صحيحه من رواية جرير بن عبدالله مع اختلاف في ألفاظه. كتاب الزكاة، باب/ الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. حديث رقم(١٠١٧) ٩٠/٧، وأخرجه النسائي مطولاً بنحوه كتاب/الزكاة ، باب/التحريض على الصدقة حديث رقم (٢٥٥٥) ٢٣٥/٣، وأخرجه ابن ماجه في سننه حديث رقم(١٩٩) ٢٣٦/١، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بعدة طرق حديث رقم(١٩١٥٦) ٤٩٤/٣١.

٦) معاني القرآن للزجاج ١٦١/٤، البغوي ص٩٩٣، الكشاف بمعناه ٥٤٠/٤، المحرر الوجيز ٣٠٩/٤.

والطوفان في اللغة هو: الكثير من كل شيء، المطيف بالجماعة كلّها. وسمي الغرقطوفانًا؛ لأن الماء في ذلك اليوم طاف في جميع الأرض، ويقال للقتل الذريع: طوفان، وكذلك الموت العام يسمى:طوفانًا [١] ، والاستثناء في كلام العرب تأويله عند النحويين: توكيد العدد وتكميله [٢]. لأنك إذا قلت: جاءني إخوتك [جاز أن تعني بذلك جماعتهم ، وجاز أن تعني أكثرهم . فإذا قلت: جاءني أخوتك][٣] كلهم، فقد أردت التوكيد في معنى إتمام جماعتهم، وإذا قلت: جاءني أخوتك إلا زيدًا ، فقد أردت التوكيد في نقصانهم بزيد [٤].

وفي الحديث: أن نوحًا ـ عليه السلام ـ أرسل إليهم بعد ما أتى عليه مئتان وخمسون سنة، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة [٥].

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾[١٥] أراد بالأصحاب: من كان معه من المؤمنين في السفينة. (وجعلناها) يعني: السفينة علامة وعبرة [٦] لمن بعدهم .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخلقونَ إفكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا البَلاغُ المُبِينُ ﴾[١٦-١٧-١٨]

---

[١]) معاني القرآن للزجاج ١٦٣/٤، لسان العرب مادة(طوف) ٩/ ٢٢٥، مختار الصحاح مادة(طوف) ص ١٦٨، القاموس المحيط (فصل الطاء). ٣ / ١٧٠، مجاز القرآن بمعناه ١١٤/٢.

[٢]) معاني القرآن للزجاج ١٦٣/٤.

[٣]) زيادة من النسخة (ب).

[٤]) معاني القرآن للزجاج ١٦٣/٤، تأويلات أهل السنة بنحوه ٢١٤/٨.

[٥]) اختلف في السن التي بعث عندها نوح عليه السلام، فأخرج الطبري في تفسيره عن عون بن أبي شداد: أنه أرسل وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة فلبث فيهم داعيا ألف سنة إلا خمسين عاما، ثم عاش بعد الطوفان خمسين وثلاثمائة سنة ٣٣٧٠/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٣٠٤٢/٩، وذكر الثعلبي في الكشف والبيان: عن ابن عباس أنه بعث لأربعين، وبقي في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة. ٨/٥، وكذا أخرجه الحاكم في مستدركه وسكت عنه ، وكذا الذهبي. (٤٠٠٥) ٥٩٥/٢وذُكِر في النكت والعيون أربعة أقوال ليس فيها ما ذكره المؤلف ، ولكن أقربها قول عون الذي أخرجه الطبري .٢٧٩/٤. ولم أجد في الروايات ما ذكره المؤلف، ولا الحديث الذي أورده ، فالأولى التوقف عندما ذكره القرآن ، إذ لم يكن ثمة مستند صحيح يعلم منه.

[٦]) تفسير مقاتل ٥١٤/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة. ٣٣٧٠/١٨، البغوي ص٩٩٣، تفسير ابن كثير ٤٩٩/٣.

معناه: وأرسلنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ أيضًا إذ قال لقومه: وحدوا الله وأطيعوه واخشوه ذلكم خير لكم مما أنتم عليه من الكفر، إن كنتم تعلمون ذلك وتصدقون. إنما تعبدون من دون الله أصنامًا وتخترعون على الله تعالى كذبًا في قولكم إنها آلهة [١]. ويجوز أن يكون معنى (وتخلقون إفكًا) وتنحتون أصنامًا تقدرونها وتأفكون بها على الله تعالى[٢]، إن الذين تعبدون من دون الله تعالى من الأصنام لا يقدرون أن يرزقوكم، فاطلبوا من الله تعالى الرزق، واعبدوا من يملك رزقكم واشكروا من إليه ترجعون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم، وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم أنبياءهم كما كذبتم نبيكم فأهلكهم الله تعالى. وما على الرسول إلا تبليغ الرسالة عن الله تعالى بلغة الذين أرسل إليهم. وقيل: إن الآية الأخيرة من هذه الآيات خطاب لكفار مكة [٣].

قوله عز وجل : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۞ / وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [١٩-٢٠-٢١-٢٢]. ٤٥٧/ب

معناه: أولم يعلم ويعتبر أهل مكة كيف بدأ الله الخلق في أرحام الأمهات من النطف، ثم يميته ثم يحييه بعد الموت خلقًا جديدا ، إن بدأ الخلق وإعادته هين على الله عز وجل، فإن القادر على الاختراع من غير احتذاء على مثال[٤] قادر على الإعادة، وكانوا يقرون بأن الله تعالى هو الذي خلقهم . وقوله تعالى: (قل سيروا في الأرض) معناه: قل لهم: سافروا في الأرض فانظروا واعتبروا، كيف جعل الله تعالى ابتداء خلق الذين من قبلهم ثم أهلكهم بعد ذلك؟

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ٣٧٣/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦٥/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقال : روي عن مجاهد والحسن وعكرمة والسدي مثل ذلك. ٣٠٤٤/٩، المحرر الوجيز ٣١١/٤.

[٢]) تفسير مقاتل ٥١٤/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ٣٧٣/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦٥/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقتادة وعن عطاء عن أبيه ٣٠٤٤/٩، بحر العلوم بمعناه ٥٣٤/٢، الكشف والبيان ٩/٥، الكشاف ٥٤٢/٤.

[٣]) فهي اعتراض بين قصة إبراهيم عليه السلام حذر فيه معشر قريش، ثم عاد إلى الخبر عن إبراهيم وقومه، وتتميم قصته وقصتهم بقوله: (فما كان جواب قومه). انظر تفسير الطبري ٣٧٣/١٨، و تفسير مقاتل ٥١٤/٢، بحر العلوم ٥٣٤/٢، تفسير ابن كثير عن قتادة. ٥٠٠/٣.

[٤]) قال الجوهري في الصحاح:احْتَذى مثالَه، أي: اقتدى به. ١ /١٢١.

ثم إن الله تعالى يبعث الخلق ثانية يوم القيامة إن الله على كل شيء من الإحياء والإماتة قادر، يعذب من يشاء من كان أهلاً للتعذيب، ويرحم من يشاء من كان أهلا للرحمة. وإلى حال الحياة تردون في الآخرة بحيث لا يملك نفعكم ولا ضركم إلا الله تعالى. وما أنتم يا أهل مكة بفائتين من عذاب الله تعالى هربًا في الأرض ولا في السماء[1] فلا تغتروا بطول الإمهال ، ويجوز أن يكون معنى ولا في السماء: ولا من[في][2] السماء بمعجزين[3] ، كما قال حسان بن ثابت[4]:

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء[5]

أراد: ومن يمدحه وينصره. وقوله تعالى : (ومالكم من دون الله) أي: ليس لكم من دون الله من ولي يتولى أمركم، وحفظكم، ومن نصير يمنع العذاب منكم. والنشأة والنشاءة بالهمز وبالمد لغتان مثل الرأفة والرآفة ، والكآبة[6]، فإن قيل: لم علق العذاب بالمشيئة في الآية، ولم يُعلقه بالخطيئة للزجر عنها ؟ قيل: لأن في ذكر المشيئة زجرًا عن معصية الناهي عنها،
وترغيبًا في طاعة الله بتركها؛ لأنه يملك الثواب والعقاب ويوفقه إذا شاء ، ولا يشاء إلا لحكمة[7].

---

[1]) تفسير مقاتل ٥١٥/٢، بحر العلوم ٥٣٤/٢، قال قطرب: ولا في السماء لو كنتم فيها. الكشف والبيان ١٠/٥، البغوي ص٩٩٤، الكشاف ٥٤٤/٤، الدر المصون ٣٤٥/١١.

[2]) زيادة يقتضيها السياق.

[3]) قال الفراء في معاني القرآن: المعنى والله أعلم: ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا من في السماء بمعجز. ٣١٤/٢، تفسير الطبري ٣٧٩/١٨ ، وقال الزجاج : ويجوز والله أعلم و ما أنتم بمعجزين في الأرض، لا ولو كنتم في السماء أي: لا ملجأ من الله إلا إليه. أهـ ١٦٥/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالرحمن بن زيد نحوه ٣٠٤٧/٩، الكشف والبيان ١٠/٥، البغوي عن الفراء. ص ٩٩٤، الكشاف ٥٤٤/٤، و نقل في المحرر الوجيز عن ابن زيد ٣١٢/٤، الدر المصون ٣٤٥/١١.

[4]) تقدمت ترجمته انظر ص ١٤٨.

[5]) أول البيت (فمن) انظر ديوانه ص٩، وفي تفسير الطبري كما ذكره المؤلف بالهمز ٣٧٩/١٨.

[6]) والنشاءة على وزن الفعالة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو، وهي قراءة الأعرج والحسن البصري. ذكر أوله العكبري في التبيان ١٨٢/٢، معاني القرآن للفراء ٣١٥/٢، الكشاف ٥٤٤/٤، المحرر الوجيز ٣١١/٤.

[7]) لأنه سبحانه قد يتجاوز عن الذنب ويعفو تفضلا ـ ماخلا الشرك ـ ، وفي ذلك إرهاب للعاصي؛ فإنه سبحانه قد يؤاخذه أيضًا بذنبه، ولا يغفره له عدلا منه، فإذا علم ذلك العاصي انزجر وانتهى عن المعصية. =

قوله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ [٢٣]

معناه: والذين جحدوا بمحمد ﷺ وبالقرآن والبعث والجزاء بعد الموت أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة [١]؛ باعتقادهم أنها لا تقع بهم، و أولئك لهم عذاب أليم يخلص وجعه إلى قلوبهم ، ويجوز أن يكون الغرض من الآية أنه تعالى ذم قومًا هانوا عليه فأيسهم من رحمته [٢]

قوله عز وجل : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۞ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَاصِرِين﴾ [٢٤-٢٥]

معناه: فلم يكن جواب قوم إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين دعاهم إلى الله تعالى إلا أن قالوا: اقتلوه أو حرقوه بالنار، ثم قذفوه في النار فأنجاه الله تعالى من النار سالمًا. إن في ما فعل الله تعالى لعلامات وعبرات لقوم يصدقون بالله تعالى ورسله ـ عليهم السلام ـ. قال إبراهيم عليه السلام: إنما اتخذتم من دون الله تعالى [أي: عبدتم من دون الله تعالى][٣] أوثانًا هي مودة بينكم في الحياة الدنيا، ثم عن قريب تنقطع وتنقلب عداوة بعد الموت، يتبرأ حينئذ بعضكم من بعض ويلعن العابد المعبود ، والعابدون بعضهم بعضًا، ويكون مصيركم في الآخرة إلى النار، ومالكم مانع يمنعكم من عذاب الله، ونظير هذه الآية قوله عز وجل : ﴿الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِين۞ يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ [عَلَيْكُمْ]﴾[٤] ويجوز أن يكون (ما) في قوله تعالى في معنى الذي كأنه قال:

= قال الرازي: قوله: (يعذب من يشاء) لا يزجر الكافر لجواز أن يقول لعلي لا أكون ممن يشاء الله عذابه فنقول: هذا أبلغ في التخويف ، وذلك لأن الله أثبت بهذا إنفاذ مشيئته إذا أراد تعذيب شخص فلا يمنعه منه مانع ، ثم كان من المعلوم للعباد بحكم الوعد والإيعاد أنه شاء تعذيب أهل العناد ، فلزم منه الخوف التام.أهـ مفاتيح الغيب ٢٥ / ٤٤، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (رسالة في خواتيم سورة البقرة) ١٤ / ١٣٢ ، اللباب لابن عادل ١٥ / ٣٣٣، روح المعاني ٢٠ / ١٤٨.

[١]) في (ب) في الأرض.

[٢]) معاني القرآن للزجاج عن قتادة.١٦٥/٤ ، ونقله الزمخشري في الكشاف عنه أيضًا. ٥٤٥/٤.

[٣]) زيادة من النسخة (ب).

[٤]) سورة الزخرف: [٦٧- ٦٨].

إن الذي اتخذتموه من دون الله أوثانًا مودة بينكم ما دمتم في الحياة الدنيا ، فيكون[١] المودة رفعًا [٢] لأنها خبر إن [٣].

ومن قرأ مودة بينكم بالنصب والتنوين[٤] فهي نصب على أنها مفعول والمعنى:[٥] اتخذتم هذه المودة لتتوادوا وتتواصلوا عليها [٦].

قوله عز وجل: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٢٦–٢٧]

معناه: آمن لوط عليه السلام برسالة إبراهيم عليه السلام ، وقال إبراهيم عليه السلام: إني مهاجر إلى ربي، أي: إلى الموضع الذي أمرني ربي بالهجرة إليه[٧].

قال بعضهم ـ رحمهم الله ـ :كان مأمورًا / بالهجرة من كوثى[٨] وهي سواد ٤٥٧/أ

---

[١]) هكذا في الأصل، والصحيح فتكون.

[٢]) (مودةُ بينِكم) برفع مودة من غير تنوين وخفض (بينِكم) قراءة ابن كثير وأبو عمرو والكسائي و رويس، وكذا قرأ حمزة وحفص وروح إلا أنهم نصبوا مودة.[وتركوا التنوين، والإضافة إلى بين]. انظر: النشر.ص٤٣٧، الكشف لمكي ٢٨١/٢، الإتحاف ٤٤٠/١، التيسير ١٧٣/١، السبعة ٤٩٩/١، تفسير الطبري ٣٨١/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦٧/٤.

[٣]) في (ب) لا خبر إن.

[٤]) (مودةً) بنصبها منونة ونصب (بينَكم) قراءة الباقين. النشر. ص٤٣٧، الكشف لمكي ٢٨١/٢، الإتحاف٤٤٠/١، التيسير ١٧٣/١، السبعة ٤٩٩/١، تفسير الطبري ٣٨٢/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦٧/٤، بحر العلوم ٥٣٥/٢ ، الكشف والبيان ١٠/٥، التبيان للعكبري ١٨٢/٢.

[٥]) كتب في حاشية الأصل: إنما اتخذتم.

[٦]) ولن تنفعكم، أو تكون عليكم، لدلالة قوله تعالى بعدها :(ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض). الدر المصون ٣٥٥/١١.

[٧]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس و الضحاك. ٣٨٢/١٨ ، تفسير ابن كثير ٥٠٢/٣.

[٨]) الكوت: مدينة عراقية معروفة ، تقع شرق العراق على نهر دجلة ، في منطقة زراعية خصبة تحيطها البساتين والحقول ، يعمل أهلها في عدد من الأنشطة الاقتصادية خاصة تجارة الحبوب و التمور، وبعض الصناعات اليدوية الخفيفة. انظر: موسوعة الألف مدينة ص ٤٠٣.

الكوفة [١] إلى الشام[٢][٣]، وقال بعضهم ـ رحمهم الله ـ :
كان مأمورا بالهجرة من حران[٤] إلى فلسطين[٥][٦]، فصدقه ابن أخيه لوط ـ لوط ـ عليهما السلام ـ فيما أمر به وبايعه على الهجرة فخرج به وبامرأة نفسه سارة إلى موضع الهجرة [٧].

---

[١]) الكوفة: مدينة عراقية عريقة على مقربة من مدينة الحيرة ، تقع على نهر الفرات ، سميت الكوفة لاستدارتها ، تميزت بحسن مبانيها وأسوارها وأسواقها، مصرها سعد بن أبي وقاص أيام عمر، فهي أول مدينة اختطها المسلمون بالعراق في سنة أربع عشرة ، وهي المدينة التي اختارها علي بن أبي طالب رضي الله عنه لتكون مقرا لخلافته عام ٣٥هـ ، تنتشر حولها أشجار النخيل. انظر: موسوعة الألف مدينة ص ٤٠٨، أطلس الحديث النبوي ص٣٢١، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١ / ٤٠، معجم البلدان ٤ / ٥، نزهة المشتاق ١ / ١٢٢، الروض المعطار ١ / ٥٠١.

[٢]) تقدم ذكرها في سورة النمل انظر ص ١٨٣.

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ٣٨٤/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦٧/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٣٠٥٠/٩، الكشف والبيان ١٠/٥، النكت والعيون ٢٨١/٤، البغوي ص٩٩٤، المحرر الوجيز ٣١٤/٤.

[٤]) حران: مدينة من ديار مضر، قديمة عتيقة، بينها وبين الرها يوم، وهي على طريق الموصل والشام والروم. قيل:سميت بهارَان أخي إبراهيم عليه السلام و أبي لوط عليه السلام؛ لأنه أول من بناها فعربت فقيل: حران وإليه تنسب، وهي مدينة الصابئين ولهم بها تل عليه مصلاهم، وهم يعظمونه، وذكر قوم أنها أول مدينة بُنيت على الأرض بعد الطوفان، وحران مدينة مسورة ليس فيها بساتين وماؤها من الآبار، ولها قرى متصلة بها، وهي مجمع الصابئين وقد درج أكثرهم وبقيت إلى اليوم منهم هناك بقية وهم الحرانيون. انظر: معجم ما استعجم ١ / ١٢٤، معجم البلدان ٢ / ٦٧، الروض المعطار ١/ ١٩١.

[٥]) فلسطين: آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها بيت المقدس،ومن مشهور مُدُنها: عسقلان، والرملة، وغزة، ونابلس، وأريحا، ويافا، وأكثرها جبال، ماؤها من الأمطار والسيول، وأشجارها قليلة وديارها حسنة، وهي أزكى بلاد الشام. قيل: إنها سميت بفلسطين بن سام بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. فتحها عمرو بن العاص في سنة خمس عشرة من الهجرة بأمر عمر بن الخطاب، ثم في سابع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بلغنا أن يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين فتح بيت المقدس وخطب فيه بنفسه وصلى فيه. وهي اليوم تحت وطأة الاحتلال اليهودي الغاشم؛ فقد استلبها الإنجليز بعد الثورة العربية الكبرى، ومكنوا لليهود فيها الاستيطان، حيث قامت دولة البغي والعدوان في سنة ١٣٦٨ هـ ولا زالت إلى اليوم، قيض الله للمسلمين صلاحا جديدا. انظر: معجم البلدان ٣ / ٣٤١، الروض المعطار ١ / ٤٤١ ، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٣٦٨، أطلس الحديث النبوي ص٢٩٧.

[٦]) معاني القرآن للفراء ٣١٦/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن جريج بلفظ : إلى حران ثم أمر بعد إلى الشام ٣٨٥/١٨، وقال الزمخشري في الكشاف: من كوثى إلى حران ثم منها إلى فلسطين. ٥٤٦/٤.

[٧]) البغوي ص٩٩٤.

وقوله تعالى: (إنه هو العزيز الحكيم) المنتقم ممن عصاه، الحكيم فيما حكم علينا من الهجرة. وقوله تعالى : (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) معناه: ووهبنا لإبراهيم ـ عليه السلام ـ من امرأته سارة إسحاق ولدًا ، ويعقوب ولد الولد[١]، لأن يعقوب شب وأدرك قبل أن قبض[٢] إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكذلك إسماعيل ـ عليه السلام ـ قد أدرك أولاده وتزوجوا وتناشئوا قبل موت إبراهيم ـ عليه السلام [٣] ـ فذلك قوله تعالى : (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) أكرمنا نسله بالنبوة والكتاب، فجعلنا التوراة والإنجيل والفرقان في ولده [٤] وأتيناه أجره في الدنيا، أراد به: الثناء الحسن[٥]، وموالاة جميع الأمم الأمم إياه [٦] وأنّه في الآخرة لمع آبائه المرسلين في الجنة[٧].

قوله عز وجل: ﴿ ولُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ۝ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٢٨-٢٩-٣٠].

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٣٦٨/١٨، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس نحوه ٣٠٥٢/٩، تأويلات أهل السنة٢٢٠/٨، بحر العلوم ٥٣٦/٢، المحرر الوجيز ٣١٤/٤، تفسير ابن كثير ٥٠٣/٣.

[٢]) هكذا في الأصل والصحيح يُقبض.

[٣]) ذكر ابن كثير ذلك عن إسحاق، ولم يتعرض لذكر إسماعيل ـ عليهما السلام ـ. تفسير ابن كثير ٥٠٣/٣، وذكر مقاتل في تفسيره: أنه هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة. ٥١٦/٢، وكذلك ذكره الثعلبي في الكشف والبيان عنه ١١/٥، فلعل ذلك يؤيد قول المؤلف.

[٤]) تفسير مقاتل ٥١٦/٢، تأويلات أهل السنة٢٢٠/٨، بحر العلوم ٥٣٦/٢، ذكره البغوي بلفظ: أن الله لم يبعث نبي بعد إبراهيم إلا من نسله. ص٩٩٤، الكشاف ٥٤٦/٤، المحرر الوجيز ٣١٤/٤.

[٥]) معاني القرآن للفراء ٣١٦/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٣٨٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦٧/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ٣٠٥٣/٩، بحر العلوم ٥٣٦/٢، المحرر الوجيز عن مجاهد ٣١٤/٤.

[٦]) تفسير مقاتل ٥١٦/٢،معاني القرآن للفراء ٣١٦/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن عكرمة وقتادة ٣٨٦/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقتادة وعكرمة ٣٠٥٣/٩، النكت والعيون عن قتادة ٢٨١/٤، الكشاف ٥٤٦/٤.

[٧]) قال البغوي: قيل: إنه رأى مكانه في الجنة. ص٩٩٤.

معناه:وأرسلنا لوطًا بالنبوة، إذ قال لقومه: إنكم لتأتون الفاحشة، يعني: عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه لم يعمله أحد قبلهم[١].

وقوله تعالى: (وتقطعون السبيل) قيل في معناه: وتقطعون الطريق، وذلك أنهم كانوا يفجرون بالغرباء؛ فشاع ذلك الخبر وانقطع السبيل[٢] ، وقيل في معناه: يهجرون سبيل الولد يعني فروج النساء[٣]، ويقطعون السبيل[٤].

وقوله : (وتأتون في ناديكم المنكر) أي: في مجالسكم[٥] الفسق، كانوا إذا جمعهم المجلس يخذفون[٦] بالأصابع ويسخرون من المؤمنين[٧] ومن

---

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن عمرو بن دينار ٣٨٧/١٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا ٣٠٥٤/٩، النكت والعيون بنحوه ٢٨١/٤.

[٢]) عن مقاتل قال: وكانوا لا يأتون إلا الغرباء. تفسير مقاتل ٥١٧/٢، معاني القرآن للفراء ٣١٦/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد بمعناه بلفظ: ٣٨٨/١٨، معاني القرآن للزجاج بنحوه ١٦٨/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالرحمن بن زيد ٣٠٥٤/٩، تأويلات أهل السنة ٢٢٣/٨، المحرر الوجيز ٣١٥/٤.

[٣]) معاني القرآن للفراء ٣١٦/٢، معاني القرآن للزجاج بنحوه ١٦٨/٤، بحر العلوم ٥٣٦/٢، النكت والعيون عن ابن عباس ٢٨٢/٤، الكشاف عن الحسن ٥٤٦/٤، المحرر الوجيز ٣١٥/٤.

[٤]) انظر النكت والعيون عن ابن زيد ٢٨٢/٤، المحرر الوجيز ٣١٥/٤، تفسير ابن كثير ٥٠٤/٣.

[٥]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس والقاسم بن محمد ٣٠٥٤/٩، النكت والعيون ٤ / ٢٨٢.

[٦]) الخذف: الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع، يقال: خذفه بالحصى خذفا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الخذف بالحصى. النهاية في غريب الحديث ١٦/٢، غريب الحديث لابن الجوزي ٢٦٩/١، لسان العرب مادة(خذف) ٩ / ٦١، تاج العروس مادة(خذف)٢٣/ ١٨٣ القاموس المحيط (فصل الخاء) ٣ / ١٣١.

[٧]) حديث حسن أخرجه الترمذي كتاب/ تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب/ ومن سورة العنكبوت حديث رقم(٣١٩٠)١٨٩/٤، بلفظ: كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم وقال: هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك حديث رقم(٣١١٤)٤٧٥/١٠، وأخرجه الإمام احمد في مسنده حديث رقم(٢٧٣٨٣)٣٨١/٤٥، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه حديث رقم(٣٤٩٦) ١٩٥/٨، وقال الذهبي على شرطهما، والطبراني في الكبير حديث رقم (٢٠٤٣٨) ١٤٨/١٨، والبيهقي في الشعب(٦٤٨١) ٢٧١/١٤، والطبري في تفسيره عن أم هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم ٣٨٩/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٠٥٤/٩، البغوي ص٩٩٥، السيوطي في الدر٢٤/٨.

غيرهم، ويصفقون بأيديهم، ويصفرون بأفواههم، ويرمون بالبنادق، ويمضغون العلك، ويحلون أزرار الأقبية [١].

وروي أنهم كانوا يتظارطون [٢]، وكانوا يلعبون بالحمام، ويضربون بالعود والمزامير[٣]، وكانوا لا يمتنعون عن هذه المعاصي، وكانوا يقولون ويفعلون ويفعلون في مجلسهم ما يقوله و يفعله الفساق ، إذا جمعهم المجلس. وقوله تعالى: (فما كان جواب قومه) يقول لم يكن جواب قوم لوط ـ عليه السلام ـ للوط ـ عليه السلام ـ إلا قولهم: ائتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين في مقالتك، إن العذاب نازل بنا، إن لم نؤمن بك. قال لوط ـ عليه السلام ـ: (رب انصرني) أي: أعني على القوم المفسدين.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۞ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغابِرِين ﴾ [٣١-٣٢]

معناه: وَلما جاء جبريل ومن معه من الملائكة ـ عليهم السلام ـ إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالبشارة له بولده إسحاق وولد ولده يعقوب؛ قالوا: إنا مهلكو أهل هذه القرية. يعني قرية سدوم [٤] إن أهلها كانوا ظالمين بالشرك والعمل الخبيث ، ، قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ:إن فيها لوطًا فكيف تهلكونهم؟ ! قالوا: نحن أعلم بمن فيها ، والأعلم: الذي هو يعلم الشيء من الوجوه المختلفة، فهو أكثر معلوما ممن يعلمه من بعض تلك الوجوه.

---

[١]) الأقبية: القباء الذي يلبس فوق الثياب أو القميص، قيل: هو من ملابس الأعاجم في الأغلب والجمع أقبية، و تقبى لبس القباء. مختار الصحاح ص٢٤٨، لسان العرب مادة(قبا) ١٥ / ١٦٨، تاج العروس مادة(قبو)٢٩ / ٢٦٥، الكشف والبيان ١٢/٥، البغوي ص٩٩٤.

[٢]) معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن عائشة ٣٨٩/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنها وعن القاسم بن محمد ٣٠٥٤/٩، الكشف والبيان ١٢/٥.

[٣]) بحر العلوم مختصرا ٥٣٦/٢، النكت والعيون ٢٨٢/٤، الكشاف ٥٤٧/٤، المحرر الوجيز ٣١٥/٤.

[٤]) سدوم " بفتح أوله : مدينة من مدائن لوط، وهي وما حولها المؤتفكات وكانت خمس قريات، وسدوم هي القرية العظمى، وهي كلها خراب الآن لا أنيس بها، وتسمى الأرض المقلوبة، تقع بين الحجاز والشام ويضرب المثل بجور أحكام قاضيها فيقال: أجور من قاضي سدوم، وإلى أهلها أرسل الله سبحانه نبيه لوطًا عليه السلام، و هي القرية التي أمطرت مطر السوء. انظر: معجم البلدان ٢ / ٤٤٠، معجم ما استعجم ١ / ٢٠١، آثار البلاد وأخبار العباد ١ / ٨٠ ، الروض المعطار ١ / ٣٠٨، والقول ذكره البغوي ص٩٩٥.

وقوله تعالى: (لننجينه وأهله) معناه: لننجينه وأهل دينه وابنتيه: زاعورا وريثا إلا امرأته واغلة [١] كانت من الباقين المهلكين[٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ ۞ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٣٣-٣٤-٣٥]

وذلك أنَ هؤلاء الملائكة جاءوا لوطًا عليه السلامَ علىً هيئة الغلمان فساءه مجيؤهم ، خوفا عليهم من قومه وضاق عليه الأمر بسيئتهم[٣]، فقالوا: لا تخف ولا تحزن إنا منجوك منهم و منجو أهلك إلا امرأتك تكون من الباقين في موضع العذاب. إنا منزلون على أهل هذه القرية عذابًا [٤] بالحجارة من السماء بسبب فسقهم ، يروى أن تلك القرية كانت مشتملة / على سبعمائة [٥] ألف رجل [٦].

٤٥٨/ ب

وقوله تعالى:(ولقد تركنا منها آية بينة) قال بعضهم ـ رحمهم الله ـ :أراد بالآية: الحجارة التي أرسلت عليهم ، على كل حجر اسم من أهلك به [٧].

وقال بعضهم ـ رحمهم الله تعالى ـ: تلك الآية هي ترك بعض ديارهم منكوسة عظة وعبرة للناس، أظهر الله فيها ماء أسود منتنا يتأذى الناس برائحته من مسافة بعيدة [٨]. وقوله تعالى : (لقوم يعقلون) أي: يتفكرون فيما فعل الله بهم فلا يفعلون مثل فعلهم.

---

[١]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي مطولا وفيه: اسم الكبرى ربثا والصغرى زغرثا. ٣٠٥٧/٩. وتعيين الأسماء من قبيل الإسرائيليات ، إلا ما ورد فيه النص ، ولا نص عندنا.

[٢]) تفسير مقاتل ٥١٧/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٣٠٥٦/٩، المحرر الوجيز ٣١٦/٤، مجاز القرآن ١١٥/٢. وانظر معنى الغابرين في سورة الشعراء ص ١٣٤.

[٣]) في (ب) بسببهم.

[٤]) تفسير مقاتل ٥١٨/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره قتادة وابن عباس ٣٠٥٨/٩.

[٥]) في (ب) سبعة آلاف.

[٦]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة بلفظ: كان فيها أربعمائة ألف. ٣٠٥٦/٩. كذلك تعيين الأعداد من الروايات الإسرائيليات إلا ما حددته النصوص.

[٧]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة دون آخره ٣٩٧/١٨، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٣٠٥٨/٩، بحر العلوم ٥٣٧/٢ ، البغوي عن قتادة ولم يذكر أن عليها اسم من هلك به، وإنما قال: أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة. ص ٩٩٥.

[٨]) الكشف والبيان عن مجاهد ١٣/٥، البغوي عنه أيضًا. ص٩٩٥، الكشاف بلفظ: الماء الأسود على وجه الأرض.٥٤٨/٤.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [٣٦-٣٧] معناه: وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم في النسب[1] شعيبًا عليه السلام، فقال: يا قوم أطيعوا الله وخافوا عقاب الله تعالى[2]، ولا تسعوا في الأرض بالفساد ، فكذبوه في الرسالة فأخذتهم الزلزلة فأصبحوا في دارهم ميتين باركين على ركبهم[3].

قوله عز وجل : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [٣٨] معناه: وأهلكنا قوم هود، وقوم صالح، وقد تبين لكم مَن مساكنهم حين تمرون بها، وزين لهم الشيطان أعمالهم القبيحة فصرفهم عن طريق الحق، وكانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق عن الباطل[4] ، ويقال: كانوا معجبين بضلالهم يرون أنهم على الحق ولم يكونوا كذلك [5].

قوله عز وجل: ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۞ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [٣٩- ٤٠] معناه: وأهلكنا قارون وفرعون وهامان بعد ما جاءهم موسى بالبينات بالمعجزات، فتعظموا عن الإيمان به ولم يكونوا فائتين[6] من عذاب الله تعالى كما يفوت السابق.

---

[1]) تقدم هذا المعنى في سورة الشعراء انظر ص ١٢٥.

[2]) تفسير الطبري ٣٩٧/١٨، الكشاف ٥٤٨/٤، المحرر الوجيز عن أبي عبيدة ٣١٦/٤.

[3]) مجاز القرآن ١١٦/٢، الكشاف ٥٤٨/٤.

[4]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس بمعناه ٣٠٦٠/٩، تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٢٧/٨، بحر العلوم ٥٣٨/٢ ، معاني القرآن للفراء بلفظ: ذوو بصائر.٣١٧/٢.

[5]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ٣٩٩/١٨، بحر العلوم ٥٣٨/٢، الكشف والبيان ١٣/٥، البغوي عن مقاتل وقتادة والكلبي.ص٩٩٦، المحرر الوجيز عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ٣١٧/٤.

قال ابن عطية: وتزيين الشيطان هو بالوسواس ومناجاة ضمائر الناس ، وتزيين الله تعالى الشيء هو بالاختراع وخلق محبته والتلبس به في نفس العبد.أهـ ٣١٧/٤. وقال ابن القيم: فتزيين الرب تعالى عدل، وعقوبته حكمة. وتزيين الشيطان إغواء. شفاء العليل ٢٦٧/١، وقد سبق ذكر التزيين في سورة النمل انظر ص ١٥٤.

[6]) في (ب) قانتين.

وقوله تعالى : (فكلا أخذنا بذنبه) معناه: كل هؤلاء القوم الذين ذكرناهم عاقبناهم بذنوبهم، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا ، يعني: الحجارة وهم قوم لوط، والحاصب والحصباء بمعنى واحد [١] ، ويقال الحاصب: الريح التي تأتي بالحصباء ، وهي الحصا الصغار [٢]. ومنهم من أخذته الصيحة: و هم قوم صالح، وشعيب أسمعهم الله تعالى صيحة زهقت أرواحهم بها، ومنهم من خسفنا به الأرض وهم قارون وأصحابه، ومنهم من أغرقنا، وهم قوم نوح، وقوم فرعون[٣]، وما كان الله تعالى ليظلمهم بإهلاكه إياهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر والعمل بالمعاصي،ولم يهلك الله تعالى قومًا بالكفر دون سائر المعاصي؛لأن الكفر موعده النار في الآخرة ، وإنما أُهلكوا لمعصية انضمت إلى الكفر.

قوله عز وجل : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ۞ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۞ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [٤١-٤٢-٤٣]

معناه: مثل الذين عبدوا من دونَ الله أربَابًا في وهَن أفعالهم كمثل العنكبوت في ضعف ما تبنيه لنفسها، وذلك أن مقاصد الناس من اتخاذ غير الله تعالى وليًا لجر نفع أو دفع ضر، كما أن مقاصدهم من اتخاذ البيت دفع الحر والبرد، والتحمل والتستر عن أعين الناس حتى لا يطلعوا على أحوالهم فكما أن بيت العنكبوت لا يحصل منه شيء من المقاصد التي تطلب من البيوت، فكذلك من اتخذ غير الله تعالى وليًا لم يحصل له شيء من مقاصده فذلك قوله تعالى : (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) أي: لو علموا أن اتخاذهم الأولياء سوى الله كاتخاذ العنكبوت بيتًا في قلة النفع، ما اتخذوهم

---

[١]) قال النضر: الحاصب الحصباء في الريح، وذكر ابن عاشور في التحرير قيل : الحاصب هنا بمعنى ذي الحصباء ، فصوغ اسم فاعل له من باب فاعل الذي هو بمعنى النسب مثل لابن و تامر. تفسير القرطبي ٩٩/٢٠، اللباب لابن عادل ١٥ / ١٣، التحرير والتنوير ٨ / ٢٧١.

[٢]) مجاز القرآن بنحوه ١١٦/٢، الكشف والبيان ١٣/٥، البغوي ص٩٩٦، لسان العرب مادة(حصب)١ / ٣١٨، تهذيب اللغة مادة(حصب) ٢ / ١٨، كتاب العين٣ / ١٢٤.

[٣]) تفسير مقاتل ٥١٩/٢، تفسير الطبري ذكره مفصلا كل رواية على حده ٤٠١/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٦٩/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٣٠٦٢/٩، تأويلات أهل السنة ٢٢٨/٨، بحر العلوم ٥٣٨/٢، المحرر الوجيز ٣١٨/٤.

أولياء[1]. ويجوز أن يكون قوله:(لو كانوا يعلمون) متصلاً بقوله تعالى:(اتخذوا)[2].

والمثل: قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول[3] / والأمثال هي الأشباه والنظائر[4]، والاتخاذ أخذ الشيء على وجه الإعداد ......[5] وهو الافتعال من الأخذ [6]. والعنكبوت تذكر وتؤنث ووزنه فعللول ، وتصغيره عنيكب، ويقال فيه: العنكبا [7]. ولم يزل الناس يضربون بها المثل . ٤٥٨/أ

وقوله تعالى : (وما يعقلها إلا العالمون) فائدة تخصيص العالم بالذكر، إن غير العالم لا يتذكر، ولا يتدبر، ولا يفقه الأمثال ولا غيرها [8].

قوله عز وجل : ﴿ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٤]

معناه: خلق الله السماوات والأرض لأمر حق كائن لا للعبث، إن فيما ذكر من الأمثال وخلق السماوات والأرض لعلامة دالة على توحيد الله تعالى للمؤمنين.

قوله عز وجل : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [٤٥]

معناه: اقرأ يا محمد ﷺ عليهم ما أنزل الله عليك من القرآن، وأقم الصلوات الخمس في مواقيتها بشرائطها وسننها وآدابها إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وذلك أن في الصلاة تكبيرا وتسبيحًاوقراءة ووقوفًا للعبادة على

---

[1]) أخرجه الطبري في تفسيره بمعناه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ٤٠٤/١٨ و ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة والضحاك وقال: روي عن ابن عباس نحوه. ٣٠٦٣/٩، تأويلات أهل السنة ٢٢٩/٨، بحر العلوم ٥٣٨/٢، الكشاف ٥٤٩/٤.

[2]) معاني القرآن للزجاج ١٦٩/٤.

[3]) الكشف والبيان ١٤/٥، البغوي ص٩٩٦، وانظر: البرهان في علوم القرآن١ / ٤٩٠، الفروق اللغوية ص٤٨٠.

[4]) تفسير الطبري ٤٠٦/١٨، مجاز القرآن ١١٦/٢، المحيط في اللغة لابن عباد ٤١٢/٢.

[5]) مكان النقط كلمة هكذا رسمها (للنابية) ، ولم يتبين لي المعنى.

[6]) وهو قول الجوهري في لسان العرب مادة(تخذ) ٣ /٤٧٨، بصائر ذوي التمييز (الباب الرابع - في وجوه الكلمات المفتتحة بحرف التاء) ١ / ٤٤٥.

[7]) ذكر في الكشف والبيان وزنته : فعللوت ١٤/٥، وقال العكبري: النون في عنكبوت أصل، والتاء زائدة لقولهم في جمعه عناكب. التبيان ١٨٣/٢، النكت والعيون ٢٨٤/٤، المحكم والمحيط الأعظم ١ / ٣٥٠، الدر المصون ٣٦٣/١١.

[8]) تأويلات أهل السنة ٢٣٠/٨، تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣.

وجه الذل والخشوع ، وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضده فهي كالآمر والناهي بالقول[1] كما قال تعالى :
﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقّ ﴾[2] ويقال: قامت الصلاة إذا قام القوم لها.
وعن رسول الله ﷺ أنه قيل له: إن فلانًا يصلي بالليل ويسرق بالنهار فقال: (لعل صلاته تنهاه)[3].
وعنه ﷺ أنه قال:(من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله تعالى إلا بعدًا) [4].
وعن ابن مسعود [5] ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: "الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها"[6]. يحتمل أن يكون معناه: إلا من أقامها على وجهها، ويحتمل أن يكون إلا من أطاع ما تضمنته القراءة في الصلاة.
فأما ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:(حبب إلي من دنياكم النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)[1].

---

[1]) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي العالية معناه ٣٠٦٦/٩، المحرر الوجيز بنحوه ٣١٩/٤.
[2]) سورة الجاثية : [٢٩]
[3]) لم أجده بلفظه ، لكن قريب من معناه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة حديث رقم(٩٧٧٨)٤٨٣/١٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه. حديث رقم(٢٥٦٠) ٣٠٠/٦.

والبزار في كشف الخفاء ص ٧٢٠، و الطحاوي في مشكل الآثار ٤٣٠/٢، كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد رقم (٣٥٥٥) وقال: رواه الإمام أحمد و البزار ورجاله رجال الصحيح. أهـ ٢٦١/٢.
[4]) ورد عن الحسن مرفوعا بزيادة (لم تأمره بالمعروف). أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٩٨/٢، و البيهقي في الشعب حديث رقم(٣١١٥) ٢٦٣/٧، من طريق إسماعيل ، و أخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن ٤٠٩/١٨، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم(١١٠٢٥)٥٤/١١، وابن أبي حاتم في تفسيره مرفوعا من طريق ليث بن أبي سليم عن طاووس عن ابن عباس ٣٠٦٦/٩، وعزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد. ١٤٥/٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه ليث بن أبي سليم يدلس. رقم(٣٥٥٧) ٣٠٥/٢ ، تخريج أحاديث الكشاف ٣ / ٤٥.
[5]) تقدمت ترجمته انظر ص٩٠.
[6]) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩) ١٦٣/٨، وأخرجه الطبري في تفسيره ٤٠٨/١٨،وابن أبي حاتم في تفسيره عنه بنحوه. ٣٠٦٦/٩ ، و البيهقي في الشعب رقم (٣١١٦) ٢٦٤/٧، وعزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد وابن المنذر٣٩/٨.

فالمراد به ـ والله أعلم ـ أنه كان إذا دخل في الصلاة يرى فيها ما تقر عينه به[٢].

وقوله تعالى : (ولذكر الله أكبر) معناه: ولذكر الله تعالى إياكم بالتوفيق والمغفرة والثواب، أكبر من ذكركم إياه بالطاعة [٣]. وقيل: ذكر الله تعالى من العباد في الصلاة أفضل من الصلاة [٤]، وقيل: ذكر الله تعالى في المنع من الفحشاء والمنكر أكبر من الصلاة [٥]، وذلك أن العاقل إذا أشرف على معصيته، وعلم ماله من الثواب في تركها، وما عليه من العقاب في فعلها، وذكر أن الله تعالى عالم به قادر على أخذه، كان ذلك أبلغ في منعه عنها من الصلاة. ويجوز أن يكون أكبر في معنى: الكبير في الجزاء والثواب، أو في

---

[١]) أخرجه النسائي في سننه عن أنس رضي الله عنه كتاب /عشرة النساء، باب/حب النساء،حديث رقم (٣٣٩١) ١١٨/٤، وليس فيه من دنياكم. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث =
= رقم(١٢٢٩٣)١٩/٣٠٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك رقم (٢٦٢٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي. ٢٤٨/٦، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن. التلخيص ٣ / ٢٥٤.

[٢]) قوله: (قرة عيني في الصلاة) إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى حتى أنه بمناجاته تقر عيناه، وليس له قريرة العين فيما سواه فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى كما قال:(لو كنت متخذا أحدا خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن) أو كما قال. حاشية السندي على النسائي ٧ / ٦١، وقال ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري: أنه كان يرى فيها الجنة وما وعد الله فيها لأوليائه المؤمنين. شرح ابن بطال ١٧ / ١٩٦ ، وقال المناوي: (جعلت قرة عيني في الصلاة) لأنه كان حالة كونه فيها مجموع الهم على مطالعة جلال الله وصفاته؛ فيحصل له من آثار ذلك ما تقر به عينه. فيض القدير ٢ / ١٤٦.

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وعكرمة ٤١١/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٣٠٦٧/٩، تأويلات أهل السنة ٢٣٢/٨، بحر العلوم بنحوه ٥٣٩/٢، النكت والعيون عن ابن عباس ٢٨٥/٤، وأخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: ذكر الله أكبر من ذكركم إياه. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و وافقه الذهبي. ٨ / ١٩٦. المحرر الوجيز عن ابن عباس وأبو الدرداء وسلمان وابن مسعود وأبو قرة بنحوه ٣٢٠/٤.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي مالك ٤١٦/١٨، تأويلات أهل السنة ٢٣٢/٨، النكت والعيون عن أبو مالك ٢٨٤/٤.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي عون بمعناه ٤١٧/١٨، تأويلات أهل السنة ٢٣٢/٨، الكشف والبيان عن ابن عطاء بمعناه. ١٨/٥، النكت والعيون عن ابن عون ٢٨٥/٤.

معنى: الكبير الذي هو يقبل، شديد على الإنسان لمخالفة الهوى[١] كما قال جل وعز : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[٢].

وقوله تعالى:(والله يعلمَ ماَ تصنعون) أي: ما تعملون من الخير والشر، لا يضيع عنده طاعة ولا يخفى عليه سيئة.

قوله عز وجل : ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ۞ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُون﴾[٤٦-٤٧] معناه: ولا تخاصموا أهل الكتاب إلا بالطريقة التي هي أحسن، وهو أن تعظوهم بالقرآن على وجه النصح لهم والاستمالة إلى دين الإسلام، وتعظيم أمر الله تعالى وطلب ثوابه، إلا من ظلم من أهل الكتاب فمنع الجزية أو نقض العهد [٣]، وعاد حربًا لكم، فجادلوهم باللسان والسنان، وأغلظوا عليهم إذا قاموا على جدالكم بعد قيام الحجة عليهم.

وقوله تعالى: (وقولوا آمنا) معناه: قولوا للمعاهدين منهم آمنا بالقرآن الذي أنزل إلينا وبما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل و الزبور، وإلهنا وإلهكم / ٤٥٩/ب واحد ونحن له مخلصون بالعبادة والتوحيد ، وهذه صفة المجادلة الحسنة.

والجدل: فتل الخصم عن مذهب بالحجة منه ، ومنه الأجدل وهو: الصقر[٤]، وقيل: المجادلة أن يروم كل واحد من الخصمين أن يضرب بصاحبه الجدالة وهي: الأرض[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾[٤٧] معناه: أنزلنا إليك القرآن كما أنزلنا إليهم الكتب، فالذين آتيناهم الكتاب، أي: أكرمناهم

---

١) معاني القرآن للزجاج بأوجز منه ١٧٠/٤، تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٣٢/٨، المحرر الوجيز ٣٢٠/٤.

٢) سورة البقرة : [٤٥].

٣) أخرجه الطبري في تفسيره عن سعيد و مجاهد بنحوه ٤١٨/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد بأوجز من هذا ٣٠٦٩/٩، تأويلات أهل السنة بنحوه ٢٣٣/٨، الكشاف بنحوه ٥٥٣/٤.

٤) في (ب) الصرم. والصقر يقال له أجدل لأنه من أشد الطير. معاني القرآن للزجاج ٤٩/٣.

٥) الكشف والبيان ١٨/٥، المحكم والمحيط الأعظم ٣ / ٢٦٧، الفروق اللغوية ص ١٥٨، لسان العرب مادة(جدل) ١١ / ١٠٣، تاج العروس مادة(جدل) ٢٨ / ١٠٩.

بعلم التوراة وهم عبدالله بن سلام[١] و أصحابه يؤمنون بالقرآن بدلالة التوراة[٢].

وقوله تعالى: (ومن هؤلاء) أراد به: من المشركين من يُقِر ويصدق بالقرآن من غير جهة علم الكتب المتقدمة ، وما يجحد بآياتنا أي: محمد ﷺ والقرآن إلا من ثبت على الكفر وجحد نعمة الله تعالى .

قوله عز وجل : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ۞ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [٤٨-٤٩]

معناه: وما كنت يا محمد ﷺ تقرأ من قبل القرآن من كتاب ولا تكتبه يمينك[٣]، ولو كنت تقرأه وتكتبه؛لو جد المبطلون طريقًا إلى التشكيك في أمرك والارتياب في نبوتك، فيقولون إنه يقرأه من الكتب الماضية [٤]، فلما كان معلومًا عندهم ، أنه عليه السلام كان لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط من هو من أهل الكتاب، ثم أنه ﷺ أتى بالقرآن الذي عجزوا عن الإتيان بسورة مثله؛ دلهم ذلك على أنه من عند الله تعالى، ولم يكن في كون النبي ﷺأميًا لا يكتب على جبلة العرب ما يوجب قدحًا في أمره، لأن ذلك كان أعظم لقدره، وأعجب لمعجزته، وأبعد من يوجبه المضنة عليه.

وقوله تعالى :(بل هو آيات بينات) قال بعضهم ـ رحمهم الله ـ: أراد به النبي ﷺفإن نعته كان مذكورًا في الكتب المتقدمة ، يعرفه أهل العلم من أهل الكتاب [٥].

---

[١]) تقدمت ترجمته انظر ص ١٥٣.

[٢]) تفسير مقاتل ٥٢١/٢، البغوي ص ٩٩٦.

[٣]) مجاز القرآن ١١٧/٢، معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ٤٢٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٧١/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهما ٣٠٧١/٩، تأويلات أهل السنة ٢٣٥/٨، النكت والعيون عن يحيى بن سلام ٢٨٧/٤.

[٤]) تفسير مقاتل ٥٢١/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة بمعناه ٤٢٥/١٨، بحر العلوم بنحوه ٥٤٠/٢، الكشف والبيان ٢٠/٥، البغوي ص٩٩٦، الكشاف ٥٥٣/٤.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس والضحاك وقتادة وابن جريج ٤٢٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٧١/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة والضحاك. ٣٠٧١/٩، بحر العلوم ٥٤٠/٢، الكشف والبيان ٢٠/٥.

وقال بعضهم: أراد به: القرآن [١] فإنه علامات دالات في قلوب العلماء ، فإن القرآن محفوظ بالقلوب، مسطور في المصاحف ، مقروء على الألسن.

وقوله تعالى: (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) أي: بمحمد عليه السلام والقرآن إلا من ترك التدبر في آيات الله.

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ۞ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۞ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٥٠-٥١-٥٢]

معناه: وقال الكفار: لولا أنزل أي: هلا أنزل على محمد ﷺ آيات من ربه، أرادوا به الآيات التي كانوا يقترحونها عليه، كما ذكره تعالى في قوله تعالى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ [٢].إلى آخر الآيات [٣] .

وقوله تعالى : (قل إنما الآيات عندَ الله) أي: في حكم الله تعالى إن شاء أنزلها، وإنما أنا رسول مخوف لكم بلغة تعرفونها، وإنما كانت الحكمة في ترك إجابة الأنبياء عليهم السلام إلى الآيات المقترحة؛ لأنه تعالى لو أجاب قومًا إلى آية مقترحة طلب منه قوم آخرون آية أخرى، فإذا أجابهم إليها طلبوا آية أخرى، ثم آية بعد آية، فيؤدي ذلك إلى ما لا يتناهى. ولأن هؤلاء طلبوا آيات تضطرهم [٤] إلى الإيمان فلو أجابهم إليها؛ لما استحقوا الثواب على ذلك[٥]. وقوله تعالى : (أولم يكفهم) معناه: أولم يكن لهم كفاية في معرفة نبوتك إنا أنزلنا عليك القرآن الذي يقرأ عليهم بلغتهم ولسانهم، مما فيه من أخبار الأمم الماضية مع عجزهم عن الإتيان بحديث مثله، إن في إنزال القرآن لنعمة ، وعظة لقوم يؤمنون به [٦].

---

١) معاني القرآن للفراء ٣١٧/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن ٤٢٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٧١/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا ٣٠٧١/٩، تأويلات أهل السنة ٢٣٥/٨، بحر العلوم ٥٤٠/٢ ، المحرر الوجيز ٣٢٢/٤.

٢) سورة الإسراء : [٩٠].

٣) الطبري بمعناه ٤٢٨/١٨، النكت والعيون ٢٨٨/٤، الكشاف ٥٥٦/٤.

٤) في الأصل بالتحتية (يضطرهم).

٥) تقدم هذا المعنى في سورة الشعراء انظر ص ١٠٠ ، وانظر تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٣٧/٨.

٦) بحر العلوم ٥٤٠/٢، البغوي ص٩٩٧، تفسير ابن كثير ٥١٢/٣.

والكفاية في اللغة: بلوغ حديث في الحاجة إلى ما وراءه، ودليل ينفي الحاجة إلى غيره فيما يؤدي إلى العلم بصحة النبوة [١].

ويروى أن قومًا من المسلمين كتبوا شيئًا من اليهود فأتوا النبي ﷺ فقال: (كفى بها ضلالة قوم أو جماعة قوم، إن رغبوا عما أتى به نبيهم إلى ما أتى به غير نبيهم إلى غير قومهم)[٢].

وقوله تعالى:(قل كفى بالله) معناه: قل لهم يا محمد ﷺ : كفى بالله تعالى بيني وبينكم شهيدا بأدّي رسوله إليكم، ومثال هذا الكلام لا يكون إلا ممن بالغ في الكلام والبيان، فإذا لم يؤثر كلامه استحكم رأيه على خصمه؛ ولذلك قال: يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا / بالباطل أي: صدقوا بالأصنام[٣] وجحدوا وحدانية الله تعالى ودين الإسلام أولئك هم الخاسرون لأنفسهم؛ بفوت الثواب واستحقاق العقاب، فشبه العامل بالهوى في الإيمان بالباطل والكفر بالله تعالى بالتاجر الذي ذهب رأس ماله؛ لأنه خسر نفسه بتعريضها للهلاك.

٤٥٩/أ

قوله عز وجل : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ [وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۞ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ] وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ۞ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٥٣-٥٤-٥٥]

معناه: ويستعجلونك - كفار مكة - بالعذاب قبل وقته، ولولا أن الله تعالى جعل لعذابه أجلاً قد سماه لعجل لهم العذاب في الحال[٤]، ويقال: لولا الموت الذي يوصلهم إلى عذاب أشد من ذلك لعجل لهم العذاب [١].

---

[١]) لم أقف عليه ولعله من قول المؤلف.

[٢]) أخرجه أبو داود في المراسيل باب ما جاء في العلم حديث رقم (٤٥٤) ص ٣٢٠، والطبري في تفسيره عن يحيى بن جعدة. ٤٢٩/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره عنه ٣٠٧٢/٩، والدارمي في سننه باب/ من لم ير كتابة الحديث ١٢٤/١. والحديث ضعيف الإسناد لإرسال يحيى بن جعدة. المحرر في أسباب النزول ٧٧٦/٢، الاستيعاب في بيان الأسباب ٤٧/٣.

[٣]) بحر العلوم ٥٤١/٢، النكت والعيون عن ابن شجرة ٢٨٩/٤، المحرر الوجيز ٣٢٢/٤.

[٤]) تفسير الطبري ٤٣٠/١٨، النكت والعيون عن قتادة. ٢٩٠/٤، الكشاف بنحوه ٥٥٧/٤، تفسير ابن كثير ٥١٢/٣.

وقوله تعالى : (وليأتينهم بغتة) قيل: أراد به العذاب الذي كانوا يستعجلونه(٢)، وقيل: هو الموت (٣)، وقيل: هو القيامة (٤). كل ذلك يأتيهم فجأة وهم لا يعلمون بوقته. وقوله تعالى: (يستعجلونك) فيه تعجيب من استعجالهم العذاب مع أن جهنم محيطة بهم في الآخرة في يوم يغشاهم العذاب، أي: يأخذهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم فلا يبقى جزء منهم إلا وهو معذب في النار. ويقال لهم: ذوقوا جزاء أعمالكم ، وهذا كما يقال لمن ابتلي بعقوبة عمله: ذق ما كسبته لنفسك(٥)، و يجوز أن يكون معنى الذوق: أنهم يذوقون العذاب نوعًا بعد نوع وحالاً بعد حال(٦).

قوله عز وجل : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠]

نزلت هذه الآيات في جماعة المؤمنين الذين كانوا جملة، فأمروا بالهجرة إلى المدينة فشق ذلك عليهم من جهة الطبع ، وقالوا: كيف يكون حالنا إذا انتقلنا إلى دار الغربة، وليس بها أحد يعرفنا فيواسينا، ولا نعرف وجوه الاكتساب بها، فقطع الله تعالى أعذارهم بهذه الآيات (٧). ومعناها: يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون، فإن ضاقت بكم أرض لا يمكنكم عبادة الله فيها فانتقلوا إلى أرض يمكنكم عبادة الله تعالى فيها (٨)، وإياي فاعبدون من غير أن تطيعوا أحدًا من خلقي في معصيتي.

---

[١]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة بنحوه ٣٠٧٤/٩، البغوي بمعناه عن الضحاك ص٩٩٩، الكشاف بمعناه ٥٥٧/٤، المحرر الوجيز عن الضحاك بمعناه ٣٢٣/٤.

[٢]) الكشف والبيان ٢١/٥، النكت والعيون ٢٩٠/٤، البغوي ص٩٩٩.

[٣]) الكشف والبيان بلفظ: الأجل. ٢١/٥، البغوي ص ٩٩٩.

[٤]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن جبير ٣٠٧٤/٩ ، معاني القرآن للفراء ٣١٨/٢.

[٥]) وهذا عذاب معنوي على النفوس. تفسير ابن كثير ٥١٢/٣.

[٦]) لفتة جميلة من المؤلف.

[٧]) انظر تفسير مقاتل ٥٢٤/٢، الكشف والبيان ٢٢/٥، النكت والعيون بمعناه. ٤ / ٢٩٣، البغوي.ص٩٩٩. وهو عندهم بلا إسناد، فلم يمكنني الحكم عليه، وهو عندي أشبه بمناسبة الآية وبيان معناها، والله أعلم.

[٨]) معاني القرآن للفراء بأوجز من هذا ٣١٨/٢، تفسير الطبري ٤٣٥/١٨، معاني القرآن للزجاج بنحوه ١٧٢/٤، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد وعطاء ومجاهد و ابن زيد نحوه

وقوله تعالى : (كل نفس ذائقة الموت) معناه: كل نفس منفوسة لابد لها من أن تذوق الموت، ثم إلى موضع جزائنا ترجعون بعد الموت. وقوله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) أي: لننزلنهم [١] من الجنة غرفًا علالي تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار. مقيمين دائمين فيها ، نعم ثواب العاملين بعد الخلود. ثم وصفهم، فقال عز من قائل : (الذين صبروا) يعني: صبروا على طاعة الله تعالى وعن معصيته وعلى ربهم يتوكلون ، في أرزاقهم وجهاد أعدائهم ومهمات أمورهم. ومن قرأ لنثوينهم بالثاء[٢] فهو من أثويته منزلاً إذا جعلت له مقامًا فيها ، والثوا: المقام[٣] ، وأما القراءة بالباء[٤] فهو من قولهم: اللهم بوئنا مبوأ صدق، أي: أنزلنا، ويقال: باء إذا رجع ، والمباءة المنزل [٥].

وأما قوله : (و كأين من دابة) فمعناه:كم من نفس دابة لا تجمع رزقها لغدٍ [٦] ولا تقدر على حمل رزقها لضعف[٧]، وعلى هذا أكثر الدواب.

وقوله تعالى : (الله يرزقها وإياكم) أي: هو الذي يرزق من يحمل ومن لا

٣٠٧٥/٩، تأويلات أهل السنة ٢٣٨/٨، بحر العلوم بنحوه ٥٤٢/٢ ، المحرر الوجيز بمعناه ٣٢٤/٤.

[١]) تفسير مقاتل ٥٢٤/٢، مجاز القرآن ١١٧/٢، معاني الفراء ٣١٨/٢، تفسير الطبري ٤٣٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٧٣/٤، تأويلات أهل السنة ٢٤٠/٨، بحر العلوم عن الفراء ٥٤٢/٢، الكشاف ٥٥٨/٤، المحرر الوجيز ٣٢٤/٤.

[٢]) (لنثوينهم) بالثاء المثلثة ساكنة بعد النون وإبدال الهمزة ياء قراءة حمزة والكسائي وخلف. النشر ص ٤٣٨، الكشف لمكي ٢٨٤/٢، تفسير الطبري ٤٣٦/١٨، بحر العلوم ٥٤٢/٢ ، البغوي ص١٠٠٠، المحرر الوجيز ٣٢٤/٤، البحر ١٥٣/٧.

[٣]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٥، النكت والعيون ٤ / ٢٩٢، الدر المصون ٣٦٧/١١، لسان العرب مادة(ثوى) ١٤ /١٢٦.

[٤]) (لنبوئنهم) بالباء الموحدة والهمز قراءة الباقين، مع إبدال أبي جعفر الهمز. النشر ص ٤٣٨، الكشف لمكي ٢٨٤/٢، الإتحاف ٤٤١/١، الحجة في القراءات٢٨١/١، تفسير الطبري ٤٣٦/١٨، البحر١٥٣/٧.

[٥]) الدر المصون ٣٦٧/١١.

[٦]) معاني القرآن للفراء ٣١٨/٢، أخرجه الطبري فيتفسيره عن أبي مجلز وعلي بن الأقمر ٤٣٨/١٨، معاني القرآن للزجاج بمعناه ١٧٣/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٣٠٧٩/٩، بحر العلوم ٥٤٣/٢، النكت والعيون عن الحسن ٢٩٣/٤، الكشاف بنحوه ٥٥٩/٤، المحرر الوجيز ٣٢٥/٤.

[٧]) النكت والعيون عن مجاهد ٢٩٣/٤، البغوي بمعناه ص١٠٠٠، الكشاف بنحوه ٥٥٩/٤.

يحمل وإياكم، وهو السميع لمقالتكم من يؤوينا ويطعمنا [١] ؟ العليم بما في نفوسكم وبحوائجكم إلى الرزق، فلا تتركوا عبادة الله تعالى بسبب الرزق ، ولا تهتموا لأجل ذلك. وعن عيسى عليه السلام أنه كان يقول: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا فإن فضولها عند الله رجز، هذه طير السماء يغدو ويروح[٢] ليس معها من أرزاقها شيء لا تزرع ولا تحصد ، والله تعالى يرزقها، فإن قلتم: إن بطوننا أعظم من بطون الطير ، فهذه الوحوش من البقر والحمير تغدو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء لا تحرث ولا تحصد، الله تعالى يرزقها [٣].

قوله عز وجل : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ / لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُون۝ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ [٦١-٦٢] معناه: ولئن سألتَ المشركين: من خالق السماوات والأرض ومسخر الشمس والقمر؟ ليقولن الله، فأنى يصرفون[٤] عن عبادة الله تعالى الذي هذه صفته إلى عبادة جمادات لا تنفع ولا تضر. ٤٦٠/ب

وقوله تعالى : (الله يبسط الرزق لمن يشاء) فيه بيان أنه تعالى لا يجري عليه الغلط والخطأ في توسيعه الرزق على قوم وتضييقه على قوم، ولكنه عز وجل يفعل ما يفعله عن علم وحكمة.

قوله عز وجل : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون﴾ [٦٣] في الآية تسمية للأرض التي لا تنبت شيئًا مَيتة؛ لأنها لا ينتفع بها كما لا ينتفع *بالميتة [٥]، فإذا أنزل الله تعالى عليها المطر أحياها بعد موتها بإنبات الزروع والأشجار منها. وقوله تعالى*[٦] : (قل الحمد لله) يقول: احمد الله تعالى على ثبات هذه النعم وعلى وعلى ما تفضل به جل ذكره من الإنعام على العباد، بل أكثرهم لا يعقلون؛

---

[١]) تفسير مقاتل ٥٢٤/٢، تفسير الطبري ٤٣٧/١٨، تأويلات أهل السنة ٢٤١/٨، بحر العلوم بنحوه ٥٤٣/٢، النكت والعيون بمعناه ٢٩٣/٤، البغوي ص١٠٠٠، الكشاف ٥٥٩/٤.

[٢]) هكذا في النسخ.

[٣]) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد عن سالم بن أبي الجعد ص٢٩٠ ، وذكره ابن أبي الدُّنيا في القناعة والتعفف (١٧٣) ص ٧١ ، وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٤٤٧.

[٤]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة بلفظ: يعدلون. ٣٠٧٩/٩.

[٥]) تفسير روح البيان لإسماعيل حقي. ٣٥٤/٦.

[٦]) مابين النجمتين ساقط من (ب).

لأنهم لا يتدبرون ولا يتفكرون، ولا يعلمون أن إقرارهم بهذا إقرار بتوحيد الله تعالى فينبغي لنا أن نثبت عليه. قوله عز وجل:

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦٤]

معناه: وما هذه الحياة بما فيها من زينتها إلا كلهو وباطل يلعب بها، ثم يتحسر عليه؛ لقلة بقائها، وسرعة انقضائها. ويجوز أن يكون وجه التشبيه باللهو واللعب: أن غرض أكثر الناس من دنياهم اللهو واللعب[١]، وإن كان الله عز وجل لم يخلق الدنيا إلا للحكمة والمصلحة.

وقوله تعالى: (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان) معناه: إن الآخرة لهي الدار دار الحيوان الدائم البقاء[٢]. قال أبو عبيدة [٣]: الحيوان والحياة واحد [٤].

وقوله تعالى:(لو كانوا يعلمون) أي: لو كانوا يعلمون الفرق بين الحياة الدائمة وبين الحياة الفانية.

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ ﴾[٦٥] معناه: فإذا ركبوا في السفينة وهاجت الريح واضطربت الأمواج دعوا الله مفردين له بالدعاء، لا يدعون أصنامهم وسائر ما عبدوا مع الله تعالى (فلما نجاهم إلى البر)، فلما خلصهم من تلك الأهوال وأخرجهم إلى البر عادوا إلى شركهم؛ لكي يكفروا بما أعطيناهم وليتمتعوا في كفرهم، فسوف يعلمون جزاء فعلهم، وقيل: إن اللام في قوله تعالى :(ليكفروا) لام لأمر على وجه التهديد والوعيد[٥]، ولذلك عقبه بقوله تعالى : (فسوف تعلمون) ونظير ذلك قوله تعالى :

---

[١]) تأويلات أهل السنة بنحوه ٢٤٣/٨.

[٢]) تفسير مقاتل ٥٢٤/٢، معاني القرآن للفراء بمعناه ٣١٨/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ومجاهد بمعناه ٤٤٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٧٣/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنهم وعن الضحاك ٣٠٨١/٩، النكت والعيون عن الضحاك بمعناه ٢٩٣/٤.

[٣]) تقدمت ترجمته انظر ص٩٥.

[٤]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٦، مجاز القرآن له ١١٧/٢، النكت والعيون عنه ٢٩٣/٤، المحرر الوجيز ٣٢٥/٤.

[٥]) وهذا على قراءة من قرأ بالجزم على جهة الأمر والتهديد والتوبيخ ويشهد لها قراءة أبي كان يقرأ (تمتعوا فسوف تعلمون) أي: إذا نزل بهم العذاب ، وقراءة الكسر على جهة كي. ورجح الطبري في تفسيره الجزم ٤٤١/١٨، وقال الزجاج في معاني القرآن: الكسر أجود ١٧٤/٤، معاني القرآن للفراء ٣١٩/٢، بحر العلوم ٥٤٤/٢، البغوي ص١٠٠١، الكشاف بنحوه ٥٦٠/٤ ، المحرر الوجيز ٣٢٥/٤، التبيان للعكبري ١٤٨/٢.

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾[١] فإن قيل:لم كان المشرك كافرًا لا محالة مع إقراره بالله تعالى؟ قيل: لأنه جعل الحق الذي هو لواحد بالنعمة، لاثنين فضيع حقه وصار بمنزلة الجاحد لنعمه حين جحد أن يكون له وحده.

قوله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [٦٧] معناه: أولم ينظروا أنا جعلنا أهل الحرم في أمنٍ ويستلب الناس من حولهم، فيقتلون، ويؤسرون، وتؤخذ أموالهم[٢]. أفتقرون وتصدقون بالباطل ـ وهو: الأصنام[٣] بعد قيام الحجة ووضوح [الحجة][٤] ـ وتكفرون بنعمة الله تعالى؟

والتخطف في اللغة هو: تناول الشيء بالسرعة، ومنه خطف البصر؛ لسرعته ومنه اختطاف الطير للصيد[٥].

قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ۞ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٦٨–٦٩] ومعناه:ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب بأن جعل له شريكًا أو ولدًا، أو كذب بالحق بعد ظهوره له بالحجة. وفي قوله تعالى : (أليس في جهنم مثوى للكافرين) بيان أن افتراء الكذب على الله تعالى كفر بالله تعالى.

وقوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) قال بعضهم ـ رحمهم الله ـ: معناه والذين جاهدوا الكفار لابتغاء مرضاتنا[٦]. (لنهدينهم سبلنا) قال بعضهم ـ رحمهم الله ـ : معناه إلى الجنة[٧].

---

[١]) سورة فصِّلت : [٤٠].
[٢]) الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٠٨، البغوي بنحوه. ص١٠٠١، تفسير ابن كثير ٥١٦/٣.
[٣]) تقدم ذكره في نفس السورة انظر ص ٢٩٩ .
[٤]) هكذا في النسخة (ب). و كتب في حاشية الأصل: الأدلة.
[٥]) وقد تقدم معنى التخطف في سورة القصص انظر ص ٢٤٧.
[٦]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن زيد بنحوه ٣٠٨٤/٩، الكشف والبيان بلفظ: في الغزو.٢٤/٥، النكت والعيون ٢٩٤/٤، البغوي ص١٠٠١، الكشاف بنحوه ٥٦٢/٤، المحرر الوجيز ٣٢٦/٤.
[٧]) بحر العلوم ٥٤٤/٢، النكت والعيون عن السدي ٢٩٥/٤.

وإن الله لمع المحسنين بالنصر على أعدائهم، وقال بعضهم ـ رحمهم الله تعالى ـ : والذين جاهدوا أنفسهم وأهواءهم / فيما كلفوه من الأوامر والنواهي بالصبر على الطاعة والصبر عن الشهوات، لنثبتنهم على السبيل التي توصلهم إلى الجنة [١]. ويقال: لنزيدنهم هداية [٢] كما قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [٣] ويقال: من عمل بما علم وفق لما لا يعلم[٤]. وقوله تعالى : (وإن الله لمع المحسنين) تأويله على هذا القول: إن الله لمعهم بإمداد التوفيق و الألطاف لهم في مجاهدتهم[٥].

٤٦٠/أ

وعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين)[٦] والمنافقين)[٦] وبالله التوفيق .

---

[١]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الربيع بنحوه ٣٠٨٤/٩، الكشف والبيان بمعناه ٢٥/٥، النكت والعيون بمعناه ٢٩٥/٤، المحرر الوجيز ٣٢٦/٤.

[٢]) معاني القرآن للزجاج ١٧٤/٤، البغوي ص ١٠٠١، الكشاف ٥٦٢/٤، اللباب لابن عادل ٤٧٠/١٢.

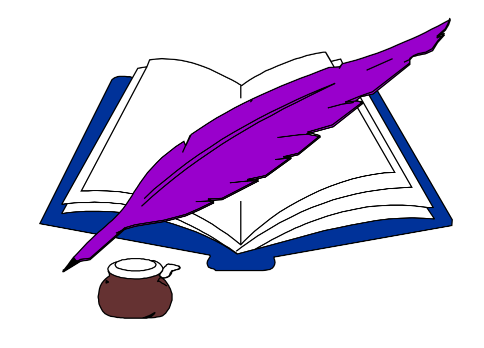
[٣]) سورة محمد : [١٧].

[٤]) معاني القرآن للزجاج دون آخره ١٧٤/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن رجل من أهل عكا بنحوه ٣٠٨٤/٩، بحر العلوم ٥٤٤/٢، الكشف والبيان عن الفضيل وعباس الهمذاني وأبو سليمان الداراني بمعناه. ٢٤/٥، وقال القرطبي بعد ذكره لعدة أقوال آخرها قول ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. قال: وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الأقوال.أهـ ٣٩١/١٦.

[٥]) تفسير الطبري بلفظ: بالعون له والنصرة على من جاهد من أعدائه ٤٤٤/١٨، معاني القرآن للزجاج بنحوه.١٧٤/٤. تأويلات أهل السنة ٢٤٦/٨، بحر العلوم بمعناه ٥٤٤/٢، النكت والعيون بلفظ: أي في العون لهم. ٢٩٥/٤، الكشاف بلفظ: لناصرهم ومعينهم ٥٦٢/٤.

[٦]) حديث أبي هذا الوارد نهاية كل سورة حديث موضوع سبق تخريجه ص ٩٦.

سورة الروم



سورة الروم[١] ستون آية [٢] كلها مكية [٣].

بسم الله الرحمن الرحيم .

﴿ الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [١-٢-٣-٤-٥-٦-٧]

و ذلكَ أن فارس[٤] غلبت الروم [٥] في أدنى أرض الروم إلى أرض العرب، حتى انتزعوا بيت المقدس منهم، وكان موضع عبادتهم ففرحت بذلك عبدة الأوثان، وقال أبّي بن خلف الجمحي[٦] لأصحاب النبي ﷺ كما غلبت عبدة النيران أهل الكتاب فكذلك نحن نغلبكم، فأنزل الله تعالى: (الم غلبت الروم في أدنى الأرض) إلى آخر الآيات، فاستبعد المشركون ظهور أهل الروم على أهل فارس؛ لشدة شوكة أهل فارس.

---

[١]) سميت سورة الروم لما فيها من ذكر غلبة الروم. بصائر ذوى التمييز ١ / ٢٥٦.

[٢]) تفسير مقاتل ٣/٣، البيان في عد آي القرآن ٢٠٥/١، الكشاف ٥٦٣/٤.

[٣]) البغوي ص١٠٠١، المحرر الوجيز ٣٢٧/٤، زاد المسير ٢٨٦/٦ ، البحر ١٥٦/٧.

[٤]) فارس من ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلها من الترك والخزر وغيرهم، والفرس آخر من ملك منهم يزد جرد بن شهريار ابن أبرويز، ونسبه ينتهي إلى جومر بن يافث بن نوح. وكانت العرب تسمي كل من ملك الفرس كسرى. انظر: الأنساب للصحاري ١ / ٢٤، البداية والنهاية ٢ / ١٩٢.

[٥]) الروم: من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، وهم أبناء عم بني إسرائيل، ويقال لهم: بنو الأصفر. سكنوا حوض البحر المتوسط ، وسميت الروم باسم جدهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. وقيل الروم بنو ليطن بن يونان بن يافث ابن نوح. كانوا على دين اليونان، وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة، ويقال لها: المتحيرة، ويصلون إلى القطب الشمالي، وهم الذين أسسوا دمشق، وبنوا معبدها، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له: قيصر. انظر: الأنساب للصحاري ١ / ٢٤، التسهيل لابن جزي ٢ / ٣٤١، أطلس الحديث النبوي ص ١٩٩، تفسير ابن كثير ٥٢٠/٣.

[٦]) أبي بن خلف الجمحي: أسر يوم بدر. ثم افتدى وتوعد رسول الله ﷺ ، بأنه قاتله ، فقال رسول الله، ﷺ له: أنا أقتلك إن شاء الله، فلما كان يوم أحد أقبل أبي يركض فرسه تلك حتى دنا من رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ ، بحربة في يده فرمى بها أبي بن خلف فكسرت الحربة ضلعا من أضلاعه، فمات ببعض الطريق. قال سعيد بن المسيب: وفيه أنزل الله، تبارك وتعالى: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الآية. انظر: الطبقات الكبرى ٢ / ٤٦، تاريخ الطبري ٢ / ٢٠١، البداية والنهاية ٤ / ٢٦.

وقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لأبّي بن خلف: أنا أراهنك [(١)] على أن أهل الروم تغلب أهل فارس إلى ثلاث سنين، فراهنه أبّي على خمس من الإبل[(٢)]، ثم جاء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك، فقال له النبي ﷺ: زد في الخطر[(٣)] وأبعد في الأجل . ففعل ذلك وجعل الأجل تسع سنين. والخطر عشرًا من الإبل فكانوا على ذلك إلى أن ظهر الروم على فارس فأخذ أبو بكر خطره[(٤)]، وكانت المخاطرة في ذلك الوقت مباحة ثم حرمت [(٥)] بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ ﴾ [(٦)].
والبضع في اللغة: القطعة من العدد مابين الثلاثة إلى العشرة [(٧)].

---

[١]) (رهن) قال ابن سيده: الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه، يقال: رهنت فلانا دارا رهنا، وارتهنه: إذا أخذه رهنا، والجمع رهون ورهان ورهن بضم الهاء. وكل أمر يحبس به شيء فهو رهنه ومرتهنه، كما أن الإنسان رهين عمله. انظر: لسان العرب مادة(رهن) ١٣ / ١٨٨، القاموس المحيط ٦ / ٤٥٧، تهذيب اللغة مادة(رهن) ٢ / ٣٢٥، مقاييس اللغة ٢ / ٣٧٥.

[٢]) النكت والعيون عن قتادة ٢٩٧/٤، المحرر الوجيز ٣٢٨/٤.

[٣]) الخطر: النصيب ، وهو السبق الذي يترامى ويتراهن عليه، يقال: وضعوا لهم خطرا أي: ثوبا ونحوه. وقيل : الخطر مائتان من الإبل والغنم. انظر: العين ١ / ٣١١، الفائق في غريب الحديث ١ / ٣٦، تاج العروس مادة(خطر)١١ / ١٩٤، تهذيب اللغة مادة(خطر) ٢ / ٤٥٤.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وأخرج عن عكرمة وقتادة وابن زيد بنحوه. ٤٤٨/١٨، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس والبراء بن عازب وابن شهاب وقتادة نحوه ٣٠٨٦/٩ ، الكشف والبيان ٢٦/٥، النكت والعيون عن ابن جبير بنحوه ٢٩٦/٤، البغوي مع اختلاف في آخره. ص١٠٠٢، الكشاف ٥٦٤/٤، المحرر الوجيز ٣٢٨/٤، الاستيعاب في بيان الأسباب ٥١/٣. وأخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١١٥) ص٤٠، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس حديث رقم (٢٤٩٥) ٢٩٦/٤، والترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ. باب/ ومن سورة الروم. حديث رقم (٣١٩١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة. ١٩٠/٤، وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي. ٤٤٥/٢، وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف : غريب.٥٤/٣.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس بمعناه ٤٤٩/١٨، معاني القرآن للزجاج بنحوه ١٧٦/٤، تأويلات أهل السنة ٢٥١/٨، الكشف والبيان ٢٦/٥، البغوي بمعناه ص ١٠٠٢، الكشاف عن قتادة ٥٦٤/٤،المحرر الوجيز عن قتادة ٣٢٨/٤.

[٦]) سورة المائدة :[٩٠].

[٧]) تأويل مشكل القرآن ص٢٤٠، وأخرج الطبري في تفسيره عن قتادة عن النبي ﷺ: (البضع مابين الثلاث إلى العشر) ٤٥٥/١٨، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره والبيهقي في الدلائل عن مجاهد ٣٣١/٢، وهذا الأثر مقطوع ، والبضع: مابين ثلاث إلى تسع كما ورد بذلك الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه من طريق عبدالله الجمحي كتاب/ تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب/ ومن سورة الروم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر في مناحبة (الم غلبت الروم): =

والبضاعة: القطعة من المال يتجر عليها، والبضعة: القطعة من البدن ، والمبضع: ما يقطع به العرق، والمباضعة: تناول العضو بالجماع [١].

والغلب والغلبة: كلاهما مصدر مثل الجلب والجلبة. وفي الآية دلالة [على][٢] صحة نبوة النبي ﷺمن قِبَل أن فيهما إخبارًا عن الغيب في المستقبل، ثم وجد مخبره على وفق خبره. ويقال: إن النبي ﷺ أخبر أهل مكة بغلبة أهل فارس على الروم قبل وقوع ذلك الخبر إلى مكة، وقبل مضي مدة يمكن بلوغ الخبر إليهم، فكانت الآية إخبارًا عن الغيب في الماضي والمستقبل جميعًا [٣].

وقوله تعالى : (لله الأمر من قبل ومن بعد) معناه: له الأمر والقضاء في الأحوال كلها قبل ظهور أهل الروم وبعده، ويوم غلبة الروم على أهل فارس، يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على أهل فارس [٤] ، ويكون فرح المؤمنين يومئذ لظهور معجزة النبي ﷺ [٥] ، ويجوز أن يكون فرح المؤمنين لهلاك

= ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع: ما بين ثلاث إلى تسع) حديث رقم (٣١٩١) ١٩٠/٤ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس١٠ / ٤٧٧، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وعكرمة: (البضع مابين ثلاث إلى تسع) ٤٤٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٧٥/٤،وأورد الزمخشري في الكشاف خبرًا مرفوعًا: (البضع مابين الثلاث إلى التسع). ٥٦٤/٤، و قال ابن عطية في المحرر الوجيز: من الثلاثة إلى التسعة على مشهور قول اللغويين. ٣٢٨/٤.

[١]) القاموس المحيط ٢ / ٢٥٤، لسان العرب مادة (بضع) ٨ / ١٢، العين ١ / ٦٦، النهاية في غريب الأثر ١ / ٣٤٥.

[٢]) زيادة يقتضيها السياق.

[٣]) أخرج الطبري في تفسيره عن الشعبي قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستَغْلِب، فنزل القرآن بذلك. ٤٥٥/١٨، معاني القرآن للزجاج بمعناه ١٧٥/٤، وهو كما ترى ليس فيه ما تقدم من غلبة فارس الروم، تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٤٩/٨.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن أبي سعيد ٤٤٧/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي سعيد وأخرجه عن ابن شهاب بأطول من هذا ٣٠٨٧/٩، النكت والعيون ٢٩٩/٤، الكشاف ٥٦٥/٤، المحرر الوجيز ٣٢٨/٤.

[٥]) النكت والعيون بلفظ: فرحهم بذلك لتصديق خبر الله وخبر رسوله. ٢٩٩/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٣٢٩/٤.

بعض الكفار بعضًا [١] كما يفرح المصلحون بقتل الظالمين بعضهم [بعضا][٢]، غير أن القول الأول أقرب إلى ظاهر الآية.

وقيل: أراد [٣] بقوله تعالى : (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) - نصرة الله تعالى للنبي ﷺ وللمؤمنين على أهل بدر- [٤]، فإن إخبار النبي ﷺ بظهور أهل الروم على فارس يتضمن إخباره بظهور المؤمنين على الكافرين، ولذلك قال عز ذكره : (ينصر من يشاء) يعني محمدا ﷺ على أعدائه ، وهو العزيز بالنقمة ممن عصاه [٥]، الرحيم بأوليائه وهم المؤمنون.

وقوله تعالى: (وعد الله لا يخلف الله وعده) نصب على المصدر وهو راجع إلى قوله تعالى : (سيغلبون) أي: وعد الله تعالى ذلك وعدا ، ووعد نصر المؤمنين ولا يجري الخلف في موعوده [٦]، ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأن لأن أكثرهم كفار ، ويجوز في النحو(من قبلِ ومن بعدِ) على الخفض، ولكنهما إنما بُنيا على الضم؛ لأن إعرابهما في الإنصاف [٧] / النصب والخفض، فيقول رأيته قبلك ومن قبلك ، فلما عدلا عن بنايتهما حركا بغير

٤٦١/ب

---

١) الكشاف بمعناه ٥٦٥/٤، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: ويشبه أن يعلل ذلك بما تقتضيه الفطر، من محبة أن يغلب العدو الأصغر لأنه أيسر مؤونة ، ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه.أهـ. ٣٢٩/٤.

٢) زيادة من النسخة (ب).

٣) ساقطة من (ب).

٤) تفسير مقاتل ٦/٣، تفسير الطبري ٤٤٧/١٨، البغوي ص١٠٠٢، المحرر الوجيز ٣٢٨/٤، وأخرجه الترمذي في سننه حديث رقم(٢٩٣٥) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه.١٨٩/٥، وأخرج الحاكم عن سفيان نحوه، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ٤٤٥/٢ ، وقال طائفة كبيرة من العلماء: أن نصرة الروم على فارس كانت يوم وقعة بدر. تفسير ابن كثير ٥٢١/٣، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير ص ٤٧٦.

٥) في (ب) قضاه.

٦) المراد بالخلف أي: إخلاف الله موعوده ، فلا يخلف الله عز وجل ما وعد به عباده المؤمنين من الثواب. تفسير الطبري ٤٦٠/١٨، تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٥٢/٨.

٧) في (ب) في الإضافة. والصحيح ما في الأصل ، يبنيان على الضم حين يضافا، ويحذف المضاف إليه وينوى معناه، فيكون الظرف مبنيًا على الضم في محل نصب على الظرفية.

الحركتين اللتين كانتا تدخلان نحو الإعراب، وهما غايتان، ومعنى الغاية: أن الكلمة حذفت منها الإضافة، وجعلت غاية الكلمة ما بقي بعد الحذف [١].

وأما قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [٧]

فمعناه: يعلمون في أمور معاشهم ما ظهر وبدأ من الحياة الدنيا، من وجوه الاكتساب من التجارة، والزراعة، والحراثة، والغراسة، والمحاسبة من واحد إلى ألف، وما يحتاجون إليه في الشتاء والصيف [٢]، ولا يعلمون ما طريق الدليل من أمر الآخرة، وما يكون فيها من البعث، والثواب والعقاب [٣]. فهم غافلون عما هو أولى بهم، وعما يلزمهم من الاستعداد لذلك.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [٨]

معناه: أولم يتفكر أهل مكة بقلوبهم، فيعلموا أنه تعالى ما خلق السماوات والأرض بما فيهما من العجائب والبدائع؛ إلا ليحق الحق، ويبطل الباطل، ويجزي كل عامل بما عمل عند انقضاء الأجل المسمى، الذي جعله الله تعالى لانقضاء أمر السماوات و الأرض. وإن كثيرا من الناس يجاحدون[٤] بجزاء ربهم وحسابه.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٩-١٠-١١]

معناه: أولم يسافروا في الأرض فينظروا كيف صار آخر أمر الذين من قبلهم حين كذبوا الرسل، كانوا أشد من هؤلاء قوة، وأثاروا الأرض، أي: قلبوها

---

[١]) معاني القرآن للفراء ٣٢٠/٢، وقال الزجاج في معاني القرآن: القراءة الضم، وعليه أهل العربية، والقراء كلهم مجمعون عليه. ١٧٦/٤، وذكر أوله في الكشاف ٥٦٥/٤، التبيان للعكبري ١٨٤/٢، القرطبي ٣٩٩/١٦، الدر المصون بنحوه. ٣٧١/١١.

[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وإبراهيم وعكرمة والحسن ، وعن قتادة وأبي العالية نحوه ٤٦١/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وقتادة وعكرمة بمعناه ٣٠٨٨/٩، تأويلات أهل السنة عن ابن عباس والكلبي بنحوه ٢٥٢/٨، الكشف والبيان ٢٩/٥، المحرر الوجيز بمعناه ٣٢٩/٤.

[٣]) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس معناه ٣٠٨٨/٩، النكت والعيون ٣٠٠/٤.

[٤]) هكذا في الأصل.

للعمارة والحرث [1]، وعمروها أكثر مما عمروها هؤلاء[2]، فلم يبق منهم ولا من عمارتهم أثر، فكذلك يكون حال هؤلاء.

وقوله تعالى : (فما كان الله ليظلمهم) بإهلاكهم، ولكن كانوا هم الذين يظلمون أنفسهم بتكذيبهم بالبينات.

وقوله تعالى : (ثم كان عاقبة الذين) أي: ثم صار آخر أمر الذين أساءوا بالكفر والمعاصي[3].

السوأى يعني: العذاب[4] بسبب تكذيبهم واستهزائهم بآيات الله ، ويقال: السوأى: مصدر لقوله (أساؤوا) كأنه قال: عاقبة الذين أساءوا السيئة ، فيكون الجواب في قوله تعالى : أن كذبوا بآيات الله، أي: جازاهم الله تعالى بما أساءوا بالطبع على قلوبهم؛ حتى كذبوا بآيات الله تعالى[5].

وقوله تعالى: (الله يبد الخلق ثم يعيده) أي: يخلقه من النطفة، ثم يحييه بعد ما أماته، ثم إلى موضع حسابه وجزائه ترجعون إلى حيث لا مالك سواه، كما يقال: رجع أمرنا إلى القاضي إذا لم ينظر فيه غيره.

وقوله عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [١٢-١٣]

معناه: يوم [تقوم][6] القيامة ييأس[7] المشركون من رحمة الله تعالى.

[1]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٤٦٦/١٨، معاني القرآن للزجاج بنحوه ١٧٩/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد نحوه ٣٠٨٨/٩، تأويلات أهل السنة ٢٥٥/٨، الكشف والبيان ٣٠/٥، البغوي ص ١٠٠٣.

[2]) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك نحوه ٣٠٨٨/٩، تأويلات أهل السنة ٢٥٥/٨.

[3]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس بذكر الكفر دون المعاصي، وعن قتادة بلفظ: أشركوا. ٤٦٧/١٨، معاني القرآن للزجاج بلفظ : أشركوا. ١٧٩/٤، النكت والعيون عن ابن عباس ٣٠١/٤، وفي المحرر الوجيز كذلك ٣٣١/٤.

[4]) معاني القرآن للفراء ٣٢٢/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٤٦٧/١٨، النكت والعيون عن الحسن ٣٠١/٤ الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٥٦، وفي المحرر الوجيز عن ابن عباس : النار. ٣٣١/٤.

[5]) ذكره الطبري عن بعض أهل العربية. ٤٦٧/١٨، الكشف والبيان بمعناه. ٣٠/٥، تفسير ابن كثير ٥٢٣/٣.

[6]) زيادة من النسخة (ب).

[7]) تفسير مقاتل ٧/٣، مجاز القرآن ١٢٠/٢، معاني القرآن للفراء بنحوه ٣٢٢/٢، تفسير الطبري ٤٦٨/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٣٠٨٨/٩، تأويلات أهل السنة ٢٥٦/٨، النكت والعيون عن ابن عباس ٣٠١/٤، البغوي ص١٠٠٤.

والمبلس: هو الساكت المنقطع عن حجته، الآيس من أن يهتدي إليها [١].

وقوله عز وجل : (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) معناه: ولم يكن للكفار ممن أشركوه في العبادة شفعاء يشفعون لهم إلى الله تعالى، وستكفر آلهتهم بعبادتهم يومئذ،كما قال تعالى خبرًا عنهم: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون.

قوله عز وجل:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [١٤-١٥-١٦]

معناه: واذكروا يوم تقوم الساعة، يومئذ يتفرق الخلائق في طريق الجنة وطريق النار[٢]، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة من رياض الجنة يكرمون[٣] بالتحف ، ويُسرون [٤]. و الحبرة في اللغة: كل نعمة حسنة، والتحبير التحسين، ويسمى العلم حبرًا؛ لتخلقه بأحسن أخلاق المؤمنين، ويسمى المداد حبرا لأن ذلك مما يُحَسّنُ به [٥].

وقوله تعالى: (وأما الذين كفروا) أي: جحدوا توحيد الله، وكذبوا بالدلالات والبعث بعد الموت، فهم الذين يحضرون في العذاب ويحبسون مع آلهتهم.

قوله عز وجل : / ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۞ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [١٧-١٨-١٩]

٤٦١/أ

[١]) انظر: لسان العرب مادة(بلس) ٦ / ٢٩، النهاية في غريب الأثر١ / ٤٠٠، تهذيب اللغة مادة (بلس) ٤ /٢٩١، الصحاح للجوهري ١ / ٥٢، معاني القرآن للزجاج ١٧٩/٤، الكشف والبيان ٣٠/٥، قال الفراء: ينقطع كلامهم وحجتهم. الكشاف ٥٦٨/٤.

[٢]) تفسير مقاتل ٧/٣، البغوي ص١٠٠٤ .

[٣]) تفسير مقاتل ٨/٣ ، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٤٧١/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك ٣٠٨٩/٩، تأويلات أهل السنة ٢٥٧/٨، الكشف والبيان ٣٠/٥، الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٩١، الكشاف عن مجاهد ٥٦٨/٤.

[٤]) الكشف والبيان عن أبي عبيدة ٣٠/٥، النكت والعيون عن السدي بمعناه. ٤ / ٣٠٢.

[٥]) معاني القرآن للزجاج ١٨٠/٤، البغوي دون آخره. ص١٠٠٤، تهذيب اللغة مادة(حبر) ٢ / ١٠٦، لسان العرب مادة (حبر) ٤ / ١٥٧، تاج العروس مادة (حبر)٥٠٢/١٠، النهاية في غريب الأثر١ / ٨٧١.

معناه: نزهوا الله تعالى، و عظموه بفعل الصلاة في هذه الأوقات ، فوقت المساء يصلى فيه المغرب والعشاء الآخرة [١]، ووقت الصبح يصلى فيه الفجر [٢].

وقوله تعالى : (وله الحمد) معناه: احمده فله الحمد في السماوات والأرض.

وقوله تعالى : (وعشيًا) معناه: صلوا بالعشي، والمراد به: صلاة العصر [٣].

وقوله تعالى : (وحين تظهرون) أراد به: صلاة وقت الظهر [٤] ، وكان الحسن يذهب إلى أن هذه الآية من هذه السورة مدنية ، وكان يقول: إن ابتداء الصلوات الخمس كان بالمدينة، وكانوا يصلون بمكة ركعتين بلا وقت معين [٥]. غير أن أكثر المفسرين على أن ابتداء إيجاب الصلوات الخمس

---

[١]) معاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد، وعن قتادة وابن زيد وقول عن ابن عباس في (تمسون) المغرب دون ذكر العشاء، وجعل ابن عباس ذكر صلاة العشاء على هذا القول في آية سورة النور(ومن بعد صلاة العشاء) من الآية[٥٨]. ٤٧٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٠/٤، تأويلات أهل السنة ٢٥٨/٨، النكت والعيون عن ابن عباس وابن جبير والضحاك ٣٠٣/٤، البغوي ص١٠٠٤.

[٢]) تفسير مقاتل ٨/٣ ، معاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ٤٧٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٠/٤، تأويلات أهل السنة ٢٥٨/٨، النكت والعيون عن ابن عباس وابن جبير والضحاك ٣٠٣/٤، الكشاف ٥٧٠/٤.

[٣]) معاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ٤٧٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٠/٤، تأويلات أهل السنة ٢٥٨/٨، النكت والعيون ٣٠٣/٤.

[٤]) معاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ٤٧٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٠/٤، تأويلات أهل السنة ٢٥٨/٨، النكت والعيون ٣٠٣/٤، الكشاف ٥٧٠/٤. وورد في ذلك الحديث الصحيح ، أخرجه الحاكم في المستدرك. عن أبي رزين ، قال : جاء نافع بن الأزرق إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : " الصلوات الخمس في القرآن ؟ " فقال : نعم ، فقرأ (فسبحان الله حين تمسون) قال : صلاة المغرب، (وحين تصبحون) صلاة الصبح ، (وعشيا) صلاة العصر، (وحين تظهرون) صلاة الظهر ، وقرأ (ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ". ٨ / ٢٠٠.

[٥]) الكشاف ٥٧٠/٤. الصحيح أن فرض الصلوات الخمس كان ليلة الإسراء، والإسراء كما هو معلوم كان بمكة قبل الهجرة. انظر شرح حديث أنس في الإسراء ، فتح الباري كتاب/ الصلاة ، باب/ كيف فرضت الصلاة حديث رقم (٣٤٢) ٤٦٠/١. كما أن القول بمدنية هذه الآية واستثنائها من السورة ليس عليه دليل صحيح ، قال يحيى بن سلام : كل صلاة ذكرت في كتاب الله قبل الليلة التي أسري فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم فليست من الصلوات الخمس؛ لأنها فرضت في الليلة التي أسري به فيها، وذلك قبل الهجرة بسنة ، قال : وهذه الآية نزلت بعد ليلة الإسراء وقبل الهجرة.أهـ. النكت والعيون ٣٠٤/٤، وانظر أول سورة الشعراء ص ٩٨.

كان بمكة [١]، كما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أمني جبريل عليه السلام عند باب البيت مرتين)[٢] فذكر في هذا الخبر أول وقت كل صلاة وآخره من أوقات الصلوات الخمس[٣].

وقوله تعالى: (يخرج الحي من الميت) أي: الإنسان الحي من النطفة الميتة، ويخرج النطفة وهي ميتة من الإنسان الحي[٤]، وقيل: يخرج الشجر من الحب والحب من الشجر ، والفرخ من البيضة والبيضة من الطير، ويحيي الأرض بإخراج الزروع منها بعد موتها [٥]، وكذلك تخرجون من قبوركم إلى المحشر، فإن بعثكم بمنزلة ابتداء خلقكم، وهما في قدرة الله مستويان.

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [٢٠]

معناه: ومن علامات توحيده وأمر دينهَ أن خلَق أصلكم من تراب، ثم خلقكم أحياء قادرين، تتصرفون في إقبالكم وإدباركم في حوائجكم؛ لأن أحدًا لا يقدر على خلق الحيوان إلا الله عز وجل.

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢١]

---

[١]) انظر الكشاف ٥٧٠/٤ ، تفسير النسفي ٣ / ٢١٥.

[٢]) فقوله: (عند البيت) دليل على فرضيتها في مكة ، وهذا الحديث جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه كتاب/ الصلاة، باب/ ما جاء في مواقيت الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم(١٤٩) قال أبو عيسى: وفي الباب عن أبي هريرة وبريدة وأبي موسى وأبي مسعود الأنصاري وأبي سعيد وجابر وعمرو بن حزم والبراء وأنس ... وحديث ابن عباس حديث حسن صحيح و قال محمد: أصح شيء في المواقيت حديث جابر عن النبي صلى الله عليه. وهو نحو حديث ابن عباس ١١٩/١، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب/ الصلاة، باب/ في المواقيت حديث رقم (٣٨٩) ٤٠/٢، و البيهقي في السنن والآثار حديث رقم(٥٩١) ٢ / ٢٠٥. ورواية أبو داود والترمذي دون ذكر لفظ (باب) انظر عون المعبود ١ / ٤٣٨.

[٣]) انظر شرح الحديث في عون المعبود ١ / ٤٣٨، شرح معاني الآثار للطحاوي ١ /١٤٨.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن عبدالله وابن عباس بمعناه ٤٧٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨١/٤، تأويلات أهل السنة إلا أنه عمم : يخرج الناس والدواب والطير من النطف. ٢٥٩/٨، النكت والعيون عن ابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وابن جبير. ٣٠٤/٤. ولعل المؤلف قصد بقوله (يخرج النطفة وهي ميتة ...) أي جامدة لا روح فيها ، لأن الروح تنفخ إذا تم له أربعين يوما كما في الحديث، وقد كان قبل ذلك عدما، فلما خُلِق ونفخت فيه الروح أصبح حيا.

[٥]) النكت والعيون عن عكرمة وابن مالك والسدي قريبا منه. ٣٠٥/٤، الكشاف بمعناه ٥٧١/٤، المحرر الوجيز بنحوه ٣٣٢/٤، تفسير ابن كثير ٥٢٣/٣، وهو اختيار جمع من المفسرين.

معناه: ومن آياته الدالة على توحيده أن خلق لكم من جنسكم[1] نساء لتطمئنوا إليها ، وذلك أنهن إنما خلقن من نطف الرجال ، وجعل بعض أولادهم ذكورا وبعضهم إناثًا؛ ليسكن الذكر إلى الأنثى، وجعل بين الزوج والمرأة مودة ورحمة، فإن ما بينهما من المودة والرحمة أكثر، ولذلك هجر أحدهما عشيرته بسبب صاحبه [2].

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾[٢١] أي: فيما ذكر من صنع الله تعالى وقدرته لعلامات علىَ وحدانيته لقوم يتفكرون في الدلائل .

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾[٢٢]

معناه: ومَن آيات توحيده خلق السماوات والأرض بما فيهما من العجائب والبدائع، واختلاف لغاتكم[3] وأصواتكم، وصوركم، وألوانكم من حيث إن كل واحد خص في صورته، وصوته، ونغمته بما يتميز به عن غيره [4].

إن في ذلك لدلالات للخلق أجمعين، إنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى العالم بكل شيء .

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[٢٣]

مَعنَاه: ومن آياته كيفية نومكم كيف يغلب عليكم ، ومن أين يأتيكم، ثم كيف يزول عنكم، فتطلبون معيشتكم، إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع النظر والاستدلال[5].

ويقال: لقوم يسمعون القرآن[6]، وذلك إن الكفار كانوا يقولون لا تسمعوا لهذا لهذا

---

[1]) الكشف والبيان ٣٥/٥، البغوي ص١٠٠٥، تفسير ابن كثير ٥٢٥/٣.

[2]) هكذا في النسخ، والصحيح صاحبته.

[3]) تفسير مقاتل ٩/٣، تفسير الطبري ٤٧٩/١٨، تأويلات أهل السنة بأطول من هذا. ٢٦٢/٨، وفي الكشف والبيان: فعربي وأعجمي. ٣٥/٥، البغوي ص١٠٠٥، الكشاف ٥٧١/٤.

[4]) تفسير الطبري بلفظ: واختلاف منطق ألسنتكم. ٤٧٩/١٨، تأويلات أهل السنة بنحوه ٢٦٢/٨، النكت والعيون ٣٠٦/٤، الكشاف ٥٧١/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٣٣٣/٤.

[5]) انظر تفسير الطبري ٤٨٠/١٨، وتأويلات أهل السنة ٢٦٢/٨، والبغوي. ص١٠٠٥، وتفسير ابن كثير ٥٢٣/٣.

[6]) النكت والعيون ٣٠٧/٤.

القرآن(١).

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٢٤]

معناه: ومن آياته أنه يريكم البرق بهاءً وهو: النار التي تنقدح من السحاب الذي يكون عنه المطر(٢)، فتخاف (٣) المسافرون أن(٤) تبتل ثيابهم(٥)، ويطمع المقيمون في سقي زرعهم وأشجارهم(٦) إن فيما ذكر من البرق، وإنزال المطر، وإحياء الأرض، بعد قحطها ويبسها لعلامات لقوم يفقهون إنزاله.

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ۞ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ [٢٥-٢٦] / ٤٦٢/ب

معناه: ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بغير عمدٍ تحتهما، ولا علاقة فوقهما بقدرة الله تعالى وتسكينه، ثم إذا دعاكم من القبور عند النفخة الثانية، أيتها الأجساد البالية، والعروق المتمزقة، والشعور المتمرطة(٧)، إذا أنتم

---

١) أشار به إلى الآية [٢٦] من سورة فصلت: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾.

٢) اختلف في البرق: فقد اخرج الطبري في تفسيره عن علي بن أبي طالب: والبرق ضَرْبة السحابَ بمخراق من حديد. وقال آخرون: هو سوطٌ من نور يُزجي به الملكُ السحاب.١/٣٦٣، وقال الخازن في تفسيره:البرق: النار التي تخرج من السحاب . ١ / ١٧. وتفسير البرق علميًا : هو شرارة كهربائية ناتجة عن التقاء شحنتين كهربائيتين متعاكستين. ظواهر كونية بين العلم والإيمان م: عبد الدائم الكحيل. ص١٥.

٣) الصواب يخاف.

٤) في (ب) من أن.

٥) إن خوف المسافرين من البرق ليس خوفًا من بلل ثيابهم ، بل لعله خوف من البرق ذاته أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توقده ، كما قال عز وجل : (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) النور : ٤٣.

٦) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة بمعناه ١٨/ ٤٨٠، معاني القرآن للزجاج بمعناه ١٨٢/٤، تأويلات أهل السنة ٢٦٢/٨، المحرر الوجيز مختصرا. ٣٣٤/٤.

٧) (مرط) المرط: نتف الشعر والريش والصوف عن الجسد، مرط شعره يمرطه مرطا فانمرط: نتفه، وخص اللحياني بالمراطة ما مرط من الإبط ، أي: نتف. وقال ابن فارس: الميم والراء والطاء أصل صحيح: يدل على تحات الشيء أو حته. وتمرط الشعر: تحات. انظر: تاج العروس

تخرجون من قبوركم مهطعين إلى الداعي[١].

ويقال معنى قوله تعالى:(إذا دعاكم) أخرجكم بما هو بمنزلة الدعاء [٢]، وهذا توسع في الكلام لأن خروجهم من الأرض ليس بفعلهم فيدعون إليه، بل هو بفعل الله تعالى.

وأما قوله تعالى : (كل له قانتون) فالقانت:هو الدائم على أمر واحد ، كالملائكة وكل الخلائق دائمون على الانقياد لله تعالى[٣] منهم من هو بفعله وخلقته، ومنهم من هو بخلقته دون فعله [٤]، لا يقدرون على الامتناع من شيء مما يراد بهم: من صحة، ومرض، وغنى، وفقر، وحياة، وموت.

قوله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٢٧] معناه:هو الذي يبدأ الخلق من النطفة، ويرزقه، ثم يميته، فيصيره ترابًا كما كان، ثم يبعثه في الآخرة، وذلك

مادة(مرط) ٩٥/٢٠، تهذيب اللغة مادة(مرط) ١٣ / ٢٣٣، معجم مقاييس اللغة ٥ / ٢٥٠، لسان العرب مادة(مرط)٧ / ٣٩٩.

[١]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة والضحاك ٤٨٢/١٨، تأويلات أهل السنة ٢٦٣/٨، الكشف والبيان ٣٦/٥، النكت والعيون ٣٠٨/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٣٣٤/٤.

[٢]) تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٦٣/٨، النكت والعيون عن ابن عيسى ٣٠٨/٤، الكشاف ٥٧٤/٤.

[٣]) (قنت) القنوت يرد بمعان متعددة: كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والعبادة، والقيام، وطول القيام، والسكوت فيصرف في كل واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله اللفظ الوارد فيه، وحقيقة القانت أنه: القائم بأمر الله. تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٢، لسان العرب مادة(قنت) ٢ / ٧٣، تهذيب اللغة مادة (قنت) ٣ / ١٩٦، النهاية في غريب الأثر ٤ / ١٨٣. معاني القرآن للنحاس ٢٥٤/٥، الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٨٨.

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة. رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد حديث رقم(١١٧١١) ٢٣٩/١٨، وأبو يعلى (١٣٧٩) ٥٢٢/٢، وفي إسناد الإمام أحمد (ابن لهيعة) وهو ضعيف لاختلاطه ، ضعفه الإمام أحمد. الضعفاء الكبير ٢٩٤/٢، الجرح والتعديل ١٤٧/٥، نصب الراية ١ / ٣١٩، التلخيص الحبير ٢ / ٢٦، السلسلة الضعيفة ٩ / ١٠٦.

[٤]) فالأول كما ذكر المؤلف ، مثل الملائكة والثاني كالجن والإنس. أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس: مطيعون، يعني الحياة، والنشور، والموت، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة.وهو الذي اختاره وصوبه. ٤٨٣/١٨، ونحو هذا ذكر الزجاج في معاني القرآن ١٨٣/٤.

قال أبو منصور: مطيعون طاعة الخلقة له ، والشهادة بالوحدانية ، أو هو يرجع إلى حال دون حال، وهو حال الخوف والضرورة يرجع له كل مشرك وكافر. ٢٦٥/٨، المحرر الوجيز بمعناه ٣٣٤/٤، والأولى طاعة الإرادة لا طاعة العبادة كما قال أبو حيان في البحر. ١٦٩/٧.

هين عليه [١] لا كما يظنه الكافر. وقد يذكر لفظ أفعل بمعنى فعيل، كقوله : الله أكبر بمعنى الكبير [٢]. قال الشاعر [٣]:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل   على أينا تغدو المنية أول [٤]

يريد بقوله لأوجل: [٥] وإنما قيل على هذا التأويل؛ لأنه لا يجوز أن يكون بعض الأشياء على الله عز وجل أهون من البعض [٦]، ويقال إن الهاء في قوله تعالى : (عليه) عائدة إلى الخلق أهون من الإنشاء [٧].

ويقال في معناه: والإعادة أهون عليه في زعمكم وتقديركم [٨].

---

[١]) مجاز القرآن ١٢١/٢، تأويل مشكل القرآن ص ٢٢١، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٤٨٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٣/٤، تأويلات أهل السنة ٢٦٦/٨، البغوي عن الربيع بن خثيم والحسن وقتادة والكلبي. ص ١٠٠٦.

[٢]) مجاز القرآن ١٢١/٢، تفسير الطبري ٤٨٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٣/٤، تأويلات أهل السنة ٢٦٦/٨، النكت والعيون ٣٠٩/٤، الكشاف دون آخره ٥٧٤/٤، التبيان للعكبري ١٨٦/٢.

[٣]) القائل هو: معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني. نسبوا إلى مزينة وهي امرأة، وهو شاعر مجيد فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كف في أواخر عمره و كان معاوية يفضله ويقول: كان أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس. توفي سنة تسع وعشرين للهجرة. انظر: الأغاني ٣ / ٣١٥، سمط اللآلئ للميمني ١ / ٢١٢.

[٤]) البيت من شواهد الطبري في تفسيره ٤٨٨/١٨، معاني القرآن للفراء ٣٢٠/٢، خزانة الأدب الكبرى للبغدادي ٢٩٤/٨، ذيل الأمالي ص ٢١٨. واستشهد به على أن قوله: "لأوجل": أي لوجل.

[٥]) كتب في حاشية الأصل: وجل ،لأن الإعادة على الخلق.

[٦]) فأفعل التفضيل هنا ليست على بابها ، وإن الإعادة أهون على الله من الإنشاء ، بل كلاهما سواء في حق الله، فأفعل هنا للوصف لا للتفضيل كما قال الشاعر والشاهد منه : إن أوجل بمعنى وجل أي: خائف. معاني القرآن للزجاج ١٨٣/٤، تأويلات أهل السنة ٢٦٦/٨، الدر المصون ٣٧٩/١١.

[٧]) فالضمير في "عليه" يعود على الخلق. ونقل الفراء عن مجاهد: بمعنى الإعادة أهون على الإنسان من إنشائه؛ لأنه يقاسي في النشء ما لا يقاسيه في الإعادة. معاني القرآن. ٣٢٣/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة ٤٨٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٣/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة نحوه ٣٠٩٠/٩، تأويلات أهل السنة ٢٦٦/٨، الكشف والبيان ٣٦/٥، الكشاف ٥٧٤/٤.

[٨]) فالضمير في "عليه" يعود على المخلوق. انظر تفسير مقاتل ١٠/٣، تأويل مشكل القرآن بمعناه ص٢٢١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك بلفظ: في عقولكم إعادة شيء إلى شيء كان أهون من ابتدائه إلى شيء لم يكن. ٣٠٩٠/٩، تأويلات أهل السنة ٢٦٦/٨، البغوي عن مجاهد وعكرمة.ص١٠٠٦.

أو الإعادة أهون على هذا المنكر من الإنشاء[١]، فإن من نسخ كتابًا كان[٢] إعادة نسخه عليه أهون، وكذلك من صاغ حلية، ولو كلف أحد إنشاء الخلق في الرحم ثم إعادته بعد الموت كانت الإعادة أهون عليه من إنشائه في الرحم؛ لأنه لا يراه ولا يخلص إليه يده وقت الإنشاء، فكيف يقرون بما هو أصعب عليهم، وينكرون ما هو أهون عليهم؟! فإذا كان ذلك على هذه الجملة في مقدور العباد مع نقائصهم[٣]، فمقدور من لا يلحقه النقص بوجه من الوجوه أحق بصحة الإعادة.

وقوله تعالى:(وله المثل الأعلى) أي: له الصفة العليا وهي القدرة التي لا يجري عليها العجز[٤]. وهو القاهر لكل شيء الحكيم في جميع أفعاله.

قوله عز وجل: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [٢٨-٢٩]

معناه: وصف لكم معشر الكفار شبهًا من أنفسكم هل لكم من عبيدكم وإمائكم من شركاء فيما أعطيناكم من الأموال، فتكونوا أنتم مع عبيدكم سواء فيما أعطيناكم، تخافون عبيدكم أن يقاسموكم في أموالكم، كما تخافون من أبنائكم وأقاربكم أن ترثوا [٥] أموالكم بعدكم[٦]، أو تخافون لائمة عبيدكم إذا لم

---

[١]) قال الفراء في معاني القرآن : القول فيه أنه مثل ضربه الله فقال : أتكفرون بالبعث فابتداء خلقكم من لا شيء أشد. فالإنشاء من شيء عندكم يا أهل الكفر ينبغي أن تكون أهون عليه. ثم قال: (وله المثل الأعلى) فهذا شاهد أنه مثل ضربه الله. وأخرج عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال:(وهو أهون عليه) على المخلوق ؛ لأنه يقول له يوم القيامة كن فيكون، وأول خلقه نطفة ثم من علقة ثم من مضغة. أهـ ٣٢٤/٢،معاني القرآن للزجاج مختصرًا. ١٨٤/٤.

[٢]) الأولى (كانت).

[٣]) في الأصل نقائضهم.

[٤]) تأويلات أهل السنة ٢٦٧/٨، النكت والعيون دون آخره. ٣١٠/٤، البغوي دون آخره. ص ١٠٠٦، الكشاف ٥٧٦/٤.

[٥]) هكذا في النسختين بالفوقية.

[٦]) تفسير مقاتل ١٠/٣، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٤٩٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٤/٤، تأويلات أهل السنة ونسبه لمقاتل ٢٦٨/٨، الكشف والبيان ٣٧/٥، النكت والعيون عن السدي ٣١١/٤.

تعطوهم حقهم، كما تخافون لائمة بعضكم بعضا من الأقارب والشركاء إذا لم يؤدوا حقهم إليهم[١]؟! قالوا: لا.

يقال لهم: أفترضون لله تعالى مالا ترضون لأنفسكم؟! تشركون عبيد الله تعالى في ملكه وقد خلقهم ، ولا تشركون عبيدكم فيما رزقكم الله تعالى وأنتم لم تخلقوهم؟ وتجعلون الخوف من عبيد الله تعالى كالخوف من الله تعالى؟ إذ تعبدونهم كعبادته، ولا يخاف من عبيدكم كما يخاف منكم[٢]؟

وقوله تعالى : (كذلك نفصل الآيات) معناه: هكذا نبين الآيات واحدة بعد واحدة؛ ليكون ذلك أقرب إلى الفهم وأوقع في القلب.

وقوله تعالى : ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم ﴾[٢٩]

معناه: ليس لهم في الإشراك بالله تعالى شبهة من حيث الحجة، ولكنهم يشركون بالله تعالى بناءً على الجهل وهوى النفس، فمن يهدي إلى ثواب الله تعالى من أضله الله تعالى عنه ؟ ومن يحكم بهداية من حكم الله تعالى بضلالته؟ ومالهم من مانع يمنعهم[٣] مما يراد بهم.

قوله عز وجل : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٣٠-٣١-٣٢]

معناه: فأقم يا محمد ﷺ على دين الإسلام .....[٤] /مائلاً[٥] عن كل دين سواه، وادع الكفار إلى ذلك. ٤٦٢/أ

وقوله تعالى : (فطرة الله) معناه: اتبع دين الله تعالى الذي خلق الناس لذلك.

---

[١]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٣٠٩١/٩، تأويلات أهل السنة ٢٦٨/٨، وانظر النكت والعيون عن يحيى بن سلام ٣١١/٤، الكشاف بنحوه ٥٧٦/٤، المحرر الوجيز بنحوه ٣٣٦/٤، البحر ١٦٦/٧.

[٢]) تفسير الطبري ٤٩٠/١٨، الدر المصون بمعناه. ٣٨٢/١١، تفسير ابن كثير ٥٢٨/٣.

[٣]) في (ب) يمنع.

[٤]) كلمة لم تتبين لي وكأن المؤلف كتب الكلمة فشطبها ثم أعاد كتابتها في الصفحة التالية.

[٥]) بحر العلوم ١١/٣، البغوي ص١٠٠٦.

وأراد بالفطرة في هذه الآية الدين[١]، كما ورد في الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة)[٢] إلى آخر الخبر، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٣] وبقول القائل لرسوله: بعثتك على هذا، وبهذا، ولهذا والمعنى واحد[٤]. وقوله تعالى : (لا تبديل لخلق الله) أي: لا تغيير لدين الله الذي أمر الناس بالثبات عليه ولا يلحقه نسخ[٥][٦].

ويقال في معناه: لا تبدلوا [٧] دين الله تعالى الذي أمرتم بالثبات عليه [٨]، وفي قوله تعالى : [ذلك الدين القيم: بيان أن المراد بالفطرة الدين. وقوله تعالى][٩]: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي: لا يعلمون أن دين الإسلام هو الحق .

---

١) معاني القرآن للفراء ٣٢٤/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد ومجاهد بلفظ: الإسلام. ٤٩٣/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٥/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الضحاك ٣٠٩١/٩، بحر العلوم ١١/٣، النكت والعيون عن ابن عباس والضحاك والكلبي ٣١٢/٤، وهو أشهر الأقوال. فتح الباري ٣١٧/٣ .

٢) جزء من حديث صحيح أخرجه البخاري كتاب/ الجنائز،باب/ ما قيل في أولاد المشركين (١٢٩٦) ١٨٢/٥، واللفظ له. وأخرج مسلم نحوه في كتاب/ القدر، باب/ معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين حديث رقم (٢٦٥٨) ١٦٩/١٦ .

٣) سورة الذاريات : [٥٦].

٤) لم أقف عليه.

٥) سبق معنى النسخ في سورة القصص انظر ص ٢٣٢ . ولكن المراد من النسخ هنا ليس النسخ بمعناه الشرعي والذي سبق أن بينته، ولكنه النسخ بمعناه اللغوي، أي: الإبطال والإزالة، فدين الله وهو الإسلام لا يلحقه إبطال ولا إزالة. قال مقاتل: لا تحويل لدين الله عز وجل الإسلام. تفسير مقاتل ١١/٣ .

٦) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد وإبراهيم نحوه. ٤٩٤/١٨، معاني القرآن للزجاج بنحوه ١٨٥/٤، تأويلات أهل السنة ٢٧٢/٨، بحر العلوم ١١/٣، وفي الكشف والبيان: ظاهره نفي ومعناه نهي ، هذا قول أكثر العلماء والمفسرين.٣٧/٥، ونقل الماوردي في النكت والعيون: لا تبديل لدين الله. قاله مجاهد وقتادة ٣١٢/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٣٣٦/٤.

٧) في الأصل بالتحتية يبدلوا.

٨) أي: لا تغيير لخلق الله من البهائم. أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد بمعناه ٤٩٦/١٨، بحر العلوم ١١/٣، الكشف والبيان ٣٧/٥، ونقل الماوردي في النكت والعيون عن عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعكرمة: لا تغيير لخلق الله من البهائم أن يخصى فحولها. ٣١٢/٤، البغوي عن مجاهد. ص١٠٠٧ .

٩) زيادة من النسخة (ب).

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالفطرة [1] في هذه الآية: إيمان يوم الميثاق[2]، وذهب بعضهم إلى أن المراد بها: الخلقة التي نخلق المولود عليها عليها في رحم أمه من شقاوة أو سعادة [3]، والفطرة في اللغة هي: الصبغة التي شق عنها بإظهارها ، وتفطر الشجر بالورق إذا تشقق[4]، ويسمى الدين فطرة لأنه مفطور له كما يسمى المبيع بيعًا كما يقال: هذا بيع بكذا.

وقوله تعالى: (منيبين إليه). معناه: أقيموا وجوهكم راجعين إلى الله تعالى في كل ما أمركم به لا تخرجون عن شيء من أوامره، وهذا لأن الخطاب في أول هذه الآيات للنبي ﷺ بقوله تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا) والخطاب للنبي ﷺ خطاب للأمة [5] كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء ﴾ [6].

---

[1]) ساقطة من (ب).

[2]) تفسير مقاتل ١١/٣، بحر العلوم ١١/٣، ونقله ابن عبد البر عن الأوزاعي وعن سحنون. فتح الباري.٣١٩/٣ ، وروى أبو داود عن حماد بن سلمة يفسر حديث (كل مولود يولد على الفطرة) قال هذا عندنا: حيث أخذ الله عليهم العهد في أصلاب آبائهم حيث قال:(ألست بربكم قالوا بلى) قال صاحب عون المعبود : حاصله أن المراد بالفطرة عند حماد بن سلمة الإقرار الذي كان يوم الميثاق، والحديث سكت عنه المنذري. عون المعبود ١٢ /٣٢١، وقال البغوي: يعني على العهد الذي أخذ الله عليهم بقوله : (ألست بربكم) ص١٠٠٦.

[3]) غريب القرآن لليزيدي بلفظ خلق الله. ص٢٩٧، تأويلات أهل السنة ٢٧٢/٨، النكت والعيون بلفظ: صنعة الله التي خلق الناس عليها. ٣١٢/٤، البغوي بنحوه ص١٠٠٧، الكشاف ٥٧٧/٤، وهذا القول هو المعتمد عند ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٣٦/٤، وكذا القرطبي، قال القرطبي: إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهو الدين الحق.٤٢٧/١٦، وقال أبو حيان: ورجح الحذاق: إنها القابلية التي في الطفل للنظر في مصنوعات الله ، والاستدلال بها على موجده ، فيؤمن به ويتبع شرائعه ، لكن قد تعرض له عوارض تصرفه عن ذلك ، كتهويد أبويه له ، وتنصيرهما ، إغواء شياطين الإنس والجن. البحر١٦٧/٧، فتح الباري في شرحه للحديث رقم (١٣٨٥) ٣١٩/٣.

[4]) العين ٢ / ٩٨، الصحاح للجوهري (فطر) ٢ / ٤٧، الفائق في غريب الحديث و الأثر(الفاء مع الطاء) ١ / ٣٤٧، لسان العرب مادة(فطر) ٥ / ٥٥.

[5]) إذ لا مخصص هنا. انظر تفسير الطبري ٤٩٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٥/٤، تأويلات أهل السنة ٢٧٢/٨، المحرر الوجيز بمعناه ٣٣٧/٤.

[6]) سورة الطلاق : [١]

وقوله تعالى : (واتقوه) أي: اتقوا مخالفته، وأقيموا الصلاة كما أمركم الله تعالى به، ولا تكونوا على دين المشركين من الذين فارقوا دينهم[١] [أي: زايلوا دينهم الذي أمروا بالثبات عليه ، ومن قرأ فرقوا دينهم[٢] فمعناه: فرقوا دينهم][٣] وصاروا فرقا[٤]، وذلك معنى قوله: (وكانوا شيعا) أي: صاروا جماعة. كل جماعة [٥]اختارت دينًا مثل اليهود والنصارى وسائر الملل، كل كل أهل دين يفرحون بما عندهم من الدين[٦].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [٣٣]

معناه: وإذا أصاب الناس شدة وبلية دعوا ربهم لدفع الشدة، راجعين إليه منقطعين من الخلق، ثم إذا ذهبت عنهم تلك الشدة إذا فريق منهم يرجعون إلى الشرك؛ لكي يكفروا بما أعطيناهم فيبدلوا بالشكر كفرا. وقوله: (فتمتعوا فسوف تعلمون) لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد ، يقول تلذذوا بالدنيا فسوف تعلمون ماذا ينزل بكم[٧].

---

[١]) (فارقوا) بالتخفيف وألف قبلها قراءة حمزة والكسائي.النشرص٢٥٠، الإتحاف ٤٤٤/١، تفسير الطبري ٤٩٨/١٨، البحر١٦٨/٧.

[٢]) (فرقوا) بالتشديد دون ألف قراءة الباقين. المصادر السابقة.

[٣]) زيادة من النسخة (ب).

[٤]) مجاز القرآن ١٢٢/٢، تفسير الطبري ٤٩٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٦/٤، تحصيل نظائر القرآن ص١٣٤، تأويلات أهل السنة ٢٧٣/٨، النكت والعيون عن الكلبي ٣١٤/٤، البغوي ص١٠٠٧، الكشاف ٥٧٩/٤.

[٥]) ساقطة من (ب).

[٦]) تفسير مقاتل ١٢/٣، تفسير الطبري ٤٩٨/١٨، تأويلات أهل السنة ٢٧٣/٨، الكشف والبيان ٣٩/٥، النكت والعيون ٣١٤/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٨٥، المحرر الوجيز بمعناه ٣٣٧/٤.

[٧]) مجاز القرآن بلفظ: مجازه مجاز التوعد والتهدد، وليس بأمر طاعة ولا فريضة. ١٢٢/٢، وانظر تفسير الطبري ٥٠٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٦/٤، تأويلات أهل السنة ٢٧٦/٨، المحرر الوجيز ٣٣٨/٤.

وقوله تعالى : ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ [٣٥]

معناه: أنزلنا عليهم حجة وبرهانًا [١]، يشهد وينطق بأن الله تعالى أمرهم بما يفعلون[٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [٣٦]

معناه: وإذا أعطينا الناس رحمة استبشروا بها، وإن تصبهم شدة ومحنة وبلية بما عملت أيديهم في الشرك من المعاصي إذا هم ييأسون[٣] من رحمة الله تعالى، ويعملون عمل من يأس من الفرج ، وفي الآية نهي عن الجزع في المصيبة.

قوله عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣٧-٣٨]

معناه: أولم ينظروا ويعلموا أن الله تعالى يوسع الرزق [لمن يشاء][٤]، ولعله يكون استدراجًا له ، ويضيق على من يشاء وربما يكون نظرًا له، إن في البسط والتقتير لعلامات دالة على التوحيد لقوم يصدقون بالله تعالى. وأعط ذا القربى في الرحم صلته التي أوجبها الله تعالى عليك لفقره، وأعط المسكين الذي يطوف في السكك [٥]، وأكرم الضيف النازل بك ذلك الذي ذكر من

---

[١]) أخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد والسدي السلطان: الحجة ٥٠٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٤٤/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٢٥٨، الكشاف بنحوه ٥٧٩/٤، أي حجة وبرهانا. البغوي ص١٠٠٧.

[٢]) معاني القرآن للفراء بلفظ : يأمرهم بعبادة الأصنام وبشركهم. ٣٢٥/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة بلفظ : ينطق بشركهم. ٥٠٠/١٨ تأويلات أهل السنة ٢٧٧/٨، النكت والعيون ٣١٥/٤، وفي الكشف والبيان : يعذرهم على شركهم ويأمرهم به. ٣٩/٥ ، المحرر الوجيز عن قتادة بلفظ : يظهر حجتهم وينطق بشركهم. ٣٣٨/٤.

[٣]) تفسير مقاتل ١٢/٣، مجاز القرآن ١٢٢/٢، تأويلات أهل السنة ٢٧٧/٨، البغوي ص١٠٠٧، وهو قول الجمهور النكت والعيون. ٤ / ٣١٥.

[٤]) زيادة من النسخة (ب).

[٥]) السكة: الطريق المستوي، والسكك الطريقة المصطفة من النخل ومنها قيل للأزقة : سكك لاصطفاف الدور فيها ، والسكة أوسع من الزقاق. انظر: تهذيب اللغة مادة(سك) ٣ / ٣٠٠، الفائق في غريب الحديث ٢/ ١٨٩، لسان العرب مادة(سكك)١٠ / ٤٣٩.

الصلة[١]، والإعطاء، والإكرام خير للذين يريدون رضا الله تعالى، فإنه إذا أمسك أو دفع وهو لا يريد به رضا الله تعالى ذهب ماله من غير أن يحصل على شيء.

والمفلحون هم الفائزون السعداء الباقون في الجنة.

قوله عز وجل : ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَل / مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣٩-٤٠] ٤٦٣/ ب

معناه: وما تعاطيتم من عقد الربا رجاء أن تزيد أموالكم فلا تزيد في حكم الله تعالى؛ لأن ذلك للمأخوذ منه لا للآخذ ، وعلى الآخذ أن يرده على المأخوذ منه. ويقال: معنى فلا يربو عند الله أنه تعالى جعل الربا سببا لإذهاب المال في العاجل وللعذاب في الآجل[٢] وهو نظير قوله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[٣].

وقوله تعالى : (وما أتيتم من زكاة) معناه: وما أعطيتم من صدقة تريدون بها رضا الله تعالى فأولئك هم الذين يضاعف لهم في العاجل والآجل. يقال: رجل مضعف أي: ذو ضعاف، كما يقال: رجل مقو أي: صاحب قوة ، وموسر أي: صاحب يسار[٤] ، وعن عبدالله بن عباس[٥] ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في قوله تعالى : (وما أوتيتم من ربا) أن الربا هاهنا هو: هبة الرجل لصاحبه يريد أن يثيبه بأفضل منه [٦]. فذلك الذي لا يربو عند الله تعالى، لا يؤجر فيه

---

١) في (ب) الصلاة.

٢) النكت والعيون بمعناه ٣٣٩/٤، الكشاف بمعناه ٥٨١/٤.

٣) سورة البقرة : [٢٧٦].

٤) فرس مقو: أي قوي. لسان العرب مادة(قوى) ٢٠٧/١٥، معاني القرآن للفراء بمعناه ٣٢٥/٢، معاني القرآن للزجاج ١٨٧/٤، تأويلات أهل السنة ٢٨٠/٨، معاني القرآن للنحاس ٢٦٥/٥، الكشاف ٥٨١/٤، تفسير البيضاوى ٤ / ٣٣٧.

٥) في (ب) عبدالله بن مسعود.

٦) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن جبير ٥٠٣/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٧/٤، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره عن قتادة ومجاهد و الضحاك ٢٣٩/٥ ، تأويلات أهل السنة ٢٨٠/٨، الكشف والبيان ٤١/٥. وهو قول أكثر المفسرين، وحمله بعضهم على ربا النسيئة المحرم.

فيه الواهب ولا إثم عليه ، وإنما الذي يربو عند الله تعالى فيه هو العطية الذي[١] لا يطلب بها المكافأة، ولا يراد بها إلا رضا الله تعالى[٢].

وعن عكرمة [٣] ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال : الربا رباءان، ربا حلال وربا حرام ، وفسر الحلال بالذي ذكره ابن عباس في هذه الآية [٤]. ومن قرأ قرأ لتربوا بالتاء والضم[٥] فمعناه: لتريدوا أنتم زيادة في أموال الناس. وأما القراءة بالياء[٦] فمعناها: ليربو المعطى فيكثر.

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾[٤٠]

معناه: هو الذي خلقكم نسما في بطون أمهاتكم، ثم أخرجكم ورزقكم، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم، ثم يحييكم بعد الموت، هل من شركائكم الذين جعلتم لهم في أموالكم حصة وشركة من يفعل من ذلكم من شيء ؟ وقوله:(سبحانه) تنزيهًا لله تعالى عما يشركون به.

قوله عز وجل : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٤١] معناه: ظهر فساد الأموال بالقحط ونحوه[٧]، في مجاوري البرَ وساكنيه، [وفي مجاوري البحر وساكنيه][٨] بذنوب الناس

---

[١]) هكذا في النسختين.

[٢]) تفسير مقاتل ١٣/٣، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد بمعناه ٥٠٧/١٨، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي بمعناه ٣٠٩٢/٩، تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٨١/٨.

[٣]) تقدمت ترجمته انظر ص ١٦٧.

[٤]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٣٠٩١/٩ ، النكت والعيون عن ابن عباس بمعناه ٣١٦/٤، الكشاف ٥٨١/٤، تفسير ابن كثير ٥٣١/٣.

[٥]) (لِتُربوْا) بالخطاب وضم التاء وإسكان الواو قراءة المدنيين(نافع وأبو جعفر) ويعقوب. النشر ص٤٤٠، الكشف لمكي ٢٨٨/٢، السبعة ٥٠٧/١ ، معاني القرآن للفراء ٣٢٥/٢، الطبري ٥٠٧/١٨، المحرر الوجيز ٣٣٩/٤، البحر١٧٠/٧، الدر المصون ٣٨٤/١١.

[٦]) (لِيَربوَا) بالغيب وفتح الياء والواو، قراءة الباقين. انظر المصادر السابقة.

[٧]) معاني القرآن للزجاج ١٨٧/٤، تأويلات أهل السنة ٢٨٣/٨، الكشف والبيان ٤١/٥، النكت والعيون عن يحيى بن سلام نحوه ٣١٧/٤ ، معاني القرآن للنحاس ٢٦٦/٥. والأولى جعل الفساد عامًا في الأموال وغيرها.

[٨]) زيادة من النسخة (ب).

ومعاصيهم[١]؛ ليذيقهم الله تعالى جزاء بعض الذي عملوا؛ فيكون عقوبة معجلة في أهل العقوبات؛ لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة؛ فيكشف الله تعالى عنهم الشدة. وفي هذا تنبيه على أنه تعالى إنما يقضي بالجدوبة ونقص الثمرات والنبات؛لطفًا منه في رجوع الخلق عن المعصية [٢].

ويقال: إن المراد بالفساد في الآية المعاصي، ومعناها: ظهر عقاب الفساد [٣] [في أهل البر والبحر وهذا كما في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَاد**﴾[٤]][٥] يعني المعاصي، وهذا لأنه إذا ظهر في الأرض قطع الطريق، وقتل الأنفس، وأخذ الأموال؛ منعت هذه الأسباب الناس من الحراثة والتجارة؛ فيرجع ذلك الضرر إلى جميع الناس.

قوله عز وجل : ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِين**﴾[٤٢]

معناه: وقلْ لأهل مكة سافروا في الأرض، فانظروا نظر الاعتبار كيف صار آخر أمر الذين من قبل كان أكثرهم مشركين، يقول: انظروا إلى ديار عاد، وثمود، ومدين، وقوم لوط [٦]؛ ليدلكم ذلك على أنه لا ينبغي لأحد أن يكفر بالله تعالى.

---

[١]) تفسير الطبري ٥١٣/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي بأطول من هذا وفي آخره: بما عملوا من المعاصي. ٣٠٩٢/٩، تأويلات أهل السنة ٢٨٣/٨، معاني القرآن للنحاس ٢٦٦/٥، الكشف والبيان ٤١/٥، المحرر الوجيز ٣٤٠/٤.

[٢]) تفسير الطبري بنحوه ٥١٣/١٨ ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس بمعناه ٣٠٩٢/٩، النكت والعيون عن أبي العالية ٣١٨/٤، البغوي بمعناه. ص١٠٠٩، الكشاف ٥٨٢/٤، كما قال بعض السلف: كلما أحدثتم ذنبًا أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة.وقال ابن القيم مختارًا هذا القول يدل عليه قوله: (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أذاقنا الله اليسير من أعمالنا ، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة. التفسير القيم ص٤٠٧.

[٣]) تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٨٣/٨، تحصيل نظائر القرآن بلفظ : أعمال المعاصي. ص٣١، النكت والعيون عن أبي العالية بلفظ : ارتكاب المعاصي دون ذكر العقاب. ٣١٧/٤، التفسير القيم عن ابن زيد بلفظ : الذنوب ص٤٠٧.

[٤]) سورة البقرة : [٢٠٥].

[٥]) زيادة من النسخة (ب).

[٦]) ساقطة من (ب).

قوله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُون ﴾ [٤٣]

معناه: أقم قصدك [١] وعملك[٢] للدين الحق الذي لا عوج فيه، واعمل به أنت ومن تبعك، من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله تعالى، قيل: هو يوم الموت[٣]، وقيل: هو يوم القيامة [٤]، وهذا هو الأصح لأنه عقبه بقوله: (يومئذ يصدعون) أي: يتفرقون[٥] فيصير فريق في الجنة وفريق في السعير. السعير.

قوله عز وجل : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُون ۞ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِين ﴾ [٤٤-٤٥]

معناه: من كفر فعليه ضرر كفره، ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يوطئون موضعهم في الجنة[٦]، ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثوابهم على قدر الاستحقاق، ثم يزيدهم من فضله [إنه لا يحب الكافرين أي: لا يحب إكرامهم، ولا يرضى بدينهم، وإنما يحب إكرام][٧] المؤمنين بزيادة الثواب[٨].

---

[١]) معاني القرآن للزجاج ١٨٨/٤، معاني القرآن للنحاس ٢٦٧/٥، النكت والعيون ٣١٧/٤، المحرر الوجيز ٣٤٠/٤.

[٢]) النكت والعيون عند تفسير الآية المتشابهة لهذه الآية في نفس السورة ، آية رقم[٣٠] نقلا عن الكلبي ٣١١/٤.

[٣]) لم أقف على قائله ، ولكن ـ والله أعلم ـ لا تنافي بينهما فكلاهما إذا جاء لا راد له ، ومن مات فقد قامت قيامته. (حديث غريب) انظر: تخريج أحاديث الكشاف ٤٣٦/١.

[٤]) تفسير الطبري بمعناه ٥١٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٨/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ٣٠٩٣/٩، النكت والعيون ٣١٨/٤، البغوي ص١٠٠٩.

[٥]) غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٧، مجاز القرآن ١٢٣/٢، معاني القرآن للفراء ٣٢٥/٢، و أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وابن زيد ٥١٥/١٨، الكشاف ٥٨٣/٤، المحرر الوجيز ٣٤١/٤.

[٦]) معاني القرآن للزجاج ١٨٨/٤، تأويلات أهل السنة ٢٨٥/٨، وفي النكت والعيون عن يحيى بن سلام: يوطئون في الدنيا بالقرآن وفي الآخرة بالعمل الصالح. ٣١٩/٤ ، المحرر الوجيز دون آخره. ٣٤١/٤.

[٧]) زيادة من النسخة (ب).

[٨]) وهذا من منهج الأشاعرة : في تأويل صفات الله ، إذا أولوا صفة المحبة بزيادة الثواب و إرادة إرادة الخير، وأولوا البغض ـ كما سيأتي بإرادة العقوبة.بحجة أنه لا يعقل لها حقيقة تليق بالخالق إلا الإرادة، وبحجة أنها لا تكون إلا بين متجانسين فلا تكون بين خالق ومخلوق. ولا ريب في أن قولهم هذا باطل، فقد دل السمع على هذه الصفة ، ودل عليها العقل أيضًا. قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٤٦]

معناه: ومن علامات توحيده إرساله الرياح قدام المطر للبشارة بالمطر؛ ليذيقكم من رحمته بإنبات النبات والزروع، ولتجري السفن بإجرائه على ظهر الماء بهذه الرياح ولتطلبوا / من فضله سلوك البحر؛ ولكي تشكروا نعمة ربكم. ٤٦٣/أ

قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤٧]

معناه: ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم بالبينات فكذبوا بها، فانتقمنا من الذين أجرموا. وفي الآية تحذير هؤلاء الكفار أن يصيبهم مثل الذي أصاب الذين من قبلهم؛ إذا ثبتوا على تكذيب الرسول ﷺ .

قوله عز وجل: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ۞ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ

ومن الناس من جعل حبه ورحمته عبارة عما يخلقه من النعمة...ومنهم من جعل حبه ورحمته هي= = إرادته، ونفى أن يكون له صفات هي: الحب، والرضا، والرحمة، والغضب غير الإرادة، والله سبحانه سمى نفسه في القرآن بالرحمن، ووصف نفسه بالرحمة والمحبة، كما قال: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه...) سورة المائدة :[٥٤]، (إن الله يحب المتقين) سورة التوبة :[٤]، (والله يحب المحسنين) سورة البقرة:[١٩٥]، والآيات في ذلك كثيرة، وإثابة الطائعين بالنصر والتأييد والجنة دليل على المحبة، أما القول بأنها لا تكون إلا بين متجانسين فممنوع، بل تكون بين غير المتجانسين؛ فالإنسان عنده ساعة قديمة ما أتعبته بالصيانة والتصليح فتجده يحبها، وأخرى أتعبته يبغضها، وكذا محبة الملائكة وهم من غير جنسه، وكالبهائم تُحِب وتُحَب. والسلف كلهم على إثباتها كما جاءت.

قال الإمام السفاريني عن اتفاق السلف في الصفات: لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال ، فكلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم ، لم يسوموها تأويلا ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا ، ولا ضربوا لها مثالا ، ولم يدفعوا عن صدورها وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم : يجب صرفها عن حقائقها ، وحملها على مجازها . بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم. لوامع الأنوار البهية ١ / ٦، أعلام الموقعين ٤٠/١، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٧ / ١٤٥، شرح الأصفهانية لشيخ الإسلام ٥٦/٢، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢٤٧/١.

﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [٤٨-٤٩-٥٠-٥١]

وَذلك أن الله تعالى يُحدث السحاب عقيب الرياح، فترفعه الرياح في الهواء، فيبسطه الله تعالى في السماء كيف يشاء، ويجعل السحاب قطعًا بعضها فوق بعض[١]، فترى المطر[٢] يخرج من وسطه[٣] إلى قوم دون قوم، فإذا أصاب بذلك المطر من يشاء من عباده إذا هم يفرحون بالمطر، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر من السحاب آيسين من ذلك؛ لأنهم كانوا لا يزرعون إلا على المطر، فلما أبطأ عليهم المطر يئسوا.

وقوله تعالى: (فانظر إلى آثار رحمة الله) خطاب للنبي ﷺ ولغيره من المكلفين. وآثار الرحمة هي أنواع النبات التي تنبت من المطر من بين أخضر وأحمر وغير ذلك من الألوان[٤].

وقوله تعالى: (كيف يحيي الأرض) أي: كيف يجعل الأرض مخضرة بعد يبسها، إن الذي فعل ذلك هو الذي يحيي الموتى للنشور، فإنه كما يعيد الشجر الذي ظهر يبسه رطبًا، ويعيد فيه الخضرة والنور والثمر كذلك يحيي الموتى. وهو على كل شيء قدير، يريده من الموت والحياة قادر.

وقوله تعالى: (ولئن أرسلنا ريحا) معناه: ولئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فأيبست زروعهم ورأوا الزرع مصفرًا بعد خضرته[٥]، ويقال: معناه فرأوا فرأوا السحاب مصفرًا يعلمون أنه لا يمطر[٦]، (لظلوا من بعده) أي: لصاروا

---

[١]) تفسير مقاتل ١٥/٣، أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ٥٢٠/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٨٩/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة بنحوه ٣٠٩٤/٩، تأويلات أهل السنة ٢٨٨/٨، النكت والعيون عنهأيضًا ٣٢١/٤ .

[٢]) مجاز القرآن بلفظ : الودق والقطر واحد. ١٢٤/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد بمعناه ٥٢٠/١٨ ، معاني القرآن للزجاج ١٨٩/٤، تأويلات أهل السنة ٢٨٨/٨، المحرر الوجيز ٣٤٢/٤.

[٣]) بحر العلوم ١٦/٣، البغوي بنحوه ص١٠١٠.

[٤]) تفسير مقاتل ١٥/٣، تفسير الطبري بمعناه مختصرًا ٥٢٣/١٨، البغوي بنحوه ص١٠١٠، الكشاف بأوجز من هذا. ٥٨٦/٤.

[٥]) مجاز القرآن بمعناه ١٢٥/٢، معاني القرآن للفراء ٣٢٦/٢، معاني القرآن للزجاج بمعناه ١٨٩/٤، الكشف والبيان ٤٤/٥، النكت والعيون عن ابن عباس وأبو عبيدة ٣٢١/٤، الكشاف ٥٨٦/٤.

[٦]) النكت والعيون ٣٢١/٤، وضعف هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٤٢/٤.

لصاروا من بعد صفرته يجحدون نعم الله تعالى؛ لأنهم كانوا إذا استبطئوا الرزق والمطر جزعوا فكفروا بالنعم، ويقال: ظل يفعل كذا إذا جعل يعمله بالنهار، وبات يفعل كذا إذا كان يفعله بالليل[١].

قوله عز وجل : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۞ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٥٢-٥٣]

وذلك أن الكفار لما أعرضوا عن الإيمان بالله تعالى مع وضوح دلائل التوحيد على ما سبق ذكره؛ أنزل سبحانه هاتين الآيتين تسلية للنبي ﷺ [٢]، و سمى الكفار موتى، لأنهم كانوا في تركهم العمل بما يسمعون وما يبصرون [بمنزلة الموتى وبمنزلة الأصم الذي لا يسمع والأعمى الذي لا يبصر][٣] ولذلك قال إذا ولوا مدبرين[٤]. والإدبار هو: الذهاب إلى الخلف ونقيضه الإقبال[٥].

وقوله تعالى : (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) فيه بيان أن الأعمى كما لا يمكن أن يجعل بمنزلة البصير، فكذلك المعرض المعاند لا يمكن أن يجعل بمنزلة الناظر المتدبر للآيات، ولا يمكن أن يجبر على الهدى وإنما بعث النبي ﷺ داعياً ومبلغاً. وقوله تعالى : (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) يقول ما يسمع سماع قبول وعمل، إلا من يصدق بكتابنا لأنهم هم الذين يستدلون به فهم مخلصون وهم منقادون لأمر الله تعالى[٦].

قوله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾[٥٤]

---

١) تقدم هذا المعنى في سورة الفرقان انظر ص ٨٩.

٢) أضواء البيان ١٢٧/٦.

٣) زيادة من النسخة (ب).

٤) تفسير الطبري بنحوه ٥٢٤/١٨، تأويلات أهل السنة ٢٩٠/٨، النكت والعيون بنحوه ٣٢٢/٤، وللآية معنى آخر هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل ، ولكن المراد بالسماع المنفي في قوله : (إنك لا تسمع الموتى) خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به ، وأن هذا مثل ضرب للكفار ، والكفار يسمعون الصوت ، لكن لا يسمعون سماع قبول بفقه وإتباع. أهـ وهذا التفسير الثاني جزم به واقتصر عليه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية. أضواء البيان ١٢٧/٦. ولعل ما ذكره المؤلف أرجح لقوله تعالى بعده: (إذا ولوا مدبرين).

٥) لسان العرب مادة(دبر) ٤ / ٢٦٨، المحكم والمحيط الأعظم مقلوبه: (ق ب ل) ٣ / ٦٠.

٦) أضواء البيان بنحوه ١٢٧/٦

معناه: الله الذي خلقكم من نطفة [١] ضعيفة في بطون الأمهات، ثم أطفالاً لا تملكون لأنفسكم نفعًا ولا ضرًا، ثم جعلكم أقوياء بما أعطاكم من الاستطاعة والعقل والهداية للتصرف في اجتلاب المنافع ودفع المضار، ثم حولكم من بعد ذلك إلى وهن العظم وإلى الشيبة [٢]، كما قال تعالى حاكيًا عن نبيه زكريا ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [٣] ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [٤] وقوله / تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [٥] أي: يصير مسلوب القوة والفهم والفهم كالصبي، بل يصير حاله دون حال الصبي لأن الصبي مرجو البلوغ والعقل، وهذا يزداد على البقاء ضعفًا وجهلاً؛ ولذلك سماه الله تعالى أرذل العمر [٦]. وقوله تعالى: (يخلق ما يشاء) أي: يحدث ما يشاء كما يشاء، وهو وهو العليم بخلقه القادر عليهم بتحويلهم من حال إلى حال إذ لا يقدر على ذلك سواه. وفي الآية بيان أنه تعالى إنما يمهل عباده ليرجعوا بالتوبة إليه، وليتذكر في عمره من تذكر، ويتعظ في حال شيبه من لم يتعظ في حال شبابه، وفيها بيان أن القادر على النقل من الضعف إلى القوة، ومن القوة إلى الضعف قادر على النقل من الحياة إلى الموت، ومن الموت إلى الحياة.

٤٦٤/ب

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [٥٥-٥٦-٥٧] معناه: ويوم تقوم الساعة يحلف المشركون ما لبثوا في الدنيا غير ساعة،

---

[١]) تفسير مقاتل ١٦/٣، أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة. ٥٢٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩١/٤، النكت والعيون عنه أيضًا ٣٢٢/٤، الكشاف ٥٨٧/٤.

[٢]) معاني القرآن للزجاج ١٩١/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره مع سابقه عن قتادة ٣٠٩٤/٩، تأويلات أهل السنة ٢٩١/٨، الكشاف ٥٨٧/٤، المحرر الوجيز ٣٤٣/٤.

[٣]) سورة مريم: [٤].

[٤]) سورة يس: [٦٨].

[٥]) سورة الحج: [٥].

[٦]) تفسير الطبري بمعناه ٥٢٦/١٨، زاد المسير ٣٠٩/٦، قال الثعالبي: من حيث كانت هذه لا رجاء معها. الجواهر الحسان ٢ / ٣٤٧.

أي: يحلفون على ظنهم أنهم ما لبثوا إلا يسيرًا [١]، كما قال أصحاب أهل الكهف[٢]:

﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [٣].

وعنَ قتادة [٤] ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : إنهم يستقلون أيام الدنيا في جنب أيام الآخرة [٥].

ويقال: إنما يريدون باللبث: المكث في القبور بعد الموتة الثانية، وبعد عذاب القبر[٦]. وقوله تعالى: (كذلك كانوا يؤفكون) أي: هكذا كانوا يكذبون في الدنيا [٧] بجهلهم وغفلتهم، كما كذبوا في الآخرة.

وقوله تعالى : (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) أراد به: الملائكة والأنبياء والمؤمنين[٨] يقولون للكفار بعد ما أقسم الكفار على الباطل: لقد لبثتم في كتاب الله تعالى، أي: لبثتم في دار الدنيا وفي القبور[٩] في حكم الله تعالى إلى إلى يوم البعث. فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تستدلون بكتاب الله تعالى ولا

---

[١]) قال ابن كثير: مقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم ينظروا حتى يعذر إليهم. تفسير ابن كثير ٥٣٨/٣.

[٢]) أصحاب الكهف: فِتية ذهبوا في الدهر الأوَّل، كانوا أحداثا أحرارا من أبناء أشراف الروم. مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وثن، دعاهم إلى عبادة الأصنام، فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف، وضرب الله تعالى على آذانهم و توفَّى أرواحهم وفاة النَّوم سنين عددا، ثم بعثهم فكانوا آية. انظر تفسير الطبري ١٧ / ٥٩٣، البغوي ص ٧٧٣، زاد المسير٥/ ١٠٩، البداية والنهاية ٢ / ١٣٥.

[٣]) سورة الكهف: [١٩].

[٤]) تقدمت ترجمته انظر ص ٧٤.

[٥]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه. ٣٠٩٤/٩، تأويلات أهل السنة بمعناه ٢٩٢/٨، الكشف والبيان ٤٥/٥، النكت والعيون ٣٢٣/٤، البغوي بنحوه. ص١٠١٠، المحرر الوجيز غير منسوب. ٣٤٣/٤.

[٦]) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن الربيع بن أنس بمعناه ٣٠٩٤/٩، الكشف والبيان عن مقاتل والكلبي.٤٥/٥، النكت والعيون عن يحيى بن سلام نحوه ٣٢٣/٤. لعل المؤلف قصد بالموتة الثانية نفخة الصعق لمن لم يمت بعد ، والموتة الأولى هي أجل كل إنسان الذي حدد له.

[٧]) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ٥٢٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٤، تأويلات أهل السنة ٢٩٢/٨، الكشف والبيان ٤٥/٥، الكشاف ٥٨٨/٤.

[٨]) وفي النكت والعيون عن الكلبي: إنهم الملائكة. ٣٢٣/٤، الكشاف ٥٨٨/٤ ، ذكر ابن كثير أنهم: المؤمنون العلماء في الآخرة. تفسير ابن كثير ٥٣٨/٣.

[٩]) قال مقاتل: في القبور. ١٧/٣، تأويلات أهل السنة بلفظ: في الدنيا ٢٩٣/٨، معاني القرآن للنحاس دون أوله. ٢٧٢/٥، النكت والعيون ٣٢٣/٤، وعند البغوي في القبور فقط. ص١٠١٠.

تصدقون، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا اعتذارهم من الذنوب إن اعتذروا، وقالوا ﴿ رَبَّنَا أَبصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون ﴾ [1].

وقوله تعالى: (ولا هم يستعتبوَن) أي: لا يجَابون إلى ما يطلبون من الرجعة إلى الدنيا [2]. ويقال: إن المراد بقوله تعالى : (في كتاب الله): فيما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ [3].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلا مُبْطِلُونَ۞ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ۞ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُون ﴾ [٥٨-٥٩-٦٠]

معناه: ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل صفة [4]، ولئن جئتهم بكل حجة حجة ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون، أي: ما أنتم إلا على الباطل، يقال: أبطل الرجل إذا جاء بالباطل، وأكذب إذا جاء بالكذب [5].

وقوله تعالى : (كذلك يطبع الله) قد سبق تفسيره في مواضع[6].

وقوله: (فاصبر إن وعد الله حق) معناه: اصبر على تبليغ الوحي والرسالة ، وعلى ما يلحقك من الأذية من جهة الكفار، فإن ما وعد الله من النصر وإظهار دين الإسلام صدق كائن يأتيك في حينه. ولا يحملنك تكذيب الكفار الذين لا يستيقنون بأمر الله تعالى على الخفة، وكن حليما، صبورا، وقورا لا تعجل بالدعاء عليهم[7]، فيما يستعجلون من العذاب بقولهم: أئتنا بعذاب الله تعالى[8].

---

[1]) سورة السجدة: [١٢].

[2]) الكشف والبيان بلفظ : يسترجعون ٤٥/٥، النكت والعيون عن يحيى ابن سلام ٣٢٤/٤، تفسير ابن كثير ٥٣٨/٣.

[3]) معاني القرآن للزجاج ١٩٢/٤، وفي الكشف والبيان: أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه. وقيل: في حكم الله .٤٥/٥، النكت والعيون عن ابن عيسى ٣٢٣/٤، الكشاف ٥٨٨/٤.

[4]) في (ب) مثل.

[5]) بحر العلوم ١٨/٣، تاج العروس مادة (كذب) ١١٨/٤.

[6]) كما في الآية [١٠١] من سورة الأعراف ، والآية [١٥٥] من سورة النساء، والآية [١٠٨] من سورة النحل.

[7]) عن مقاتل : ولا يستفزنك في تعجيل العذاب بهم ١٧/٣، تفسير الطبري بمعناه ٥٢٩/١٨، تأويلات أهل السنة ٢٩٥/٨، النكت والعيون بمعناه ٣٢٤/٤، الكشاف بنحوه ٥٨٩/٤.

[8]) أشار به إلى مثل قوله تعالى في قصة قوم لوط: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ سورة العنكبوت: [٢٩].

ومتى هذا الوعد[١] ؟ وعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب[٢].

وعن أبّي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال:(من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح بين السماء والأرض)[٣].

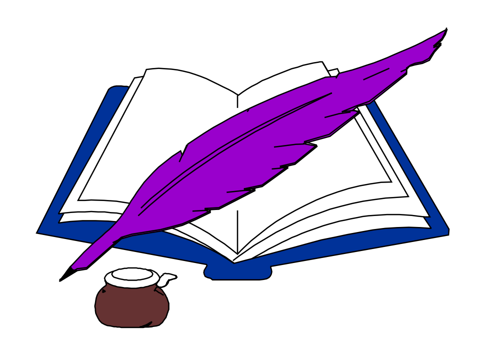
[١]) أشار به إلى مثل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة يس: [٤٨].

[٢]) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ سورة ص: [١٦].

[٣]) حديث أبي هذا الوارد نهاية كل سورة حديث موضوع سبق تخريجه ص٩٦.



سورة لقمان



سورة لقمان[١] أربع وثلاثون آية [٢] مكية كلها، إلا في رواية عن ابن عباس أن قوله تعالى : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) إلى آخر الآيات الثلاث مدنيات [٣].

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ الم۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١-٢-٣-٤-٥]

معناه: هذه السورة / هي آيات الكتاب المحكم الذي وعدك الله تعالى أن ينزلها عليك ، ويجوز أن يكون معنى الحكيم: الناطق بالحكمة[٤]. ٤٦٤/أ

وقوله تعالى : (هدى ورحمة) نصب على الحال[٥]، أي: دلالة ونعمة من نعم الله تعالى للمحسنين، وهي دلالة ونعمة من الله تعالى لكل مكلف، لكن المحسنين هم الذين انتفعوا بها فأضيفت إليهم.

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ۝ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٦-٧]

روي أن هاتين الآيتين نزلتا في النضر بن الحارث[٦]، كان اشترى كتبًا فيها

---

[١])سمِّيت سورة لقمان؛ لاشتمالها على قصّته. بصائر ذوي التمييز ٢٠٧/١.

[٢]) تفسير مقاتل ١٨/٣، البغوي ص١٠١١، بصائر ذوي التمييز ٢٠٧/١.

[٣]) ذكر في النكت والعيون: (إلا رواية عطاء) وقال الحسن: إلا آية منها. ٣٢٦/٤، المحرر الوجيز ٣٤٥/٤، زاد المسير ٣١٤/٦، البيان في عد آي القرآن ٢٠٦/١، بصائر ذوي التمييز ٢٠٧/١. هذا الاستثناء ليس عليه دليل صحيح ، وانظر أول سورة الشعراء ص ٩٨.

[٤]) وهو معنى قول ابن عيسى كما في النكت والعيون ٣٢٦/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٣٤٥/٤

[٥]) معاني القرآن للفراء ٣٢٦/٢، تفسير الطبري ٥٣١/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٣/٤، الكشاف ٥/٥، التبيان للعكبري ١٨٧/٢، الدر المصون ٣٩٤/١١.

[٦]) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، وهو ابن خالة النبي ﷺ ، ولما ظهر الإسلام استمر على شركه، وآذى رسول الله ﷺ كثيرا، ونصب له ولأصحابه العداوة، كان له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في " الحيرة ". قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : نزل فيه ثماني آيات من القرآن، أسره المسلمون يوم بدر، وأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه، فقتله علي بن أبي طالب صبرًا(أي: حبسًا) بالأثيل: (قرب المدينة). وقيل : أصابته جراحة، فامتنع عن الطعام والشراب ما دام في أيدي المسلمين. انظر: الكامل في التاريخ ١ / ٢٦٣، تهذيب سيرة ابن هشام ١ / ٨٣ ، تهذيب الأسماء ٢ / ١٦٢، الأعلام للزركلي ٨ / ٣٣.

أخبار الأعاجم كان ملهوفًا بها في المجالس، فحملها إلى مكة ليقرأها على مشركي قريش، فجعل يقرؤها عليهم ويقول: إن محمدًا أتى بكتاب فيه بعض قصص الأمم الماضية ، وأنا أتيت بمثله فكانوا يستملحون حديثه، وكان إذا سمع شيئًا من القرآن يهزأ به ويعرض عنه [1] ، فذلك قوله : (ليضل عن سبيل الله) أي: ليصرف الناس عن دين الله تعالى جهلاً بلا علم[2]. ومن قرأ ليضل بنصب الياء[3] فمعناه: ليتشاغل بما يلهيه وليصير أمره إلى الضلال[4]. والعذاب المهين أريد به: إذلال العقاب في الآخرة ويهان به، وأما وأما إذلال المرض فلا يكون هوانا، وكذلك إذلال الفقر وكذلك العذاب الذي لا يراد به العقوبة، وإنما يراد به التأديب.

وقوله: (ولى مستكبرا) أي: أعرض عن قبوله متعظمًا عن الإيمان به ، وشبهه بمن لا يسمع، وبمن في أذنيه ثقل يمنعه عن السماع [5]؛ لإعراضه عن القبول، وهذا على وجه التوسع، كما يقال: فيمن قلّ فهمه هو: ميت ويراد به التشبيه به.

---

[1]) انظر تفسير مقاتل ١٨/٣، بحر العلوم ٣ / ١٩، الكشف والبيان ٧٤/٥، والبغوي ص١٠١١، والكشاف ٨/٥ ، زاد المسير ٣١٥/٦.

[2]) معاني القرآن للفراء ٣٢٧/٢، تفسير الطبري بمعناه ٥٤٠/١٨، النكت والعيون حكاية عن الفراء والكلبي ٣٢٩/٤، وأخرجه البيهقي في الشعب رقم (٥١٩٤)٣٠٥/٤، البغوي ص١٠١١، الكشاف بنحوه ٦/٥، المحرر الوجيز ٣٤٥/٤، الاستيعاب في بيان الأسباب ٥٩/٣. و الحديث موضوع لأنه من طريق السدي عن الكلبي عن أبي صالح وهي سلسلة الكذب كما تقدم. انظر ص٤٧.

[3]) (ليَضل) بفتح الياء، قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الباقون بضمها. انظر: الإتحاف ٤٤٧/١، حجة القراءات ٥٦٣/١، البحر ١٨٠/٧، الكشاف ٨/٥، الدر المصون ٣٩٥/١١.

[4]) الكشاف بمعناه ٨/٥ ، زاد المسير٣١٧/٦، حجة القراءات ٥٦٣/١.

[5]) انظر تفسير مقاتل ٣١/٣، وأخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد نحوه ٥٤١/١٨، بحر العلوم ٣ /٢٠، المحرر الوجيز بنحوه ٣٤٦/٤.

وقوله تعالى : (فبشره بعذاب أليم) أي: بعذاب و جيع في الدنيا قبل أن يصل إلى الآخرة، وهو ما روي أنه أخذ يوم بدر أسيرًا فقتل صبرًا[١] لم يقتل من الأسرى يومئذ غيره وغير عقبة بن أبي معيط[٢]. وعن مجاهد[٣] ـ رضي الله عنه ـ أن المراد بلهو الحديث: الغناء الذي يلهي عن ذكر الله تعالى[٤]. قال: ونهى رسول الله ﷺ عن كسب الزمارة وهي المغنية[٥]، وعن أبي أمامة أمامة

[٦] عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا يحل بيع المغنيات، ولا شراؤهن، ولا

---

١) قال أبو عبيد: وأصل الصبر: الحبس، وكل من حبس شيئًا فقد صبره. ومنه حديث النبي عليه الصلاة والسلام في رجل أمسك رجلا فقتله آخر قال: (اقتلوا القاتل، واصبروا الصابر).أي: احبسوا الذي حبسه للموت، حتى يموت، ومنه قيل للرجل الذي يقدم فيضرب عنقه: قتل صبرا، يعني أنه أمسك على الموت، وكذلك لو حبس رجل نفسه على شيء يريده قال: صبرت نفسي. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد ص ٢٥٤ تهذيب اللغة مادة(صبر) ٤ / ٢٠١، لسان العرب مادة(صبر)٤ / ٤٣٧، تفسير مقاتل ٣١/٣.

٢) عقبة بن أبي معيط ، واسم أبي معيط: أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس الأموي، كان من شياطين قريش، وهو الفاسق الذي ذكره الله تعالى في كتابه، أسره رسول الله ﷺ يوم بدر وضرب عنقه صبرًا، ضرب عنقه عامر بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري أخو عاصم بن ثابت، وقيل: بل قتله عاصم أخوه. وابنه الوليد بن عقبة أخو عثمان بن عفان لأمه، رأى رسول الله ﷺ وهو طفل صغير، وابنته أم كلثوم بنت عقبة تزوجها عبد الرحمن بن عوف. انظر: تاريخ دمشق ٦٣ / ٢٢٤، المحبر للبغدادي ١ / ١٥٨، تاريخ الطبري ٢ / ١٥٨، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٢٣٨، الإكمال لابن ماكولا. ٢ / ٨٠.

٣) تقدمت ترجمته انظر ص٧٥ .

٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن مسعود وابن عباس وجابر ومجاهد وعكرمة بنحوه ٥٣٥/١٨، ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس وعطاء الخرساني والحسن نحوه ٣٠٩٦/٩، الكشف والبيان عن ابن مسعود. ٧٤/٥، النكت والعيون عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وابن جبير وقتادة ٣٢٨/٤، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٠٤، البغوي عن جمع من السلف. ص١٠١١، الكشاف ٦/٥، المحرر الوجيز ٣٤٥/٤. وأخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن مسعود حديث رقم(٣٥٤٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي. ٤٤٥/٢، وقد يحمل على عموم ما يلهي عن ذكر الله كما رجح الطبري والزمخشري وغيرهما.

٥) أخرجه الدارقطني في العلل حديث رقم(٢٢٥٥) ١١ / ٢٣٣.

٦) صدي بن عجلان بن وهب أبو أمامة الباهلي، غلبت عليه كنيته ، سكن حمص، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر، وروى عنه جماعة من التابعين، قال ابن حبان: كان مع علي بصفين. توفي سنة إحدى وثمانين وقيل: غير ذلك، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، قيل: إنه آخر من بقي بالشام من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقيل: بقي بعده عبد الله بن بسر وهو آخر من مات بالشام. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٢٢١، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٣٧، أسد الغابة ٢ / ١٦.

التجارة فيهن، وأكل أثمانهن حرام)[١].
قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٨-٩] ظاهر المراد.
قوله عز وجل: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[١٠-١١]
وصف الله سبحانه خلقه الذي يعجز المخلوقون عَنْ أن يأتوا بمثله، ويقدروا على نوع منه من خلق السماوات والأرض وألقى الجبال الثوابت في الأرض، أوتاداً لها لئلا تميل[٢] بأهلها، وتفريق الدواب الكثيرة في الأرض، وإنزال المطر من السماء، وإنبات أنواع النبات في الأرض.ثم قال عزّ من قائل : (هذا خلق الله) فأروني أيها الكفار، أي شي خلقه الذين يعبدون من دونه، فلم يجدوا شيئًا يشيرون إليه من خلق غيره، ولم يقدروا على جواب هذا الكلام، فقيل: بل الظالمون، أي: الكافرون في ذهاب عن الصواب بين. قوله عز وجل:
﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[١٢] معناه: ولقد آتينا لقمان علم التوحيد والمواعظ[٣] وألهمناه

---

[١]) آخر الحديث بمعناه وليس بلفظه، فاللفظ الوارد (..ولا أثمانهن) وهو حديث ضعيف أخرجه الترمذي في سننه كتاب/ تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب/ ومن سورة لقمان حديث رقم(٣١٩٥) ٣٤٥/٥، وأخرجه ابن ماجة أيضًا في سننه بمعناه كتاب/ التجارات، باب/ ما لا يحل بيعه، حديث رقم (٢١٦٨) ٣٩٥/٦، و الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة حديث رقم(٢٢١٦٩)٥٠٢/٣٦، والبيهقي في سننه ١٥/١٦، والطبري في تفسيره ٥٣٢/١٨، والسيوطي في الدر، وزاد في نسبته للطبراني وسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفسيره. الدر٧٥/٨. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، إنما يروى من حديث القاسم عن أبي أمامة والقاسم ثقة، وعلي ابن زيد يضعف في الحديث ٣٤٥/٥، وقال ابن كثير في تفسيره: علي وشيخه والراوي عنه، كلهم ضعفاء. والله أعلم.٥٤١/٣، وقال ابن الجوزي في الموضوعات : وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيدالله بن زحر، وعلى بن زيد، والقاسم أبو عبد الرحمن لم يكن متن ذلك الحديث إلا مما عملته أيديهم.٢ / ١٥، تخريج أحاديث الكشاف٦٧/٣، المحرر في أسباب النزول ٧٨٧/٢.

[٢]) معاني القرآن للفراء بمعناه ٣٢٧/٢، تأويلات أهل السنة ٣٠٠/٨، وهو معنى قول يحيى بن سلام كما في النكت والعيون ٣٣٠/٤.

[٣]) لم أجد هذا القول بلفظه ، ولكن ذكر المفسرون عدة أقوال يدور معناها على: الفقه، والعقل، و العلم، والعمل به والإصابة في الأمور. وأخرج الطبري في تفسيره من طريق أبي نجيح عن

أن يشكر لله تعالى على ما أعطاه من الحكمة، ومن يشكر نعم الله تعالى فإن منفعة شكره راجعة إلى نفسه، ومن كفر فإن الله تعالى غني عن شكره. حميد يحمد الشاكر، ويثيبه على شكره. وقد اختلفوا في لقمان(١) أنه كان نبيًا أم لم يكن.

قال بعضهم: كان حكيمًا ولم يكن نبيًا (٢).

وقال السدي(٣): كان نبيًا (٤).

مجاهد: الفقه والعقل والإصابة في القول. وإسناده صحيح. وعن قتادة : أي: الفقه في الإسلام. =

= وعن مجاهد أيضًا : الحكمة : الصواب. ٥٤٦/١٨ ، بحر العلوم ٣ /٢١، وفي تأويلات أهل السنة عدة أقوال بهذا المعنى ٣٠٠/٨، وانظر الكشف والبيان ٩٤/٥، وتأتي الحكمة في القرآن بعدة معانٍ وهي: العظة والمواعظ التي في القرآن، وبمعنى الفهم والعلم، وبمعنى النبوة، وبمعنى التفسير، وبمعنى القرآن. الوجوه والنظائر للدامغاني ص١٧٥.

(١) ذكر البغوي أن اسمه: لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارح ، وفي الكشف والبيان باعوراء ٩٤/٥، البغوي ص١٠١٢، وفي البداية والنهاية: لقمان بن عنقاء بن سدون. ٢ / ١٤٦، ولا سبيل لمعرفة الأسماء دون نص صحيح، ولكن ذكرت ما ذكره المفسرون.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وقتادة ٥٤٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن وهب بن منبه وقال:وكان رجلاً صالحًا ٣٠٩٧/٩، بحر العلوم ٣ /٢١، واتفق العلماء أنه كان حكيما، إلا عكرمة، تفرد بالقول بنبوته. انظر الكشف والبيان ٥٠/٥، البغوي ص١٠١٢، الكشاف عن ابن عباس ١٠/٥، زاد المسير ٣١٧/٦.

(٣) السدي الكبير: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد القرشي الكوفي الأعور، أصله حجازيٌّ سكن الكوفة، وكان يقعد في سُدَّةِ باب الجامع بالكوفة؛ فسمُِّي السدي، وهو إمام في التفسير، وثقه الإمام أحمد وابن حبان، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وهو غير السدي الصغير الضعيف . انظر: تهذيب الكمال ٣ / ١٣، ثقات ابن حبان ٣ / ٦.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن عكرمة ٥٤٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة، وذكر عن ليث أنه قال: حكمة لقمان نبوة. ٣٠٩٨/٩، وعن السدي: الحكمة: النبوة. بحر العلوم ٣ /٢١، الكشف والبيان ٥٠/٥، النكت والعيون عن عكرمة والشعبي ٣٣١/٤ ، فالراجح أنه لم يكن نبيًا:

١- لاتفاق العلماء على ذلك ، وتفرد عكرمة بالقول بنبوته، وما ورد عن السدي.

٢- ضعف السند المروي عن عكرمة، فهو من حديث وكيع عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف كما قال ابن حجر، ترك عبد الرحمن بن مهدي حديثه، و عن يحيى بن معين قال: جابر الجعفي كذاب لا يكتب حديثه. انظر: تهذيب الكمال٨٠/٢٠، الكامل لابن عدي ١٠٩/٣، الضعفاء للعقيلي٧١/٢، تقريب التهذيب ١٥٤/١ ،

٣- دخوله في الرق ينافي كونه نبيًا. قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ساق عدة آثار منها ما ذكره المؤلف : فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبيا، ومنها ما هو مشعر بذلك؛ لأن كونه عبدا قد مسه الرق ينافي كونه نبيا؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها؛ ولهذا كان جمهور=

وروي أنه تلميذ لألف نبي[١].

واختلفوا أيضًا في حرفته فقال الأكثرون: كان نجارا[٢].

ويقال:كان خياطًا[٣]، ويقال: كان راعيًا مر عليه رجل وهو يعظ الناس / فقال له: أنت الرجل الذي كنت ترعى الغنم؟ فقال: نعم. فقال: بم بلغت إلى ما بلغت؟ قال:بصدق الحديث، وتركي ما لا يعنيني[٤]. ٤٦٥/ب

ويروى أنه كان عبدًا حبشيًا غليظ الشفتين، مشقوق الرجلين[٥]، وكان سبب عتقه أن الحكمة كانت تجري على لسانه، فأخبر بذلك مولاه فأراد أن يجربه فدعاه، وقال: اذبح لنا شاة وائتني بأطيب مضغتين منها. فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان، ثم قال له مولاه: اذبح شاة أخرى وائتني بأخبث مضغتين منها، فذبح

= السلف على أنه لم يكن نبيا.أهـ ٥٤٣/٣. والروايات متناقضة حتى في تحديد زمانه، فلا سبيل للقول بنبوته، لعدم وجود نص صحيح صريح في ذلك والله تعالى أعلم.

روح المعاني ٥ / ٤٢٠، التحرير والتنوير ٢١ / ١٥٠.

[١]) قال النسفي في تفسيره: وقيل: تتلمذ لألف، وتتلمذ له ألف نبي.٢٢٥/٣. وذكر القرطبي وغيره أنه: أدرك داود عليه الصلاة والسلام وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود.٤٦٨/١٦، اللباب لابن عادل ٤٠٨٥/١. وعلى ما ذكره الواقدي لو صح أن زمانه كان بين محمد وعيسى ـ عليهما السلام ـ فكيف تتلمذ على ألف نبي ومعلوم أنه لم يكن بينهما نبي؟ فلعل ذلك من قبيل الأخبار الإسرائيلية، إذ المبالغة في العدد تشعر بذلك.

[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عن خالد الربعي ٥٤٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٤، الكشف والبيان ٥١/٥، النكت والعيون ٣٣١/٤، الكشاف ١٠/٥.

[٣]) معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٤، الكشف والبيان ٥١/٥، النكت والعيون عن سعيد بن المسيب ٣٣١/٤، الكشاف عنه أيضًا ١٠/٥، المحرر الوجيز٣٤٧/٤، أخرجه الإمام أحمد في الزهد ١٥٢/١، زاد المسير عن سعيد بن المسيب. ٣١٨/٦.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن عمرو بن قيس ٥٤٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٥/٤، بحر العلوم ٣ /٢٢، النكت والعيون عن عبدالرحمن بن زيد بن جابر وزاد في أوله: بقدر الله وأدائي الأمانة. ٣٣١/٤، البغوي بزيادة وأداء الأمانة. ص ١٠١٢، الكشاف ١٠/٥، المحرر الوجيز بلفظ: وقيل: كان راعيا دون آخره ٣٤٧/٤، زاد المسير عن ابن زيد. ٣١٨/٦.

[٥]) معاني القرآن للفراء بلفظ: حبشيا مجدعا ذا مشفر. (المجدوع: مقطوع الأطراف والأعضاء، والمشفر للبعير كالشفة للإنسان) ٣٢٧/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وابن عباس وابن المسيب وخالد الربعي وعمرو بن قيس بنحوه ٥٤٧/١٨، معاني القرآن للزجاج وزاد فيه ما ذكره المؤلف (مشقق الرجلين) ١٩٥/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد وفي آخره مصفح القدمين قاضيًا لبني إسرائيل ٣٠٩٧/٩، النكت والعيون عن ابن عباس ٣٣١/٤، المحرر الوجيز عن ابن عباس ومجاهد وابن المسيب نحوه ٣٤٧/٤

شاة وأتاه بالقلب واللسان، فسأله عن ذلك فقال: إنهما أطيب شيء إذا طابا، وأخبث شيء إذا خبثا[١].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال : (ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وصانه عن عثرات الدنيا وعثرات نفسه، فإذا رأيتم أخاكم قد زهد في الدنيا فاقتربوا إليه واستمعوا منه فإنه يلقي الحكمة)[٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٣]

معناه: واذكر إذ قال لقمان لابنه في حال ما يعظه: يا بني لا تشرك بالله أحدا، إن الشرك لظلم عظيم عند الله تعالى، وذلك أن الله تعالى هو المحيي المميت، الخالق، الرازق، فإذا أشركت به أحدًا غيره فقد جعلت النعمة لغير ربها وذلك من أعظم الظلم[٣].

قوله عز وجل : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٤-١٥]

نزل في سعد [٤] بن أبي وقاص[٥] لما آمن بالنبي ﷺ حلفت أمه ألا تذوق طعاما ولا شرابا، ولا يظلها شيء من الشمس حتى يرجع هو إلى دينه، فمضى على هذا أيام، فبلغ أمرها إلى أن تداخل بعض أسنانها في بعض، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال سعد ـ رضي الله عنه ـ: لو كانت لها سبعون

---

[١]) بمعناه أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن خالد الربعي ١٥٢/١، وأخرجه الطبري في تفسيره عنه ٥٤٨/١٨، بحر العلوم ٣ /٢١، النكت والعيون عنه ٣٣٢/٤، البغوي عنه. ص١٠١٤، الكشاف ١٠/٥.

[٢]) الحديث أخرجه البيهقي في الشعب (فصل فيما يقول العاطس في جواب التشميت) حديث رقم (١٠١٣٨)٣٢٦/١٩. مع اختلاف في الألفاظ ، ومن قوله: (عثرات نفسه إلى آخره زائد على ما في الشعب). وفيه عمر بن صبح بن عمران التميمي العدوي، قال ابن حبان : يضع الحديث على الثقات، وقال أبو الفتح الأزدي : كذاب، وقال الدارقطني : متروك. انظر: تهذيب التهذيب ٧ / ٤٦٣، المقاصد الحسنة ١ / ٦٠، الموضوعات لابن الجوزي ١ / ٢٣١.

[٣]) معاني القرآن للزجاج ١٩٦/٤، وقال الماوردي في النكت والعيون : سماه ظلما؛ لأنه قد ظلم به نفسه ، وقيل إنه قال ذلك لابنه، وكان مشركا. أهـ ٣٣٣/٤، الكشاف بمعناه ١١/٥.

[٤]) في (ب) سعيد.

[٥]) تقدمت ترجمته وقصته في سورة العنكبوت انظر ص ٢٧٦.

نفسا فخرجت ما ارتددت عن الإسلام، ففتح فاها وصب فيه الطعام والشراب[١].

ومعنى وصينا الإنسان: أمرناه ببر والديه عطفا عليهما، ولم يذكر البر؛ لأن في اللفظ دليلاً عليه. وقوله تعالى : (حملته أمه وهنا على وهن) أي:ضعفًا على ضعف[٢]، ومشقة على مشقة، كلما ازداد الولد في الرحم كبرا ازدادت الأم ضعفا [٣]، ويقال: أراد به ضعف الولد على ضعف الأم؛ لأنها خلقت ضعيفة [٤].

وقوله تعالى : (وفصاله في عامين) معناه: وفطامه [٥] في انقضاء عامين ، وقدره بعامين بناء على الأعم الأغلب، أو لأن الرضاع لا يستحق بعد مضي هذه المدة [٦].

---

١) أخرجه الطبري في تفسيره عن سعد بن مالك وابنه مصعب بنحوه ٥٥٢/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٦/٤، و انظر النكت والعيون حكاية عن النقاش، وعن ابن كامل أنها عامة وإن جاءت بلفظ خاص. ٣٣٤/٤، الكشاف بأوجز منه ١٢/٥، المحرر في أسباب النزول ٧٩٢/٢. وللطاهر ابن عاشور رأيا خلاف ما ذهب إليه المفسرون من أنها نزلت في شأن سعد لعدم مناسبتها. قال: وعلى كلا الاعتبارين لا يحسن ما ذهب إليه جمع من المفسرين: أن هذه الآية نزلت في قضية إسلام سعد بن أبي وقاص وامتعاض أمه ، لعدم مناسبته السياق ، ولأنه قد تقدم أن نظير هذه الآية في سورة العنكبوت نزلت في ذلك ، وأنها المناسبة لسبب النزول فإنها أخليت عن الأوصاف التي فيها ترقيق على الأم بخلاف هذه. أهـ التحرير والتنوير ١٥٧/٢١، ولعله الصواب والله أعلم. وقد جعل بعضهم الآية عامة في حق كافة الناس. البغوي ص١٠١٣.

٢) تفسير مقاتل ٢٠/٣، غريب القرآن لليزيدي ص٢٩٨، مجاز القرآن ١٢٦/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن الضحاك ٥٥٠/١٨ ، معاني القرآن للزجاج ١٩٦/٤، ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن عطاء الخرساني ٣٠٩٨/٩، تأويلات أهل السنة ٣٠٣/٨، النكت والعيون عن الحسن وعطاء ٣٣٤/٤، المحرر الوجيز ٣٤٩/٤.

٣) انظر بحر العلوم ٣ /٢٢.

٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد ٥٥١/١٨ ، ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد ٣٠٩٨/٩، النكت والعيون عن مجاهد ٣٣٤/٤، الكشاف ١١/٥.

٥) غريب القرآن لليزيدي ص ٢٩٨، مجاز القرآن ١٢٧/٢، تفسير الطبري ٥٥١/١٨ ، تأويلات أهل السنة بنحوه ٣٠٣/٨، الكشف والبيان ٥١/٥ ، البغوي ص ١٠١٣.

٦) قال الزمخشري في الكشاف: المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز...و به استشهد الشافعي رضي الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان، لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما، وهو مذهب أبي يوسف ومحمد بن الحسن. وأما عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ فمدة الرضاع ثلاثون شهرا. وعن أبي حنيفة : إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته ، لم يكن رضاعا. وإن أكل أكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته، فهو رضاع محرم. أهـ ١٣/٥، أحكام القرآن للجصاص. ٤٩٧/١ ، وقال ابن العربي: والصحيح أنه لا حد لأقله ، وأكثره =

وقوله تعالى : (أن اشكر لي ولوالديك) أي: قلنا له اشكر لي على خلقي إياك وعلى إنعامي عليك واشكر لوالديك على تربيتهما إياك[١] ، إلى مصيرك ومصير والديك. وقوله:(وإن جاهداك) معناه: وإن اجتهدا عليك لتشرك بي جهلاً بغير علم فلا تطعهما،فإن حقهما وإن عظُم فليس بأعظم من حقي.

وقوله تعالى : (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي: صاحبهما مصاحبا معروفا، يقال: صاحبته مصاحبا، ومصاحبة للمعروف بما يستحسن من الأفعال[٢]. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (حسن المصاحبة أن تطعهما [٣] إذا جاعا وتكسوهما إذا عريا)[٤]. ويستدل من هذه الآية على أن الابن لا يستحق القود [٥] على أبيه،ولا يُحَد الأب لقذفه [٦] الابن [٧]، ولا يحبس له بدين له عليه؛ لأن في إيجاب القود، والحد، والحبس، له عليه ما ينافي مصاحبتهما بالمعروف[٨]، وعن أبي يوسف[٩]: أن القاضي يأمر الأب أن يقضي دين

= محدود بحولين مع التراضي بنص القرآن. أحكام القرآن عند تفسير الآية (٢٣٣) من سورة البقرة. ٢٧٣/١، ومن هذه الآية استنبط الفقهاء أقل مدة الحمل وهي: ستة أشهر.

[١]) تفسير الطبري ٥٥١/١٨، النكت والعيون بنحوه ٣٣٥/٤.

[٢]) معاني القرآن للزجاج ١٩٧/٤، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٠٤/٨، الكشاف دون آخره ١١/٥.

[٣]) هكذا في الأصل والصحيح تطعمهما.

[٤]) لم أقف عليه إلا في بحر العلوم بلا إسناد فلم يمكن الحكم عليه ، ولعله قول لأحد السلف. انظر بحر العلوم ٣ / ٢٣.

[٥]) قود : القود : نقيض السوق ، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها ، فالقود: من أمام والسوق: من خلف، قدت الفرس وغيره، أقوده قودا و مقادة، والقود: قتل النفس بالنفس ، قال الجوهري: القود القصاص، و أقدت القاتل بالقتيل أي: قتلته به ، وسمي قودا؛ لأنه يقاد إليه. لسان العرب مادة(قود) ٣ /٣٧٠، معجم مقاييس اللغة ٥ /٣٩، مختار الصحاح ص ٢٣٢.

[٦]) في الأصل تقذفه .

[٧]) أحكام القرآن للجصاص ١٧٦/١ ، الأحكام السلطانية للماوردي ١ /٢٦٠.

[٨]) أحكام القرآن للجصاص ١٧٦/١ ، منح الجليل شرح مختصر خليل بنحوه ٦ / ٥٧، وفي عدم إيجاب القود على الوالد بولده ما أخرجه الترمذي في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يقاد الوالد بالولد) كتاب/ الديات عن رسول الله ﷺ. باب/ ما جاء في الرجل يقتل ابنه يقاد منه أم لا. حديث رقم (١٤٠٠) ٥/٤.

[٩]) أبو يوسف القاضي، الإمام العلامة، فقيه العراقين: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي صاحب أبي حنيفة، قال ابن معين: ليس في أصحاب الرأي أحد أكثر حديثًا ولا أثبت منه، وعنه أيضًا: أبو يوسف صاحب حديث وصاحب سنة. وقال الفلاس: صدوق كثير الغلط ، مات في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وستين سنة. انظر: طبقات الحفاظ ١ / ٢٢، تذكرة الحفاظ ١ / ٢٩٢، الوفيات لابن قنفذ ١ / ٤.

الابن، فإذا تمرد ولم يقض حبسه لاستخفافه بأمره [١].

وقال محمد بن الحسن [٢]: يحبس الأب في نفقة الابن الصغير، ولا يحبس بالدين الذي له عليه؛ لأنه لو لم يحبس في نفقة الولد الصغير؛ لتضرر به الولد[٣].

وقوله تعالى : (واتبع سبيل من أناب إلي) معناه: واتبع طريق من رجع إلي، ثم إلي مرجعكم ومرجع آبائكم، فأنبئكم بما كنتم تعملون من الخير والشر، وقد تضمنت هذه الآية النهي عن صحبة الكفار و الفساق، والترغيب في صحبة الصالحين، ثم رجع الكلام إلى قصة لقمان [٤].

فقال عز وجل : ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۞ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ/ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[١٦-١٧] وذلك أن ابن لقمان سأل أباه فقال: أرأيت الحبة التي تكون في قعر البحار أيعلمها الله تعالى؟ فأعلمه أن الله تعالى يعلم الحبة كيف كانت بلطفه وخبرته، وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال العباد، أنه يأتي بأعمالهم يوم القيامة، وإن كان العمل الصالح في الصغر بوزن حبة من خردل فالله تعالى يحفظه، ولا يخفى

٤٦٥/أ

---

[١]) نقل في منح الجليل شرح مختصر خليل عن ابن عبد الحكم. إلا أنه قال: إن كان له بيده مال أهـ. ٦ / ٥٧.

[٢]) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله، مولاهم الكوفي المنشأ، سكن بغداد، وتتلمذ على أبي حنيفة وروى عنه وعن أبي يوسف، وروى عنه الشافعي و الجوزجاني. ولي القضاء للرشيد بعد أبي يوسف، وكان مع تبحره في الفقه يضرب بذكائه المثل. لم يختلف ابن معين، والإمام أحمد وابن المديني في ثقته في النقل، وقد أثنى عليه غير واحد من المشايخ الأجلاء، وهو أول من دُعي بقاضي القضاة، غلب عليه الرأي، و قيل:كان مرجئًا داعيًا إليه، لينه النسائي وغيره من قبل حفظه. قال ابن جرير الطبري: وتجافى حديثه قوم من أهل الحديث؛ من أجل غلبة الرأي عليه، وتفريعه الفروع، توفي بالري هو والكسائي في يوم واحد سنة تسع وثمانين ومائة. انظر: العبر في خبر من غبر ١ / ٥٦، تعجيل المنفعة ١ / ٣٦١، سير أعلام النبلاء ٩ / ١٣٥، مغاني الأخيار ٥ / ٢٨٦، المجروحين ٢ / ٢٧٥.

[٣]) نقل في منح الجليل شرح مختصر خليل عن ابن يونس. ٦ / ٥٧.

[٤]) وهذا يؤيد قول من قال: إن الآيتين السابقتين اعتراضًا أثناء وصية لقمان، وليست هي من كلامه. وذكر الطبري: بأنها من كلام لقمان وإنه إنما أوصى بها ابنه، فرد ابن عطية بقوله: وذلك غير متوجه؛ لأن كون الآيتين في شأن سعد بن أبي وقاص..وإنما الذي يشبه أنه اعتراضًا أثناء الموعظة. انظر: تفسير الطبري ٥٥٤/١٨، بحر العلوم ٣ /٢٣، المحرر الوجيز٣٤٨/٤، الكشاف ١٢/٥. وأرى أن الأولى أن يكون اعتراض، يحمل تأكيد الوصية بهذا الأمر- والله أعلم.

عليه مكانه حتى يجازيه عليه [1]، ويجوز أن تكون الهاء في قوله: (إنها إن تك) كناية عن الخصلة التي يعملها ابن آدم بحيث لا يراه أحد من الناس [2]، وإنما قدم الكناية؛ لأنه [3] كانت معروفة عند المخاطب، كما يقول: إنها هند قائمة وإنه زيد قائم. وإنما قال: (تك) بلفظ التأنيث في القراءة التي تقرأ مثقال برفع اللام [4]؛ لأن المثقال أضيف إلى الحبّة فكان المعنى للحبة، وكان المثقال اسم (تك) [5]. ومن نصب المثقال[6] جعله خبرًا والاسم للحبة أو للخصلة [7].

وأما قوله تعالى :(فتكن في صخرة) أراد به: الصخرة التي تحت الثرى[8]، وقيل: أراد به: صخرة من الصخور [9].

---

[1]) هذا على قول أن الهاء عماد وهو ما رجحه الطبري وذلك أن الله وعد أن يوفي عباده جزاء السيئات والحسنات أيضًا. انظر تفسير الطبري١٨/ ٥٥٥، معاني القرآن للزجاج ١٩٧/٤، الكشاف ١٣/٥، المحرر الوجيز بمعناه ٣٥٠/٤، تأويلات أهل السنة ٣٠٤/٨، زاد المسير عن السدي. ٣٢٠/٦.

[2]) تفسير الطبري بلفظ: أن الهاء كناية عن المعصية والخطيئة. ٥٥٤/١٨، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٠٥/٨، الكشف والبيان ٥٢/٥، البغوي بنحوه إلا أنه قال: الخطيئة بدل الخصلة. ص ١٠١٣، الكشاف ١٣/٥، زاد المسير عن مقاتل ٣٢٠/٦ ، التبيان للعكبري ١٨٨/٢.

[3]) هكذا في النسختين بالتذكير، وصواب لأنها للسياق.

[4]) (مثقال) بالرفع، قراءة نافع وأبو جعفر. النشر. ص ٣٨٧، الكشف لمكي ٢٩٢/٢، الطبري ٥٥٥/١٨، المحرر الوجيز ٣٥٠/٤، البحر١٨٢/٧، زاد المسير٣٢٠/٦، الدر المصون ٣٩٩/١١.

[5]) معاني القرآن للفراء ٣٢٨/٢، تفسير الطبري ٥٥٥/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٨/٤.

[6]) (مثقال) بالنصب قراءة الباقين. انظر: النشر. ص٣٨٧، الكشف لمكي ٢٩٢/٢، الطبري ٥٥٥/١٨، المحرر الوجيز ٣٥٠/٤، البحر١٨٢/٧.

[7]) التبيان للعكبري ١٣٣/٢، الدر المصون ٣٩٩/١١.

[8]) انظر تفسير مقاتل ٢٠/٣، معاني القرآن للفراء بنحوه وزاد فيه: وهي سجين، وتكتب فيها أعمال الكفار ٣٢٨/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن عبدالله بن الحارث وقال: عنى بها الصخرة التي عليها الأرض، وذلك قول روي عن ابن عباس وغيره. ٥٥٦/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٧/٤، وذكر في الكشف والبيان عن ابن عباس: هي صخرة تحت الأرضين السبع، يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها (ولا أدري ماذا قصد بخضرة السماء منها) ٥٢/٥، وضعف ابن عطية هذا القول بحيث لا يثبته سند صحيح قال: وإنما معنى الكلام المبالغة والانتهاء في التفهيم ، أي: إن قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة، وما يكون في السماء وفي الأرض.أهـ المحرر الوجيز ٣٥٠/٤، والأولى حملها على العموم ، لموافقة ظاهر الآية ، والترفع عن الأخبار التي لا صحة لها.

[9]) قال بعضهم : أراد بها كل صخرة؛ لأنه قال بلفظ النكرة. بحر العلوم ٣ /٢٣، وهو الصحيح على ما أرى فحملها على العموم أولى، كما ذكر ابن عطية تعليقا على القول السابق. ٣٥٠/٤.

وقوله تعالى : (يأت بها الله) أي: يجازي بها الله تعالى يوم القيامة، إن الله لطيف قادر على الإتيان بها، عالم بموضعها يوصلها إلى صاحبها حيث ما يكون.
واللطيف العالم بكل دقيق وجليل، والخبير العالم بسائر الأمور[١].
وقوله تعالى : (يا بني أقم الصلاة) معناه: أقم الصلاة التي افترضها عليك الله تعالى، ومُر بالطاعة وانه عن المعصية، واصبر على ما أصابك من الأذية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢]، وظاهره يقتضي وجوب الصبر وإن خاف على النفس، إلا أن الله تعالى أباح إعطاء التقية في حال الخوف في غير هذه الآية [٣].
وقوله تعالى : (إن ذلك من عزم الأمور) أي: الصبر على ما أصابك في ذات الله تعالى من عظام الأمور، والعزم والحزم بمعنى واحد [٤]، وهو الاحتياط في الأمر الذي يوجبه على نفسه وتوطن نفسه عليه [٥]، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [٦].
قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[١٨-١٩] معناه: ولا تعرض عن الناس تكبرا [٧]، ولا تحتقرهم.

---

١) تفسير الطبري ٥٥٧/١٨، تأويلات أهل السنة ٣٠٥/٨، الكشاف بنحوه ١٣/٥.
٢) أخرجه الطبري في تفسيره عن سعد ابن جريج ٥٥٨/١٨ ، بحر العلوم ٣ /٢٤، النكت والعيون ٣٣٨/٤، الكشاف ١٤/٥، زاد المسير ٣٢٢/٦، تفسير ابن كثير ٥٤٥/٣.
٣) تقدم معنى التقية في سورة القصص انظر ص ٢٢٥. ومما دل على إباحتها حال الخوف قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ..﴾ سورة النحل: [١٠٦].
٤) قال ابن عباس عند قوله: (ذلك من عزم الأمور): حزم الأمور. الكشف والبيان ٥٢/٥.
٥) أخرج الطبري في تفسيره أوله عن ابن جريج بلفظ: مما أمر الله به. ٥٥٨/١٨، وفي تأويلات أهل السنة الحزم : من إحكام الشيء وإتقانه، والعزم: القطع والثبات على شيء. ٣٠٧/٨، ورد آخر هذا القول في النكت والعيون وورد أيضًا أنهما مختلفان، فالحزم الحذر والعزم القوة. ٣٣٨/٤، و قال أبو هلال العسكري: الفرق بين العزم والحزم، قيل: الأول: التأهب للأمر، والثاني: النفاذ فيه. الفروق اللغوية ص ٣٥٦.
٦) سورة الأحقاف: [٣٥] .
٧) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وروى عن مجاهد وابن زيد وعكرمة نحوه ٥٥٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٨/٤، تأويلات أهل السنة ٣٠٧/٨، بحر العلوم ٣ /٢٤، الكشف والبيان ٥٢/٥ ، المحرر الوجيز بمعناه ٣٥١/٤.

وأصل الصعر: داء يأخذ الإبل في أعناقها حتى يلوي وجوهها وأعناقها، فشبه به الرجل الذي يلوي عنقه من الناس تكبرا [١].

قال الشاعر[٢]:

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوما [٣]

وقوله تعالى: (ولا تمش في الأرض مرحا) معناه: ولا تمش في الأرض بالإعجاب والبطر وازدراء الناس [٤]، فإن مثل ذلك لا يفعله إلا جاهل بنفسه وأحواله وابتداء أمره ومنتهاه، كما قال الحسن: أنى لابن آدم الكبر ! وقد خرج من سبيل البول مرتين [٥]. وقوله تعالى: (إن الله لا يحب كل مختال فخور) معنى الاختيال هو: التبختر في المشي[٦]. ومعنى الفخر هو: ذكر المناقب للتطاول على السامع [٧]. وكل ذلك مذموم؛ لأنه إنما يستحق على نعم نعم الله تعالى الشكر لله تعالى، لا أن يتوصل بها إلى معاصيه ، وقد قال

---

[١]) غريب القرآن لليزيدي دون آخره ص ٢٩٨، مجاز القرآن ١٢٧/٢، تفسير الطبري ٥٥٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٨/٤، الكشف والبيان بنحوه. ٥٢/٥، لسان العرب مادة(صعر) ٤ / ٤٥٦، القاموس المحيط ٢ / ١٣٦، المعجم الوسيط ١ / ٥١٥، مقاييس اللغة ٣ / ٢٢٥، تهذيب اللغة مادة (صعر) ١ / ١٦٤.

[٢]) اختلف في البيت فنسب لعمرو بن حني (بالنون) التغلبي: وهو فارس جاهلي مذكور، نسبه له أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٢٧/٢، والطبري في تفسيره ٥٥٩/١٨، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣٥١/٤، وابن كثير في تفسيره ٥٤٦/٣، و الشنقيطي في أضواء البيان ٦ / ٢٨٠.

و يروى هذا البيت أيضًا من قصيدة المتلمس التي أولها :

يعيرني أمي رجال ولن ترى ... أخا كرم إلا بأن يتكرما، نسب له في اللسان: مادة (صعر) ٤ / ٤٥٦، والمتلمس هو: جرير بن عبد المسيح. ونسب في النكت والعيون لعمرو بن كلثوم لكنه قال من صعره بدل من ميله ٣٣٩/٤، وانظر: معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ومن اسمه عمرو من الشعراء لابن الجراح ص ٨ .

[٣]) واستشهد به المؤلف على من يلوي عنقه من الناس تكبرا، كهذا الداء الذي يأخذ الإبل في رؤوسها، حتى يلفت أعناقها عن رؤوسها.

[٤]) تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٠٨/٨، بحر العلوم بنحوه. ٣ /٢٤، النكت والعيون ٣٣٩/٤، الكشاف بمعناه ١٦/٥، المحرر الوجيز بلفظ : وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء. ٣٥١/٤.

[٥]) أحكام القرآن للجصاص ٣ / ٤٥٨، الزهد للإمام أحمد ٤ / ٢٢٥.

[٦]) معاني القرآن للزجاج بنحوه ١٩٨/٤، الكشاف بمعناه ١٤/٥، لسان العرب مادة(خيل) ١١ / ٢٢٦.

[٧]) أخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد نحوه ٥٦٢/١٨، النكت والعيون عن ابن عيسى ٣٤٠/٤.

رسول الله ﷺ حين ذكر نعم الله تعالى عليه:(أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[1]. فأخبر أنه ذكرها شكرًا لا فخرًا.

ومعنى المحبة من الله تعالى: إرادة الخير منه للعبد الصالح. والبغض من الله وهو[2] إيجاب العقوبة للعبد الفاجر[3].

وقوله تعالى : (واقصد في مشيك) معناه: اقصد في المشي، لا تعجل ولا تمش بالهوينا[4]، ويقال: أراد بالقصد: السرعة التي تنافي الخيلاء[5].

وقوله تعالى: (واغضض من صوتك) معناه: اخفض صوتك، ولا ترفعه على وجه الانتقاص للناس وإظهار الاستخفاف بهم ، يقال: فلان يغض من فلان إذا كان ينتقصه[6]. وقوله تعالى: (إن أنكر الأصوات) معناه: إن أقبح الأصوات[7] في الارتفاع لصوت الحمير، يقال: أتانا فلان بوجه منكر، أي: قبيح[8].

---

[1]) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في سننه كتاب/ تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ. باب/ ومن سورة بني إسرائيل (٣١٤٨) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن، صحيح وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس الحديث بطوله. ١٥٩/٤ ، وابن ماجة في سننه كتاب الزهد، باب/ ذكر الشفاعة (٤٣٠٨) ص٧١٤، و الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة حديث رقم(١٠٩٧٢) بزيادة: يوم القيامة. ٥٧٠/١٦، وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف. الجرح والتعديل ٢٨٢/١٣، الضعفاء للعقيلي ١ / ٢٢٨.

وللحديث شاهد في صحيح مسلم رقم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة.

[2]) الصحيح هو بغير الواو .

[3]) تقدم هذا المعنى في سورة الروم انظر ص ٣٢٩.

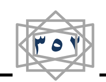
[4]) تفسير الطبري بلفظ: وتواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتئد. ٥٦٣/١٨، الكشاف ١٤/٥، تفسير ابن كثير بمعناه. ٥٤٦/٣.

[5]) أخرج الطبري في تفسيره عن يزيد بن أبي حبيب نحوه ٥٦٣/١٨، ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن يزيد بن أبي حبيب ٣١٠٠/٩، النكت والعيون عن يزيد بن أبي حبيب دون آخره ٣٤٠/٤.

[6]) أخرج الطبري في تفسيره أوله عن ابن زيد ٥٦٤/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٩/٤، تأويلات أهل السنة ٣١/٨، الكشاف بمعناه ١٤/٥.

[7]) معاني القرآن للفراء ٣٢٨/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن الضحاك وقتادة ٥٦٤/١٨، معاني القرآن للزجاج ١٩٩/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن جبير ٣١٠٠/٩، بحر العلوم ٣ /٢٤، البغوي ص ١٠١٤، المحرر الوجيز ٣٥١/٤.

[8]) تفسير الطبري بمعناه ٥٦٥/١٨. وهذا إذ لم يكن هناك ضرورة داعية لرفع الصوت ، فإن كان جاز ذلك. ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان في سفر: فنادى بأعلى صوته : (ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثا) فتح الباري كتاب/العلم باب/من رفع صوته بالعلم. حديث رقم(٦٠)١٤٣/٢. واستدل به ابن حجر في الفتح على: جواز رفع الصوت بالعلم بقوله: =



قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[٢٠-٢١] معناه: ألم يعلموا / أن الله خلق وذلل لمنافعكم ٤٦٦/ب ومصالحكم ما في السماوات: من الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب، والمطر، وما في الأرض من الأشجار، والأنهار، والبحار، والدواب. وقوله تعالى : (وأسبغ عليكم نعمه) أي: أتم عليكم نعمة.

ظاهرة: من الخلق الحسن، وسلامة الأعضاء الظاهرة. و باطنة: من العقل، والفهم، والفطنة، والمعرفة بالله تعالى[١].

ويقال: النعمة الظاهرة و هي[٢]: الإسلام [٣]، و الباطنة ما يخفى من الذنوب، وتسترُ[٤] من العورات[٥]، ويقال: الظاهرة: هي ما يعلم الناس من حسناتك. و الباطنة: ما لا يعلمون من سيئاتك [٦].

= "فنادى بأعلى صوته " وإنما يتم الاستدلال بذلك حيث تدعو الحاجة إليه، لبعد، أو كثرة جمع، أو غير ذلك، ويلحق بذلك ما إذا كان في موعظة، كما ثبت ذلك في حديث جابر: (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته... الحديث) أخرجه مسلم في كتاب/ الجمعة باب/تخفيف الصلاة والخطبة ، حديث رقم(٨٦٧) ١٣٤/٦.

[١]) ذكر الطبري في تفسيره معناه بلفظ: ظاهرة على الألسن قولا، وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا. وقوله :(وباطنة) يقول: وباطنة في القلوب، اعتقادا ومعرفة. ٥٦٧/١٨، وفي بحر العلوم: الظاهرة التي يراها الناس، والباطنة ما غاب عن الناس. ٣ / ٢٥. وفي الكشف والبيان عن الضحاك : الظاهرة : حسن الصورة. وعن القرظي : الباطنة المعرفة. ٥٧/٥ ، النكت والعيون بلفظ: الظاهرة في الأبدان، والباطنة : في الأديان.٣٤٣/٤، البغوي بنحوه عن الضحاك ص١٠١٤، الكشاف عن الضحاك بلفظ: الباطنة : حسن الصورة، والباطنة : المعرفة ١٩/٥.

[٢]) في النسخة (ب) هي بدون الواو.

[٣]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وروى عن مجاهد معناه ٥٦٧/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد بلفظ: لا إله إلا الله ٣١٠٠/٩، تأويلات أهل السنة عن مجاهد ٣١٠/٨، بحر العلوم عن ابن عباس ٣ /٢٥، الكشف والبيان عن مقاتل. ٥٧/٥.

[٤]) هكذا في النسختين بالفوقية.

[٥]) وهو معنى قول مقاتل كما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٠٠/٩، تأويلات أهل السنة عن مجاهد ٣١٠/٨، ورد في الكشاف مع سابقه عن الحسن بلفظ: والباطنة: الستر ١٩/٥، المحرر الوجيز بمعناه ٣٥٢/٤.

[٦]) تفسير مقاتل بمعناه، ولم يذكر النعمة الظاهرة. ٢٢/٣.

ومن قرأ نعمة على التوحيد [١] فهي واحدة تنبئ عن الجمع[٢] كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ ﴾[٢٠] أي: منهم من يخاصم في إثبات [٤] الله تعالى، وفي صفاته [٥]، جهلاً بغير علم، ولا حجة ولا كتاب مضيء، وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله تعالى [٦] قالوا: بل نعمل بما وجدنا وجدنا عليه آباءنا من الدين والسنة ، يقول الله عز وجل: (أولو كان الشيطان) معناه: أيتبعون آباءهم، وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب جهنم.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۞ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[٢٢-٢٣-٢٤] معناه: ومن يخلص طاعته لله، وهو محسن فيها، فيفعلها على موجب الشريعة[٧]، فقد أخذ بالأمر الأوثق. وإلى الله ترجع خواتم الأمور كلها، فيجزي كل عامل بما عمل.

وقوله تعالى: (ومن كفر فلا يحزنك كفره) وذلك أن النبي ﷺ ربما كان يحزنه كفرهم؛ مخافة أن يكون ذلك لتقصير من جهته، فآمنه الله تعالى من ذلك.

وقوله تعالى: (إلينا مرجعهم) أي: إلى موضع جزائنا منقلبهم، فنجزيهم في الآخرة بما عملوا في الدنيا. إن الله عليم بذات الصدور، عليم بما في القلوب من خير وشر.

---

[١] (نِعْمَةً) بإسكان العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث والتوحيد، قراءة ابن كثير وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف. و(نِعَمَهُ) بفتح العين وهاء مضمومة على التذكير والجمع قراءة الباقين. النشر. ص ٤٤٧، الكشف لمكي ٢٩٣/٢، الطبري ٥٦٦/١٨، الكشف والبيان ٥٧/٥، زاد المسير ٣٢٨/٦، البحر ١٨٥/٧، الدر المصون ٤٠١/١١.

[٢]) زاد المسير بمعناه. ٣٢٤/٦، التبيان للعكبري ١٨٨/٢.

[٣]) سورة إبراهيم: [٣٤].

[٤]) هكذا وردت في النسخ.

[٥]) الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥٨.

[٦]) كتب في حاشية الأصل: أي: اعملوا بما أنزل الله تعالى.

[٧]) ذكر أوله مقاتل في تفسيره ٢٢/٣، تفسير ابن كثير بمعناه. ٥٥١/٣.

وقوله تعالى : (نمتعهمقليلاً) أي: نمهلهم في الدنيا يسيرا ثم نلجئهم في الآخرة إلى عذاب شديد [١].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُون۞ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيد ﴾[٢٥–٢٦] قد تقدم تفسيره في مواضع [٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم۞ مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِير ﴾ [٢٧–٢٨] رَوَي عن عبدالله ابن عباس ـ رَضي اللهُ عنهماَ ـ أن النبي ﷺ لما قدم المدنية أتته أحبار اليهود فقالوا: بلغنا أنك قلت: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا ﴾ [٣] أفعنيتنا أم عنيت قومك ؟ فقال ﷺ : بل عنيت الجميع. فقالوَا: فقالوَاَ: ألم تعلم أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وفيها أنباء كل شيء وقد خلفها فينا فهي معنا، فقال ﷺ: التوراة وما فيها من الأنباء قليل في علم الله تعالى. فأنزل الله تعالى هذه الآية [٤] والمعنى: لو جعل ما في الدنيا من الأشجار أقلامـًا يكتب بها، وصارت الجن والإنس كُتابًا والبحار مدادًا [٥]، يمدها من بعدها سبعة أمثال بحر الدنيا، فكتبت بها كلمات الله تعالى تعالى وحكمه، لانكسرت الأقلام، وأعيت الإنس والجن، وفنيت البحار قبل أن ينقطع كلام الله تعالى وحكمه [٦]. إن الله تعالى عزيز في سلطانه، ذو حكمة في أقواله وأفعاله. وذهب بعضهم إلى أن معنى كلمات الله في هذه الآية:

---

[١]) بحر العلوم ٢٥/٣ ، ابن كثير ٥٥١/٣.

[٢]) كما في الآية [٦٠] من سورة العنكبوت.

[٣]) سورة الإسراء: [٨٥].

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وعطاء بن يسار وروى عن عكرمة معناه ٥٧٣/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس مختصرًا ٣١٠١/٩، تأويلات أهل السنة بنحوه ٣١٦/٨، بحر العلوم بنحوه. ٣ /٢٦، الكشف والبيان ٦١/٥، النكت والعيون عن ابن عباس ٣٤٤/٤، أسباب النزول للواحدي بأطول من هذا. ص٤٠٢، الكشاف مختصرًا ٢١/٥، المحرر الوجيز بنحوه ٣٥٤/٤، وهو ضعيف ، في إسناده رجل مجهول. وانظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ٦٧/٣.

[٥]) المداد: الحبرلأنه مما يُحَسّنُ به. وقد ذكره المؤلف في سورة الروم انظر ص ٣١٣.

[٦]) زاد المسير ٣٢٦/٦، تفسير ابن كثير ٥٥٣/٣.

معاني القرآن وفوائده [١]. وقال بعضهم: هي نعم الله تعالى في الدنيا والآخرة، فإن نعمه في الآخرة غير متناهية [٢].

وقوله تعالى : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾[٢٨] [معناه: ما خلقكم ولا بعثكم][٣] في قدرة الله تعالى إلا كخلق نفس واحدة، وكبعث نفس واحدة [٤]، وذلك أن أفعال العباد تختلف بالقلة والكثرة ، فإذا كثر العمل كثرت الكلفة، وإذا قل العمل قلت الكلفة. وأما أفعال الله تعالى فلا تختلف بالقلة والكثرة؛ لأنه سبحانه لا يفعل بالآلة فلا يلحقه في شيء من ذلك تعب ولا نصب [٥]. إن الله سميع لمقالة العباد ، بصير بما يضمرونه في نفوسهم.

قوله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ/ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [٢٩-٣٠] معناه: ألم تعلم أن الله تعالى يزيد من ساعات الليل في ساعاتَ النهار صيفاً، ويزيد من ساعات النهار في ساعات الليل شتاءً [٦]، وسخر الشمس والقمر، أي: ذللهما لمنافع بني آدم، تجريان إلى يوم القيامة، ثم تسقطان وينقطع جريهما[٧].

٤٦٦/أ

ويقال: يجري كل واحد منهما إلى أقصى منازله ثم يرجع[٨].

وقوله تعالى: (وأن الله بما تعملون خبير) أي: عالم بأعمالكم التي تعملونها في الدنيا، ومجازيكم عليها ذلك الذي سبق ذكره، بسبب أن الله هو الحق؛

---

[١]) بحر العلوم بلفظ: معاني كلمات الله. بحر العلوم ٣ /٢٧، الكشاف بنحوه ٢١/٥.

[٢]) وكلامه أيضًا غير متناه. قال الثعلبي: وهذه الآية تقتضي أن كلامه غير مخلوق ؛ لأنه لا نهاية له ولما يتعلق به من معناه فهو غير مخلوق. الكشف والبيان ٦١/٥، النكت والعيون بلفظ : نعم الله على أهل طاعته في الجنة. ٣٤٥/٤.

[٣]) زيادة من النسخة (ب).

[٤]) تفسير مقاتل ٢٣/٣، بحر العلوم بلفظ: معاني كلمات الله. بحر العلوم ٣ /٢٧، الكشف والبيان ٦١/٥، انظر البغوي ص١٠١٥، تفسير ابن كثير ٥٥٣/٣.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد معناه مختصرًا ٥٧٥/١٨ ، معاني القرآن للزجاج بمعناه ٢٠٠/٤، ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد مختصرًا ٣١٠١/٩، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣١٧/٨.

[٦]) تفسير الطبري ٥٧٦/١٨، النكت والعيون. ٣٤٥/٤، تفسير ابن كثير بمعناه. ٥٥٣/٣.

[٧]) أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة معناه ٥٧٦/١٨ ، بحر العلوم ٣ /٢٧، النكت والعيون عن الحسن ٣٤٦/٤، الكشاف ٢٢/٥، تفسير ابن كثير ٥٥٣/٣.

[٨]) بحر العلوم بلفظ: إلى أجله في الغروب. ٣ /٢٧، وهو معنى قول قتادة في النكت والعيون ٣٤٦/٤، الكشاف ٢٢/٥، قال ابن كثير في تفسيره : وكلا المعنيين صحيح. ٥٥٣/٣.

وليعلموا أن عبادة الله حق، وأن عبادة الأصنام باطل[١]، وأن الله هو العلي بصفاته، الكبير الذي لا شيء مثله في كبريائه وعظمته. وقال الحسن ـ رضي الله[عنه][٢] ـ: إنما سمى الله تعالى نفسه حقًا لأنه يدعو إلى الحق ويأمر به[٣].

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ۝ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [٣١-٣٢] معناه: ألم يعلم[٤] أن السفن تجري في البحر بإنعام الله تعالى، لو لم يخلق الرياح والماء والماء على الهيئة التي خلقها عليها، لما جرت السفن على ظهر الماء[٥]. إن في ما ذكر من صنع الله تعالى وقدرته لدلالات على توحيد الله لكل صبار، أي: كثير الصبر على الطاعات والمحن ، شكور أي: كثير الشكر على نعم الله تعالى، وفي ذلك بيان أن المتفكر والمعتبر في خلق السماوات والأرض هو الصبار الشكور. وفي الحديث:(إن أحب الخلق إلى الله تعالى من إذا أعطى شكر، وإذا ابتلي صبر)[٦]. وقوله تعالى : (وإذا غشيهم موج كالظلل) كالظلل) معناه: إذا أصابهم في البحر موج كالجبال[٧] في الارتفاع فوقهم دعوا الله مفردين له بالدعاء، فلما نجاهم من البحر وأهواله إلى البر، فمنهم مقتصد، أي: منهم من يثبت على ذلك، ومنهم من يجحد، ثم قال: (وما يجحد

---

[١]) تفسير الطبري بمعناه ٥٧٧/١٨، النكت والعيون بنحوه ٣٤٧/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٣٥٥/٤.

[٢]) زيادة من النسخة (ب).

[٣]) قال السمرقندي: يعني ليعلموا أن الله هو الحق وأن عبادته هي الحق. بحر العلوم ٢٧/٣، وذكر الزمخشري في الكشاف قريبًا منه. ٢١/٥.

[٤]) هكذا في في النسختين بالتحتية.

[٥]) تفسير مقاتل ٢٤/٣، تأويلات أهل السنة ٣١٦/٨، بحر العلوم ٣ /٢٨، النكت والعيون بلفظ: بنعمة الله عليكم في فائدتكم منه. ٣٤٧/٤، المحرر الوجيز بلفظ : ما تحمله السفن من الطعام والأرزاق والتجارات، فالباء للأرزاق. وقال ابن عطية أيضًا: ويحتمل أن يريد الريح وتسخير الله البحر ونحو هذا ، فالباء باء السبب. ٣٥٥/٤.

[٦]) ورد الأثر في بحر العلوم مروي عن قتادة ، ولعله الصحيح، فلم أجده مرفوعا عن النبي ﷺ. ٣ / ٢٨، وكذا في معاني القرآن للزجاج عن قتادة ٢٠١/٤.

[٧]) تفسير مقاتل ٢٤/٣، الكشف والبيان عن مقاتل. ٦١/٥، بحر العلوم ٣ /٢٨، النكت والعيون عن الحسن ويحيى بن سلام ٣٤٧/٤، الكشاف ٢٢/٥، تفسير ابن كثير ٥٥٤/٣.

بآياتنا) أي: لا ينكر دلائل توحيدنا إلا كل غدار [١] كثير الكفر بآيات الله ونعمه.
والختر في اللغة: أقبح الغدر [٢].
والظلل: جمع الظلة ، وهي: السحابة التي ترتفع فتغطي ما تحتها [٣].
قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [٣٣] معناه: يا أيها الناس اتقوا مخالفة ربكم بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، واخشوا عذاب يوم لا يقضي[٤]، ولا يغني[٥] والد عن ولده، ولا مولود هو قاض عن والده شيئًا؛ لاشتغال كل منهم بنفسه، وهذا من الخصوص في المراد،لأن المؤمنين يشفع بعضهم لبعض ويقال معنى لا يجزي والد عن ولده: لا يحمل[٦] شيئًا من سيئاته، ولا يعطيه شيئًا من طاعاته.
وخص الوالد والولد بالذكر؛ تنبيها على غيرهما، إن وعد الله في البعث والجزاء صدق كائن، فلا تغتروا بالحياة الدنيا وما فيها من زينتها، وزهرتها، ولا تغرنكم[٧] بالله الشيطان الغرور.

---

[١]) تفسير مقاتل ٢٥/٣، معاني القرآن للفراء ٣٣٠/٢، وأخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد والحسن وابن زيد و الضحاك وقتادة نحوه ٥٨١/١٨، تأويلات أهل السنة ٣١٦/٨، الكشف والبيان ٦١/٥، وهو قول الجمهور كما في النكت والعيون ٣٤٨/٤.

[٢]) مجاز القرآن ١٢٩/٢، معاني القرآن للزجاج ٢٠١/٤، بحر العلوم عن القتبي. ٣ /٢٨، البغوي بنحوه.ص ١٠١٥، زاد المسير ٣٢٨/٦، لسان العرب مادة(ختر) ١٥/ ٤٥٣، مقاييس اللغة ٢ / ١٩٩.

[٣]) معاني القرآن للفراء دون آخره ٣٣٠/٢، تفسير الطبري بمعناه ٥٧٩/١٨ ، معاني القرآن للزجاج دون آخره أيضًا. ٢٠١/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة مطولا ٣١٠١/٩، تأويلات أهل السنة دون آخره ٣٢٥/٨، بحر العلوم ٣ /٢٨، الكشف والبيان عن الكلبي دون آخره. ٦١/٥، لسان العرب (ظلل)١١ / ٤١٥، تاج العروس مادة(ظلل) ٤٠٢/٢٩.

[٤]) النكت والعيون عن المفضل وابن كامل ٣٤٩/٤، الكشاف ٢٤/٥، زاد المسير ٣٢٩/٦.

[٥]) تفسير الطبري ٥٨٢/١٨، تأويلات أهل السنة ٣٢٥/٨، النكت والعيون عن ابن عيسى ٣٤٩/٤، جمع بين هذا القول و سابقه ابن عطية بقوله: معناه يقضي، والمعنى لا ينفعه بشيء ولا يدفع عنه. المحرر الوجيز ٣٥٦/٤.

[٦]) النكت والعيون ٣٤٩/٤.

[٧]) هكذا في النسخ، والصحيح يغرنكم.

والغرور بفتح الغين الشيطان[١]، الشيطان: فعول بمعنى: الفاعل، كالشكور والصبور[٢]، وغرور الشيطان تمنيته العبد بأن الله تعالى كريم غفور؛ فيهون عليه ركوب المعاصي وما يهواه. ومن قرأ الغرور بضم الغين[٣] فهو مصدر مصدر ومعناه: الأباطيل[٤].

وعن سعيد بن جبير[٥]ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: "إن الغرور هو: تمني المغفرة مع الإصرار على المعصية"[٦]. وعن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: "إن الشيطان ليريد الإنسان بكل ريدة، ولكنه يجثم[٧]عند المال فيأخذ بعنقه"[٨].

قوله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٤] روي أن هذه الآية نزلت في البراء بن مالك[٩]، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ فقال له:

---

[١]) تفسير مقاتل ٢٥/٣، وجعله أبو عبيدة في مجازه عام في كل ما غر من أمر ١٢٩/٢، وكذا الفراء في معانيه ٣٣٠/٢، والطبري في تفسيره ٥٨٢/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢٠٢/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٣١٠١/٩، بحر العلوم ٣ /٢٩، تأويلات أهل السنة ٣٢٥/٨ ، المحرر الوجيز عن مجاهد والضحاك ٣٥٦/٤.

[٢]) الدر المصون ١/١٢.

[٣]) (الغُرور) بضم الغين شاذة قرأ بها سماك بن حرب وأبو حيوة، والجمهور بالفتح. انظر المحتسب ٢١٥/٢، المحرر الوجيز ٣٥٦/٤، البحر ١٨٩/٧، الدر المصون ١/١٢.

[٤]) تأويلات أهل السنة ٣٢٥/٨، بحر العلوم ٣ /٢٨.

[٥]) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي أبو محمد، أو أبو عبد الله الكوفي. مولده في خلافة أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثقة ثبت فقيه من الثالثة، كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعنيه. وقال عمرو بن ميمون عن أبيه: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. قتله الحجاج في شعبان سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين، وكان من كبار العلماء، قرأ القرآن على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة. انظر: طبقات الحفاظ ١ / ٤، تقريب التهذيب ١ / ٣٤٩، سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٢١.

[٦]) أخرجه الطبري في تفسيره عنه ٥٨٣/١٨، البغوي بنحوه. ص١٠١٥، الكشاف ٢٤/٥ .

[٧]) جثم: جثم الإنسان والطائر والنعامة... يجثم و يجثم جثما و جثوما ، فهو جاثم : لزم مكانه فلم يبرح أي: تلبد بالأرض. لسان العرب مادة(جثم) ١٢ /٨٢ ، المعجم الوسيط ١٠٧/١.

[٨]) أخرجه ابن المبارك في الزهد عن ابن مسعود. ص ١٩٣.

[٩]) البراء بن مالك بن النضر الأنصاري، أخو أنس بن مالك لأبيه، وقيل: أخوه لأبيه وأمه، أمهما أم أم سليم ، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وكان أحد الفضلاء ومن الأبطال الأشداء، قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك فيه. قال رسول الله ﷺ : (كم ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك). زحف =

إن أرضنا أجدبت فمتى الغيث؟ وقد تركت امرأتي حبلى[١] فماذا تلد ؟ وقد علمت بأي أرض ولدت، فبأي أرض أموت ؟ وقد علمت ما عملت اليوم فماذا أعمل غدا؟ ومتى الساعة ؟ فأنزل الله تعالى [هذه الآية [٢] ويقال: إن هذه الأشياء الخمسة التي ذكرها الله تعالى][٣]: في هذه الآية ، مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو[٤]. وعن الحسن رضي الله / عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ عن ٤٦٧/ب أشياء فأجاب عن الجميع فقال الرجل : هل بقي شيء لا تعرفه فقال: نعم وتلا هذه الآية [٥]، ومعناه: أن الله تعالى عنده علم قيام الساعة، استأثر الله تعالى به، ولم يطلع على وقتها أحدا من خلقه [٦]. وقوله تعالى: (وينزل الغيث)

= المسلمون إلى المشركين في اليمامة حتى ألجؤوهم إلى الحديقة وفيها عدو الله مسيلمة، فرمى بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب و به بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة فحمل إلى رحله يداوى، فأقام عليه خالد شهرًا. واستشهد يوم حصن تستر في خلافة عمر سنة عشرين، وقيل: قبلها وقيل: سنة ثلاث وعشرين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٤٧، الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٩٥.

١) قال ابن سيده: والحبل: الحمل وهو من امتلاء الرحم، وقد حبلت المرأة تحبل حبلا، و امرأة حبلى ونسوة حبالى وحبليات. لسان العرب مادة(حبل) ١٣٤/١١، تاج العروس مادة (حبل) ٢٦٢/٢٨.

٢) في تفسير مقاتل قال: الوارث بن عمرو بن حارثة ٢٥/٣، وأخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد نحوه وقال: جاء رجل ولم يذكر اسمه ٥٨٥/١٨ ، وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد أنها نزلت في رجل من البادية ٣١٠١/٩، وفي تأويلات أهل السنة: الوارث ٣٢٤/٨، وفي بحر العلوم: رجل يقال له: الوليد بن عمرو. ٢٩/٣، وفي النكت والعيون الوارث، وزاد فيه: يقال له: الوارث بن عمرو بن حارثة ٣٥١/٤، وذكر الواحدي في أسباب النزول أنه الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب ص٤٠٢، وكذا قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف حديث رقم(٩٨٧) ٧٧/٣، وذكره السيوطي في الدر عن عكرمة. ٥٣٠/٦ ، ولم يذكر أحد من المفسرين أنه البراء بن مالك ، فلعله وهم ـ والله أعلم ـ وهو ضعيف ؛ لإرساله.

٣) زيادة من النسخة (ب).

٤) أخرج الطبري في تفسيره عن قتادة وابن عمر وابن مسعود نحوه ٥٨٥/١٨، وأصل هذا القول حديث مخرج في الصحيح، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب/تفسير القرآن باب/ (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) حديث رقم(٤٦٢٧) ٣٧٠/٨ ، معاني القرآن للزجاج وزاد فيه: فمن ادعى أنه يعلم شيئًا من هذا فقد كفر بالقرآن؛ لأنه قد خالفه. أهـ ٢٠٢/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عمر نحوه ٣١٠٢/٩، المحرر الوجيز بمعناه ٣٥٦/٤.

٥) أخرجه الطبري في تفسيره عن عمرو بن شعيب بمعناه. ٥٨٦/١٨ ، وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان ٦٢/٤.

٦) النكت والعيون ٣٤٩/٤، زاد المسير ٣٣٠/٦.

يجوز أن يكون معناه: [وهو المختص بإنزال الغيث][1]. و يجوز أن يكون معناه: وهو العالم بوقت إنزال الغيث بعينه[2].

وقوله تعالى: (ويعلم ما في الأرحام) أي: يعلمه نطفة، وعلقة، ومضغة، وذكر، وأنثى، وشقيا، وسعيدا و متى ينفصل عن أمه [3]. وقوله تعالى : (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) أي: لا تدري ما يعمل غدا من الخير والشر[4].

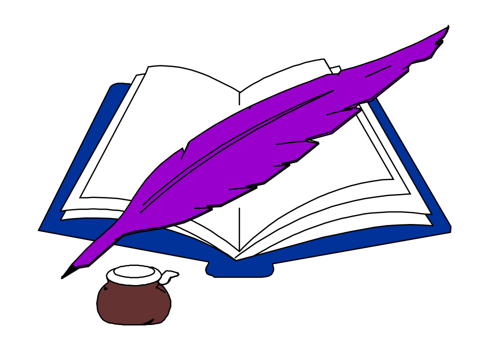
وقوله تعالى :(وما تدري نفس بأي أرض تموت). أي: لا تدري متى يكون موته [5]، ويقال: لا تدري بأي قدم يموت[6][7]، إن الله عليم بخلقه، خبير خبير بأفعالهم وأعمالهم، وبما يصيبهم في مستقبل عمرهم. وعن أبّي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺأنه قال:(من قرأ سورة لقمان كان لقمان لهيوم القيامة رفيقًا،وأعطي من الحسنات عشرًا بعدد من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر)[8] .

وبالله التوفيق .

---

[1]) زيادة من النسخة (ب).
[2]) ورد معنى أوله في بحر العلوم ٢٩/٣، تفسير ابن كثير ٥٥٧/٣، الكشاف بمعناه ٢٦/٥.
[3]) النكت والعيون بنحوه ٣٥٠/٤، الكشاف بمعناه ٢٦/٥.
[4]) زاد المسير ٣٣٠/٦، تفسير ابن كثير ٥٥٧/٣.
[5]) هكذا في النسختين بالتذكير، وصوابه موتها.
[6]) هكذا في النسختين بالتذكير، وصوابه تموت لمناسبة السياق.
[7]) لعله أراد أين يكون موتها بأي أرض. كما ذكر الماوردي ، وذكر عن النقاش:على أي حكم تموت من سعادة أو شقاء. والأول أظهر. النكت والعيون ٣٥٠/٤.
[8]) حديث أبي هذا الوارد نهاية كل سورة حديث موضوع سبق تخريجه ص٩٦.

سورة السجدة



سورة السجدة [١] مكية كلها في أكثر الأقاويل، وعن عبدالله بن عباس [٢] -رضي الله عنهما- أنه قال: غير ثلاث [آيات منها قوله تعالى: أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا إلى آخر الآيات الثلاث] [٣] فإنها نزلت بالمدينة [٤]، وأما عدد آي السورة فتسع وعشرون عند البصريين، وثلاثون عند غيرهم[٥].

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ الم۞تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [١-٢-٣] معناه: الم هو تنزيل الكتاب، أي: القرآن لاشكَّ فيه [٦] من حيث الحجة . وقوله تعالى:(من رب العالمين) أي: منزل من رب العالمين.

وقوله تعالى : (أم يقولون افتراه) معناه: يقول أهل مكة: يخلقه محمد من تلقاء نفسه [٧]، وليس كما يقولون بل هو الحق من ربك. وهذا تعجيب لرسول الله ﷺ من مقالتهم؛ لأن المتقدمين في الفصاحة منهم كانوا يعلمون أن الأمر بخلاف ما يقولون.

وقوله تعالى :(لتنذر قومًا). أي: لتخوف بالقرآن قومًا لم يشاهدوا قبلك في زمانهم - الذي هم فيه رسولاً مخوفًا لكي يهتدوا به إلى الإيمان [٨].

قوله عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ۞ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ۞ ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

---

[١]) سميت سورة السّجدة؛ لاشتمالها على سجدة التلاوة. أسماء سور القرآن ص ٣١٢، الإتقان ص١٤٦، بصائر ذوي التمييز ٢٠٩/١، زاد المسير ٣٣٢/٦.

[٢]) ساقطة من (ب).

[٣]) زيادة من النسخة (ب).

[٤]) تفسير مقاتل ٢٦/٣، وفي النكت والعيون: مكية في قول الجميع إلا الكلبي ومقاتل، قالا إلا ثلاث آيات منها ٣٥٢/٤، البغوي عن عطاء. ص١٠١٦، بصائر ذوي التمييز ٢٠٩/١. وهذا الاستثناء ليس عليه دليل صحيح ، وانظر أول سورة الشعراء ص ٩٨.

[٥]) تفسير مقاتل ٢٦/٣، بصائر ذوي التمييز ٢٠٩/١.

[٦]) تفسير الطبري ٥٨٩/١٨، تأويلات أهل السنة ٣٢٦/٨، بحر العلوم ٣ /٣٠، النكت والعيون ٣٥٢/٤، البغوي ص١٠١٦، الكشاف ٢٧/٥.

[٧]) تفسير الطبري ٥٨٩/١٨، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٢٧/٨، بحر العلوم ٣ /٣٠، المحرر الوجيز بمعناه ٣٥٧/٤، زاد المسير ٣٣٣/٦.

[٨]) تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٢٧/٨، بحر العلوم بمعناه. ٣ /٣٠، المحرر الوجيز ٣٥٧/٤.

الْعَزِيزُ الرَّحِيم۝ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِين۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِين۝ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُون ﴾ [٤-٥-٦-٧-٨-٩]

معناه: هو الله الخالق الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في مقادير ستة أيام من أيام الدنيا، ويقال: من أيام الآخرة أولها يوم الأحد [١].

وقوله تعالى: (ثم استوى على العرش). أي: استولى عليه بعد خلقه.

وقال الحسن - رضي الله عنه -:"استوى أمره ولطفه وقدرته على العرش"[٢]. وأرادوا بهذا الاستيلاء استيلاء وجود ومشاهدة [٣] فإن الله تعالى تعالى لم يزل فيما كان مستوليًا على العرش بالعلم والقدرة، وإنما ظهر استيلاؤه عليه بعدما أوجده، بما فعل من نقله إلى فوق السماوات؛ لأن العرش من أعظم ما خلقه الله تعالى، وهذا كقوله تعالى: ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ [٤] أراد به: علم الوجود إذ كان سبحانه وتعالى عالماً به في الأزل عَلم الغيب [٥].

وأمّا حرف ثم في هذه الآية فقد قدمنا أنها: للترادف في الأخبار لا للترادف في الحال، فإن خلق العرش كان قبل خلق السماوات والأرض [٦]، والاستيلاء: الذي بمعنى الجلوس والانتصاب فلا يكون إلا في صفات الأجسام المحدودة ،

---

[١]) تفسير الطبري، ولم يذكر من أيام الدنيا أم من أيام الآخرة ٥٩١/١٨، قال الزمخشري في الكشاف عند تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: والظاهر أنها من أيام الدنيا. ٢٩٤/٣.

[٢]) لعل هذا الأثر لم يصح عن الحسن؛ لمخالفته المشهور من مذهب السلف، وحمله الآية على غير ظاهرها، كما أنني لم أجده في التفاسير التي عنيت بالمأثور، وذكر السمرقندي في بحر العلوم معناه غير منسوب قال: ويقال: استوى أمره على بريته فوق عرشه كما استوى أمره وسلطانه وعظمته دون عرشه وسمائه. ٣١/٣، وذكر ابن عطية معناه عن أبي المعالي وبعض المتكلمين. المحرر الوجيز عند الآية [٥٤] من سورة الأعراف ٤٠٩/٢.

[٣]) أي: أنه موجود وشاهد على الخلق، كما فسره بعده.

[٤]) سورة الكهف: [١٢].

[٥]) البغوي ص٩٩١، المحرر الوجيز عند تفسير الآية [١٤٣] من سورة البقرة ١ / ٢٠٦ - و تفسير الآية[١٢] من سورة الكهف. ٣ / ٥٢٢، مفاتيح الغيب عند تفسير الآية [١٤٣] من سورة البقرة، البحر عند تفسير الآية [١٤٣] من سورة البقرة. ٣٦٨/١. وقد تقدم نظير هذا القول في سورة العنكبوت انظر ص ٢٧٤.

[٦]) بحر العلوم ٣ /٣٠، المحرر الوجيز بنحوه ٣٥٨/٤.

ولو جاز في جسم من الأجسام أن يكون قديما لجاز في سائر الأجسام وذلك يوجب نفي الصانع [1].

---

[1]) ذهب بعض المتكلمين كالكلابية، وتبعهم الأشعرية إلى نفي الصفات الفعلية عن الله تعالى ويؤولون ما ورد منها بزعم أنها لا تليق بالله تعالى؛ لإشعارها بالأعراض التي لا تقوم إلا بالجسم. كما أولوا هنا صفة الاستواء، وتأويلهم هذا مخالف لعقيدة السلف، حيث وردت النصوص بذلك. ونقل ابن القيم قول الإمام اللالكائي رحمه الله ـ فقال: وإن الله عزَّ وجلَّ على عرشه في السماء، ثم ذكر قول من هذا قوله من الصحابة والتابعين والأئمة. قال: هو قول عمر، وعبد الله بن مسعود، و الإمام أحمد بن حنبل...وعدَّ جماعةً يطول ذكرهم، ثم ساق الآثار في ذلك .

قال الإمام البيهقي في الاعتقاد: الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية ، ووردت به الأخبار الصحيحة ، فقبوله من جهة التوقيف واجب ، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز. ص ٦٦.

قال شيخ الإسلام: ما أخبر به الرب عن نفسه مثل: استوائه على عرشه، وسمعه، وبصره، وكلامه وغير ذلك، فإن كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله، كما قال مالك بن أنس : الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة .

فأخبر أن الاستواء معلوم، وهذا تفسير اللفظ، وأخبر أن الكيف مجهول، وهذا هو الكيفية التي استأثر الله بعلمها. ...وأنه يتضمن علو الرب على عرشه وارتفاعه عليه كما فسره بذلك السلف. انظر: رسالة في تفسير سورة الإخلاص ١ / ٧٣.

قال ابن القيم في اجتماع الجيوش: وقوله: على العَرْشِ اسْتَوَى " سورة طه آية: [٥]، فإنما معناه عند أهل السنة: على غير الاستيلاء، والقهر، والغلبة، والملك الذي ظنته المعتزلة، ومن قال بقولهم: إنه بمعنى الاستيلاء، وبعضهم يقول: إنه على المجاز دون الحقيقة. أهـ. ص ٥٣.

والرد عليهم من وجوه:

أحدها: أنه لو كان استوى بمعنى استولى، لم يكن لتخصيصه العرش بالاستواء معنى، لأنه مستول على كل شيء غيره، فكان يجوز أن يقال: الرحمن على الجبل استوى، وهذا باطل.

الثاني: أن العرب لا تدخل ثم إلا لمستقبل سيكون، والله تعالى لم يزل قاهرًا، قادرًا، مستوليًا على الأشياء، فلم يكن بزعمهم لقوله ثم استوى على العرش معنى.

الثالث: أن الاستواء بمعنى الاستيلاء لا يكون عند العرب إلا بعد أن يكون ثم مغالب يغالبه، فإذا غلبه وقهره قيل: قد استولى عليه، فلما لم يكن مع الله مغالب، لم يكن معنى استوائه على عرشه استيلاء وغلبة، وصح أن استواءه عليه هو علوه وارتفاعه عليه بلا حد ولا كيف ولا تشبيه.

قال الخليل بن أحمد، وابن الأعرابي: إن الاستواء في اللغة هو: العلو والرفعة ، لأنهم يقولون: استوت الشمس إذا تعالت، واستوى الرجل على ظهر دابته إذا علاها، وقوله تعالى: (استوت على الجودي) سورة هود آية: [٤٤]. أي: ارتفعت عليه.

وقال الإمام محي السنة البغوي في تفسيره في قوله تعالى: (ثم اسْتَوى على العَرْش) سورة الأعراف آية: [٥٤]: قال الكلبي ومقاتل: استقر.

الرابع: كما يلزم من نفي الاستواء الحقيقي على العرش لوازم فاسدة، قال د. سليمان الغصن في موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة: يلزم منه ألا يكون فوق السماوات رب، ولا على العرش إلا العدم المحض ، وليس هناك من ترفع إليه الأيدي ..ويلزم عليه أن يكون الله حالاً في كل مكان ، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا. ٥٤٢/٢. وانظر: الأسماء والصفات =

وقوله تعالى: (مالكم من دونه) معناه: مالكم من دون الله من قريب ينفعكم، ولا شفيع يشفع لكم، أفلا / تتعظون وتعتبرون. ٤٦٧/أ

وقوله تعالى : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) أي: ينزل بالأمر الملك[1] في الأرض، ثم يصعد الملك إليه، أي: إلى مكانه من قبل، فجعل صعودهم إلى حيث أمرهم صعودا إليه كما في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[2] أي: إلى حيث أمرني ربي ، وكان يذهب إلى الشام [3]، وكما في قوله تعالى : ﴿ . . وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[4] وكانوا يهاجرون إلى المدينة [5].

وقوله تعالى : (في يوم) معناه: ويقطع الملك هذه المسافة نازلاً وصاعدًا في يوم واحد، وهي مسيرة ألف عام [6] مما يعده أهل الدنيا لمسيرهم ، وذلك أن

= للبيهقي ٢ /٤١٠، التوحيد لابن خزيمة ١٤٨/١، الإبانة للأشعري ص ١٠٥، فتح الباري كتاب/ التوحيد باب/وكان عرشه على الماء، الصواعق المرسلة ١٩٦/١، زاد المسير ٢١٣/٣، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٣٧٣/١، فرق معاصرة ١٢٢٠/٣.

أما قولهم : أنه لا يكون إلا في صفات الأجسام المحدودة. فمردود، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في اجتماع الجيوش الإسلامية : وليس معنى الاستواء أيضًا أنه ماس العرش، أو اعتمد عليه، أو طابقه، فإن كل ذلك ممتنع في وصفه جل ذكره، ولكنه مستو بذاته على عرشه بلا كيف، كما أخبر عن نفسه. أهـ ثم ما الذي أردتم بالأجسام المحددة ؟ إن أردتم: أنه ليس لله ذات تتصف بالصفات اللازمة لها فهو باطل،لأن لله ذاتًا حقيقية، متصفة بالصفات، وأن له وجها ويدًاوعينًا، وإن أردتم بالجسم: المركب من العظام واللحم والدم فهذا ممتنع. وما الذي أردتم بالمحدودة ؟ إن أردتم: أن يكون محدودًا،مباينًا للخلق، منفصلاً عنهم، كما تكون أرض زيد وأرض عمرو فهذا حق ، وإن أردتم بكونه محدودًا أن العرش محيط به، فباطل ولا يلزمأن يكون العرش محيطًا به ؛ لأنه سبحانه أعظم من كل شيء ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه. ص١١٨. وانظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٣٧٩/١.

[1]) غريب القرآن لليزيدي بلفظ: يصعد وينزل ص٣٠٠، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٢٨/٨، الكشف والبيان ٦٥/٥، النكت والعيون عن السدي ٣٥٣/٤، وقال الدامغاني في الوجوه والنظائر: أي ينزل الوحي من السماء إلى الأرض. ص٤٢ ـ ٤٨٢، زاد المسير ٣٣٤/٦.

[2]) سورة الصافات: [٩٩].

[3]) تقدم التعريف بها في سورة العنكبوت انظر ص ٢٨٦.

[4]) سورة النساء: [١٠٠].

[5]) الكشف والبيان ٦٥/٥.

[6]) تفسير مقاتل ٢٦/٣، تأويل مشكل القرآن ص٢١٠، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة ورجحه ٥٩٢/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢٠٤/٤، تأويلات أهل السنة ٣٢٩/٨، بحر العلوم عن الضحاك. ٣ /٣٢.

بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام [1]، ولو أراد الله تبارك وتعالى من الملك الصعود والنزول بدون مقدار اليوم لفعله الملك؛ لأنهم أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وصاحب الجناح يتمكن من الإسراع [والإبطاء ولا يمتنع أن يخلق الله تعالى لهم زيادة أجنحة للإسراع][2]. كما روي أن النبي ﷺ سئل عن ذي القرنين، فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ من ساعته قبل انقضاء السؤال [3].

ويقال في معنى (ثم يعرج إليه): يصعد الملك إلى السماء كل يوم بعمل ابن آدم [4].

وقوله تعالى: (ذلك عالم الغيب والشهادة). لا يقدر على ذلك سواه كما لا يعلم الغيب غيره.

وقوله تعالى : (العزيز الرحيم).أي: هو القادر الذي لا يقاوم ولا يغالب، وهو المنعم على عباده.

وقوله : (الذي أحسن كل شيء خلقه) من قرأ بجزم اللام [5] فالمعنى: الذي أحسن خلق كل شيء [6].

---

[1]) تفسير مقاتل ٢٦/٣، تأويلات أهل السنة ٣٢٩/٨، الكشف والبيان ٦٥/٥، وهذا على قول قتادة والسدي السابق. النكت والعيون ٣٥٣/٤ ، المحرر الوجيز بمعناه ونسبه لمجاهد وابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك ٣٥٨/٤ ، تفسير ابن كثير ٥٦٠/٣.

[2]) زيادة من النسخة (ب).

[3]) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي معناه عندما سأل اليهود النبي ﷺ بلفظ: فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا) وأخرج عن عمر مولى غفرة بلفظ : فبينما هم على ذلك إذ سمعوا نقيضا في السقف، ووجد رسول الله ﷺ غمة الوحي، ثم سري عنه فتلا: (ويسألونك عن ذي القرنين) وأخرجه السيوطي في الدر ٤٣٥/٥.

[4]) وفيه الحديث الصحيح عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون) أخرجه البخاري في كتاب/ مواقيت الصلاة ، باب/فضل صلاة العصر. حديث رقم(٥٥٥)٤٢/٢.

[5]) (خلْقه) بسكون اللام قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ويعقوب وأبي جعفر. النشر ص ٤٤٨، الكشف لمكي ٢٩٥/٢، الإتحاف ٦٢٥/١ ، الطبري ٥٩٧/١٨، بحر العلوم ٣ /٣١، المحرر الوجيز ٣٥٩/٤ ، زاد المسير ٣٣٥/٦، الدر المصون ٧/١٢.

[6]) مجاز القرآن ١٣٠/٢، معاني القرآن للفراء ٣٣١/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة ومجاهد ٥٩٨/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢٠٤/٤، تأويلات أهل السنة ٣٣١/٨، الكشف والبيان ٦٥/٥، الكشاف ٢٩/٥، التبيان للعكبري ١٨٩/٢.

ومن قرأ خلقه بنصب اللام [١] فعلى فعل الماضي، كأنه قال: أحكم كل شيء مما خلقه [٢] ويقال: معنى الإحسان هاهنا: العلم أي: علم كل شيء قبل خلقه، فخلقه بعد علمه به [٣]، ومنه قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ : " قيمة كل امرئ ما يحسنه"[٤]. ويقال: فلان يحسن كذا، ولا يحسن يحسن أي: يعلم ولا يعلم، وقد خلق الله تعالى القردة والخنازير على ما أحب [صوابه على ما أراد][٥]، ولا يحسن أحد خلق مثل ذلك [٦].

وقوله تعالى : (وبدأ خلق الإنسان من طين) أي: بدأ خلق آدم عليه السلام من طين، ثم خلق ذريته من قليل من الماء ينسل [٧] من صلب الرجل وترائب [٨] المرأة وهو: النطفة ، ووصفها بالمهين لأنه لا خطر لها عند الناس.

وقوله تعالى : (ثم سواه) أي: جمع ما خلقه من هذا الماء إلى أن صوره، ونفخ فيه من روحه، وهو الروح الذي يحيي به الناس، وأضاف الله تعالى ذلك إلى نفسه لأنه تعالى هو الخالق.

---

[١]) (خَلَقَه) بفتح اللام قراءة الباقين. النشر ص ٤٤٨، الكشف لمكي ٢٩٥/٢، الطبري ٥٩٧/١٨، البغوي ص١٠١٧، بحر العلوم. ٣ /٣١.

[٢]) أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد نحوه ٥٩٧/١٨ ، معاني القرآن للزجاج بمعناه ٢٠٤/٤، تأويلات أهل السنة ٣٣١/٨، بحر العلوم. ٣ /٣٢، النكت والعيون عن مجاهد ٣٥٥/٤، التبيان للعكبري ١٨٩/٢.

[٣]) تفسير مقاتل ٢٧/٣، تأويلات أهل السنة ٣٣١/٨، بحر العلوم. ٣ /٣٢، الكشف والبيان عن مقاتل. ٦٥/٥، النكت والعيون ٣٥٥/٤ ، الكشاف ٢٩/٥، زاد المسير٣٣٥/٦.

[٤]) الكشاف غير منسوب ٢٩/٥.

[٥]) زيادة من النسخة (ب).

[٦]) البغوي بمعناه ص١٠١٧، الدر المصون بمعناه. ٧/١٢.

[٧]) السل: انتزاع الشيء وإخراجه في رفق، سله يسله سلا واستله فانسل.
والسلالة: ما انسل من الشيء، ويقال: سللت السيف من الغمد فانسل، وانسل فلان من بين القوم يعدو إذا خرج في خفية يعدو، قال أبو الهيثم: السلالة ما سل من صلب الرجل وترائب المرأة، كما يسل الشيء سلا، والسليل: الولد سمي سليلا؛ لأنه خلق من السلالة. وروي عن عكرمة أنه قال في السلالة: إنه الماء يسل من الظهر سلا وقال الأخفش: السلالة الولد والنطفة السلالة. انظر: المحرر الوجيز بمعناه ٣٥٩/٤، لسان العرب مادة(سلل) ١١ / ٣٣٨، مقاييس اللغة ٣ / ٤٣.

[٨]) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد وقتادة ٦٠٠/١٨، معاني القرآن للزجاج مع اختلاف في آخره ٢٠٥/٤، تأويلات أهل السنة ٣٣٣/٨، البغوي دون آخره. ص١٠١٧.

وقوله تعالى :(وجعل لكم السمع والأبصار) أي: خلق لكم السمع والأبصار، أي: خلق لكم السمع فاستمعوا إلى الحق، والأبصار فأبصروا الحق، والأفئدة أي: القلوب [١] فاعقلوا الحق.

وقوله تعالى : (قليلا ما تشكرون) فيه بيان أنهم مع هذه النعم قليل شكرهم.

قوله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[١٠-١١]

معناه: وقال الكفار: إذا هلكنا [٢] وانقطعت أوصالنا وذهبت آثارنا [٣] انبعثت انبعثت بعد ذلك، هذا ماض لا يكون أبدًا ، يقول الله تعالى : (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي: ليس كما يقولون: إنهم لا يبعثون بل هم بالحسنات [٤] والجزاء جاحدون. والضلال في اللغة: عبارة عن الغيبة، يقال: ضل فلان عن الطريق إذا غاب عنه ، وكذلك ضل متاع فلان، وضل الماء في اللبن: إذا غاب فيه، بحيث لا يوقف على أثره [٥].

وقوله تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت) أي: يقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل [٦] بقبض أرواحكم، لا يترك [٧] أحدا منكم لا يقبض روحه، وهذا كما كما يقال: توفيت من فلان الحق الذي كان لي عليه أي: استوفيت منه جملة ذلك الحق، ولم أترك شيئًا منه عليه [٨].

---

[١]) النكت والعيون ٣٥٦/٤.

[٢]) معاني القرآن للفراء بمعناه ٣٣١/٢، تأويل مشكل القرآن ص٢٥٤، أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد والضحاك وقتادة ٦٠٣/١٨، معاني القرآن للزجاج بمعناه ٢٠٥/٤، تأويلات أهل السنة ٣٣٥/٨، بحر العلوم. ٣ /٣٢، الكشف والبيان ٦٥/٥، قال القرطبي في تفسيره: هذا قول منكري البعث، أي: هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا. ٧٨/١٦.

[٣]) تأويلات أهل السنة عن ابن قتيبة ٣٣٤/٨، الكشاف ٣٠/٥، زاد المسير بمعناه. ٣٣٦/٦.

[٤]) هكذا في الأصل بالحسنات ، والصحيح بالحساب ، وسقطت بل هم من (ب).

[٥]) معاني القرآن للفراء ٣٣١/٢، تفسير الطبري ٦٠٢/١٨، بحر العلوم بأوجز منه. ٣ /٣٢، الكشف والبيان مختصرا. ٦٥/٥، تهذيب اللغة مادة (ضل) ٤ / ١٣٧، لسان العرب (ضلل)١١ / ٣٩٠، مقاييس اللغة (ضك) ٣ / ٢٧٩.

[٦]) في (ب) وكل بكم أي: وكل بقبض أرواحكم.

[٧]) في (ب) أيترك.

[٨]) تفسير الطبري ٦٠٤/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢٠٥/٤، قال الماوردي في النكت والعيون: التوفي أخذ الشيء على تمام ، مأخوذ من توفية العدد، ومنه قولهم: استوفيت ديني من فلان . ٣٥٨/٤، الكشاف ٣٠/٥، المحرر الوجيز بلفظ: يستوفيكم ٣٦٠/٤.

وقوله تعالى : (ثم إلى ربكم ترجعون) معناه: ثم تردون إلى أرض المحشر في الآخرة فيجزيكم الله بأعمالكم .

قوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۞ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٢-١٣-١٤]

٤٦٨/ب

معناه: ولو ترى يا محمد ﷺ / إذ المجرمون مطرقو رؤوسهم من الخزي وشدة الندم [1] في يوم القيامة؛ عند علمهم بأن الحجة قامت عليهم من كل جهة وأنهم لا مهرب لهم من العذاب، وذلك هو الغاية في الوجل والخجل، يقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا أي: لك الحجة علينا لأنا أبصرنا رسلك وسمعنا كلامهم، ولكن نسألك أن ترجعنا إلى الدنيا حتى نعمل صالحًا، إنا موقنون بك وبكتابك وبرسلك ، ولو في هذه الآية محذوفة الجواب، أي: لو رأيت يا محمد ﷺ لرأيت غاية ما يعتبر به [2]. وقوله تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس نفس هداها) قال الحسن ـ رضي الله عنه ـ : أراد به مشيئة القدرة ، بين الله تعالى أنه لم يعجز عن شيء، ولكنه لا يجبر العباد على ذلك؛ لكيلا يبطل الثواب والعقاب [3]. ويقال في معنى هذه الآية: ولو شئنا لهدينا كل نفس إلى الرجعة إلى الدنيا[4]، ويقال: أراد به التوفيق والتعريف والخلاص [5].

---

[1]) أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد بمعناه ٦٠٥/١٨، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٣٥/٨، النكت والعيون عن يحيى بن سلام بنحوه ٣٥٩/٤، المحرر الوجيز بمعناه ٣٦١/٤.

[2]) بحر العلوم. ٣ /٣٣ ، زاد المسير٣٣٦/٦، التبيان للعكبري ١٨٩/٢.

[3]) لم أقف عليه.

[4]) النكت والعيون ٣٥٩/٤، الكشاف ٣١/٥.

[5]) قال الثعلبي في الكشف والبيان: رشدها وتوفيقها للإيمان. ٦٥/٥، النكت والعيون بلفظ: هدايتها للإيمان، فلو شاء الله لآمن من في الأرض كلهم جميعا كما قال سبحانه﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ سورة الأنعام [٣٥]، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة يعلمها سبحانه. ٣٥٩/٤، قال السعدي في تفسيره: بأن يلهمهم الإيمان، ويوزع قلوبهم للتقوى، فقدرته صالحة لذلك، ولكنه اقتضت حكمته أن كان بعضهم مؤمنين، وبعضهم كافرين. أهـ ١ / ٣٧٤.

وقوله تعالى : (ولكن حق القول مني) معناه: ولكن وجب قولي عليهم بالعذاب[١] لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لكفرهم وذنوبهم.

وقوله عز وجل :(فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) معناه ويقال لهم: ذوقوا العذاب بما أعرضتم عن الإيمان إعراض الناسي للحساب والجزاء، وكفرتم بذلك وتركتم العمل لهذا اليوم [٢]، إنا تركناكم في العذاب [٣]، وأحللناكم محل المنسي. ويقال: فعلنا ما هو جزاء لنسيانكم ، وقد يسمي الشيء باسم ما هو جزاء له [٤]، كما في قوله تعالى:﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[٥].

وقوله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١٤] ظاهر المراد.

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ۩ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ۩ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١٥-١٦-١٧]

روي عن عبدالله بن عباس أنه قال: كان ناس من المنافقين يأتون النبي ﷺ فإذا سمعوا الأذان والإقامة التفتوا يمينًا وشمالاً ، فإن رأوا أحدًا يراهم ثبتوا فصلوا معه كرهًا، وإن ظنوا أنهم لا يراهم أحد تسللوا فخرجوا ولم يصلوا، فنزل قوله تعالى :(إنما يؤمن بآياتنا) [٦] ومعنى الآية: إنما يقر ويصدق

---

[١]) تفسير مقاتل ٣/ ٢٨، تأويلات أهل السنة ٣٣٥/٨، بحر العلوم. ٣ /٣٣، النكت والعيون عن السدي ٣٥٩/٤، البغوي ص ١٠١٨، زاد المسير٣٣٧/٦.

[٢]) بحر العلوم. ٣ /٣٣ ، وهذا معنى قول يحيى بن سلام كما في النكت والعيون ٣٦٠/٤، المحرر الوجيز ٣٦١/٤، زاد المسير٣٣٧/٦.

[٣]) تفسير مقاتل ٢٨/٣، مجاز القرآن بنحوه ١٣٢/٢، تأويل مشكل القرآن ص٢٧١، وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس وقتادة ٦٠٧/١٨، معاني القرآن للزجاج بنحوه ٢٠٦/٤، بحر العلوم. ٣ /٣٣، الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٤٥١، المحرر الوجيز بلفظ: تركناكم ٣٦١/٤، لسان العرب مادة(نسا) ١٥/ ٣٢٣.

[٤]) تأويلات أهل السنة دون آخره ٣٣٧/٨، المحرر الوجيز بمعناه ٣٦١/٤. فليس المراد به ضد الذكر والحفظ، وإلا لم يؤاخذوا عليه وإنما هو تركهم لما أمرهم عمدا، فكان جزاؤهم أن يترك الله رحمتهم. انظر: الأشاعرة في ميزان أهل السنة ص ٢٤٦.

[٥]) سورة الشورى: [٤٠].

[٦]) معاني القرآن للفراء مختصرًا. ٣٣١/٢، تفسير الطبري عن ابن جريج ٦٠٨/١٨، النكت والعيون ٣٦١/٤، المحرر الوجيز عن ابن جريج ومجاهد مختصرًا ٣٦١/٤. وهو عندهم بلا إسناد، فلم يمكنني الحكم عليه ، وهو عندي أشبه بمناسبة الآية وبيان معناها، والله أعلم.

بدلائلنا الذين إذا ذكروا بها، أي: وعظوا بها [١]، وعلى قول ابن عباس تذكيرهم بآيات الله تعالى أن يدعوا إلى الصلاة بالأذان والإقامة [٢].
وقوله : (خروا سجدا). أي: وقعوا لله ساجدين [٣] مصلين مع الإمام. وسبحوا أي: عظموا لله تعالى ونزهوه في صلاتهم حامدين لربهم، وهم لا يرفعون رؤوسهم عن السجود والإيمان بالله تعالى.
وعن كعب الأحبار[٤] أنه قال: "إن خيار هذه الأمة خيار الأولين والآخرين، والآخرين، وإن الرجل منهم ليسجد فما يرفع رأسه حتى يغفر لمن خلفه فضلاً عنه"[٥].
وقوله تعالى:(تتجافى جنوبهم عن المضاجع) معناه: ترتفع جنوبهم عن المضاجع لأجل الصلاة [٦].
قال مجاهد [٧] وعطاء [٨]: هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء

---

[١]) زاد المسير ٣٣٧/٦.
[٢]) بحر العلوم بنحوه. ٣ /٣٤، النكت والعيون عن أبي معاذ ٣٦١/٤، زاد المسير بمعناه. ٣٣٧/٦.
[٣]) تفسير الطبري بنحوه ٦٠٧/١٨، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٣٧/٨، النكت والعيون ٣٦١/٤، الكشاف ٣٢/٥.
[٤]) كعب بن ماتع الحميري: أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، أو كعب الحبر، من آل ذي رعين أو من ذي الكلاع ، أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر، وقيل: في زمن النبي ﷺ والراجح: أن إسلامه كان في خلافة عمر. روى عن النبي ﷺمرسلاً ، جالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، وكان من أوعية العلم، يعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، كان على دين اليهود فأسلم وقدم المدينة، ثم خرج إلى الشام فسكنها، ومات في آخر خلافة عثمان بحمص ذاهبا للغزو سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: مات سنة أربع وثلاثين، وقيل: سنة اثنتين، وقد بلغ مائة وأربع سنين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ١٧، ثقات ابن حبان ٥ / ٣٣٤، تقريب التهذيب ٢ / ٤٣، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٩٣، سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٨٩.
[٥]) أخرجه أبو نعيم في الحلية. ٤ / ٩٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق.١٠ / ٤٠٦.
[٦]) غريب القرآن لليزيدي بلفظ : ترتفع. ص٣٠٠، مجاز القرآن ١٣٢/٢، معاني القرآن للزجاج دون آخره ٢٠٧/٤، تأويلات أهل السنة بلفظ: ترتفع عن الأرض ٣٣٩/٨، الكشف والبيان بنحوه. ٦٥/٥، النكت والعيون ٣٦٢/٤.
[٧]) تقدمت ترجمته انظر ص٧٥.
[٨]) عطاء بن أبي رباح، فقيه الحجاز، الإمام أبو محمد ، واسم أبي رباح: أسلم القرشي مولاهم، كان كان أبوه نوبيا أسود، يعمل المكاتل، كان عطاء نزيل مكة أحد الفقهاء والأئمة. مولده بالجند لعامين خلت من خلافة عثمان، وكان من سادات التابعين فقها، وعلما، وورعا، وفضلا، وانتهت إليه فتوى أهل مكة والى مجاهد في زمانهما وأكثر ذلك إلى عطاء ، أدرك مائتي صحابي ، سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس. قال أبو حنيفة : ما رأيت أفضل منه. قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال: تسألوني وفيكم ابن أبي رباح! كان المسجد فراشه عشرين سنة. وكان من أحسن الناس صلاة. مات سنة أربع

الآخرة[١]، وعن أنس بن مالك [٢] أنه قال: "كانوا يعملون بالنهار فإذا هم جنهم الليل اضطجعوا بين المغرب والعشاء فناموا ، فلما نزلت هذه الآية اجتنبوا المضجع حتى يصلوا المغرب والعشاء، وأحيوا مابين الصلاتين بالنوافل" [٣]، وقد سمى رسول الله الصلاة التي بين المغرب والعشاء الآخرة صلاة الأوابين [٤].

عشرة ومائة أو خمس أو سبع وقيل: غير ذلك، عن ثمان وثمانين. انظر: لسان الميزان ٣ / ٢٢٦،= = طبقات الحفاظ ١ / ٦، تهذيب التهذيب ٧ / ١٨٠، العبر في خبر من غبر١ / ٢٥، الوفيات لابن قنفذ ١ / ٣.

[١]) معاني القرآن للفراء بنحوه ٣٣١/٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عن أنس بن مالك ٦١١/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢٠٧/٤ ، تأويلات أهل السنة وزاد فيه صلاة الفجر ٣٣٨/٨، الكشف والبيان ٧١/٥، النكت والعيون عن الحسن وعطاء ٣٦٣/٤، المحرر الوجيز عن عطاء وأبي سلمة ٣٦٢/٤.

[٢]) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري، يكنى أبا حمزة وأمه أم سليم بنت ملحان، خادم رسول الله ﷺ خرج معه إلى بدر وهو غلام يخدمه، وكان عمره لما قدم النبي ﷺالمدينة مهاجرًا عشر سنين، وقيل: أقل من ذلك. وتوفي رسول الله وله عشرين سنة ، وخدم النبي ﷺ عشر سنين، ودعا له رسول الله ﷺ فقال: "اللهم ارزقه مالاً وولدًا وبارك له " . قال أنس فإني لمن أكثر الأنصار مالاً وولدًا. كان أحد الرماة المصيبين، كانت إقامته بعد النبي ﷺ بالمدينة ثم شهد الفتوح، ثم قطن البصرة ومات بها،فكان آخر الصحابة موتًا، واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، فقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل غير ذلك، وكان عمره مائة سنة إلا سنة وقيل: غير ذلك. انظر: أسد الغابة ١ /٨٠ ، الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٤٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ٣٥.

[٣]) لم أجده بلفظه وإنما بمعناه ، أخرجه أبو داود في سننه كتاب/ الصلاة، باب/ وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، حديث رقم(١٣١٧) ٤ / ١٤٢، وأخرجه الطبري في تفسيره عنه بعدة روايات ٦٠٩/١٨، وذكر آخره في معاني القرآن للزجاج بلفظ: التطوع بين الصلاتين. ٢٠٧/٤. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس بن مالك آخره ٣١٠٦/٩، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٣٨/٨، بحر العلوم بنحوه. ٣ /٣٤، وكذا في النكت والعيون عن قتادة وعكرمة بلفظ: التنفل بين المغرب والعشاء ٣٦٣/٤، وأسباب النزول للواحدي بمعناه ص٤٠٤، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره من طريق مالك بن دينار تخريج أحاديث الكشاف ٨٦/٣.

[٤]) أخرجه البيهقي في الشعب عن ابن المنكدر، وأبو حازم موقوفا، رقم(٢٩٦٤) ٧ / ١١١، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية ابن المنذر مرسلا حديث رقم (١٢٥٩) ١ / ٣٢٦ ، وقال الإمام البغوي في شرح السنة: روي عن ابن عباس قال : إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب إلى العشاء ، وهي صلاة الأوابين. ٣ / ٤٧٤، كما أورده المناوي في فيض القدير حديث رقم (٨٨٠٤) ٦ / ١٦٧، وذكره المتقي في كنز العمال عن ابن المنكدر مرسلاً كذلك، كتاب الصلاة قسم الأقوال (وقت صلاة المغرب وما يتعلق به) حديث رقم (١٩٤٢٥) ٧ / ١٥٩. وقال الشيخ الألباني: (ضعيف) صحيح وضعيف الجامع الصغير ٢٦ / ٩٥. و سمى أيضًا صلاة الضحى في حديث صحيح صلاة الأوابين، ففي الحديث الذي رواه مسلم كتاب/ صلاة

وقال الحسن : أراد بالآية قيام الليل [1]. وكان يقول: هم قوم أخفوا الله تعالى أعمالاً وأخفى لهم ثوابًا [2].

وقوله تعالى: (يدعون ربهم خوفا وطمعا).أي:خوفًا من عذاب الله تعالى، وطمعًافي رحمة الله تعالى ، وإنما انتصب خوفًا وطمعًا لأنه مفعول له، كما يقول: فعلت ذلك حذار الشر أي: لحذار الشر [3]. وقوله تعالى :(ومما رزقناهم ينفقون) أي: ومما أعطيناهم من المال يتصدقون واجبًا وتطوعًا [4].

وقوله تعالى:(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين).

معناه: لا تعلم ما أخفى الله تعالى مما تقر به أعينهم، وتطيب به أنفسهم جزاء لهم على أعمالهم الصالحة [الخالصة] [5] التي كانوا يعملونها في الدنيا ،

= المسافرين وقصرها، باب/ صلاة الأوابين حين ترمض الفصال. عن زيد بن أرقم قال: خرج = رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون فقال: (صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال). حديث رقم(١٧٨١)٣٠/٦. فورد في أحاديث أن صلاة الأوابين هي صلاة الضحى، وورد في أحاديث أُخر أن صلاة الأوابين هي صلاة مابين المغرب إلى العشاء، وليس في ذلك تعارض كما قال أهل العلم، فإنه لا مانع أن يكون كل من الصلاتين صلاة الأوابين. انظر: مشكاة المصابيح مع شرحه للتبريزي ٦ / ١٢٥، نيل الأوطار ٥/ ٩٣.

[1]) أخرجه الطبري في تفسيره عن الحسن وابن زيد ومجاهد واختاره ٦١٢/١٨، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل بلفظ: قيام العبد من الليل. حديث رقم(٢٢٠٢٢)٣٥١/٣٦، و في الزهد٦٤/١، تأويلات أهل السنة ٣٣٨/٨، بحر العلوم ٣ /٣٤، النكت والعيون عن مجاهد و الأوزاعي ومالك وابن زيد ٣٦٣/٤، أسباب النزول للواحدي نحوه ص٤٠٤. وهو أشهر الأقاويل، كما قال البغوي.ص ١٠١٨، المحرر الوجيز بمعناه عن جمهور المفسرين ٣٦٢/٤، تفسير ابن كثير ٥٦٢/٣.

وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان عن معاذ مرفوعا، وكذا أخرجه الإمام أحمد وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسانيدهم عن معاذ مرفوعا وفيه شهر بن حوشب و شهر ضعفوه ، وقال عنه ابن حجر: صدوق كثير الإرسال والأوهام من الثالثة. تقريب التهذيب ١ / ٤٢٣، تخريج أحاديث الكشاف ٨٤/٣.

[2]) أخرجه الطبري في تفسيره عنه ٦٢٣/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه بنحوه ٣١٠٧/٩، وذكر الماوردي في النكت والعيون نحو هذا القول غير منسوب ثم قال : قال الحسن: بالخفية خفية، وبالعلانية علانية. ٣٦٤/٤، البغوي غير منسوب أيضًا. ص ١٠١٨.

[3]) معاني القرآن للزجاج ٢٠٧/٤، الدر المصون ١٢/١٢.

[4]) البغوي ص١٠١٨، زاد المسير ٣٣٩/٦.

[5]) زيادة من النسخة (ب).

وفي رواية أبي هريرة [١] عن النبي ﷺ :[من قُرّاتِ أعْيُن [٢] وعنه عن رسول الله ﷺ][٣] أنه قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُود ﴾ [٤][٥]. وقال:(في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [١٧][٦]. وقال :(لموضع سوط في الجنة خير خير من الدنيا، وما فيها اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [٧][٨] وعن رسول الله ﷺ أنه قال: ينادى: يوم / القيامة: أين الذين كانوا كانوا يحمدون الله تعالى على كل حال؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم ينادى: أين الذين [لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ؟

٤٦٨/أ

[١]) تقدمت ترجمته انظر ص ٢٠٣.

[٢])قُرّاتِ أَعْيُن) قراءة شاذة وهي قراءة أبي هريرة، ورواها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقراءة أبي الدرداء وابن مسعود وعوف العقيلي والأعمش وأبي جعفر، والجمهور على الإفراد قُرَّة أعين) انظر: المحتسب ٢١٧/٢، الإتحاف ١/ ٦٢٧، مختصر شواذ القراءات ص ١١٩، معاني القرآن للفراء ٣٣٢/٢، الطبري ٦٢١/١٨.

[٣]) زيادة من النسخة (ب).

[٤]) سورة الواقعة: [٣٠].

[٥]) أخرجه البخاري في كتاب/ تفسير القرآن باب/ سورة الواقعة حديث رقم(٤٨٨١) ٨٠٨/٨، وأخرجه مسلم في كتاب/ الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب/ إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها. حديث رقم (٢٨٢٧)١٣٨/١٧، ولم يذكر مسلم الآية.

[٦]) هذا حديث قدسي، لفظ أوله : قال الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت..) أخرجه البخاري في كتاب/ بدء الخلق،باب/ ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. حديث رقم (٣٢٤٤)٦ /٣٩٠، وأخرجه مسلم في كتاب/ الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب/(لم يسمه) حديث رقم (٢٨٢٥)١٣٧/١٧، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة حديث رقم (٩٦٤٩) ٤٠٧/١٥. والترمذي(٣٢٩٢)٤٠٠/٥.

[٧]) سورة آل عمران: [١٨٥].

[٨]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم(٩٦٥١) ٤٠٧/١٥، وأخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (٣٠١٣) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ٢٣٢/٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك حديث رقم(٣١٧٠) وقال: صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.٣ / ١٣٠. وللحديث شاهد عند الطبراني في المعجم الكبير عن سهل بن سعد حديث رقم (٥٧٧٨) ٦ / ١٤١. وانظر: جامع الأصول للجزري١٠ / ٥٠٥.

* الحديث بطوله مع تقديم أعددت لعبادي على إن في الجنة شجرة..أخرجه الترمذي في سننه باب ومن سورة الواقعة حديث رقم (٣٢٩٢) ٥ / ٤٠٠، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم(١١٠٨٥) ٦ /٣١٧، وابن أبي شيبه في مصنفه ١٠ / ٧٢. وانظر: جامع الأصول ١٠ / ٤٩٦.

فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم ينادى: أين الذين][1] تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر سائر الناس فيحاسبون بعد ذلك [2].

قوله عز وجل: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۞ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [١٨-١٩-٢٠-٢١]

روي عن عبدالله بن عباس أنه قال: نزلت هذه الآية في كلام كان بين علي - رضي الله عنه - وبين الوليد بن عقبة [3]. قال له الوليد: بأي شيء تتهددني يا يا علي،فو الله إني لأحد منك سنانًا، وأبسط منك في القول، وأملى منك في الكتيبة؟ فقال له علي - رضي الله عنه -: إنك فاسق، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

---

[1]) زيادة من النسخة (ب).

[2]) (بمعناه) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير باب/ تفسير سورة النور حديث رقم (٣٤٦٧) وقال الحاكم: حديث صحيح ووافقه الذهبي ٣ / ٢٥٧، و رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢٠٧١) ٥ / ١٧٣، وأخرجه البيهقي في الشعب عن الحسن موقوفا حديث رقم (٧١٢) ٢/ ٢٥٥، كما أخرجه مرفوعا من رواية شهر بن حوشب، وليس فيه إلا (الذين تتجافى جنوبهم) حديث رقم (٣٠٩٧) ٢٤٥/٧، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٣ /٣٤، وأخرجه الثعلبي في الكشف والبيان ٧٢/٥.

[3]) الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، واسمه أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس القرشي، أبو وهب الأموي، أخو خالد وعمارة ، وأم كلثوم ، له صحبة، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه ، من فتيان قريش وشعرائهم. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق من خزاعة. ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص، روى عن النبي ﷺ ، وذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة، قيل: كان فيه ظرف ومجون ولهو. و روى أن قوله تعالى: (إن جاءكم فاسق بنبأ) نزلت فيه، وذلك حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها. واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، مات بالرقة. انظر: أسد الغابة ٣ / ١٠٨، الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٢٤٦، الطبقات الكبرى ٧ / ٤٧٦، تهذيب الكمال ٣١ / ٥٣، الأعلام للزركلي ٨ / ١٢٢.

[4]) أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة. ٣ / ٢١، وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي قال ابن حجر: متهم بالكذب، ورمي بالرفض وهو متروك. تقريب التهذيب ٢ / ٧٨، وأخرج الواحدي في أسباب النزول نحوه ص ٤٠٦، تفسير مقاتل ٢٩/٣، وأخرجه الطبري في تفسيره عن عطاء بن يسار ٦٢٥/١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عنه أيضًا ، إلا أن في رواية المؤلف قلبًا في الألفاظواختلافًا يسيرًا. ٣١٠٩/٩، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٣٩/٨، بحر العلوم ٣ /٣٤، النكت=

والمعنى أحال المؤمن كحال الكافر [١][٢] لا يستوون عند الله تعالى، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي: الطاعات، فيما بينهم وبين ربهم فلهم جنات المأوى نزلاً ، أعدها الله تعالى لهم بأعمالهم، و أما الذين فسقوا أي: خرجوا عن طاعة الله بكفرهم فمأواهم النار كلما رفعهم لهب النار إلى أعلاها، فظنوا أنهم يخرجون منها ردهم ملائكة العذاب إلى أسفلها بمقامع من حديد، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار أي: ألوان العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

وقوله تعالى :(ولنذيقنهم من العذاب الأدنى). قيل: إن المراد بالعذاب الأدنى هو: القحط والجوع الذي أصاب أهل مكة [٣] ، وقيل: هو القتل يوم بدر [٤].

وأما العذاب الأكبر فهو عذاب الآخرة [٥].

= والعيون بنحوه إلا أنه قال: عقبة بن أبي معيط بدلاً من الوليد بن عقبة ٣٦٥/٤، تخريج أحاديث الكشاف ٨٧/٣.

وهذا مما اختلف فيه، فقيل: نزلت الآية في علي وعقبة بن أبي معيط ، وهو قول: السدي وعطاء وغيرهما، وقيل: في علي والوليد بن عقبة، وهو قول: ابن عباس وعطاء ، البغوي ص ١٠٢٠، زاد المسير٣٤٠/٦، القرطبي ٨٨/١٦ ، ابن كثير٥٦٦/٣. ولعل الصواب كما ذكر ابن حجر أنه عقبة بن أبي معيط ؛ لأن الوليد ابنه كان صغيرا، قال الحافظ العراقي:"وهو غير مستقيم؛ فإن الوليد يصغر عن ذلك". وقال ابن حجر:"وهو غلط فاحش؛ فما كان الوليد فيه رجلا". انظر: الكاف الشاف ص١٣١ـ ١٩٤، والفتح السماوي ٩٢٤/٢.

وإسناد الحديث ضعيف؛ لضعف ابن أبي ليلى (محمد بن عبدالرحمن) فهو صدوق سيئ الحفظ جدا. أخرجه ابن عدي في الضعفاء ١٠٥/٧ ، وانظر الاستيعاب في بيان الأسباب ٧٣/٣.

[١]) في (ب) الفاسق.

[٢]) وهذا يشير لقول من حمل الآية على العموم ، معاني القرآن للنحاس٣٠٧/٥، بحر العلوم ٣ /٣٤، ولذا قال: لا يستوون ولم يقل: يستويان. انظر الكشف والبيان ٧٣/٥، زاد المسير٣٤١/٦.

[٣]) تفسير مقاتل ٣٠/٣، وأخرج الطبري في تفسيره عن إبراهيم معناه ٦٣١/١٨، معاني القرآن للزجاج دون آخره ٢٠٨/٤، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٣٩/٨، بحر العلوم ٣ /٣٦.

[٤]) أخرجه الطبري في تفسيره عن عبدالله بن مسعود ومجاهد، وعن الحسن بن علي والحارث بن نوفل ولم يذكر الأخيران يوم بدر ٦٣٠/١٨، معاني القرآن للزجاج بلفظ: السباء والقتل. ٢٠٨/٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن مسعود بلفظ: يوم بدر ٣١١٠/٩، تأويلات أهل السنة ٣٣٩/٨، الكشف والبيان عن ابن مسعود والحسن بن علي و عبدالله بن الحارث.٧٣/٥، النكت والعيون عن ابن مسعود بلفظ: القتل بالسيف، دون ذكر يوم بدر. ٣٦٥/٤، والأولى حمله على العموم كما رجح الطبري وذكره الزجاج أيضًا بقوله: كل ما يعذب به في الدنيا فهو العذاب الأدنى.

[٥]) أخرجه الطبري في تفسيره عن عبدالله بن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن وابن زيد ٦٣٣/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢٠٨/٤، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن مسعود بلفظ: يوم القيامة ٣١١٠/٩، تأويلات أهل السنة ٣٣٩/٨.

وعن مجاهد [(١)] ـ رضي الله عنه ـ: أن العذاب الأدنى:
هو عذاب القبر[(٢)]، ومعنى الإذاقة على هذا القول هو: الإخبار بأنه يصيبهم، ولذلك قال: لعلهم يرجعون أي: أخبرناهم به ليرجعوا عن الكفر[(٣)]. وعن الحسن أنه قال: "ليرجع الآخرون الذين يذنبون بذنبهم "[(٤)]، أي: ليرجع من نفي منهم بعد قتل من قتل منهم [(٥)].

قوله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُون﴾ [٢٢] فيه ذم من أعرض عن الوعظ بعد سماعه، ووعيد لهم.

قوله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيل۞ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [٢٣-٢٤-٢٥] معناه: ولقد أعطينا موسى التوراة جملة واحدة، فلا تكن في شك من لقاء موسى عليه السلام. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أريد به ليلة أسري بالنبي[(٦)] ﷺ ويقال: أريد به البقاء وهما في القيامة في الجنة [(٧)] ، ويقال: أراد به لقاء الله تعالى[(٨)] كما كما في
قوله تعالى:

[١]) تقدمت ترجمته انظر ص٧٥.
[٢]) أخرجه الطبري في تفسيره عنه وزاد فيه: عذاب الدنيا ٦٣١/١٨، بحر العلوم ٣ /٣٦، الكشف والبيان عن مجاهد.٧٣/٥، النكت والعيون عنه وعن البراء بن عازب ٣٦٥/٤، قال ابن جزي: وقيل: عذاب القبر، وهذا بعيد لقوله: (لعلهم يرجعون) التسهيل ٣ / ١٣١.
[٣]) النكت والعيون عن ابن عباس ٣٦٥/٤.
[٤]) لم أقف عليه.
[٥]) قال الإمام البغوي: (لعلهم يرجعون) إلى الإيمان، يعني: من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط. ص١٠٢٠.
[٦]) تفسير الطبري عن قتادة وابن عباس ٦٣٦/١٨، وذكر الزجاج في معاني القرآن أوله فقط ٢٠٩/٤، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد وأبي العالية نحوه دون ذكر ليلة الإسراء ٣١١٠/٩، تأويلات أهل السنة ٣٤٢/٨، بحر العلوم ٣ /٣٦.
[٧]) تأويلات أهل السنة بنحوه ٣٤٢/٨، بحر العلوم بنحوه. ٣ /٣٦، النكت والعيون ٣٦٦/٤، الكشاف ٣٨/٥.
[٨]) بحر العلوم بلفظ: من لقاء الله عز وجل وهو البعث بعد الموت. ٣ /٣٦، النكت والعيون عن النقاش بلفظ: من لقاء موسى لربه ٣٦٦/٤ ، زاد المسير ٣٤٣/٦، تفسير ابن كثير ٥٦٧/٣.

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ ﴾ [1] ويقال أراد به: أن يلقى محمدًا ﷺ من قومه من الأذى، مثل ما لقي موسى عليه السلام من قومه [2].

وقوله تعالى :(وجعلناه هدى). أي: جعلنا التوراة [3] دلالة لبني إسرائيل .

وقوله تعالى: (وجعلنا منهم أئمة). أي: جعلنا من بني إسرائيل أئمة يدلون الناس على ديننا، فيقتدي بهم الناس، وهم أنبياؤهم ومن استقام منهم على الدين [4].

وقوله تعالى:(لما صبروا) فيه قراءتان: إحداهما: (لمّا بالتشديد)[5] والمعنى: والمعنى: لما صبروا وجعلناهم أئمة، كأنه قال: إن صبرتم على طاعتنا وصبرتم عن معصيتنا جعلناكم أئمة ، والثانية: (لِما صبروا) بكسر اللام والتخفيف [6] والمعنى: لصبرهم على الإيمان والطاعة وأذى الكفار، ولكونهم موقنين بآياتنا.

وقوله تعالى :(إن ربك هو يفصل بينهم). أي: هو الذي يقضي بين الكفار والمؤمنين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من الدين [7].

قوله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ ﴾ [٢٦]

---

[1]) سورة البقرة: [٤٦].

[2]) النكت والعيون عن الحسن ٣٦٦/٤، زاد المسير عنه أيضًا. ٣٤٣/٦.

[3]) تفسير مقاتل ٣٠/٣، تأويلات أهل السنة ٣٤٢/٨، بحر العلوم ٣ /٣٦، الكشف والبيان ٧٤/٥، البغوي ص ١٠٢٠، الكشاف ٣٨/٥، والجمهور على أن الهاء في جعلناه أي: موسى عليه السلام.

[4]) تفسير الطبري عن قتادة نحوه ولم يذكر كونهم الأنبياء. ٦٣٧/١٨، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٤٣/٨، النكت والعيون بنحوه ٣٦٦/٤، قال البغوي: يعني الأنبياء..وعن قتادة: أتباع الأنبياء. ص١٠٢١.

[5]) (لَمّا) بفتح اللام وتشديد الميم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم و أبي جعفر وخلف و روح عن يعقوب. انظر: النشر. ص ٤٤٨، الكشف لمكي ٢٩٦/٢، الطبري ٦٣٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢٠٩/٤، المحرر الوجيز ٣٦٥/٤، البحر ٢٠٠/٧، التبيان للعكبري ١٩٠/٢.

[6]) (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم قراءة الباقين. انظر: النشر. ص ٤٤٨، الكشف لمكي ٢٩٦/٢، الطبري ٦٣٧/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢٠٩/٤، البغوي ص١٠٢٠، المحرر الوجيز ٣٦٥/٤، البحر ٢٠٠/٧، التبيان للعكبري ١٩٠/٢، الدر المصون ١٤/١٢.

[7]) بحر العلوم ٣ /٣٦، النكت والعيون عن يحيى بن سلام ٣٦٧/٤، زاد المسير ٣٤٤/٦.

معناه: أولم نبين لهم [1] آيات [2] عذاب الاستئصال، فيمن أهلك قبلهم من الأمم الماضية المكذبة، ما يكون عبرة لهم يمشون في / مساكن المهلكين على منازلهم وقراهم ، مثل ديار عاد، وثمود، وقوم لوط، وغيرهم . إن في إهلاكنا إياهم بالتكذيب لدلالات واضحات لمن بعدهم، أفلا يسمعون سماع القبول والطاعة ، ومن قرأ أولم نهد لهم بالنون [3] فالمعنى نبين بإضافة الفعل إلى الله تعالى : ٤٦٩/ب

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [٢٧]

معناه: أولم يعلموا أنا نسوق المطر بالسحاب والرياح إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها [4] ولا شجر، فيخرج بذلك المطر زرعًا تأكل منه أنعامهم من ساقها،وهم يأكلون من حبها، أفلا تعقلون؟ والأرض الجُرُز هي التي تأكل نباتها ، يقال:ناقة جروز إذا كانت أكولاً ، وسيف جُرَاز إذا كان مستأصلا [5].

قوله عز وجل: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ۝ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ۝ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [٢٨-٢٩-٣٠] وذلك أن كفار مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: يوشك أن يكون لنا يوم نستريح فيه من شركهم، فكان الكفار يهزؤون

---

[1]) غريب القرآن لليزيدي ص٣٠٠، مجاز القرآن ١٣٣/٢، معاني القرآن للفراء ٣٣٣/٢، أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن عباس ٦٣٩/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢١٠/٤، بحر العلوم ٣ /٣٦، الوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٥٦.

[2]) في (ب) آثار.

[3]) (أولم نهد) بالنون قراءة أبي عبدالرحمن السلمي والحسن وقتادة. و(يهد) بالياء قراءة الباقين. انظر: الطبري ٦٣٩/١٨، المحرر الوجيز ٣٦٥/٤.

[4]) غريب القرآن لليزيدي بلفظ: اليابسة ص٣٠٠، تفسير الطبري ٦٤١/١٨، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد نحوه. ٣١١١/٩، تأويلات أهل السنة ٣٤٥/٨، بحر العلوم ٣ /٣٧، الكشف والبيان ٧٤/٥.

[5]) معاني القرآن للفراء ٣٣٣/٢، تفسير الطبري ٦٤١/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢١١/٤، العين١ / ٤٦٧، الفائق في غريب الحديث للزمخشري(الدال مع الهاء) ١ / ٤٤٦، المحيط في اللغة (جرز) ٢ / ٩٣، لسان العرب مادة (جرز) ٥ / ٣١٦.

بهم ويقولون متى هذا الفتح؟ أي: الحكم الذي يحكم بيننا وبينكم [١]. إن كنتم صادقين فيما يقولون [٢] قل: يوم الفتح يعني: يوم القيامة [٣]، وهو يوم القضاء والفصل لا ينفع الذين كفروا إيمانهم لو آمنوا يومئذ، ولا هم يمهلون فتؤخر عقوبتهم، فأما في الدنيا فإيمانهم مقبول وتوبتهم مقبولة.

وعن عبدالله بن عباس أن المراد بالفتح في هذه الآية: فتح مكة [٤]، وإن الآية نزلت في بني جذيمة [٥] كانوا هم الذين يستهزؤون بأصحاب النبي ﷺ حين كان أصحاب النبي ﷺ تتذاكرون [٦] وهم بمكة فتح مكة.

[١]) غريب القرآن لليزيدي ص٣٠١، مجاز القرآن بلفظ: الحكم والثواب والعقاب.١٣٣/٢، تفسير الطبري ٦٤٤/١٨، معاني القرآن للزجاج ٢١٢/٤، الكشف والبيان عن قتادة ٧٥/٥، البغوي عنه أيضًا. ص١٠٢١، الاستيعاب في بيان الأسباب ٧٥/٣.

[٢]) هكذا في النسختين، والصواب تقولون.

[٣]) تفسير مقاتل ٣٠/٣، ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد وعن قتادة بلفظ: يوم القضاء ٣١١١/٩، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٤٥/٨، بحر العلوم عن مجاهد. ٣ /٣٧، الكشف والبيان ٧٥/٥، البغوي ص١٠٢١، الكشاف ٣٩/٥.

[٤]) معاني القرآن للفراء ٣٣٣/٢، تفسير الطبري ٦٤٤/١٨، تأويلات أهل السنة بمعناه ٣٤٦/٨، الكشف والبيان عن الكلبي.٧٥/٥، النكت والعيون عن الفراء ٣٦٨/٤، البغوي عن الكلبي. ص١٠٢١، الكشاف ٣٩/٥، وهذا القول ضعيف، ضعفه الطبري و الزمخشري وابن كثير أيضًا، قال ابن كثير في تفسيره: ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريبًا من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى: (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل. ٥٦٩/٣.

[٥]) هذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال عند جميع أهل المغازي، وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم. قاله الحافظ في الفتح ٧١/٨، شرح سنن النسائي لمحمد الأثيوبي ٢٩٦/٣٩.

و(جذيمة ابن عامر بن عبدمناة بن كنانة بن خزيمة) هم بطن من قريش، ولد عبد مناة بن كنانة: بكر بن عبد مناة بطن. وعامر بن عبد مناة بطن. ومرة بن عبد مناة. وهلال بن عبد مناة درج، وأمهم هند بنت أبي بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وولد عامر بن عبد مناة بن كنانة : مبذول، وقعن ، وجذيمة، وعوف بن عامر. فبنو جذيمة بن عامر أصحاب يوم الغميضاء الذين توجه إليهم خالد بن الوليد المخزومي، فأظهروا الإسلام فلم يلتفت إلى ذلك ووضع فيهم السيف ، فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه بمال صرفه إليهم، وأعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن خالد ثم رضي عنه. انظر: أنساب الأشراف ٣ / ٤٧٨ـ ٤٩٤، جمهرة أنساب العرب ص٨٤، السيرة النبوية ٣ / ٤٠٥، الروض الآنف ٧ / ٢٦٤.

[٦]) هكذا في الأصل، و الصحيح يتذاكرون.

فلما كان يوم الفتح [١] تكلمت بنو جذيمة بكلمة الإسلام، فقتلهم خالد بن الوليد[٢] ولم يقبل منهم إسلامهم، وكان النبي ﷺ يقول: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) [٣].

وقوله تعالى :(فأعرض عنهم). أي: عن جوابهم، وانتظر الفرصة فيهم إنهم منتظرون للفرصة فيك. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ كل ليلة هذه السورة وسورة الملك [٤].

---

[١]) في (ب) فلما كان فتح مكة.

[٢]) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر القرشي المخزومي، أبو سليمان وقيل: أبو الوليد أمه لبابة الصغرى، وقيل: بل هي لبابة الكبرى بنت الحارث، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وإليه كانت القبة والأعنة في الجاهلية. واختلف في وقت إسلامه وهجرته، فقيل: هاجر بعد الحديبية وقيل: بل كان إسلامه سنة خمس بعد فراغ رسول الله ﷺ من بين قريظة، وقيل: في أول سنة ثمان مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة. ثم لم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعنة الخيل فيكون في مقدمتها في محاربة العرب. وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة ثم بعثه رسول الله ﷺ إلى العزى ليهدمها، كان على مقدمة رسول الله ﷺ يوم حنين، وأمره أبو بكر الصديق على الجيوش. ففتح الله عليه اليمامة وغيرها، وقتل على يده أكثر أهل الردة منهم مسيلمة وفتح دمشق. وكان يقال له: سيف الله. توفي بحمص. وقيل: بالمدينة سنة إحدى وعشرين. أو اثنتين وعشرين في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٢٨٣، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١ / ١٢٦، سير أعلام النبلاء ١ / ٣٦٦.

[٣]) أخرج الحديث البخاري في صحيحه بنحوه. كتاب/المغازي، باب/ بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة. حديث رقم (٤٣٣٩) ٧٠/٨، وأخرجه النسائي في سننه كتاب آداب القضاة، باب/ الرد على الحاكم إذا قضى بغير الحق حديث رقم (٥٤٠٧) ٤٧٠/٥، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بمعناه حديث رقم (٦٣٨٢) ٤٤٤/١٠.
وانظر: معاني القرآن للفراء غير أنه قال: بني كنانة ٣٣٣/٢، تأويلات أهل السنة بأطول من هذا، ولم يذكر في آخره دعاء النبي ﷺ ، لكنه ذكر إعطاء النبي ﷺ الدية لهم في كل شيء لهم . ٣٤٦/٨، وفي بحر العلوم: خزيمة. ٣ /٣٧، وفي النكت والعيون عن الفراء إنهم بني كنانة ٣٦٨/٤.

[٤]) (بنحوه) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم (١٢٠٩) والترمذي في سننه كتاب/ فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ. باب/ ما جاء في فضل سورة الملك، حديث رقم (٢٨٩٢) ٥ / ١٦٥، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (ذكر ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة قبل أن ينام) حديث رقم (١٠٤٧٤) ٩ / ٢٦١، والإمام أحمد في مسنده عن جابر حديث رقم (١٤٦٥٩) ٢٦/٢٣، وأخرجه البيهقي في الشعب حديث رقم (٢٤٥٥) ٥ / ٤٦٧، والبغوي في تفسيره ص١٠٢١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ، حديث رقم(٣٥٤٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي. ومداره على حديث ليث بن أبي سليم. ٣ / ٢٧٢.
قال أبو عيسى : هذا حديث رواه غير واحد عن ليث بن أبي سليم مثل هذا ، ورواه مغيرة بن مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا. ٥ / ١٦٥. وليث بن أبي سليم متكلم فيه قال أبو زرعة : هو مضطرب الحديث. وعن يحيى بن معين : ليس حديثه بذاك، =

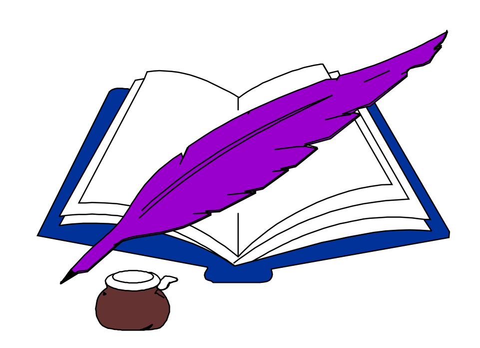
وروي عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال:(من قرأ سورة الم تنزيل أعطي من الأجر كأنما أحيى ليلة القدر) [1].

وبالله التوفيق.

= ضعيف. الجرح والتعديل ٢٢٨/١٥، وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة. تهذيب التهذيب ٨ / ٤١٨، وقال الشيخ الألباني: ليث بن أبي سليم ، ضعيف لاختلاطه . السلسلة الضعيفة ٣ / ١٥٨.

[1]) حديث أبي هذا الوارد نهاية كل سورة حديث موضوع سبق تخريجه ص٩٦.

الفهارس



فهرس الأعلام

اسم العلم **رقم الصفحة**

(أ) الرجال

(ب) الكنى

(ج) الألقاب

(د) أعلام النساء

فهرس الأماكن والبقاع

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة